



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

تخصص أدب شعبي

رسالة دكتوراه

السلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية  
في الحكاية الشعبية في الغرب الجزائري  
"دراسة اجتماعية أدبية"

إشراف الدكتور:

سعيد محمد

إعداد الطالبة:

سنوسي صليحة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د: زريوح عبد الحق	رئيساً	جامعة تلمسان
أ.د: سعيد محمد	مشرفاً	جامعة تلمسان
أ.د: أوشاطر مصطفى	مناقشاً	جامعة تلمسان
أ.د: الزاوي الحسين	مناقشاً	جامعة وهران
أ.د: بن سعيد محمد	مناقشاً	جامعة وهران
الد: عطايفة بن عودة	مناقشاً	جامعة غليزان

جوان 2012

# إهداء

إلى أمي وأبي

إلى إخوتي

إلى أهلي

إلى زملائي وزميلاتي

أهدي هذا البحث راجية من المولى عز وجل

أن يجد القبول والنجاح

# كلمة شكر

أشكر الأستاذ القدير الدكتور "سعيد محمد"  
المشرف على رسالتي على صبره واحتماله لنا طيلة فترة البحث.  
أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة رسالتي  
وأخص بالذكر الأستاذين  
"أوشاطر مصطفى و زريوح عبد الحق".  
والى كل من مدّ لنا يدّ العون.

## مقدمة

تشغل الحكاية الشعبية باعتبارها فنا شعبيا مشبعا بالقيم الإنسانية والاجتماعية مساحة واسعة في الذاكرة الجماعية لدى شعوب العالم منذ القدم، بحيث ارتبطت بهم ارتباطا وثيقا وهذا لمالها من أهمية بالغة في إمكانية تحقيق الرغبات والخروج من عالم المشاكل إلى عالم تحقيق الأحلام. ومن أهم ما يميزها هي الكلمة التي تجعل منها أدبا شفويا جماعيا أعطاهاميزة الاستمرارية والتلقائية في التعبير.

إن الحكاية الشعبية هذا الجزء المنسي من تراثنا يعد ركنا مهما من أركان التعبيرات الشفهية، يحتاج إلى عناية كبيرة وذلك بجمعها وتدوينها ودراستها وإحياء ذاكرتها وتثمين ما تمثله من رموز ثقافية وقيم إنسانية هذا الأمر الذي جعل الدارسين يهتمون بها باعتبارها نمطا من أنماط الأدب الشعبي الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من "الفولكلور" هذا الأخير المحصور بين الأقوال والمآثر والأغاني والأمثال والحكايات.

وانطلاقا من ذلك يمكن أن ننظر إليه وإلى الحكاية باعتبارهما إنتاجا فنياً إبداعياً يدرسان في إطارهما الاجتماعي ولا يحق لنا أن نخرجهما من هذا السياق وهذا ما يؤكد أحمد مرسي في قوله بأن "لا يمكننا الفصل بين المادة الشعبية وسياقها وأصحابها والبيئة التي تتداولها، وعلى ذلك فلا بد من أن ننتبه إلى أن ما يصلح في النظر إلى الأدب الخاص أو الفن الخاص من مناهج ونظريات، قد لا يصلح بالضرورة لمجال اهتمامنا"<sup>1</sup>. وعليه أكد أن الأدب الشعبي هو أسلوب التعبير الفني المأثور عن الفكر والعادات والتقاليد الجماعية والذي يتوسل بالكلمة" ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن الأدب الشعبي بأنواعه يميزه التعبير الوجداني الذي يعبر عن نفسية المجتمع وثقافته، ويمس الحياة الاجتماعية من جميع جوانبها "فهو التعبير عن خلد القطاع الاجتماعي الغير ممّا يعتريه من مؤثرات اجتماعية أو هزات سياسية أو طبقية وما إلى ذلك مما ينتاب الشعوب من تغيير في السلوك"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>: أحمد مرسي: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2008، ص 25

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص 17

وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا أنّ الأدب الشعبي عامة والحكاية خاصة يمثلان حقلاً واسعاً للدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية كما أجمع عليه جل الدارسين في التراث الشعبي، إلا أنّ الدراسات في ضوء تلك المناهج ظلت قليلة ما عدا بعض الدراسات هنا وهناك.

ومن أقدم الدراسات الرائدة في الأدب الشعبي ما جمعه الأخوان "جريم" بألمانيا و"مكسيم جوركي" "بروسيا" من حكايات شعبية، إلى جانب بعض المحاولات الأخرى في مختلف أرجاء العالم أهمّها: دراسة "الفولكلور: قضاياها وتاريخه" للباحث الروسي "يوري سوكولوف" الذي يعدّ من الأوائل في العالم الذين انتبهوا إلى أهمية الثقافة الشعبية ما أدّى به إلى إثارة قضايا عديدة أهمّها التتويه بترتيب الحكايات إقليمياً كما أكد على قيمتها الاجتماعية وأهميتها العلمية.

ونجد الأمر نفسه في دراسة "فلاديمير بروب" مورفولوجية الحكاية" الذي تناول فيها دراسة حوالي مائة حكاية خرافية روسية حدّد بها العناصر الثابتة والمتغيرة، وخلص إلى إمكانية تغيير شخوص الحكاية إلا أن وظائفها تبقى ثابتة وحددّها بثلاثين وظيفة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هاتين الدراستين تبقى من أهم الدراسات في هذا المجال في فهم شخصيات الشعوب فهما دقيقا ما أكدّه كذلك العديد من الدارسين أمثال "لفي ستروس" في دراسته لأساطير العالم وكذلك العالم الألماني "يوهان". أما الحقل العربي فقد تراكت فيه أيضا مجموعة من الدراسات وعلى رأسها ما توصلت إليه "نبيلة إبراهيم" حينما تطرقت إلى إمكانية تناول الحكاية لحضارة الشعب ووصف بيئته ومجتمعه. ولم تقتصر دراسة الحكاية على بعض دول العالم وإنما حذت حذوهم أيضاً الجزائر وخطت خطوات متقدمة في هذا البحث أمثال "عبد الحميد بورايو" و"ليلي قريش روزلين".

ومهما يكن من أمر فإنّ جلّ الدراسات العالمية والعربية جميعها تجمع على أنّ الحكاية الشعبية تبقى من أهمّ الأشكال التعبيرية الشفهية التي تصوّر لنا أحداث المجتمع وتعكس مواقفه وتحقق توازنه، ولعلّ ذلك من أهمّ الأسباب التي دفعتنا إلى اللوج إلى عالم الحكاية الشعبية.

## الدوافع الشخصية والموضوعية:

من أهم الدوافع الموضوعية التي أدت بنا إلى اختيار الموضوع هي محاولة الكشف عن الظواهر الاجتماعية التي مرّرتها لنا الحكاية الشعبية ونقلت عن طريقها أهم السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأفراد المجتمع. وهذا محاولة منا إلى تفكيك بناءها والقيام برحلة كاشفة للنظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وما تحمله من سلوكيات متعدّدة خاصة في الفصلين الأول والثاني. ومن بين الأسباب الموضوعية أيضاً محاولة الخوض في المنهج الأنثروبولوجي الاجتماعي لدراسة الحكاية الشعبية مستبعدة بذلك الولوج في الوصف الأدبي المحض للحكاية، ليأتي دورنا في محاولة دراسة الحكاية من منظور اجتماعي والتعرض لها في الحقول المعرفية الأخرى لأنّ الحكاية الشعبية تحتاج الكثير من الدراسات الاجتماعية والإنسانية الجادّة التي تهدف الى الكشف عن ثقافة المجتمع وطريقة تفكيره.

أما الجوانب الشخصية منها: هي أننا من الذين يهتمون بمجال التراث الشعبي من أجل اثراء والمحافظة عليه بالجمع والتدوين لما يمثله من روح الأمة، مرتبط ببهويتها وثقافتها. وشغفي بالتراث الشعبي بشطريه المادي وغير المادي جعلني أوصل مسيرتي في البحث. ويعود سبب تركيزي على الحكاية الشعبية إلى أنّها أكثر الفنون الشعبية شيوعاً واستعمالاً بين جميع شعوب العالم، وحضورها يحقق عمقاً حضارياً وثقافياً وإنسانياً.

## الإشكالية:

وبناءً على تلك المعطيات تظهر لنا العديد من الإشكاليات التي تحدّد مسار البحث وخطوطه العريضة أهمّها: هل حقيقة نص الحكاية الشعبية قادر على حمل الواقع الاجتماعي وهل عكست الحكاية صور المجتمع وأنظمتها المختلفة؟ وإلى أي مدى تمثل الحكايات منتجا ثقافياً جماعياً يعبر عن الجموع؟ وإلى أي حد تلعب الحكاية بشكلها الفني البسيط المحدّد دوراً مؤثراً في تأكيد معتقدات الشعب والكشف عن سلوكه وقيمه؟ وهل حققت الحكاية دورها في إعلاء القيم الأخلاقية من خلال السلوكيات المطروحة؟ وهل هي بمثابة المراقب الاجتماعي والمثبت للقيم الأخلاقية؟

إنّ موضوع الحكاية الشعبية واسع ومنتشعب يدور حول ما يشغل روح الشعب وفكره سواء في نطاق الأسرة أو المجتمع حول التمسك بوحدتهما والمحافظة على بناءهما الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من أجل بناء مجتمع مثالي خال من المفارقات الاجتماعية والصراعات الطبقيّة، هذا الدور الفعال والايجابي الذي تلعبه الحكاية. ومن هذا المنطلق فإن الحكاية لا يمكن أن تشكل في محتواها سوى نظرة الشعب الروحية في تحقيق العدل والمساواة والتمسك بالوحدة من أجل تعميم السلام حتى ولو كان ذلك في شكل أحلام وطموحات تحققها أحداث الحكاية.

ولذلك فالحكاية استطاعت أن تثير قضايا عديدة من خلال سلوكيات أفرادها عبّرت بها عن واقعهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وثبّتت من خلالها قيمًا أخلاقية، ونحن الآن لسنا بصدد استعراض جميع السلوكيات الاجتماعية والقيم الأخلاقية التي حملتها نصوص الحكاية وإنما يمكننا أن نشير الى قدرة هذا الجنس الشعبي الأدبي على حمل الواقع الاجتماعي بمختلف أنظمتة وتوجهاته.

### المنهج المتبع:

ولذلك تحتم علينا في هذا البحث اتباع المنهج الأنثروبولوجي والاجتماعي في الفصلين الأول والثاني مع الإستناد إلى المنهج النفسي الأدبي في القسم الأخير وتعدّ هذه المناهج حقلا ومنهجيا يدرس حياة الإنسان داخل الحقول المعرفية، ويكشف عن سلوكياته الاجتماعية وقيمه الأخلاقية.

ومهما يكن من أمر تبقى المنهجية من أهم وأصعب الإشكاليات التي تعترض سبيل الباحث، كما تعدّ أساس وسرّ نجاح بحثه ومن هذا المنطلق بدا لنا ضروريًا تحديد منهجية نعتمد عليها في مقاربتنا لموضوع البحث ونظرًا لتنوع جوانبه لم نقتصر على استخدام منهج واحد وإنما استقرت دراستنا على أكثر من منهج لطبيعة البحث وهي كالاتي:

أولاً: المنهج الوصفي التحليلي: تعدّ دراسة "الحالة" أو "المادة" من بين طرق البحث العامة في الحكاية الشعبية، بحيث استخلصت مجموعة من المعلومات الهامة وما يدور حولها من قضايا وظواهر وأحداث وذلك لأجل تحديد السلوكيات القائمة بين أفراد الحكاية

ثم قمت بتحليلها. ومن أهم الأساليب المستعملة في هذا المنهج: الجمع والتصنيف والتحليل، حتى يتسنى لنا الإلمام بكل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والغوص في أعماق شخصيات الحكاية والتعرف على اهتماماتهم وحاجاتهم.

ثانياً: المنهج الأنثروبولوجي والاجتماعي: يساعد هذا المنهج في الدراسات الفولكلورية على دراسة العلاقات الأسرية والاجتماعية إلى جانب نظام المعيشة والأسرة والسلطة وتحديد الظواهر والسلوكيات التي يراد دراستها.

ثالثاً: المنهج النفسي الأدبي: استعنت بهذا المنهج للكشف عن الظواهر النفسية كالشعور والدوافع والحاجات والرغبات والميولات من أجل استنباط القيم الأخلاقية والمثل التي تؤكد على الجانب التربوي والأخلاقي في الحكاية الشعبية.

وبذلك لم نعرض على أنفسنا حصاراً منهجياً مما أكسب بحثنا مرونة. فتركنا أسئلة الموضوع تتحرك ضمن فضاء معرفي واسع، بحيث نتقلنا عبر المناهج المذكورة لنحدد القضايا والأسئلة التي يفرضها موضوع الحكاية الشعبية هذا الفن الأدبي الشعبي والفولكلوري الذي يصور لنا وعياً جماعياً وبعداً نفسياً وظاهرة ثقافية. فاعتمدت في القسم الأول على الدراسة الأنثروبولوجية والاجتماعية لدراسة الحالة الاجتماعية والأسرية داخل الحكاية وما تحتويه من نظم القرابة والأسرة والزواج، إلى جانب النظام الاقتصادي والسياسي. أما القسم الأخير اعتمدت فيه على الدراسة النفسية والأدبية من أجل تحديد القيم الإيجابية والسلبية التي استنبطناها من السلوكيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تطرقنا لها في القسم الثاني.

### تحديد ميدان الدراسة والمادة المبحوثة:

إنّ الحديث عن تحديد الموضوع وكذا الطرح المنهجي يقودنا إلى الحديث عن المادة أو متن الدراسة الذي اعتمدناه في بحثنا وما يطرحه من إشكاليات، فالحكاية الشعبية يميّزها الطابع الشفهي وقلة النصوص المدونة يعرض على الباحث النزول إلى الميدان لتكوين مادته الأمر الذي حثّم علينا أيضاً النزول لملامسة الواقع.

لقد أثار اهتمامنا ونحن نقوم بجمع المادة التي نشتغل عليها عينة من الحكايات الشعبية التي تتوفر على عناصر تؤهل هذه الحكايات لتكون من سبل التنشئة الاجتماعية التي اعتمد عليها المجتمع الجزائري خلال قرون متواصلة من الوجود، إذ صورت في مختلف أدوارها الاجتماعية. وانشغالنا بخصوصها يقتضي منا تحليلها ومن ثمة استخراج الدعائم الأساسية التي يركز عليها الفكر الشعبي الجزائري. وقد تمّ جمع هذه العينة على مراحل:

المرحلة الأولى: مخطوط مدونة "محمد بلحفاوي" وتحتوي على أربع عشرة حكاية شعبية لأهم الحكايات الشعبيّة التي لها انتشار واسع في الغرب الجزائري والتي روتها له أمّه وقد تمّ العثور عليها عند حفيده "بن ستي هوارية" القاطنة بوهران. ولد "محمد بلحفاوي" سنة 1912 بالمدينة الجديدة بوهران من عائلة متواضعة توفي بفرنسا سنة 1993، ورث عن والديه "بلقاسم" و"زهرة" مجموعة من الحكايات الشعبية والشعر والغناء، اهتمّ بالمسرح سنة 1950، صدرت له أعمال أهمّها: *La poésie orale maghrébine d'expression populaire, et La poésie arabe populaire de l'Algérie* : Éditions Maspéro, 1973.

المرحلة الثانية: تحتوي هذه المجموعة على عشرين حكاية، منها حكايات جمعت سنة 2005 في رسالة ماجستير حول "القص الشعبي بمنطقة غليزان" للباحثة واضح عائشة، ولهذا قد استبعدت العديد من الحكايات متشابهة المضامين واستطعت بذلك أن أكون متنا للثلاث وثلاثين حكاية شعبية خاصة بمنطقة الغرب الجزائري لتكون موضوع هذه الدراسة. مع الإشارة لبعض الحكايات الشعبية التي استعنت بها في دراستي في القسم الأول تمّ جمعها من طرف فريق بحث وتم تدوينها في كتاب "قاموس الأساطير الجزائرية"، تحت إشراف عبد الرحمان بوزيدة، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005.

## تقسيم البحث:

قسمت مشروع البحث المعنون بـ «السلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية بالغرب الجزائري، دراسة اجتماعية أدبية» إلى ثلاثة أقسام، ثم قسمتها إلى فصول، فبدأت بذكر: المقدمة: وتحدثت فيها عن الموضوع وإشكالاته، وذكر الدوافع المؤدية إلى اختياره، والمنهج المتبع في الدراسة وخطة الموضوع، ثم انتقلت إلى المدخل بتحديد منطقة الغرب الجزائري، ومنه إلى القسم الأول المعنون بـ: «أنماط الحكاية وأصناف القص الشعبي» ثم قسمته إلى ثلاثة فصول أولها: تحاور الأجناس القصصية وتداخلها مع الحكاية حيث حاولت أن أبرز سمات القص الشعبي بجميع أشكاله: الأسطورة والسير والملاحم والحكاية ومن خلال تحليلي لهذا الجزء أبرزت أهمية القص العالمي الذي تشكل فيه الحكاية عصاره تلك الأنواع.

أما الفصل الثاني فتعرضت فيه إلى مفهوم الحكاية مع تحديد المصطلح ثم الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية، ثم انتقلت إلى التعريف بالحكاية الشعبية الجزائرية والاهتمام بها في المنظور الغربي والدراسات العربية وأهم الدراسات والمناهج التي درستها.

أما الفصل الثالث فتطرق فيه إلى إشكالية تصنيف الحكاية، مع التركيز على مشكلة الحدود التي ترجع أساسا إلى تداخل الموضوعات.

أما القسم الثاني المعنون بـ: «السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية» قسمته إلى ثلاثة فصول فبدأته بمقدمة: تحديد المقصود بالسلوك الاجتماعي ومكوناته ومظاهره، ثم انتقلت إلى الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية: فتحدثت فيه عن سلوكيات الزواج والأسرة والعلاقات الاجتماعية والأنظمة القرابية في الحكاية الشعبية.

أما الفصل الثاني: تناولت فيه الدينامية الاجتماعية والاقتصادية وأهمية العلاقات الاجتماعية في تقوية النمو الاقتصادي، كما تناولت التحولات الاجتماعية وعلاقة الإنتاج وخصائصها.

أما الفصل الثالث اعتمدت فيه على أهم المضامين والقضايا السياسية التي استنبطتها من السلطة الاجتماعية والسياسية التي ينتج عنها الصراع الطبقي ومحاولة الحكاية الشعبية القضاء على هذا الصراع.

أما القسم الثالث: المعنون ب: "القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية" قسمته إلى ثلاثة فصول، فبدأته بمقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها ثم انتقلت إلى الفصل الأول المعنون: بنماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الأسرة والمجتمع، وحاولت فيه أن استنبط بعض القيم الأخلاقية الإيجابية التي نجدها في الزواج والعلاقات الأسرية والقربانية: كقيمة الأمومة قيمة التقاهم والتماسك الأسري وقيمة الصبر والتسامح.

أما الفصل الثاني فخصصته لاستخراج نماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الاقتصاد والسياسة التي نجدها في السلوكات الاقتصادية والسياسية وهي: قيم الحث على العمل قيم التشارك والتكافل، قيم بين الحاكم والمحكوم، قيمة العدالة الاجتماعية وقيمة المساواة.

أما الفصل الثالث المعنون ب: نماذج من القيم السلبية فتطرق فيه إلى النماذج السلبية في الحكاية الشعبية منها القيم الساخرة والناقدة للمجتمع وأهمية القيمة التربوية في الحكاية الشعبية وأخيرا ختمته بملخص عام.

رغم أنني لم أتطرق إلى معظم حكايات الغرب الجزائري واكتفيت ببعضها لتشابهها إلا أن أهمها يبقى جزءاً لا يتجزأ من الكيان الثقافي الشعبي المغاربي عامة والجزائري خاصة، كما يعد وثيقة اجتماعية تؤهل الباحثين والدارسين لمعرفة طبيعة البنية الاجتماعية لكيان المجتمع، ولأجل ذلك أشاد الدارسون والمهتمون بالتراث الشعبي بضرورة الاهتمام بها تدوينا ودراسة.

لا يتسع المقام هنا بتحليل كل الأحداث وتحديد كل السلوكات وهذا لما تزخر به نصوص الحكاية من تناقضات وتغيرات اجتماعية، إلا أننا حاولنا دراسة البعض منها لعلنا نصل إلى ضبط وفهم أهم الميكانيزمات المعرفية والاجتماعية التي تتحكم في النمط الفكري الشعبي. فهل بمقدورنا أن نعيد حكاياتنا الشعبية في عصر العولمة والتكنولوجيا المسارعة؟

وهل مازال للحكاية الشعبية مكانتها داخل المجتمع وهل باستطاعتها تعزيز وتثبيت تلك القيم داخل نفسية الفرد؟ وما هي السبل والطرق التي نعيدها بها؟ كلها أسئلة تنتظر من يجيب عنها في مواصلة البحث والدراسة والمحافظة على التراث.

تم ضبط الخطة كالتالي:

مقدمة:

المدخل: المعطيات التاريخية والمكونات الثقافية للمنطقة.

الباب الأول: أنماط الحكاية وأصناف القص الشعبي

الفصل الأول: الأجناس القصصية

1. تحاور الأجناس القصصية
2. تواصل الأجناس القصصية
3. حدود الأجناس القصصية
4. مضمون الأجناس القصصية

الفصل الثاني: مفهوم الحكاية الشعبية

1. تحديد المفهوم
2. الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية
3. الحكاية الشعبية في المنظور الغربي والدراسات العربية
4. الحكاية الشعبية الجزائرية وامتدادها العربي والعالمي

الفصل الثالث: اشكالية التصنيف

1. الحكاية الخرافية
2. حكاية الحيوان
3. حكاية الواقع الاجتماعي

الباب الثاني: السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية

مقدمة: مفهوم السلوك ومكوناته ومظاهره

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية

1. الزواج
2. العلاقات الأسرية
3. نظام القرابة

الفصل الثاني: الدينامية الاجتماعية والاقتصادية

1. الحياة الاجتماعية
2. التحولات الاجتماعية
3. علاقة الإنتاج وخصائصها

الفصل الثالث: المضامين السياسية

1. السلطة الاجتماعية
2. السلطة السياسية
3. التراتب الاجتماعي

الباب الثالث: القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية

مقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها

الفصل الأول: نماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الأسرة والمجتمع

1. قيمة التفاهم بين الزوجين
2. قيمة الأمومة
3. قيمة التماسك الأسري
4. قيمة الكرم والضيافة
5. قيمة الصبر والتسامح

الفصل الثاني: نماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الاقتصاد والسياسة

1. قيمة الحث على العمل
2. قيمة التشارك والتكافل
3. قيم بين الحاكم والمحكوم
4. قيمة العدالة الاجتماعية

الفصل الثالث: نماذج من القيم السلبية

1. قيم ساخرة
2. نقد المجتمع
3. قيم تروبية

الخاتمة : أهم النتائج

الملحق : مدونة الحكايات الشعبية

المصادر والمراجع

## المدخل : المعطيات التاريخية والمكونات الثقافية للمنطقة

### أ: الخصائص الجغرافية للمنطقة:

إن الارتباط الموجود بين الزمان والمكان، وأثر كل واحد في الآخر يلزمنا استقراء المراحل التاريخية محاولة منا تحديد جغرافية المكان. فالجزائر يمكن تحديدها في ثلاثة أقاليم رئيسية من الشمال إلى الجنوب: إقليم الشمال، إقليم الهضاب ثم الإقليم الصحراوي ويضم هذا الإقليم 85 % من المساحة الكلية للجزائر ويعد هذا التقسيم هو تقسيم أفقي على الخريطة، أما إذا قسمناها تقسيما عموديا، فإننا نحصل على خمس مناطق: الجزائر الشمالية الشرقية، الجزائر الشمالية الوسطى، الجزائر الشمالية الغربية، الجنوب الشرقي والجنوب الغربي.

الجزائر الشمالية الغربية تمتد ابتداء من التل الوهراني، تزارا بني بوشقران الظهر الغربية حتى السهول المرتفعة متضمنة بذلك كلا من منطقة سارسو والونشريس. وهي منطقة تمثل خلال مرحلة تاريخية إقليميا توسط الشرق والغرب، ولكن بعد رسم الحدود ظهرت أسماء جديدة للمناطق، فأصبح الغرب هو تلك المنطقة الواقعة غربا يحدها غربا المملكة المغربية، ومن الشرق ولايات الوسط ومن الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب الولايات الجنوبية. كما يسهم التقسيم الطبيعي الذي تفرضه الطبيعة في تحديد عدة خصائص منها: الخصائص التضاريسية: المناخية، النباتية والحيوانية. والخصائص الاقتصادية: الزراعية، الصناعية والتجارية. والخصائص البشرية: السكان، الكثافة والتوزيع ويلاحظ تفاوت كبير في توزيع السكان من منطقة لأخرى بحيث تشدد الكثافة السكانية في المناطق الساحلية، وتقل كلما اتجهنا جنوبا لذلك تعد مدينة وهران وضواحيها الساحلية من أكثر المناطق ازدحاما بالسكان.

كما تتميز مدن الإقليم الغربي بحسن التنظيم والتخطيط وذلك راجع للظروف التاريخية التي عرفتتها المنطقة، حيث كانت محطّ أطماع المعمرين طوال التواجد الاستعماري لملائمة ظروفها الطبيعية والاقتصادية، مما جعلها تتميز بالطابع الاستعماري واستغلال خصائصها الزراعية لخدمة الاقتصاد الفرنسي (الكروم مثلا) وطغيان العمران الاوروبي مثل، سيدي بلعباس، المحمدية، عين تموشنت، بني صاف، تلمسان، تيارت، مستغانم، وهران.

### ب: معطيات تاريخية عن المنطقة:

من الصعب علينا تحديد المنطقة وإسقاطها على جميع المراحل التاريخية لأن جغرافية المكان قد خضعت لتغيير الأزمنة، فتارة تتوسع وأخرى تضيق وأحيانا تتصل بمناطق أخرى وأحيانا تتفصل عنها، وقد اختلفت أسماؤها باختلاف شعوبها وسكانها. فكلمة الغرب الجزائري، هو آخر سلسلة من السلسلات التاريخية التي خضعت لها المنطقة بكل تغيراتها. ولأن الثورة تفرض نظاما خاصا ومصطلحات خاصة، فقد سميت المنطقة أو الغرب الجزائري بالناحية العسكرية الثانية أو الولاية الثانية. حيث ظهرت فيها أسماء أهم المناطق العسكرية الحساسة، والمناطق الجبلية والحدودية: كجبل فلاوسن، جبل ورقلة، وواد الشولي، عسّاس، الحدود المغربية كمغنية.

و هذا لا يعني أن المنطقة قد انفصلت عن المناطق الأخرى في عملها التحرري، لأن مجرد التفكير في فصل كفاحها عن الولايات الأخرى محاولة لتمزيق كفاح أمة موحدة، بل أن هذا التقسيم وضع كتنظيم حربي ذي رؤية شمولية. وموضوعنا هذا عندما يتناول منطقة محدّدة، فإنما هو استقراء أو دراسة الكلّ من خلال دراسة الجزء.

و إذا رجعنا إلى الوراء لمعرفة تاريخ المنطقة نلاحظ أنها قبل 1830 كانت منطقة تابعة للدولة العثمانية، وكان يطلق عليها اسم (بايلك الغرب)، وقبل هذه المرحلة كانت منطقة خاضعة للحكم الزياني أي من القرن 9 إلى القرن 15 ميلادي، وكانت تمتد من وجدة غربا إلى بجاية شرقا وعاصمتها تلمسان. أمّا في العهد الاستعماري الفرنسي ظلت تابعة كليا للإدارة الاستعمارية الفرنسية.

### ج: المكونات الثقافية للمنطقة:

أهم ميزة تميز الإنسان عن باقي الثدييات والحيوانات جميعا هي قدرته على إنتاج الثقافة<sup>1</sup> وهي تشمل كل ما يصنعه الإنسان من عناصر المادة مثل : الملابس والآلات والأدوات إلى جانب العلاقات الاجتماعية الإنسانية فهي مرتبطة بظهور الإنسان على وجه

<sup>1</sup>: عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة بمصر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1975، ص 24.

الأرض، يعرف الدكتور عاطف وصفي "الثقافة بأنها الكل المتكامل لأنماط السلوك المكتسبة التي يأخذ بها معظم أفراد مجتمع معين"<sup>1</sup>.

ومن خلال هذا التعريف نستخلص أن الثقافة هي جميع الأنماط والسلوكيات الاجتماعية التي تربط أفراد المجتمع من لباس وأكل وعلاقات إنسانية من عادات وتقاليد وفنون شعبية... أما الأشكال الثقافية الشعبية التي أفرزتها البيئة الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية على مرّ العصور توحى بوحدة عضوية بين هذه الأشكال في منطقة الغرب الجزائري، التي تعددت فيها أشكال ثقافية وافرة أهمها:

### 1. الأعراس:

تشكّل الأعراس في الغرب الجزائري الفضاء الذي تتجسّد فيه العادات والتقاليد وتتعبّر فيه المورثات الثقافية والاجتماعية وإن كان العرس في مفهومه البسيط العضوي التقاء رجل وامرأة إلا أنه يأخذ أشكالاً متعددة حسب كل منطقة، بل حسب كل قبيلة وتمر الأعراس حسب الطرق الشرعية المستوحاة من الشريعة الإسلامية وحسب التقاليد والأعراف المتداولة في المنطقة.

إلا أن الطريقة التي تُضبط بها هذه الطرق تتعدّد: فالخطوبة غالباً ما تكون زيارة أهل العريس لأهل العروسة، ويتم رؤيتها وتذوّق طبخها، ثم يتم عرض الغرض من هذه الزيارة، ليتم تأجيل الردّ إلى بضعة أيام. وغالباً ما تقوم النساء بهذه العملية ثم تنتقل إلى مستوى الرجال. بعد الردّ الإيجابي تتم الخطوبة الرسمية على شكل ما يعرف "بالملاك" إلا أننا نستطيع أن نقول أن "الملاك" هو تغطية فقط، حيث كانت السلطات الاستعمارية تمنع العقد الشرعي وقراءة الفاتحة وتجبرهم على العقد الإداري والمسيحي. فكان "الملاك" يأخذ شكل العرس للتّمويه الخارجي، ويتم في الداخل إنجاز العقد الشرعي (قبول العروسين، تعيين الوليّ، الصيغة، تحديد المهر والصدّاق. لهذا يعدّ ما يسمى "بالملاك" خطوة أساسية في مراحل الزواج فأعطيت له الصّفة الرسمية في العادات والتقاليد.

أمّا الزفاف: فهو المناسبة التي تقام فيها الوليمة، ويتم التحضير له على كلّ المستويات الماديّة والمعنوية. ولهذا تعتبر الأعراس الفرصة الوحيدة الأكثر تكراراً في حياة

<sup>1</sup>: المصدر السابق: ص25.

الناس للتعبير عن مكبوتاتهم بطرق فنيّة مختلفة. حيث ظل الغناء أبهى صور التعبير عن الفرح، لهذا كانت النسوة تؤلّفن الأغاني المختلفة التي تعبر عن حياتهنّ ومشاكلهنّ وعرضها في الأعراس والولائم كما يتمّ فيها عرض مختلف الألبسة التقليدية.

أمّا الرجال يؤهلون للرقص أحيانا والفروسية أحيانا أخرى، وكل ما نستطيع ذكره هو أن الأعراس في منطقة الغرب قد لا تختلف ضمناً عن باقي المناطق الأخرى، لكنها تختلف في شكلها، وهذا نظراً لاختلاف العادات والتقاليد التي تميّز كل منطقة حسب خصوصيتها الفنية والاجتماعية والماديّة.

## 2. الرقص الشعبي:

الرقص سلوك حركي إثباتاً للوجود قد مارسه سكان الغرب الجزائري بمختلف أشكاله إلا أنه يختلف في نوع طبقه الفني الحركي من منطقة لأخرى حسب تنوع البيئة نذكر على سبيل المثال: رقصة العلاوي، رقصة العرفة، رقصة النهارية ورقصة الصف إلى جانب رقصات خاصّة تمارسها فرق الزوايا مثل: عيساوة ودرقاوة.....

وعليه تختلف رقصة العلاوي من منطقة إلى أخرى في الغرب الجزائري، وأهمّ ما يميّز العلاوي<sup>1</sup> عن النهاري والعباسي عن الوهراني طبيعة الإيقاع الصوتي لسانيا والحركي سلوكيا.

تعود رقصة النهارية في أصلها الانتسابي إلى قبيلة اولاد أنهار بنواحي سبدو (العريشة، سيدي الجيالي) وهي رقصات عربيّة انطلقا من وحي إيقاعها الذي يميّز بإيقاعات منقطّعة أهمّها: "سبايسية ولعريشية" وهي ألفاظ تستعملها الجماعة في تنظيم الرّاقصين على مستوى واحد. كل هذه الرقصات هي في الأصل رقصات حربية تعتمد على العصيّ والبنادق المحمولة على الأكتاف أو بين الأيدي، وتعتبر رقصة "الصف" أشهر رقصة نسوية بالمنطقة خاصّة المناطق الموجودة بأقصى الغرب الجزائري. والرقص الشعبي بأنواعه الفردي والجماعي يعتبر رقصا فلكلوريا تتبعث منه روح البداوة ويشكّل بذلك إحدى الدّعائم الفنية في الثقافة الجزائرية.

<sup>1</sup>: رقصة العلاوي: تعتمد على تحريك الكتفين وربما أخذت كلمة العلاوي لأن الرقص يتم بالأطراف العلوية على خلاف الرقص بالبطن عند بعض الشعوب الأخرى.

### 3. الوعدة :

عندما نتناول الكلمة من الناحية اللغوية نجد أنها مشتقة من كلمة موعد وهو زمن ومكان محدّدان يتم الاتفاق لالتقاء على موقع ضبطهما وهذا ما نلاحظه في هذا اللون الثقافي، حيث يسهر المنظمون على إقامته مرة واحدة في كل سنة. لكن إذا بحثنا عن الأسباب التاريخية التي ولدت لنا هذه الظاهرة الاجتماعية، نجد أنها أسباب موضوعية ومعقولة فرضها نظام القبيلة أو الضرورة الاجتماعية.

من أهم هذه المناسبات "وعدة سيدي يحي" التي تقام غرب مدينة سبدو بنواحي سيدي جيلالي أو وعدة "أولاد أنهار". حسب حديث بعض الشيوخ يقال إن الجد الأكبر لهذه القبيلة كان يجمع كلّ أولاده بعد انتهاء موسم الحصاد والدّرس ويقام مأدبة غداء من إنتاج تلك السنة، ويتمّ من خلالها الاستعداد للموسم الفلاحي القادم، وتقام أيضا فيها صلاة الاستسقاء لبدء عملية البذر<sup>1</sup>. وهي تعد تكريما لسنة جدّهم سيدي يحي وبعد وفاته تعود أبناؤه على تنظيمها كلّ سنة إلى أن أصبحت عادة من عادات القبيلة يجتمعون فيها كلّ سنة حيث يقيمون الخيم ويحضرون الكسكس للضيوف من قبائل أخرى.

لكن إذا تعرضنا إلى مثال آخر واقترنا من أحد شيوخ قبيلة "حميان" فإن الأسباب التاريخية تختلف، فوعدة عين بن خليل ووعدة عسلة حسب هذا الشيخ كانت تقام كلّ سنة، يجتمع كبار الشيوخ والاعيان من أهل الحل و الربط، ويأخذ كلّ منهم عمودا ويرفعون الخيمة دفعة واحدة ويتمّ الجلوس تحت تلك الخيمة لحلّ مشاكل القبيلة، ويتمّ فيها عرض كلّ القضايا كالطلاق والزّواج والبيع والشراء، ومسألة الأراضي والمواريث وكذلك ردّ المظالم إلى أهلها. ومن جهة أخرى إقامة الفروسية وبعض العادات والتقاليد كالرقص. كما تتحول الوعدة إلى سوق سنوية لبيع المنتوجات التقليديّة كالزربية والجلابة. وتبقى لكل منطقة احتفالياتها بوليها الصالح كوعدة سيدي خالد بتيارت، سيدي بلال بوهران، سيدي لخضر بمستغانم، سيدي خليفة ببلعباس... إلى غير ذلك من الامثلة.

خلاصة القول أنّ هذه الوعدة كانت شبه مؤتمرا شعبيا يتمّ فيه طرح المشاكل واقتراح الحلول، وتشريع قوانين تنظّم القبيلة، هذا من الناحية السياسيّة والاجتماعية، أمّا من الناحية

<sup>1</sup>: أحد شيوخ قبيلة "أولاد أنهار"

الاقتصادية، فكانت سوقاً أو معرضاً سنوياً يتم فيه عرض المنتجات وبيعها. أما من الناحية الثقافية، كانت فرصة لإلقاء الشعر البدوي والاستمتاع بالرقص الشعبي والفروسية والمبارزة.

#### 4. الحكم والأمثال:

تعتبر الأمثال والحكم الشعبية جواهر ثمينة قد حفظت من التلّف لرسوخها في ذاكرة الأجيال المتعاقبة، وهي كنز ثقافي ذو قيمة كبيرة. ففي كتاب الدكتور عبد المالك مرتاض الأمثال الشعبية الجزائرية<sup>1</sup> يتناول بالدراسة والتحليل هذه الأمثال معتمداً في ذلك محورين الزراعي والاقتصادي إضافة إلى المحور الاجتماعي، كمحاور تعكس الحياة الاجتماعية للفرد الجزائري.

يتميز المثل الشعبي بالإيجاز، فهو قليل اللفظ وكثير المعنى، ويساير الفرد في حياته اليومية لذلك نجده متعدد المحاور والموضوعات والغرب الجزائري غنيّ بالأمثال الشعبية المتداولة بكثرة أثناء المعاملات بين أفراد المجتمع وقد قال الكاتب الفرنسي «ميسي» انه "ما من مثل إلا وله مثل آخر يناقضه"<sup>2</sup> وهذا دليل على تشابك وترابط الأمثال الشعبية في الغرب الجزائري. فلا يخلو حديث أو خلاف بين الناس أو بين الأسر إلا ورافقه مثل يساعد على التصالح بين المتنازعين، ويزيد الحديث متعة وفي الوقت نفسه يوضح ويؤكد المقصود مثلاً: "الحمار ما يشم القرفة"، لأن الحمار عندما يريد أن يشم شيئاً فإنه يخرج الهواء بقوة من أنفه لذا كانت القرفة تطير في الهواء عندما يريد أن يشمها ويقال هذا المثل عندما نضع الشيء في غير موضعه أو نعطي الشيء لغير أهله أو لمن لا يستحقه. ومن بين أهم الأمثال العديدة المعروفة في الغرب الجزائري كالاتي: "دَعْوَةٌ بَلَا دُنُوبٍ، فِي رَأْسِ مُوَلَّاهَا دُنُوبٌ"....."الكَرْشُ كِتَشْبِيعُ تَقُولُ لِرَأْسِ غَنِيٍّ"....."عِنْدِي جَدِي بَصَحَ مَيَّتٌ"....."قَلْتُ سَمَا عَلَي رَأْسِ الْقُوبِعِ"....."بُوسَ الْكَلْبِ مَنْ فَمُو، تَقْضِي حَاجَتَكَ مَنَّهُ؟"...."الْخَبْرُ يُجِيبُوهُ تَوَالًا"<sup>3</sup>.....

<sup>1</sup>: عبد المالك مرتاض: الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982

<sup>2</sup>: قادة بوتارن: الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة حاج صالح، دار الحضارة، الجزائر، ص 3.

<sup>3</sup>: مجموعة من الأمثال الشعبية عن طريق السماع

## 5. الألباز الشعبية:

ألبز الكلام وألبز فيه: عمّ مراده وأضمره على خلاف ما أظهره<sup>1</sup>، ولغز لغزا الشيء : أي مال به عن وجهه وفي يمينه<sup>2</sup> يقال: ألبز اليربوع جحره: حفره ملتويا مشكّلا على داخله، هذا من جهة التعريف اللغوي للمصطلح أمّا من جهة التعريف العامي للمجتمع الجزائري هي الأحجية أو الحجّاية وهذا ما يصطلح عليه سكان الغرب الجزائري وهي متنوعة و متعددة تكاد تنصبّ على كل شيء وعلى كل موضوع، وهو فن شعبي قديم شأنه شأن الفنون الشعبية الأخرى.

اللغز أو الأحجية في الغرب مازالت محافظة بشكل أو بآخر على بعض الرموز الثقافية الشعبية، ولكن ليس بالشكل الكبير الذي كانت عليه، لتطوّر الوسائل الإعلامية كالتلفزيون والاذاعة اللذين حلّا محلّ الشيوخ والسهرات الليلية والعائلية التي كانت تتميز بطابع شعبي يجمع فيه الجد أو الجدة (الراوي) أفراد الأسرة خاصة في الليالي الباردة تحت ضوء خافت كضوء الشموع أو ضوء النار.

كانت الغاية من وضع الأحاجي هي التسلية والتربية المباشرة في شكل ألباز معظم ألفاظها على شكل استعارات وكنائيات ومجازات. تتميز بدلالات وقيم حضارية وتاريخية واجتماعية تعكس حالة الإنسان في مجتمع معين وفترة معينة. وإذا تحدّثنا عن بداية نشأته "نرى أن اللغز نشأ منذ قديم الزمان حين كان العقل البدائي يمرّن نفسه على التلاؤم مع الكون الذي يحيط به"<sup>3</sup>

ومن خلال إطلاعي على مجموعات كبيرة من ألباز الغرب الجزائري لاحظت ثراء هذا النوع الشعبي وتنوعه وضخامته. كما لاحظت تكراره وتشابه بعضه في العديد من مناطق الغرب إلى جانب عنايته بمعظم الموضوعات التي تشغل الإنسان وتتصل بحياته اليومية كالحيوانات والحشرات والطبيعة بوجه عام. فهناك محاور تحتوي على مجموعة كبرى من الاهتمامات الشعبية والمواضيع المختلفة مثل:

<sup>1</sup>: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، المجلد الخامس، ص 405.

<sup>2</sup>: فرد ينان توتل: المنجد في الأدب والعلوم، بيروت، 1956، ص 765.

<sup>3</sup>: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1981 ص 154.

الإنسان وأعضاء جسمه: "القلب".

"مَهْمُومٌ مَّعْمُومٌ وَرَافِدٌ مِّنَ الُّهُمُومِ الكَثِيرَةِ، سَدَّاي نِيَارٌ وَنِيَّرٌ عَلَى كُلِّ نِيرَةٍ؟"

الحيوان والطيور : " الحلزون "

"مَا وَلَدَتْ وَوَلَدَتْ مَا فَرَحَتْ بِيهِ، نَصٌّ فِي كَرَشِهَا وَنَصٌّ تَنْمَشِي بِهِ..؟"

النباتات : "الذري".

"هِيَ وَبْنٌ هِيَ قُبَّةٌ وَشَاشِيَةٌ وَثُوبٌ حَرِيرٌ تَرَقُّدٌ فِيهِ..؟"

الفواكه : "البرتقال".

"زِينَةٌ وَزِينُهَا يُلَالِي، جَدْرُهَا فِي المَاءِ وَرَاسُهَا فِي العَلَالِي..؟"

ظواهر طبيعية : " البرق "

"طَقَ هُنَا وَطَقَ لِهَيْهِ وَطَقَ شَقُّ البُحْرِ مَنَ هَيْهِ..؟"

أدوات البيت : " الخيمة "

"طَيِّهَا طَيِّ كُتَابٌ، وَلُونُهَا لُونٌ غَرَابٌ..؟"<sup>1</sup>

كل ذلك يدلّ على بساطة المنطقة وعلى حالتها الاجتماعية واهتمامها بالضروريات أكثر من الكماليات إلى جانب دقة الملاحظة ومن بين الموضوعات الأخرى التي تطرّق لها اللغز الشعبي هي اللباس، وسائل السفر، الطعام، الحرف، أدوات الزراعة، آلات السلاح، فيما يخصّ العلم، الآلات الموسيقية....

---

<sup>1</sup>: مجموعة من الألغاز الشعبية الخاصة بالغرب الجزائري عن طريق السماع.

# الباب الأول

## أنماط الحكاية وأصناف القص الشعبي

### الفصل الأول: الأجناس القصصية

1. تحاور الأجناس القصصية
2. تواصل الأجناس القصصية
3. حدود الأجناس القصصية
4. مضمون الأجناس القصصية

### الفصل الثاني: مفهوم الحكاية الشعبية

1. تحديد المفهوم
2. الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية
3. الحكاية الشعبية في المنظور الغربي والدراسات العربية
4. الحكاية الشعبية الجزائرية وامتدادها العربي والعالمي

### الفصل الثالث: إشكالية التصنيف

1. الحكاية الخرافية
2. حكاية الحيوان
3. حكايات الواقع الاجتماعي

## الفصل الأول: الأجناس القصصية

### 1. تحاور الأجناس القصصية:

منذ وعي الإنسان بما يدور حوله من تحولات وتأثيرات طبيعية واجتماعية، راح ينسج أفكاراً من وحي خياله في شكل مرويات شفوية بسيطة في شكلها وعميقة في أفكارها أهمّها القصّ الشعبي هذا الابداع الفني الذي يمثل رؤية كاشفة عن الكون بكامل ما يحتويه من صراعات وتناقضات، تداولته جميع الشعوب والقبائل باختلاف ألسنتها وأمكنتها. فهو يعتبر من أعرق الأجناس الأدبية الشعبية والفنية وأكثرها تطوراً وتكيفاً من باقي الموروثات التعبيرية الأخرى. ولهذا السبب انصبّت الدراسات الفولكلورية في دراسته بمختلف أشكاله وكشفت عن نشأته وأصوله.

ومن هذا المنطلق نتطرق إلى القصّ الشعبي على امتداده الزمني والمكاني الطويل وما يحمله من أجناس تعبيرية يختلف تقسيمها من باحث لآخر والتصنيف العالمي عموماً هو كالتالي: الأساطير، الملاحم، السير والحكايات الشعبية بأنواعها، "فإنّما أن يعبر الشعب عن ارتباطه بالحياة العليا والقوى الإلهية، وحينئذ يخرج ذلك في شكل أسطورة، وإنّما أن يعيش الإنسان في الواقع التراجيدي ويحسّ بقسوته وحينئذ يخرج ذلك في صورة القصص الشعبي الواقعي.... أمّا القصص الخرافي فمبعثه الخيال الرومانسي الذي يعيش فيه هؤلاء الذين نصبوا حياتهم الفقيرة نحو الأبهة والعيش الطيّب"<sup>1</sup>.

### الأسطورة..

تعدّ الأسطورة جنس قصصي ببدء تفكير الإنسان الذي ظل حائراً في طبيعة الكون وظواهره المختلفة، ليلجأ إلى السحر والطقوس الدينية من أجل تحديد مكوناتها وفهم طبيعتها في قالب مشوّق بشخصيات خارقة وكائنات غريبة وآلهة مسيطرة وبالتالي تبقى الأسطورة هي لبّ التفكير الإنساني القديم تجمع بين الحقيقة والخيال لحل بعض الرموز الغامضة في عصر من العصور.

<sup>1</sup>: نبيلة إبراهيم: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ

ولعل هذا ما جعل الأسطورة تحظى باهتمام الباحثين لتشملت اتجاهات متعددة في البحث من مدرسة إلى أخرى ومن عالم لآخر كما كس مولر، أندرلانج، وجيمس جورج فريزر، وتعريفها لغويا يدلّ على كل ما يخط ويسطرّ من أباطيل وأحاديث عجيبة... وقد ورد في المعاجم العربية "السطرّ والسطرّ: الصّنف من الكتاب والشجر والنخل ونحوها. يقال بنى سطرا وغرس سطرا، والسطرّ الخط والكتابة"<sup>1</sup>. كما ورد لفظ أساطير في القرآن الكريم في تسعة مواضع في سياق تكذيب المشركين لرسالة النبي "محمد" صلى الله عليه وسلم عامة والقرآن خاصة فكانوا يصفون القرآن بأنه أساطير الأولين أي أباطيل وخرافات الأولين. "وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا"<sup>2</sup>، وقوله تعالى: "إِذَا تَنُتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ"<sup>3</sup>. أما اصطلاحا: "فهي محاولة لفهم أعماق الكون بظواهره الغريبة ومحاولة الجواب على أسئلة ظلت شائكة في فكر الإنسان فنسج أجوبة يختلط فيها الخيال مع الواقع بعد تأمل عجيب وخوف رهيب".

والملاحظ أن الأسطورة كما يؤكد بعض الدارسين مازالت لم ترسّ على تعريف موحد وشامل، ولكنّ المتفق عليها هو مجالها الموحد "الذي يدور حول الدّين وشعائره والتاريخ وحوادثه والفلسفة ومجالاتها والكون...."<sup>4</sup>، وفي خضمّ هذا التنوع نجدتها تنتفرّع إلى أنواع هي: الأسطورة الكونية "الطقوسية": تحكي عن ظواهر الطبيعة والكون وعمليات الخلق والعبادة مثل ظاهرة الخصب والجذب أهمّها أسطورة زواج الأرض والسماء، أدونيس وعشتروت، والأسطورة التعليلية: التي تحاول الإجابة عن تساؤلات كظهور الشمس بالنهار وظهور القمر بالليل وتواجد النجوم... والأسطورة الحضارية التي تؤكد على إثبات الذات وصراع الإنسان مع الطبيعة والبحث عن الاستقرار، مثل أسطورة "أسيديوال"<sup>5</sup>، التي يذكرها

<sup>1</sup>: مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة

الأولى، 2002، ص 15

<sup>2</sup>: سورة الفرقان، الآية 05.

<sup>3</sup>: سورة القلم، الآية 15.

<sup>4</sup>: مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 17.

<sup>5</sup>: أسطورة أسيديوال: الذي بحث عن ذاته من خلال تكرار زواجه الذي يفشل فيه كل مرة لعدم تلقيه الراحة ووجوده للمتعة فلم تسعه السماء ولا الأرض وظلت حياته تنتقل من مرحلة إلى أخرى ومن زوجة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر إلى أن بلغ محتواه الأخير وهو الموت.

لفي ستروس والتي تحدثنا عن عدم رضا الإنسان عن نفسه مهما بلغ من المراتب العليا. وأسطورة الرموز الشخصية: التي تعبر بطريقة مجازية عن فكرة دينية أو كونية. وأخيرا الأسطورة الاجتماعية التي تلقي الضوء على حياة الأقدمين وما تحمله من عادات وتقاليد بدائية..

وعلى ضوء هذا التقسيم نجد أنّ الباحثين يختلفون في تعريفهم للأسطورة مثلما يختلفون في تشابهها بالسير والحكايات الخرافية، وهذا ما يؤكد الباحثون العرب ك:نبيلة إبراهيم وعبد الحميد يونس وشوقي عبد الحميد على أنّ الأسطورة العربية غير موجودة في السير الشعبية عكس بعض الباحثين الذين يؤكدون وجودها عند العرب منذ القدم، معلّين ذلك أنّ الأسطورة كما أكدت عليه المدرسة الأنثروبولوجية: "سيرجيمس جورج فريزر" مرتبطة بالطقوس والآلهة وبالتالي فهي تختلف عن السير الشعبية التي تعد عملا قصصيا متماسكا ومتسلسل الأحداث.

واختلاف العلماء في تعريفاتهم للأسطورة اصطلاحا ومعنى أدى إلى الخلط بين الأسطورة والسير والحكاية الخرافية، فبعضهم جعل من الأسطورة حكاية خرافية ما أشار إليه أحمد كمال زكي عن الحكايات الخرافية "لأننا نعجز حقيقة أن نجد فروقا دقيقة بينهما وكثيرا ما تحكي الأسطورة عن أعمال تسندها بتفصيلاتها الحكاية الخرافية وإلا فهل ثمة فرق كبير بين رحلة "اوليس" و"رحلة جلجامش" أو السندباد، وما الفرق بين تنين الأساطير وتنين القديس أندرياس الخرافي"<sup>1</sup> مدعما فكرته بقول أرسطو في أنّ القدماء لم يفصلوا بين الأسطورة والحكاية الخرافية.

ورغم اختلاف الدارسين في تحديد تعريفات موحدة بين الأسطورة وخطهم بين الحكاية الخرافية والسير إلا أنّ بعضهم يؤكد حضور الأسطورة عند العرب وينفي فكرة عدم قدرة الشعب العربي على التخيل والتأمل والإبداع، معلّين ذلك بوجودها في ثنايا التراث المنقوش رغم اختفاء بعضها لعدم تدوينه والعناية به لما عانتها هذه الشعوب من استعمار وتخريب.

<sup>1</sup>: أحمد كمال زكي: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، بدون تاريخ والطبعة، ص 62

وعليه نجد الأسطورة بين ثنايا كلّ المجتمعات " ثابتة عند جميع الأمم بدون استثناء وبغير شذوذ، فلا غرو إذا قلنا أنّها توجد عند العرب أيضا..."<sup>1</sup>، فما تحمله أشعار المعلّقات في العصر الجاهلي من تصوّرات وتجارب لحكايات تمتزج بين الحقيقة والخيال لدليل على قدرة الشعوب العربية على التخيّل والإبداع. "فوجود الحكايات الأسطورية والقصص الشعبية التي تشير إلى حياة معقدة تبدو موحشة أحيانا ومليئة بالمردة والعاريت والكائنات الممسوخة أحيانا أخرى ومفعمة بالأسرار والسحر، وقد تردّد كلّ هذا في بعض الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا ومثل الأخبار التي رصدها المسعودي عن الهوائف والجنّ والغيلان"<sup>2</sup>.

والملاحظ أنّ الطبقات الأولى من العرب القدامى وما وصلنا عنهم من قصص وحكايات شفوية ومكتوبة ومنها المنقوشة، دليل على وجود مادّة أسطورية قائمة بذاتها كحضارات عاد وثمود، ومن أشهر النماذج الأسطورية العربية التي ذكرها التّراث العربي وعلى رأسه الشعر الجاهلي هي الغول والعنقاء، وقد ذكرت حكايات الغول في ألف ليلة وليلة وفي الآيات السماوية حيث كان العرب يعتقدون أنّ الغيلان تتعول فتضل الناس وتأكلهم.

عموما يبقى القص الشعبي أسطورة كانت أو حكاية شعبية يسرد تفاصيل أحداث وقعت في زمن ما يختلط فيها الخيال بالواقع أبطالها أشخاص خارقة للعادة أو قوّة إلهية أو أشخاص عاديين تميّزوا بالشجاعة في مواجهة الظلم والقهر والقضاء على الشرّ والبحث عن الخلود مثل أبطال الأساطير المشهورة.

فبعد إفساح الآلهة الأسطورة الطريق عن شجاعة الأبطال الواقعيين تغيّر مسار التفكير الشعبي في شخصية البطل حسب الظروف الزمنية والمكانية وأصبح البطل شخصا واقعيًا يعبر بفكره وقوته عما يدور حوله وحول مجتمعه من أنظمة جائرة وظلم سائد بإرادة لا تقهر وشجاعة لا تخمدّ وصبر لا يفنى ولذلك ظلّ هؤلاء الأبطال متألّقين في سماء

<sup>1</sup>: المرجع السابق، ص 22.

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص 24.

الخلود عبر حكايات توارثتها الأجيال مشافهة ومكتوبة تروى من خلالها بطولات ومآثر تسمى بالسير والملاحم الشعبية فما العلاقة بينهما؟.

تعدّ السيرة الشعبية حلقة من حلقات الوصل بين الماضي والحاضر تسرد لنا وقائع تاريخية وبطولية لإحدى الشخصيات المرموقة والتي وضعت بصمتها عبر التاريخ لما لها من قيم بطولية في الدفاع عن القبيلة. تصوّر لنا أيضا السير الشعبية هؤلاء الأبطال التاريخيين تصويرا تسلسليا من الولادة إلى الوفاة عبر محطات حياتهم الحافلة بالأحداث الغريبة أحيانا والمشوقة أحيانا أخرى، أحداث بطولية للفارس الشجاع المدافع عن القبيلة وعن شرفها وشرف نساءها.

والسيرة لغويا يعني بها "السنة والهيئة والطريقة ويقال سار بهم سيرة حسنة".<sup>1</sup> وهي نوعان: نوع مدون مثل سيرة عنتر بن شداد ونوع شفهي مثل السيرة الهلالية التي مازالت حية تغنى في مصر وبعض مناطق المغرب العربي منها الجزائر، وهي تعدّ محطة وصل بين المشرق والمغرب.

حظيت السير والملاحم الشعبية عموما باهتمامات عديدة من الباحثين فتداخلت المفاهيم فيما بينها واختلطت التعاريف، قسم منهم يفصل السيرة عن الملحمة تماما وقسم آخر يجعلهما في مرتبة واحدة مثل شوقي عبد الحكيم الذي "يلاحظ مدى التداخلات بين السيرة والملحمة، فكلاهما في معظم الأحوال موضوعها الجوهري هو الحروب والأحداث الجليلة من حصارات وهجرات وسبي وخوارق وبطولات وفروسية"<sup>2</sup>، هذا إلى جانب طلال حرب وعبد الحميد يونس الذي يفضل تسمية السير باسم الملاحم لما وجده من تقارب وتشابه بينهما خاصة السيرة الهلالية وما يعتمده الشاعر من انشاد في روايتها<sup>3</sup>.

والملاحمة عموما كما يعرفها الدارسون هي "جنس أدبي يقوم على مطولة من الشعر تحكي عجائب الأحداث التي تتجاوز الواقع إلى الخيال الممعن في الغرابة وتتركز حول

<sup>1</sup>: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ل، ت، مادة سير، ص 390

<sup>2</sup>: عبد الحكيم شوقي: السيرة والملاحم الشعبية العربية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى،

1984، ص06

<sup>3</sup>: عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1995، ص122

شخصية البطل<sup>1</sup> مثل ملحمة "هوميروس" "الإلياذة" وقد اعتبرها مرسى الصباغ "أنها الجسد الذي يربط بين الأسطورة والحكاية الشعبية"<sup>2</sup>.

ورغم هذا التشابه بين السير والملاحم في المبالغة والشعر إلا أن المفارقة تكمن في أن الملحمة صراع البشر ضد الآلهة عكس السيرة التي تجسد العلاقة بين البشر والخالق، فيما تتضمن الملحمة مضمونا أسطوريًا: فالأوهام والخرافات الشعبية ما ينقص إلى حد كبير في السيرة التي تدور أحداثها حول شخصية معروفة تاريخيا. ومن أقدم الملاحم التي ذكرها التاريخ "ملحمة جلجامش" التي تروي أسطورة بطل يبحث عن الخلود.

"تجمع السيرة الشعبية مجموعة من الحكايات المشوقة لأخبار كانت تروى في زمن الجاهلية والعصر الإسلامي وعصر بني أمية وعصر بني عباس في خلق حكاية مكتملة تمثل أحوال الدولة الإسلامية في فترة زمنية محددة"<sup>3</sup>، ومن أهم السير العربية سيرة النبي محمد  $\mu$  التي جهد في كتابتها مؤلفون كثيرون قديما وحديثا إلى جانب سير أخرى يحملها التراث الشعبي العربي وهي سيرة عنتر بن شداد وتعد من "أولوية السير من حيث زمن كتابتها بما تعكسه من آثار في الأعمال الأخرى ليتضح سبقها في التأليف ومكانها في مقدمة السير من حيث زمن كتابتها"<sup>4</sup>، تعكس لنا صراع العرب أمام الجاليتين الفارسية والرومية في العصر الجاهلي، ثم سيرة ذات الهمة وسيرة الظاهر بيبرس اللتان تعكسان لنا صراع الأمة العربية اتجاه الغزو الأجنبي وظلم الحكام، وسيرة علي الزئبق وسيف بن ذي يزن التي تروي أحداثا وقعت في ظل الصراع الديني والعنصري.

فهي اذن ذخيرة كبيرة حاملة لمضامين مختلفة لم تصل إلينا كلها وإنما وصلنا منها مجموعة قليلة، ما أكدّه بعض الدارسين للسير والملاحم الشعبية حيث أشاروا إلى بعض السير التي لم نضع أيدينا على مخطوطاتها"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>: مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 27

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص 27

<sup>3</sup>: يوسف إسماعيل: الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب، من منشورات اتحاد الكتاب العربي دمشق،

2004، ص 20.

<sup>4</sup>: فاروق خورشيد: أضواء على السيرة الشعبية، منشورات اقرأ بيروت، لبنان، بدون الطبعة والسنة، ص 30

<sup>5</sup>: المرجع نفسه، ص 28.

وانطلاقاً من هذا كله يمكن القول أنها مجموعة من الأخبار كانت تروى في هذه العصور وانتهت بنهاية حكم المعتصم بالله وبعد ذلك ظلت تروى فردياً، أما من حيث زمنها التاريخي فقد جرت أساساً بشبه الجزيرة العربية شمالها وجنوبها ومصر وبلاد الشام والعراق<sup>1</sup> ومعظمها لا ينحصر في زمنها الرئيسي بل تتقدمه أحياناً وتتأخر أحياناً أخرى، فالرواة لم يتقيدوا بالتاريخ بل تصرفوا على هواهم فكانوا يتناولون الشخصية التاريخية أو الحادثة الواقعية ويضيفون إليها أو يحدفون منها أو يعدلون فيها وفق هدفهم الفني<sup>2</sup> ومن الأمثلة على ذلك سيرة عنتر بن شداد التي كان أثرها واضحاً في باقي السير خاصة " في طريقة رسم الأبطال ووصفهم في تقليد الأحداث التي يجريها المؤلف ليبرز من خلالها ملامح شخصية البطل"<sup>3</sup>.

ومن أهم السير المعروفة بانفراد شخصية البطل عن باقي السير الأخرى، سير عصر المماليك هذا العصر الذي التقى فيه الشعب العربي بالغرب فازدهرت فيه السير التي كانت تدفع بالشعب العربي إلى التشبث بالروح البطولية. تميز فيها البطل بشخصية منفردة عن باقي السير الأخرى خاصة من ناحية رسم الأحداث وشخصية البطل الحافلة بالخيال والخوارق والخرافات والسحر.

وفي ظل هذه المواجهة للقوى الصليبية والحروب السائدة ضد الغزاة تدهورت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للطبقات الشعبية وأصبح الفساد قائماً والظلم ظاهر تحت غطرسة الحكام والأمراء لتعم الفوضى ويكثر الفساد.

وعلى هذا الأساس أصبحت المواجهة الشعبية على مستويين مستوى داخلي ضد ظلم الحكام، ومستوى خارجي في مواجهة الروم الأمر الذي انعكس على حياتهم اليومية. وبهذين المستويين نستطيع أن نحدد وجهة صراع السير الشعبية التي تميزت بصراعات "صراع ضد العدو الخارجي وصراع ضد عناصر في السلطة وليس ضد السلطة بكاملها"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>: طلال حرب: بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان،

الطبعة الأولى، ص 346

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص 66

<sup>3</sup>: فاروق خورشيد: أضواء على السيرة الشعبية، ص 18.

<sup>4</sup>: طلال حرب: السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ص 33

"ولا شك في أن هذه الطبقات الشعبية كانت تنتظر من السلاطين والمماليك أن يتصرفوا في حكمهم وفق تعاليم الإسلام السمحاء والعادلة، إلا أن السلاطين والمماليك حجروا على الخليفة وحولوه إلى موظف لديهم"<sup>1</sup>، ولعل ذلك ما أدى بهم إلى اللجوء إلى معتقداتهم وتقاليدهم الشعبية التي تساعدهم على التأقلم مع مشاكلهم وتفسر لهم ظواهرهم الغامضة وتقربهم من الله عز وجل من أجل الخروج من أزماتهم اليومية .

## 2. تواصل الأجناس القصصية :

حضيت السير والملاحم الشعبية خاصة في عصر المماليك بالعديد من الحمولات ذات المعتقدات الشعبية منها ما نتج في الإسلام ومنها ما نتج قبله وبعضها يعود إلى الأزمنة الغابرة يحمل مجموعة من الأفكار والمواضيع الخيالية والخرافة للعادة والتي من شأنها أن تجمع بين جميع الأجناس القصصية على مر الأزمنة.

فالقصاص الشعبي عموماً جاء من أجل خلاص الأمة من بؤسها جراء الانحلال والتفسخ الخلقي منه والسياسي وبالتالي لا يمكن للواقعية أن تحقق المحال وتبلغ المراد، ليحل محله نصاً آخر هو النص العجائبي أو الخيالي الذي يملؤه السحر والجان والرؤى والخرافات مثل الكائنات والهدايا العجيبة.

ولما كانت قدرة الجانب الخرافي أو الأسطوري في تحقيق المحال ظل ملتصقا بالقصاص الشعبي لم يفارقه منذ بداية الحكى مروراً بسيرنا الشعبية خاصة عصر المماليك إلى الحكاية الخرافية وحتى الحكاية الشعبية لم تسلم في بعض ثناياها من تواجد هذا الخيال وداخلها. ومن أهم السير التي يمتزج فيها الواقع بالخيال سيرة سيف بن ذي يزن حيث يستعين بالجن والكهنة في تحقيق مراده، وصورة عنتر بن شداد التي يظهر فيها بملاح البطل الأسطوري بتعامله مع الجن واستعمال قدراته الخارقة.

فالسحر يبقى منذ القديم إلى يومنا هذا المنفذ الوحيد للعديد من الناس وإيمان الطبقات الشعبية به لا يزال يلاحقهم لتحقيق المراد وبلوغ الأماني إلى جانب تصديق المنجمين والفلكيين. أمّا الجان مثله مثل السحر له ارتباط بالعصر الجاهلي وما قبله يحتلّ

<sup>1</sup>: المرجع السابق، ص31.

مكانة في السير الشعبية يشبه الآلهة الأسطورية. فارتباط الناس بالقصص الخيالية والغريبة المنافية للعقل يضلّ مرتبطاً بأبعاد دينية كأولياء الصالحين والأسطورية كالجنّ والسحرة...

ومن خلال بعض هذه المعتقدات التي سادت الطبقات الشعبية في السير والملاحم الشعبية على العموم نلمس تواصل الأجناس القصصية فيما بينها بين الأسطورة والسيره وبين الحكاية الشعبية بمختلف أنواعها وهذا ما يدلّ على وحدة التفكير الشعبي.

فالجانب الأسطوري ظلّ جنباً إلى جنب ملازماً الفكر الشعبي مختبئاً في ثناياه، تلجأ إليه عامّة الشعوب وفي مختلف العصور، توظّفه في مروياتها الحكائية سيرا كانت أو حكايات ممّا أدى بالدارسين والباحثين أهمهم "فيس ستروس" إلى العناية البالغة بالأسطورة وتحليل بعض مظاهرها الثقافية والإنسانية.

ظلّ الإنسان يبحث لنفسه عن عالم سحري يخرج من مأزقه ويبعث الحياة فيه وهذا ما نلمسه في المضامين الموحّدة التي تناولتها جميع الأجناس التعبيرية من أسطورة وسيرة وحكاية، ذات الحمولة الثقيلة لمجموعة من المواقف المتشابهة فيما بينها ولهذا نلاحظ أن الحكاية الشعبية تحمل أشلاء بعض السير والملاحم الشعبية ونفوذاً لبعض الأساطير الخيالية التي تدلّ على وحدانية الوعي الجماعي في تحقيق الانسجام بين الواقع والطموح.

ومن خلال تمعننا في بعض الحكايات الشعبية نلاحظ تأثرها ببعض السير الشعبية المتناثرة هنا وهناك في مرحلة من مراحل تفككها أو نسيانها أو تحولها من مرحلة إلى أخرى أو من زمن إلى آخر، ويبرز هذا في التأثير القويّ الذي نحسّه ونشعر بوجوده في سرد بعض الحكايات الشعبية مثل: استعارة أسماء أبطال السيرة مثل: دياب، شاطر حسن، هارون رشيد... كما أنّ الحكاية الخرافية لا تقلّ تأثراً ببعض الأجناس القصصية الأخرى كألف ليلة وليلة، ويكفي أن نشير إلى حكاية علاء الدين والمصباح السحري وحكاية علي بابا والصوص الأربعين.. وحكاية الطير المغني... إلى جانب حكايات الجنّ والغاريت كخاتم سليمان، الحصان الطائر.....

وليس هذا دليل على أنّ السيرة الشعبية أقدم من الحكاية الشعبية ولكن دليل على وحدانية الفكر الجماعي، فهما دوماً في تداخل وتبادل بين الأمم والشعوب وبين الزيادة

والنقصان حسب مكانة وخصوصية كل مجتمع. وما احتوته من طابع خرافي يذهب بها إلى عالم الخيال في تفسير الظواهر الغريبة حسب المخيلة الشعبية و فكّ بعض رموز الكون أجل الكشف عن الواقع.

### 3. حدود الأجناس القصصية:

تدور أحداث الأسطورة حول الظواهر الكونية وتبرير وجودها من أجل الحصول على توافق بين ما هو موجود وبين ما هو غير موجود، وكذا تحقيق الانسجام بين المحجوب والمكشوف ومنها أساطير أنساب الآلهة وأساطير نشأة الكون. أمّا الحكاية الخرافية فلا علاقة لها بأنساب الآلهة وإنما تحظى بمشاكل الإنسان وهمومه وإبراز موقف من مواقف الحياة، فهي تصوّر صراعا بين الخير والشر بأحداث فيها من الخرافة والخيال ما تتجاوز به العالم الواقعي إلى عالم الروح والغيب والجن... فهي إذن "حكاية طويلة مملوءة بوقائع خيالية قد تكون حقيقية في الأصل، يرسل الحاكي فيها الكلام كما يواتيه طبعه، غير ملتزم بقواعد دقيقة بل على حسب ما أوحاه له خياله"<sup>1</sup>.

وقد ينقص الخيال والخرافة بالحكاية الشعبية التي تتميز بهاجسها الاجتماعي وموضوعاتها الأسرية. فهي واقعية إلى أبعد الحدود تخلو تماما من التأمّلات الفلسفية ولا يعني ذلك غياب العنصر الخيالي منها بل تستعمله للتشويق من جهة والخروج من مآزق الحكاية من جهة ثانية.

فالخيال لا يكسر واقعية الحكاية الشعبية مثلما لا يفقد طابع الواقعية على الخرافة وعلى العموم فالحكاية الشعبية تسير في خط بسيط ومتسلسل في زمان ومكان حقيقيين، تعبر عن حقائق ملموسة "كما تحمل من الرموز الإشارية ما يمكن أن يستوعب حركة الفرد والمجتمع أو لنقل حركة الفرد في إطار الحركة الديناميكية للمجتمع"<sup>2</sup>.

تختلف الحكاية عن السيرة الشعبية التي تعد من أنواع "الحكى" فنتبلور حمولة الحكاية التاريخية التي يشق طريقها بطل عربي مسلم واقعي يستمد جذوره من بقايا بعض

<sup>1</sup>: ليلي روزلين قریش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 104.

<sup>2</sup>: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 44.

الأساطير والملاحم من أجل تحقيق هدف أو معالجة وضع، فيؤكد مواقف البطولية التي تمتاز بالعجائية والغرائبية بغرض تعديل الواقع وتثبيت القيم.

وتبقى مضامين السير نفسها في الملحمة تتاجي الوجدان الشعبي من حروب وبطولات، وهي أكثر واقعية من الملحمة التي تركز على الخرافات والأوهام في قالب قصصي شعري مطول أبطالها أسطوريون مثل أخيل والإلياذة ولهذا يرجع الدارسون تطور الأساطير إلى ملاحم بعد أن تفرقت إلى أشلاء من الحكايات يشيع فيها السحر والخيال، ورغم إجمالنا لبعض العناصر الحدودية للأجناس القصصية إلا أن هذا لا ينفى تفاعل وتداخل بعضها مع بعض.

وداخل هذا الإطار تبقى الخرافة والخيال من الركائز الأساسية التي يعتمد عليها القص الشعبي باختلاف أنواعه، بدأت بالنقصان تدريجيا منذ بداية الحكي "الأسطورة" فالمحمة والسيرة ثم الحكاية الشعبية. ومن هذا المنطلق يشير فاروق خورشيد إلى الخلط في التسمية بين السيرة والملحمة حيث يقول: "وقد فضل البعض تسميتها "الأسطورة" كما أطلق عليها البعض اسم "الملحمة" فهل السيرة الشعبية أسطورة أم ملحمة؟"

وبناء على ذلك يتبادر لنا الخلط الكائن فيما بينهما كعدم التحكم من الضوابط الكافية للترقية مع وضع حدود واقية تقي كل جنس عن الآخر. فالأسطورة مثلا يوجد فيها من أوجه الشبه الكبير لعناصر الملحمة ما يخرجها عن حدودها مثل: سر الخلود محور الأساطير كما ذكرنا سابقا، وبالتالي فالأجناس القصصية تتلاقى في نقاط وتختلف وتتفرق في أخرى، وما نستشفه في التطور الذي حدث من الأسطورة إلى الملحمة سمح بظهور فن جديد هو "السيرة الشعبية ومنه بداية العمل الروائي العربي"<sup>1</sup>.

ولهذا السبب انقسم الدارسون إلى فريقين، فريق يجزم أن السيرة تختلف عن الملحمة من حيث الشكل والمضمون مثل: مرسى الصباغ، محمود ذهني، فاروق خورشيد... وأوضحوا أن الفرق يكمن "في صورة الملحمة التي تدور حول فكرة أولية عميقة هي صراع البشر ضد الآلهة، أما السيرة فإنها تبتعد تماما عن هذه الفكرة العقائدية التي تجسد العلاقة

<sup>1</sup>: فاروق خورشيد، محمود ذهني : فن كتابة السيرة الشعبية، دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية، عنتر بن شداد، منشورات اقرأ، الطبعة الثانية، 1980، ص252

بين البشر والخالق في شكل صراع وقتال". ورغم التضارب والاختلاف نحو تأكيد أو نفي التوافق بين الأجناس القصصية وصعوبة وضع جدار واق إلا أن ذلك يجسد وحدة نفسية الإنسان الشعبي وفكره الجماعي وهي ما تعرف بالأفكار أو المواقف الإنسانية العامة، أو الأفكار الأساسية وهي في رأي Bastiau شكل من أشكال الفكر الشائع بين الناس، أو يمكن أن ينشأ ألبا وبشكل مستقل عن أفكار أخرى متشابهة في بيئات ثقافية مختلفة وذلك بسبب الوحدة النفسية بين البشر<sup>1</sup>.

وفي خضم هذا التراكم في حياة القص الشعبي نلتمس التعبير عن الذات الجمعية الموحدة زيادة على عملية التبادل والتماثل التي من خلالها يقبل النص للحذف والإضافة لما يتلاءم والوعي الاجتماعي<sup>2</sup>، كل ذلك لا يعني أنه يميز جنسا عن الآخر أو ينقص من أصوله وعراقته، وإنما يزيده تألقا يضفي عليه لمسة جمالية واستقلالية نوعية. ولما كانت لهذه الأجناس القصصية من قيمة بين الناس ظلت تتداول من جيل لجيل ومن مكان الى آخر ليتولد عنها فن جديد هو "الحكاية الشعبية".

"وهذا ما يميز عبد الله البردوني في دراساته للتراث الشعبي التي خصها بعدد كبير من الدراسات منها كتاب "فنون الأدب الشعبي في اليمن و"الثقافة الشعبية ... تجارب وأقاول"، بحيث ألغى الحدود بين الأجناس التعبيرية الشعبية، معللا ذلك بين الأسطورة والخرافة، بحيث لا يبدو مقتتعا لأن الأساطير التي نسبها اليونان إلى الآلهة كانت من صنع البشر ومن تصور الإنسان وعلى هذا لا فرق بين الخرافة والأسطورة والحكاية الشعبية ... وبعض الآراء الأخرى ترى أن كل خرافة مكتوبة "أسطورة" لأنها انتقلت من الشفوية إلى سطور مكتوبة على حين أن التي لا تنتقل من الشفوية إلى الكتابة تظل خرافة وهذا لا يشير إلى فرق بين صورة الخرافة وصور الأسطورة ولا يشير إلى التفاوت في الدلالة بينهما"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>: محمد الجوهري : علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، ص 22.

<sup>2</sup>: يوسف اسماعيل : الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي، ص120.

<sup>3</sup>: عبد الله البردوني: الثقافة الشعبية ... تجارب وأقاول يمنية، دار المأمون، القاهرة، 1988، ص 147.

## 4. مضمون الأجناس القصصية :

تلتقي مضامين الأجناس القصصية الشعبية بجميع ألوانها في محاور متشابهة تداولتها على مرّ الزمان، تدور حول ما آل إليه الإنسان من مشاق من أجل تحقيق المراد، أهمّها: الصراع من أجل البقاء بالقتل أو الحرب أو الهجرة والدفاع عن النفس والعرض والنسب والتمسك بالأرض والعرق ومحاربة الشر بأنواعه كلّ ذلك بالتوازي مع مشاركة المرأة التي كانت بمثابة الخيط المسير لمسار القص الشعبي والمغير لأحداثه.

## أ: رغبة البقاء

تحدثت أعرق الأساطير والسير والحكايات عن الخوف من الموت والتشبث بالحياة بطرق وأساليب مختلفة فظل أبطالها يقاومون الأهوال والمخاطر من أجل البقاء والبحث عن الخلود والأمن والاستقرار.

كشفت السير والملاحم الشعبية عمّا عانته المجتمعات العربية من اعتداءات خارجية وداخلية أدّت بها إلى الهجرات المتتالية الغرض منها البحث عن الاستقرار مثل السيرة الهلالية التي بدأت هجرتها من الجزيرة العربية إلى أن وصلت الأندلس تحت راية الهلال. وإلى أبعد من ذلك ومنذ فجر التاريخ توالت الهجرات جماعية كانت أو فردية بحثاً عن الحياة وكان الماء المنفذ الأساسي لها وللاستقرارها.

تحدثت الملاحم والأساطير القديمة عن حب الحياة والبحث عن الخلود، وكانت ملحمة "جلجماش" من أقدم الملاحم التي تحدثت في هذا الموضوع من خلال ما سردته لنا عن دورة حياة "جلجماش" في قالب شعري مشوق يعتمد على المبالغة والتصوير هذه الملحمة التي إعتمدت على تساؤلات جلجماش الذي جال برا وبحرا ولم يجد لها جوابا فهو القائل: "...كانت عودة على بدء ... حيث خلق من التراب وسيرد إلى التراب ... وطعامه الطين والتراب ... حتى يوم كان في عزّ جبروته، وعلى الرغم من أنّ تثنيه إلاه ... لم يكن سوى ملك بشري أدمي لصيق بالتراب"<sup>1</sup>. وهو الذي قال بعد استسلام وحزن: "لمن

<sup>1</sup>: مصطفى صمودي : من جلجماش ... إلى نيتشه، بحث في الثقافة العالمية، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 2008، ص 16.

شقيت ؟ لمن تعذبت وتعبت ؟ لمن نزفت دم قلبي ولم أجد لنفسي مغنما ما !!؟ ترى أكل ما جنيت.... كان من أجل حية التراب<sup>1</sup>...سؤال حيّر جلجماش" بعد أن اكتشف أنه فان لا محالة، مصيره مصير صديقه "أنكيدو" ونهايته التراب نهاية البشر جميعا.

لازمت الإنسان منذ زمن بعيد محاولات عديدة للإجابة عن بعض القضايا الإنسانية كالخلود والبقاء، ولهذا ما زالت أصداء ملحمة "جلجماش" تدوي في السير والحكايات الشعبية ما يدل على الصراع الأزلي بين الموت والحياة. وأشلاء السيرة الهلالية التي ظلّ بطلها يبحث عن المأوى من ماء وكلاً وهجرتهم المعروفة من المشرق إلى المغرب شاهدة على حب الحياة والبحث عن الأمان.

### ب: المرأة

منذ البداية الكونية فقدت المرأة امتياز وجودها المختلف والمكمل للوجود الذكري وفقدت التعاطف الاجتماعي إلا أنّ القصّ الشعبي لا يمكن أن يخلو من ذكر المرأة كيف ما كانت صفاتها شريرة أو خيرة، ملكة أو خادمة، فهي حاضرة بداخله منذ حضور الأساطير الأولى بأشكال وصور مختلفة.

إنّ القصّ الشعبي في معظمه ينظر إلى المرأة بعيون مختلفة فقد يرفعها إلى منزلة سامية يعلي من شأنها كنساء الأساطير القديمة التي لعبت فيهم المرأة الدور الكبير بذكائها وشجاعته في تخليص قومها من قبضة العدو مثل "أيوديت" أو "إلين" وجمالها الفاتن، كما كانت سببا في نزاعات القبائل ووقع الحروب "كأسطورة طراودة".

وضعت الأساطير المرأة في مجال البطولة ومهدت لها الطريق من أجل الوصول إلى مكان العدو بطرق سهلة وسريعة وبهذا "برأتها من المعاييب التي ألحقتها بها الأدبيات الثقافية الكهنونية، بل إنها قد نمذجت المرأة وقدمتها بعد التقشير، في أفضل صورها، وذلك انطلاقاً من (وطنية) الأسطورة، ومديحها العام لرموزها كافة...<sup>2</sup>

لم تبقى وظيفة المرأة على حالها بل تغيرت وتبدلت منزلتها مع تحوّل مراحل التاريخ القصصي والأسطوري، فالسيرة الشعبية لم تغفل جانبها العاطفي من عشق وحبّ من قبل

<sup>1</sup>: المرجع نفسه، ص 16.

<sup>2</sup>: كاظم الحجاج: المرأة والجنس بين الأساطير والأديان، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 202، ص 67

البطل، والسعي من أجل الزواج بها والكفاح من أجلها. وعلى غرار ذلك نلتصق حبّ بنات ونساء الملوك إلى عشق رجال أقلّ شأنًا منهم لكنهم أبطال مثل: حبّ عبلة لعنترة بن شداد، وتاج بحت للظاهر بيبرس، وشامة لسيف بن ذي يزن، ومهر دكار لحمزة البهلوان، ودياب لجازية. وبالتالي كانت لها مكانة عالية إلى جانب البطل، تحبّه وتدافع عنه بكلّ ما أوتيت من قوّة وشجاعة وإخلاص ووفاء.

### ج: النزعة القبلية والعصبية

ارتباط الإنسان بأرضه وانتمائه إلى قبيلته أو الفضاء الذي يعيش فيه جعل منه إنسانا محبًا لوطنه ذا نزعة قبلية، فرغم ترحاله وتجوّاله تجده يعود إلى موطنه الأصلي لاعتزازه به وبنسبه. وسيرنا الشعبية تجسد لنا ذلك أحسن تجسيدا في الدفاع عن الأرض والدين والقبيلة مثل سيرة الأميرة ذات الهمة.. "ويمكننا أن نقول إنّ حركة المجتمع العربي تجاه الغزو الصليبي يمثّل الهدف الاجتماعي لسيرة ظاهر بيبرس وتعكس بهذا عناصر التوحد بين أبناء المنطقة العربية رغم اختلاف الأصول والأجناس"<sup>1</sup>.

ومن أبرز العوامل في تماسك البنية الاجتماعية للقبيلة، الافتخار بالنسب والفروسية والدفاع عن القبيلة وفي ظلّ تماسك الأفراد بانتمائهم إلا أنّ التفرقة الاجتماعية والعنصرية لا تخلو في معظم النصوص الشعبية منها العبودية واللون والجنس ما ترويه سيرة عنتر بن شداد والأميرة ذات الهمة.

طرحت مضامين الأجناس القصصية قضايا مختلفة لازمت الإنسان منذ القديم، فاختلقت في الشكل والتقت في المضمون. فعندما تتجول في رحاب هذه الأجناس القصصية يتبادر إليك ذلك التشابه القائم والتداخل الواضح فيما بينها إلى حدّ أنّ بعض الدراسيين للثقافة العالمية أكدوا أن بعض الأساطير انتحلت من بعض أفكار ملحمة جلجامش... كما انتحلت شخصيته تحت أسماء مختلفة، ونسبت أعماله أيضا إلى أحد أبطالها"<sup>2</sup>. "وقد يصل في بعض الأحيان هذا التشابه إلى درجة التطابق، فتضطرّ على الرّغم من إقرارك بعالمية الثقافة إلى إدراك أنّ صانعي الأسطورة قد مروا بمراحل متشابهة مع مراحل

<sup>1</sup>: فاروق خورشيد: أضواء على السيرة الشعبية، ص 78.

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص 47.

الأسطورة الأخرى و تضطرّ إلى أن تقرّ بالفضل- شئت أم أبيت- إلى الأسطورة الأسبق في الوجود زماناً<sup>1</sup>، وعليه "يمكن القول بأنّ الأسطورة هي المادّة الخام التي سطرّها القدامى كما جاءت في طيات أمهات الكتب والتي غدّت القصص الشعبي على مرّ الزمان إذ تكونت منها أغلب القصص المعروفة في يومنا هذا"<sup>2</sup>....

وفي الأخير نقرّ بأنّ معالم التمايز بين هذه الأجناس التعبيرية يدفع بنا إلى الخلط بين الأجناس القصصية من الأسطورة والسيرة التاريخية ثمّ الحكاية الخرافية، التي تقوم موادها الدلالية على اختلاق حكاية شعبية، هذه الأخيرة التي تتميز عن باقي الأجناس القصصية الأخرى التي ذكرناها بحسبها الاجتماعي الواقعي، إلى جانب موضوعاتها التي تكاد تقتصر على العلاقات الاجتماعية والأسرية، فهي واقعية تخلو من التأمّلات الفلسفية، مركزة على أدقّ تفاصيل الحياة اليومية وهمومها، ولا يعني ذلك أنّها تخلو من عناصر التشويق والخيال في بعض أجزاءها كالغول والجن والسحر.

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 47

<sup>2</sup>: ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 101.

## الفصل الثاني: مفهوم الحكاية الشعبية

### 1. تحديد المفهوم:

يتميز القصص الشعبي برؤيته الإنسانية الموحدة التي تعبّر عن الحالة النفسية والاجتماعية والثقافية للفرد، تلك الحالة التي تشترك فيها جميع الشعوب بصورة من الصور، ما يجعلنا نقرّ بالتداخل والانسجام الذي آل إليه القصص الشعبي منذ بداية التفكير الإنساني، أي منذ بداية الأساطير الأولى إلى الحكايات الشعبية التي حطمت الحدود السياسية والإقليمية والقومية، ووحّدت التفكير الشعبي البشري، تداولتها الشعوب على مر الزمان فتطورت بتطورهم، وتغيرت مع تغير زمانهم. ولهذا السبب أو ذلك سار الدارسون والباحثون في درب البحث عن هذا الجنس التعبيري الشعبي الذي لم تقف أمامه السياسات العصرية ولا التفرقة بين الشعوب، ليظل يعبّر في شكله ومضمونه عن كيان الوحدة الشعبية.

اختلفت المفاهيم والتعريفات بين المصطلحات ممّا أدّى إلى انتشار مصطلح الحكاية في القطر العربي تحت مسميات مختلفة بخصوصيات اللهجة المحلية للمنطقة وهي متقاربة في مضامينها ففي مصر تسمى "الحدوثة الشعبية" وفي بلاد الشام تسمى "الحتوتة" أما في الجزيرة العربية "السالفة" وفي قطر "الحرزوي" وفي الكويت "الحرزيات" وفي الإمارات "الحرزوفة والسالفة" وفي تونس "حَرْفُ لِي خَرُوفَة" وفي العراق "السالفة والحجاية" وفي السودان "الحجوه"<sup>1</sup>.

أمّا في الجزائر "الخُرَيْفَة"، "مُخَارِفَة" ويقال "حَارَفْتُكَ أَمُخَارِفَة الشَّيْطَانِ عَلَى الْاَوْطَانِ" والملاحظ أن أغلب حكاية أجدادنا هي حكاية ذات طابع خرافي، ولهذا السبب يطلق على الحكاية الشعبية الجزائرية خُرَيْفَة أو مُخَارِفَة " خُرَيْفٌ". كما يطلق عليها كذلك "الحجاية" أو "مُحَاجِيَة"، والذي لا شك فيه أن اسم "محاجية" لا يعكس المضمون الحقيقي للحكاية إذ

<sup>1</sup>: مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص55.

لا علاقة للحكاية بالألغاز والأحاجي<sup>1</sup>. فمصطلح "حَجَى" يُحَاجِي "مقصور على العقل والفظنة والجمع أحجاء، وكلمة محجية : مخالفة المعنى للفظ وهي الأحجية والأحجوة، وقد حاجيته فاطنته، وقال الأزهري حاجيته فحجوته، إذا ألقبت عليه كلمة محجية مخالفة المعنى للفظ<sup>2</sup>.

تختلف التسمية كذلك حسب اللهجات والمناطق الجزائرية كالمناطق الأمازيغية: فبالقبائلية تطلق عليها اسم "ثيموشوها" والمناطق التارقية باسم "تنقتست" أو "تنقاس" والحسانية باسم "المراد". ورغم الاختلاف في التسمية إلا أنها تتحد في الشكل والمضمون والهدف، يحدد عنوانها بأهم العناصر البارزة في الحكاية كاسم البطل أو حادث من حوادثها. ويسمي المجتمع الجزائري عمله "حكيا" أو "قصا" و"تخريفا" فيقال يحكى و"يقصص" و"يُخَرَفُ" و"يُحَاجِي"<sup>3</sup> فالترابط الملحوظ بين "القص" و"الحكي" جلي في التعريفات المختلفة لهما لتأديتهما الوظيفة نفسها وهي وصف الخبر ونقله ومشابهته.

عموما ثمة إشكاليات بصدد تعريف مصطلح "الحكاية الشعبية" وقبل الخوض في تحديد مدلولاتها نعرج على الاختلاف بين "القص" و"المحاكاة" والتداخل بينهما. فالحكاية فرع من القصص الذي نجمه في الأجناس التعبيرية كما يقرّ به معظم الدارسين للتراث الشعبي ولكن إذا أمعنا في ذلك نجد أنّ الحكي موجود في جميع الأجناس القصصية فما العلاقة بينهما ؟.

تداخلت مفاهيم الحكاية مع المحاكاة والخبر والسرد والقصّ فانقسم الدارسون لها في تحديد معانيها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن القص الشعبي يعدّ أحد أشكال التعبير الشعبي يضم مجموعة من الفروع التعبيرية أهمها الحكاية الشعبية و"الحكي"، "حكي" حكاية أو المحاكاة أو التقليد " كقولك حكيت فلانا وحاكيتته فعلت مثل فعله، وحكوت عنه حديثا في

<sup>1</sup>: بوخالفة عزي: الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، إشراف ليلي روزلين قريش، معهد اللغة والأدب العربي، الجزائر، 1994، ص 44

<sup>2</sup>: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، المجلد 14، الطبعة الأولى، 1992، (و- ي) ص 165

<sup>3</sup>: عبد الحميد بورايو : البطل الملحمي والبطلّة الضحية، في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 12

معنى حكيته، وفي الحديث: ماسرني أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا، أي فعلت مثل فعله، والمحاكاة المشابهة، يقال حكاه وحاكاه..<sup>1</sup>

أما في معجم اللغة العربية المعاصرة "حكى" "يحكي"، احك حكاية، فهو حاك. حكى الأمر: رواه وقصه "حكى القصة -حكى ما حدث، حكى مع فلان": تكلم معه. حكى حركات رفيقه..حكاه في سلوكه، حكى الشيء: شابهه، وجهها يحكي القمر إشراقاً<sup>2</sup>. فالحكي إذن هو نقل الكلام عنه أي شابهه وقلده هذا ما تشير إليه معظم المعاجم العربية. ويوضح أرسطو على أن المحاكاة غريزة في الإنسان تظهر فيه منذ الطفولة...ويجد فيها الناس لذة، تلك اللذة التي ترى فيها "نبيلة إبراهيم" أنها المتعة الحاصلة عن تلقي أو إلقاء الحكايات الشعبية وهي تلبية لخياله المتدفق من ناحية وتلبية لاحتياجاته النفسية من ناحية أخرى<sup>3</sup>.

واللذة هنا لذة معرفية لرواية القصة وأحداثها المتسلسلة إما حكي عن الإنسان نفسه أو نقلا عن إنسان آخر وعليه تبقى الحكاية الشعبية ذات متعة لمستمعها ولمتلقيها لما تحمله من أخبار تاريخية جديدة تكشف عن صورة المجتمع وسلوكاته، فهي " لفظ عام يدل على الحكاية السردية أو التي تنتشر بعد أو على حدث تاريخي خاص يمكن أن يلقي ضوءا على خفايا الأمور أو على نفسية البشر كما يدل على أي سرد منسوب"<sup>4</sup>.

أما "المعاجم الأجنبية منها الألمانية تعرفها بأنها الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخية." أما المعاجم الانجليزية فتعرفها بأنها حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصور، وتتداول شفها كما أنها قد تختص بالحوادث التاريخية الصرفة أو الأبطال الذين يضعون التاريخ<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>: ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني، ص 246

<sup>2</sup>: عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، 2008، ص 540

<sup>3</sup>: نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة الحديثة، بدون تاريخ، ص 236، 237

<sup>4</sup>: ياسين النصير: المساحات المختفية، قراءات في الحكاية الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1995، ص 35

<sup>5</sup>: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 134

عموماً هي الجزء المتراكم والمترسب من التاريخ والثقافة الإنسانية عبر الأجيال نجدها في جميع الأجناس القصصية المختلفة تطلعننا على ميادين ومجالات وسلوكات مختلفة من الحياة القديمة، وتخبّرنا عن بطولات تاريخية بحبكة خيالية يتداولها الناس مشافهة، هذه الأخيرة التي أضفت عليها سمات الاستمرارية والمرونة والتلقائية في التعبير وأكسبتها لذة لمعرفة أحوال الناس واختراق عالم مجهول، ممزوج بين الحقيقة والخيال.

أما القصة فهي الحكاية التي تتعلق بمكان واقعي أو بأشخاص حقيقيين نقلت بالتوارث من جيل إلى جيل مثل، قصة "سد مأرب" أو "قصة الزباء" أو قصة "داحس والغبراء" أو قصة "حرب البسوس" فهي تسجل الواقع والعمل على تعقبه. ثم تتسع الكلمة في مدلولها على استيعاب فنون السرد جميعاً<sup>1</sup>. ومنها الحكاية الشعبية التي تعتبر قصة شعبية تحمل نفس معاني القصة التي تقص كل ما كان مكتوباً أو مروياً. ولذلك وضعت ليلي روزلين قريش مصطلح القصة الشعبية في دراستها لبعض الحكايات الجزائرية التي تدور مواضيعها حول محاكاة الواقع واختلاطه بالخيال والخرافة.

"ويقال قصصت الشيء إذ تتبعت أثره شيئاً بعد شيء، والقصة الخبر، وهو القصص وقصّ عليّ خبره ... أورده"<sup>2</sup>، فهو مصطلح قديم قدم التراث العربي تداولته العصور الجاهلية بشكل كبير فمن "يرجع إلى العصر الجاهلي وأخباره يجد النثر يلعب دوراً مهماً في حياة العرب، إذ كان عرب الجاهلية مشغوفين بالتاريخ والقصص عن فرسانهم وواقعهم وملوكهم ويقطعون لذلك أوقات سمرهم في الليل وحول خيامهم"<sup>3</sup>. وقد ذكر القصص في القرآن الكريم في عدة آيات قرآنية أهمها سورة "القصص".

والملاحظ أنّ القصّ يسرد ويتبع تفاصيل الأحداث شيئاً فشيئاً، بشكل مطابق، ووجه حقيقي، فهة يتتبع الأحداث والحكاية تقليد لها، وهذا يمكن تعليقه بالتغيير والتبديل الذي يصاحب الحكاية الشعبية ما يفسر قلتها عبر العالم إذا ما قورنت بعدد رواياتها ليتأكد لنا مرونتها وعراقتها.

<sup>1</sup>: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 101.

<sup>2</sup>: ابن منظور: لسان العرب، ص 341.

<sup>3</sup>: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ص 15.

والجدير بالذكر أن الحكاية الشعبية تقليد لمجموعة من القصص التعبيرية الشعبية المختلفة التي سبق وأن ذكرنا جزءا منها أو محاكاة للحياة الاجتماعية العامة، ومن الملاحظ جدًا أنّ ما يجمع بين الحكاية والقصة مصطلح "الشعبية" هته الكلمة المشتقة من كلمة "شعب" والتي تعني عند ابن منصور ما تشعب عن قبائل العرب، والشعب: القبائل....وحكى ابن الكلبي عن أبيه ... الشعب أكبر من القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ... قال أبو أسامة هذه الطبقات على ترتيب خلق الإنسان، فالشعب أعظمها مشتق من شعب الرأس، ثم القبيلة قبيلة الرأس لاجتماعها، ثم العمارة وهي الصدر، ثم البطن، ثم الفخذ ثم الفصيلة، وهي الساق"<sup>1</sup>. ومن ثمّ فإنّ كلمة "شعب" حدّدها صاحب لسان العرب بالقبيلة العظيمة أو مجموعة من القبائل. ويبقى الغموض يصاحب هذه الكلمة في تحديد معناها خاصة عندما تصطدم بكلمة "عامي" فأين تقع حدود هاتين الكلمتين في الثقافة الشعبية؟.

وحتى لا نصطدم بتداخلات المفاهيم والتعاريف، نلتزم بتفسير كلمة شعبي خاصة وأنّ ما يهمنا هنا هو تحديد مفهوم الشعب، فالشعب في ضوء هته التعريفات "هو مجموعة من الناس.... مجتمعين أو مفترقين. وبما أنّ الشعب هو القبيلة العظيمة أو مجموعة من القبائل وبما أنه أكبر هذه الأقسام السابقة إذن فهو كما في مدلول كلمة "شعب" أي تفرق وتباعد وانتشر"<sup>2</sup>.

لا يزال مصطلح "شعبي" يعاني غموضا والتباسا دلاليا، فالمختصون لا يعطون جميعا الدلالة نفسها، فكلمة شعبي تجمع معاني ومضامين كثيرة أهمّها: الشعب، الانتشار، الخلود وعليه فإنّ ما يؤسس عليه تحديد معلم الشعبية عموما هو: الانتشار والخلود أو التراثية والتداول"<sup>3</sup>، وهكذا يمكن ضبط الحكاية الشعبية كنمط من أنماط الأدب الشعبي الذي يعدّ جزءاً لا يتجزأ من الفولكلور أو المأثور الشعبي، اتسم بالتداول والمرونة والانتشار بين الشعوب عن طريق الرواية الشفوية التي تحاكي أحوالهم الاجتماعية وتصور مظاهر حياتهم.

<sup>1</sup>: ابن منظور: لسان العرب، مادة شعب. الجزء الأول، 498

<sup>2</sup>: مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 8.

<sup>3</sup>: أحمد مرسي: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2008، ص 13.

ونشير أخيرا إلى أنّ من أهم الأسباب الرئيسية في صمود هذا الجنس التعبيري عبر الزمن وانتشاره عبر البشر اعتماده على الشفهي الذي كان سببا في استمراره. فما علاقة الحكاية الشعبية بظاهرة الشفهي؟.

## 2. الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية:

الأدب ليس كل ما هو مكتوب كما هو متعارف عليه عند معظم الدارسين وقد نجد الأدب الشفهي هو أيضا أدب حامل لفنيات وجماليات تجعل منه أدبا قائما بذاته والدراسات برهنت على أن آداب الشعوب هي آداب شفوية أي منطوقة ذات جماليات وفنيات تعبر فيها الجماعة عن نفسها.

اعتمدت الشعوب البدائية الشفهي واعتبرتها تواسلا بينهم، تعتمد على المباشرة اللغوية في إنتاج وتلقي خطاباتهم وتتميز بالعفوية والتلقائية، وعليه أصبحت الكلمة المنطوقة هي المسيطر الوحيد والقوة الفعالة في تجسيد أفعالهم وأعمالهم لما لها من قدرة في تحقيق التواصل والترابط الاجتماعي " فالصوت له الدور في الحفاظ على المجتمعات البشرية والذي غدا اليوم أمرا ثابتا لا جدال فيه، ذلك لأن مجموع ما يسمى بالمأثورات الشفهية لمجتمع ما يشكل فيه شبكة من المبادلات الصوتية التي تمثل أعرافا وتقاليد سلوكية ثابتة بدرجة أو بأخرى وتتمثل وظيفتها الأولى في تأمين استمرار إدراك الحياة.."<sup>1</sup>.

تخرط الحكاية الشعبية إذن في ظاهرة الشفهي التي لم تكن كثيرا بنظريات الأدب فكان هدفها التعبير بشفوية عن الشعب والمحافظة على سروده المتوارثة "وإذا تمعنا في الاهتمام بهذه الظاهرة نلاحظ أنها توسعت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في أوروبا من أجل نظرة تاريخية... وتمت عمليات الجمع الكبرى في فرنسا من قبل انتولوجيين... أو مهتمين محليين"<sup>2</sup>، ومن أعظم الحكايات التي كانت تروى مشافهة

<sup>1</sup>: محمد حسن عبد الحافظ، سيرة بني هلال، الشفهية ودرس الاختلاف، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة، العدد 79، 80،

ديسمبر 2008، ص 62

<sup>2</sup>: بياربونت ميشال ايزار : معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف : مصباح العمدة، بيروت، الطبعة الأولى،

2006، ص 46

حكايات "الاسكندر الأكبر في الشرق الأدنى، وجمع بعضها إلى بعض في مخطوطة إغريقية في الإسكندرية على وجه الاحتمال"<sup>1</sup>.

وعلى ضوء هذه العلاقة يمكن لنا أن نُقرّ بتلك المواهب القولية والصوتية التي تبنها الإنسان الشعبي منذ القديم في بناء حواراته وحكاياته، مستعينا بوسائل الأداء الشفهي "و ما وصلنا من الأقاليم الشعبية المصرية القديمة يدلنا على عراقة الأدب الشعبي الشفاهي عندنا، فقد وصلتنا نماذج من الأقاليم المصرية ترجع إلى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد"<sup>2</sup>.

ومما لا شك فيه أيضاً أن الرواة هم من ساهموا في تطوير واستمرار الحكاية الشعبية و"بالغوا في إرضاء جمهورهم وكسب رضاه وتأييده ويمكن القول إن هذه المبالغة على نوعين: الأول مقبول والثاني مرفوض أو ضعيف أو غير معقول"<sup>3</sup>، ورغم ذلك جعل منه المجتمع حكيماً يحظى بالتبجيل والاحترام داخل الجماعة لما كان يتمتع به من مسحة قدسية تطبع كلامه وتربطه بماضي الأجداد المقدس...". ولا يحصل الراوي على صفة الراوي statut إلا إذا اطمأنت الجماعة بأنه استكمل الشروط الضرورية لذلك كالتحكم في الأدوات الفنية في عملية القصّ، وقوة الذاكرة والقدرة على التجديد والفصاحة وسعة الإطلاع..."<sup>4</sup>، وبهذا تمنحه الجماعة التوكيل أو "السلطة الرمزية". ويمكن أن نصنّف هؤلاء الرواة إلى قسمين: رواة محترفون ورواة غير محترفين والمقصود بالاحتراف هو اتخاذ الرواية كمهنة، والرواة غير المحترفين فهم لا يحترفون الرواية بالمعنى المذكور في الاحتراف"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>: أ.ل. رانيلا: الماضي المشترك بين العرب والغرب، أصول الآداب الشعبية الغربية، ترجمة: نبيلة إبراهيم : مراجعة فاطمة موسى، عالم المعرفة، سلسلة ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1999، ص 68

<sup>2</sup>: أحمد صالح رشدي: الأدب الشعبي، ص 25

<sup>3</sup>: طلال حرب: بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ص 105

<sup>4</sup>: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص 102

<sup>5</sup>: عبد الحميد بورايو :القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 34

يساهم هؤلاء الرواة في نشر الحكاية الشعبية على نطاق أوسع خاصة الرواة المتجولين الذين أكدوا على تواصل الأجيال بالكلمة المنطوقة بأمانة في التبليغ، ولكن المشكلة الأساسية التي اعترضت طريقهم هي مشكلة الاحتفاظ ومقاومة النسيان مما اعترضهم إلى تغيير النصوص والتداخل فيما بينها. "وعليه صنّف الدارسون الرواة إلى فاعلين ومتقبلين أو سلبيين وهو تقسيم مبنٍ على مدى قدرة الراوي على النقل والتوصيل والتطوير، وعلى مدى المحافظة على النص الشفهي وتقديسه"<sup>1</sup>.

فالإبداع الشفاهي الذي لا شكل خارجي ثابت له، كان عليه -على مر القرون- أن يخلق لنفسه وسائل تقليدية تساعده على أن يحفظ بالذاكرة موضوعات شديدة التعقيد، وكانت هذه الوسائل التقليدية في الأسلوب والبلاغة تساعد على تذكر النصوص من جهة، وتساهم في إعادة تشكيل وخلق نصوص جديدة عن طريق الارتجال من جهة ثانية"<sup>2</sup>.

وعلى ضوء ذلك يحاول الراوي جاهدا ترسيخ وتقوية ذاكرته عن طريق مجموعة من الوسائل كاستعادة الحكاية باستمرار وتوفير طقوس إلقائها وإيقاع موسيقي وتعبير جسدي. وانطلاقا من هذا كله تتمحور قدرة الشفهي في الحفاظ على الذاكرة الجماعية والتواصل الشعبي دون وسائط.

وعليه فالتعبير الشفهي هو حوار حقيقي بطريقة مباشرة وبشكل مستمر يظهر جليا في الحكاية الشعبية التي نقلت من قبل رواة بطريقة تشمل التسلية والمتعة والمعرفة والحكمة على مر الأجيال بعفوية في الإلقاء وأمانة في الأداء. وعلى صعيد آخر إهتم الرواة بمسألة المحافظة على الموروث الشفهي واتخذوا منها طابعا مقدسا يحفظ إرث أجدادهم، حيث اجتاز كل القيود وظل صامدا، لأجل ذلك تؤكد نبيلة إبراهيم " عن أهمية الدور الذي تلعبه الرواية الشفوية في تشابه التراث الشعبي في جميع أنحاء العالم بسبب

<sup>1</sup>: بوخافة عزي: الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، ص 50، انظر أحمد مرسي: مقدمة في

الفولكلور، ص 141 ويوري سوكولوف: الفولكلور قضاياه وتاريخه، ص 22

<sup>2</sup>: يوري سوكولوف: الفولكلور، قضاياه وتاريخه، ترجمة حلمي شعراوي، عبد الحميد حواس، الهيئة المصرية العامة

للتأليف والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، 1971، ص 29

التأثير والتأثر، التعبير والتبديل"<sup>1</sup>، الذي انجّر عنه تمازج الحكاية الشعبية بالأساطير والسير كقصة "الاسكندر الأكبر" التي تتواجد شظاياها في أغلب حكايات العالم.

ومما لاشك فيه أن الرواة هم من ساعدوا على صمود الحكاية الشعبية ووصولها إلينا عبر عصور مختلفة من مناطق العالم بحيث لعبوا دورا بارزا في بقاء الحكاية حية، وباختفائهم اختفت الحكاية الشعبية. وتعد سيرة بني هلال السيرة العربية الوحيدة التي لا تزال تروى شفاهيا في المجتمع العربي وبالخصوص في المجتمع المصري، سواء على مستوى الهواية أو الاحتراف، وهذا ما أكدته إحدى الدراسات الميدانية في عدد من محافظات مصر " قنا وسوهاج" الوجه القبلي" والمحافظة الغربية"الوجه البحري"<sup>2</sup>. أما رواية الحكاية الشعبية الجزائرية التي مازالت ذاكرتهم حاضرة لرواية الحكاية الشعبية هي الرواية NORA ACEVAL من منطقة أولاد سيدي خالد " تيارت" تهتم بالحكاية الشعبية الجزائرية أداء ودراسة.<sup>3</sup>

عرف المجتمع الجزائري منذ قرون ظاهرة احترافية رواية الحكاية في فضاء اجتماعي معين كالأسواق الشعبية، والمناسبات العامة والمقاهي، ويطلق عليه اسم "المداح" أو راوي الحكاية تلك الحرفة التقليدية التي سادت المجتمع الجزائري يقوم من خلالها المداح بسرد أجمل وأغرب القصص التي يستأنس بها المستمع من جهة ويأخذ منها العبر والحكم من جهة أخرى.

وقد سمي "بالمداح" لحمله العديد من الحكايات الشعبية التي تتعلق بمدح الرسول عليه الصلاة والسلام والأنبياء والأولياء الصالحين وبطولات الفتوحات الإسلامية وهو يختلف في قدراته المتفاوتة عن باقي الرواة الآخرين حسب قوة ذاكرتهم وجرأتهم في الأداء وتقتصر هذه الفئة على الرجال نظرا لطبيعة الفضاءات التي تقدم فيها الحكاية، فيما تبرز الرواية النسائية للحكاية الشعبية داخل الأسر وبين الأفراد. و تعود رواية الحكاية الشعبية

<sup>1</sup>: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 166

<sup>2</sup>: خالد أبو الليل: تاريخ السيرة الهلالية في محافظة قنا : دراسة للراوي والرواية، رسالة دكتوراه، جزآن، مكتبة جامعة

القاهرة، 2007

<sup>3</sup>: Nora aceval :Conte du Maghreb : Site : zauzi Bart. Com / NORA ACEVAL / accueil.  
Htm depuis 1997

لهذه للعنصر النسوي إلى العصور القديمة حيث تركز على حكايات أغلبها خرافي يجمع المرأة بأفراد العائلة في فضاء طقوس معين.

ويمكن أن يقال أيضا عن الحكاية الخرافية باعتبار روايتها أنها تمثل بقايا طقوس سحرية كانت تؤديها الساحرات، وظلت ممارسة روايتها ونقلها منذ أقدم الحقب التاريخية مرتبطة بالجدّة العجوز أو الأم أو بالأخت الكبرى<sup>1</sup>، وعليه تبقى المرأة هي واضعة الحكاية منذ القديم اعتمادا على أن السحرة الأقدمين كان أبرزهم من النساء<sup>2</sup>.

إن الحكاية مرتبطة بالسحر وبالمرأة المسنة التي لاتحكي حكايتها إلا في الليل تلك الحكايات الممزوجة بين الخيال والواقع المحلي والعالمي خاصة في المناطق الريفية ومازالت ذاكرتنا تحتفظ ببعض الأجزاء أهمها:

"بُمِ دِرْتِهَآ بِي قُدَامَ لِأَنْدِيرَهَا بِيكُ"... "مِلِي رَاحِتْ عَشْبَةَ خَضَارَ مَا صَبِتْ أَمْطَارَ، مَا لَقَاتِ النَّاقَةَ بِآه تَرْبِي الْإِحْوَارَ"... "حَرَكَونِي بَعُويدَ نُطِيبُ"... "وَكَانَ مَا بَزُولَةَ عَيْسَى وَمُوسَى نُدِيرَ لَحْمَكُ فِي لُفْمَةَ وَدَمَكُ فِي جُعْمَةَ وَعِظَامَكُ بَيْنَ سَنَانِي بِطَرَطُفُوا"... "سَلَكْنِي مِنْ رَاسِي نَعِطِيكَ وَحَدَةَ مِنْ خِرَاصِي"، "رِيحْتِ الْقَصْرِي وَالْمِصْرِي"... "لُعُودَ لِتَحَقْرَهُ بِعَمِيكَ"... الخ. عبارات احتوت على صيغ ذات إيقاع موسيقي مما يرسخها في الذاكرة لتوظيفها كلما دعت الحاجة إليها، لذلك قلما تخلو حكاية من حكاياتنا مثل هذه الصيغ وقد يتم أحيانا تكرارها بأصوات معينة.

ومن الطبيعي جدا أن المحافظة على النصوص الحكائية لا يكون إلا بلهجتها الطبيعية حتى لا تندثر، لأننا سنخرجها من نسقها الطبيعي إلى نسق غريب عنها وبالتالي سوف تموت وتندثر، فحياتها مرتبطة بطبيعة نسقها اللغوي الشعبي والشفهي الذي حافظ عليها من الزوال وسهل من إعادة استحضارها. هذا ما أكدته نبيلة إبراهيم "بأن يبقى

<sup>1</sup>: Camille Lacoste –Dujardin : le conte kabyle, étude ethnologique, François Maspero, paris, 1970.p 23

<sup>2</sup>: عمر عبد الرحمان السارسي: الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1980، ص 145

الدارس نص الحكاية على حاله دون تغيير تماما كما يحافظ على الدين الذي هو توثيق من عند الله<sup>1</sup>.

فتجريد الحكاية من لغتها، حالها حال تجريد الجسد من الروح الذي يمثل المجموعة الشعبية الجماعية، فلا يحق لنا تبديلها أو تحويلها حتى لا نطمس تلك الروح النابضة بها "فلذة القص تقتضي ألا تقطع النص حاشية من حواشي التصحيف، أو خطأ طباعي أو إملائي هنا أو هناك، وإلا فما معنى تحقيق نص قصصي، هو في روحه نص شفاهي، برغم كونه نصا مكتوبا"<sup>2</sup>.

وعليه ليس الكلام الشفهي وحده الأداة التعبيرية الأساسية لهذا الفن وإنما اصطحابه للعديد من التعابير الجسدية التي فيها قدر من التمثيل والتقليد، منحه قدرة كبيرة على التأثير واللذة والمتعة بتلك الإشارات الجسدية كاليدنين والعينين والرأس ما أكسبها سحرا خياليا مكنها من الانتشار والخلود عبر العصور.

### 3. الحكاية الشعبية في المنظور الغربي والدراسات العربية :

جاء الاهتمام بالحكاية الشعبية في القرن الثامن عشر أي سنة 1812 على يدّ "الأخوان جريم" التي كانت تحركهما فكرة أساسية تتلخص في الكشف والبرهنة على عراقية الثقافة الألمانية وغناها<sup>3</sup>، فقاما بتصنيف وشرح الأساطير الألمانية. يبقى المنتبغ للدراسات الشعبية ينظر إلى تلك النقلة النوعية لهذه الدراسات والتي شهدت تطورا واهتماما في مجالات البحث، مما أدى بمعظم الباحثين في الدراسات الشعبية إلى تغيير بعض من طبيعة دراستهم ومن المنهجية المعتمدة، ومن أهم بواكير هذا الاهتمام تلك النهضة التي نشأت مع نشأة الرومانسية وتبيان الشعوب لأصالتهم وقوميتهم وإثبات خصائصهم

<sup>1</sup>: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 69

<sup>2</sup>: هشام عبد العزيز: محمد رجب النجار تحقيق التراث بين الشفاهي والمكتوب، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد 71- سبتمبر 2006 ص36. منقول عن : أحمد بن محمد بن عرب شاه : فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تقديم وتحقيق وشرح : محمد رجب النجار، سلسلة الذخائر، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003، ص 36

<sup>3</sup>: يوري سوكلوف: الفولكلور، قضاياها وتاريخه، ص36

الشعبية، بداية من غرب أوروبا، فكان لجمع الأغاني والحكايات والأساطير أكبر الأثر في التراث. ومن أقدم جامعي هذه الحكايات حكاية "بيلو اوزيرو" بالاشتراك مع أخيه "بورس" سنة 1915، إلى جانب "تيودور بنفي" أول من رمى بسهم لتفسير... التشابه (في الموضوعات) في مقدمة مطولة شهيرة لمجموعة الحكايات الهندية "بنتشاتنترا" (الكتب الخمسة) لما ترجمها إلى الألمانية، فأرجع تشابه موضوعات الحكايات الهندية مع الحكايات الأوروبية وغير الأوروبية إلى الصلات الحضارية بين الشعوب<sup>1</sup>.

كما لانستعين بمساهمة "هاردر" في العناية بالأدب الشعبي بعدما وجّه الأنظار إلى مواد الخام لأدب قومي ألماني<sup>2</sup>. ومن أهم العوامل التي أدت به إلى الاهتمام بالتعبير الشعبية ما كان يخلج في نفسه من ميول شديدة نحو الطبيعة ومن اشمنزاز من تكلف القرن الثامن عشر الذي كان يمثل عصر الإفراط في الدقة<sup>3</sup>.

وقد دعت هذه الجهود إلى بذل جهود أخرى في الدراسات النقدية للعديد من المدارس والمناهج المختلفة التي تطرقت إلى الحكاية الشعبية وأهمها: منهج "فلاديمير بروب" ووظائفه الإحدى والثلاثين أو المنهج المورفولوجي والذي يعتبر من أقدم المناهج التي لقيت صدى كبيرا لحد الآن في تناولها الحكاية... ثم المنهج النفسي للعالم الأمريكي "و. وندت" الذي اهتم بمبدأ التقسيم النفسي ومنهج الموضوعات للعالم الروسي "ر.م. فولكوف". وبعد الانفتاح الملاحظ على العديد من ثقافات العالم والتأثير فيما بينها تمكنت بعض الدراسات الأخرى من تثبيت فرضيات واستنتاجات أهمها نظرية: "كلود لفي ستروس" في دراسة الأسطورة ومقارنتها والتي نتجت عنها المدرسة البنوية بحيث وحدت هذه المدرسة العقل الإنساني، مستدلة بتشابه أساطير العالم التي ولدت من أفكار وحاجات إنسانية. والملاحظ أن "لفي ستروس" يشتغل على الأساطير أساسا بينما يشتغل بروب على الحكايات.... وهما يقران بالتشابه بين الأسطورة والحكاية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>: المرجع السابق : ص 43.

<sup>2</sup>: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 19.

<sup>3</sup>: المرجع نفسه : ص 19

<sup>4</sup>: بروب/ستروس: كلود لفي ستروس وفلاديمير بروب: مساجلة بصدد: "علم تشكل الحكاية"، ترجمة: محمد معتصم،

دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1988، ص 14-15

وتجدر الإشارة هنا إلى ذكر دراسات الباحث الانكليزي "تايلور" في كتابه: "الثقافة البدائية" حيث يؤكد على التشابه بين التصورات أو الأساطير أو غيرها من المأثورات الشعبية....

وعلى هذا النحو سار العديد من الباحثين أمثال "اندولانج" والفرنسي "بدييه" bedier في إعلانهما أن الحكايات الخرافية يمكن أن تظهر في شكل متماثل في جميع أنحاء العالم". ولقد كان كذلك للمدرسة التاريخية- الجغرافية الاسكندنافية واهتمامها بنماذج الحكايات أثر كبير على علماء الفولكور الدارسين عن أوربا والمهتمين بتاريخ النصوص ومصادرها وانتشارها <sup>1</sup>.

أما العناية بالحكاية الشعبية في الساحة العربية فقد تراكت مجموعة من الدراسات التي تناولتها بالدراسة والتدوين، والحكاية كفن تعبيرى شفهي حضّي بمكانة هامة، وتمّ تناوله في شتى المناهج التاريخية والاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية أهمها "منهج فلاديميرروب" الذي أولت له الدراسات العربية الكثير من الأهمية لما حققه من نجاح في تأكيد وتثبيت تطابق تلك الوظائف الإحدى والثلاثين على معظم حكايات العالم. ومن أهم الرواد العرب لهذا المنهج "نبيلة إبراهيم" التي وظفته في العديد من الحكايات العربية فوفقت فيها وأصبحت رائدة الأدب الشعبي العربي-خاصة في كتابها «الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق» و«قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية» منذ منتصف الستينيات من هذا القرن حيث سبقت فيهما إلى تطبيق المنهج الشعبي التحليلي عن طريق تفسير الحكايات الخرافية.

هذا إلى جانب دراسة "سهير القلماوي" "ألف ليلة وليلة" والتي تعد من أفضل الدراسات التي جمعت المنهج التاريخي إلى المنهج التحليلي وقد أنتج هذا الكتاب عدة كتب مهمة أخرى تناولت هذا الجانب أو ذاك، ككتاب "أحمد محمد الشحاذ".

أما في العراق حاول "كاظم سعد الدين" استخراج موتيفات عراقية خاصة بالحكاية الشعبية تعتمد هي أيضا طريقة بروب، أما "أروى عبده عثمان" فقد تناولت "الحكاية الشعبية

<sup>1</sup>: بيار نوت ميشال ايزار: معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح العمدة، الطبعة الأولى، بيروت،

بين التوثيق والدراسة باليمن" و"عبد الله البردوني" في دراساته "فنون الأدب الشعبي والثقافة الشعبية"، و"علي محمد عبده" في كتابه "حكايات وأساطير يمنية"، و"لمياء باعشن" في "الحكاية الشعبية الحجازية". "أما إذا أمعنا النظر في تاريخ الأدب الشعبي العربي والعوامل التي أدت إلى القيام بالأبحاث والدراسات حوله فنلاحظ أن الأول الذي رجع إليها هو عبد الرحمن بن خلدون ... الذي قد جمع مقتطفات من أشعار السير الشعبية، خاصة السيرة الهلالية"<sup>1</sup>.

أما في المغرب فلم يقل الاهتمام عن باقي الدول بما أولاه الباحثون من أهمية لهذا الجنس بحيث تعددت البحوث والدراسات، متأثرة مثلها مثل الشعوب الأخرى بالنتائج التي توصلت إليها الدراسات في غرب أوروبا وأصبحت للحكاية الشعبية المكانة أو الصورة التي نعرفها اليوم، ومن أهم المهتمين بهذه الدراسات "مصطفى الشاذلي" في دراسته "تحليل سيميائي للحكاية الشعبية" و"الحكاية الشفاهية أوليات تمهيدية ومنهجية" و"محمد فخر الدين" "الحكاية الشعبية المغربية" و"مصطفى يعلا" "القص الشعبي المغاربي" و"محمد بن شريفة" "الحكاية الشعبية في التراث المغاربي"...

إنّ الكم الهائل للموروث الشعبي العربي وما يتميز به من خصوصيات قد أفضل تلك المحاولات هنا وهناك لإرساء الدراسات العربية على منهج متخصص يتلاءم وطبيعة الحكاية العربية التي تجمعها خصوصيات بطبيعة هذا المجتمع ووحده الموضوعية، ولهذه الأسباب انتهى معظم الدارسين إلى منهج "فلاذيمير بروب" المنهج الذي ما زالت إرهاباته عند الدارسين العرب لملاءمته مع دراسة الحكاية العربية.

أما في الجزائر فقد أخذت المآثرات الشعبية حيزا لابأس به من حيث الاهتمام والدراسة وذلك منذ النصف الأول من القرن العشرين على يد "محمد بن شنب" في كتابه "الأمثال الشعبية الجزائرية" تلك الشخصية العلمية والثقافية التي حققت انجازات في فترة صراع ثقافي فرنسي، عربي" بحيث يعتبر من المؤسسين للدراسات الشعبية الجزائرية، إلى جانب بعض المستشرقين في الفترة الاستعمارية الذين ساهموا ولو بشكل محدود في تأصيل الموروث الشعبي وتدوينه

<sup>1</sup>: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 19

لانبهارهم بالثقافة الشعبية العربية، فراحوا يؤسسون لما توصلوا اليه من إرث خلال رحلاتهم عبر الوطن ومن أبرزهم: "ألفريد بال"، "جوزيف ديسبارمي"، "روني باسي" ....

و رغم المواقف المتناقضة بين مؤيد ورافض لهذه الدراسات إلا أنها تبقى المدونة الوحيدة التي استطاعت أن تلم بالتراث الشعبي الجزائري حيث توجه عسكريون وضباط أمثال <sup>1</sup>Commandant Malingoud للقرى والبوادي، وراحوا يسجلون ما تيسر لهم من أشكال تعبيرية شعبية كالأغاني والأشعار والحكايات والأمثال... والتي امتازت بالعفوية والسطحية وابتعدت عن الدراسة العلمية الأكاديمية وأهم هته الدراسات كانت تنشر في مجلات أهمها: "المجلة الإفريقية" و"المجلة الآسيوية" وذلك إبان المرحلة الاستعمارية. "يرى بعض الباحثين أن هؤلاء كانوا يقفون عند حدوث ترجمة النصوص والتعليق عليها تعليقا سطحيا مع التركيز على مضامينها الاعتقادية"<sup>2</sup>، ومنهم من اعتبرها سياسات استعمارية في فهم ثقافة الشعوب وكيانها الروحي.

ومهما يكن من أمر فإنها تظل مدونات أساسية حافظت على استرجاع الذاكرة الشعبية الجزائرية وساعدت الدارسين للثقافة الشعبية الجزائرية بالعودة إليها ودراستها دراسة علمية ومن أهم تلك الدراسات في الحكاية الشعبية دراسة "روني باسي" لـ "بنت الخص"<sup>3</sup> ودراسة "الجزائرية" لألفريد بال<sup>4</sup>، ثم "هارتمن" لحكايات بني هلال 1898<sup>5</sup>. أما مرحلة مابعد الاستقلال فقد بدأ البحث الأكاديمي الجاد فيها ينتج تراكمات معرفية للمأثورات الشعبية ويستقطب الكثير من المهتمين به، فاختلقت الآراء وتعددت الدراسات، باختلاف طبيعة المجتمعات لثقافتهم وتاريخهم خاصة وأن الجزائر تتميز بخصوصيات محلية وترسبات ثقافية عديدة نتجت عبر مراحل تاريخية هامة.

ومن أهم هته الدراسات دراسة "ليلي روزلين قريش" "للسيرة الهيلالية" إلى جانب دراستها "للقصّة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي" والتي اولتها اهتماما بالغاً معتمدة على مدونات شرقية، إلى جانب دراسة "عبد الحميد بورايو" للقصّة الشعبية في منطقة بسكرة و" الحكايات

<sup>1</sup> :Commandant Malingoud :Contes, Bédouins, revue Africaine, N° 65, Année 1925, p 54

<sup>2</sup>: عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 30

<sup>3</sup> René Basset : La légende de bent el khass, Revue Africaine, N°49 année 1905, p 18

<sup>4</sup> :Alfred bel : la Djazia ,journal asiatique ,XIX et XX, année1902-1903.P192

<sup>5</sup> A.vaissière : les Ouled-rechaich(cycle héroïque des ouled-hillal),Revue africaine, N°36,année1892,p312et209

الخرافية للمغرب العربي". هذان الأخيران انكبا في البحث حول الحكاية الشعبية الجزائرية متحدين كل النعوت والأوصاف السلبية التي ألصقت بالثقافة الشعبية، حيث ظلا مرجعين أساسيين لدراسة الحكاية الشعبية الجزائرية. ومن أهم هذه الأوصاف السلبية الاعتقاد الراسخ بأن الاهتمام بالثقافة الشعبية يعدّ من الأديولوجية الإستعمارية التي كانت تشجع الثقافات المحلية التي تكسر الوحدة الوطنية وتسيء للغة العربية الفصحى وعليه لم تلق الثقافة الشعبية حظها الكبير من الدراسة.

كما يجدر بنا أن ننوّه بالدراسات الخاصة بالتراث الأمازيغي الذي ظل حكرا على المستشرقين لسنوات الاستعمار قبل أن تتحرر البحوث إلى ما يخدم الثقافة الجزائرية ويوحد الهوية الوطنية، سواء تعلق الأمر بالجمع والتدوين والتوثيق أو بالدراسة والتحليل الأكاديمي، فأخذت الحكاية الأمازيغية بذلك حيزا لا بأس به من الدراسات الشعبية الجزائرية على غرار اللهجات الأخرى، وظلت جهود الباحثين راسخة في الجمع والتدوين كيوسف نسيب<sup>1</sup> "حكايات جزائرية من جرجرة"، زينب علي بن علي "الحكايات القبائلية"، طاوس عمروش "الحبة السحرية"، رابح بلعمري "الوردة الحمراء" قصص شعبية من شرق الجزائر"<sup>2</sup>....

#### 4. الحكاية الشعبية الجزائرية وامتدادها العربي والعالمي :

يعود أصل الحكايات الشعبية العربية إلى منتوجات الجزيرة العربية أين تحدث العرب عن أيامهم وحروبهم وعلاقاتهم الاجتماعية والسياسية كالقصص التي تحدثت عن الحروب مثل "قصة داحس والغبراء" وقصة "يوم ذي قار بين العرب والعجم" و"حروب الفجار بين قريش وكنانة". وبعد مجيء الإسلام انعكس محور القص نحو العنصر الديني الذي ظل الناس يناشدون به قصصهم ويذكرون بطولاتهم التاريخية، التي حاربت ضد الكفر كحروب الفتوحات الإسلامية والحروب ضد الصليبيين. ففي ظروف الدعوة الإسلامية "لم يقتصر القصص القرآني على الوظيفة التذكيرية والوعظية وحدهما في عصر الخلفاء

<sup>1</sup>: Nacib Yousef : contes Algériens de Djurdjura contes populaire. Ed publisud Paris 1982.

<sup>2</sup>: رابح بلعمري: الوردة الحمراء " قصص شعبية من شرق الجزائر"، المنشورات الجزائرية والعلمية، باريس 1980

الراشدين، بل خرج من حلقات الوعظ والتذكير في المسجد، ليرافق الجيوش في فتوحاتها الإسلامية ... لتثبيت القلوب وحشد الهمم ...<sup>1</sup>.

والراجح أن علاقة العرب بعباداتهم وأديانهم تعود إلى أزمنة الجاهلية الأولى التي نستشفها من خلال أساطير العرب التي صورت لنا مشاهد عديدة تدور أحداثها حول تعظيم الآلهة وعبادة الأصنام والأشجار، الماء والنار وبعض الأساطير التي ذكرها القرآن الكريم كأساطير قبائل عاد وتمود.

ومنه يتراءى لنا أن القصص العربي بعد ظهور الإسلام لم يتوقف وإنما زاد تطورا عما كان عليه عرب الجاهلية، فقد شهد نوعا آخر للقص أين تنبه رجال السياسة إلى هذا الفن بما يخدم مصالحهم بعد إدراكهم تأثيره على عقولهم وقوته في التوجيه، فاتخذوا منه وظيفة للدعاية تخدم مصالحهم، واستعملوا المساجد وساحات الحرب من أجل تحفيز الناس والمحاربين على الولاء لسياستهم، قبل أن يتوجهوا إلى عامة الناس ليحكوا لهم قصصا وأخبارا عن أيام العرب والعجم، خاصة في العصر العباسي أين استفحلت ظاهرة القصص في البلاد العربية وأصبحت له مكانة خاصة لدى عامة الناس لما تلبيه من حاجات نفسية واجتماعية خاصة في الظروف المستعصية. وقد ذكر ابن عون " المتوفي عام 151 هـ " أنه في مساجد البصرة كان لعلماء الفقه حلقة واحدة على حين كان للقصص حلقات لا تحصى، حتى كانت المساجد مملوءة بهم<sup>2</sup>.

ونظرا لأهمية هذا اللون الفني في العقلية الشعبية العربية والإسلامية بمختلف عصورها وما صوره من أمور اجتماعية وسياسية وعاطفية، تأثرت الدول المغاربية به ومنها الجزائر عبر محطات ساعدت على التواصل والتمازج بين المشرق والمغرب أهمها الفتوحات الإسلامية لمنطقة المغرب العربي والتي كان لها الأثر الكبير في نشر الحكى الشعبي المتعلق بالمرؤيات العربية، بدءا بمواضيع المجال الديني التي كانت تذكر مآثر الأبطال في المساجد وساحات الحرب. ثم من خلال رحلاتهم التي قام بها الحجاج المغاربة

<sup>1</sup>: عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات؟ دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع،

منشورات رابطة الأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2006، ص 64

<sup>2</sup>: طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية، لبنان، الطبعة

الأولى، 1999، ص 121

لأداء فريضة الحج بحيث قاموا بدور هام في نقل صور مختلفة عن جميع المناطق التي مروا بها إلى جانب الدور البارز الذي لعبته حركة الطلاب المغاربة الذين هجروا أوطانهم من أجل طلب العلم، فكان لهم الفضل في تقريب وتدعيم التراث المغاربي بالتراث المشرقي.

ومما لا شك فيه أن هجرة بني هلال المشهورة كان لها الفضل في تقريب بلاد المغرب من المشرق حيث حملوا معهم أدبا شعبيا عربيا أصيلا<sup>1</sup> يعبر عن حياتهم وتقاليدهم وافتخارهم ببطولاتهم، ومن أهم نتائج تلك الهجرات التي تركت أثرها الواضح في تحريك الحياة الثقافية والفكرية والأدبية بمنطقة المغرب العربي السيرة الشعبية التي تصف نمط معيشة قبيلة بني هلال القائم على عدم الاستقرار والبحث عن الكلا.

أخذت رواية وقصص السيرة الشعبية المغاربية طابعا مخالفا و"يرجع سبب هذا الاختلاف.....في المشرق العربي عن نظائرها في المغرب العربي إلى اختلاف الظروف الاجتماعية والثقافية"<sup>2</sup>.

كما تعد السيرة الشفهية الوحيدة التي تكشف لنا عن مرحلة الاندماج بين المشرق والمغرب أو بين قبيلة بني هلال العربية البدوية "قبيلة زغبة" وبين سكان الجزائر "البربر". ويذكر "عبد الحميد بورايو" أن بعض الدراسات الميدانية تثبت الإختلاف فيما بينهما، فزياد الهلالي في المشرق هو بطل من أصل عربي أما زياد الهلالي في المغرب من أم بربرية وأب هلالي، كما أن أبوزيد الهلالي المشرقي ذي حكم مركزي وأبو زيد الهلالي الجزائري يغيب عنده هذا الحكم، ويؤكد بورايو أيضا على أنها ليست أخطاء تاريخية وإنما تمسكا بطبيعة وخصوصية المجتمع الجزائري في توظيف السيرة الهلالية.

عموما فزيد الهلالي هو تلك الشخصية الخيالية التي تعبر عن اندماج وتقارب المجتمعين الشرقي والغربي لينتج عنه مجتمع جديد يتلاءم وخصوصيات المنطقة. ومما لا شك فيه أيضا أن بعض الحكايات الشعبية الجزائرية مثلها مثل باقي حكايات المغرب العربي تشكل وحدة شعبية تتجمع فيها العديد من الأشكال المختلفة للإنسان المغاربي

<sup>1</sup>: ليلي روزلين قریش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 78

<sup>2</sup>: عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات، ص 149

وملامحه الشرقية "كقصة جازية" رمز المرأة البدوية بجمالها الفتان وذكائها الحاد وشجاعته الفائقة. وتجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من الروايات المختلفة لقصة "جازية" تتفق على الأقل في كونها أختا لحسان بن سرحان سلطان الهلاليين وحببية دياب بن غانم.

كما ارتوى الحكى الشعبي الجزائري أيضا من روافد ثقافية إنسانية أخرى كالأساطير التي أسسها الإنسان البدائي بعدما عجز عن تفسير مختلف الظواهر الطبيعية والكونية. ولعل هذا التفكير المجسد في الأساطير العالمية يتجسد جزءا منه في حكاياتنا الشعبية الجزائرية، كحكايات الغيلان التي تلتهم الإنسان، والحيوانات التي تستجيب لمتطلبات الإنسان، والعظام التي تحي بعد حرقها....

إن تجربة الإنسان الطويلة مع مختلف الظواهر مازالت مجسدة كإشارات للفكر الأسطوري داخل ثنايا الحكايات الشعبية الجزائرية كقوة الكائنات والطبيعة، ما تجسده لنا قصة " أنزار"<sup>1</sup> أسطورة المطر التي تحكى في مختلف مناطق الجزائر، أين قدمت الفتاة الجميلة جسدها قربانا لملك المطر من أجل إنقاذ قبيلتها من الجفاف، وكذلك قصة "يناير"<sup>2</sup> التي تحدثنا عن لعنة العجوز لشهر يناير مما أدى إلى غضب يناير وعقابه للعجوز.

تعدّ إذن روافد القص العربي والأسطوري من أهم العوامل المساعدة على إحداث فضاء ثقافي واجتماعي، ساعد على انتشار الحكاية داخل الأوساط الشعبية المحرومة فكانت ملاذهم الوحيد للتسلية والترفيه من جهة، والحث على القيم الاجتماعية والإنسانية من جهة أخرى.

<sup>1</sup>: عبد الرحمان بوزيدة : قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية،

وهران، 2005، ص 63

<sup>2</sup> Edmond destaing : Lennayer chez les beni snous(texte bèrbère,dialecte des beni snous) , revue Africaine, N° 49.Année 1905, p51.

## الفصل الثالث: إشكالية التصنيف:

تعتبر الحكاية الشعبية جنسا مستقلا بذاته عن الأجناس التعبيرية الأخرى التي تطرقت لها بنوع من التفصيل في الفصل الأول وهي الأسطورة، السيرة، الملاحم والحكاية الخرافية، وكيف تداخلت فيما بينها رغم تحديد حدودها من قبل بعض الباحثين المهتمين بالأدب الشعبي الشفهي، رغم أنه يبقى من يلغي تلك الحدود لقناعتته بتفاعل الأجناس فيما بينها انطلاقا من طمس معالم التمييز التي تدفع إلى الخلط بينهم.

تعامل بعض الدارسون مع الأجناس من منظور واحد واعتبروها بقايا لاعتقادات الماضي البعيد، وهذه المعرفة لا تستبعد قط منهج "ماكس ميلر" و"جاستون باري" الذي يجد في الحكايات الخرافية موروثات باقية من الأساطير<sup>1</sup> وحذا حذوه الكثيرون أمثال-البردوني في دراسته للتراث الشعبي اليمني أين ألغى الحدود بين الأسطورة والحكاية الخرافية.

والجدير بالذكر أنّ معظم الدارسين رغم مجهوداتهم الجبارة في عملية تقسيم وتصنيف القصص الشعبي إلا أنهم يخلطون بين المصطلحات، خاصة الأسطورة والحكاية الخرافية التي مازالت تلقى بعض الإشكاليات لتشابه موضوعاتها ومجالاتها، ولم تسلم الحكاية الشعبية من عدم قدرة الباحثين على وضع حدود صارمة لأنواع الحكاية الشعبية رغم المجهودات القائمة، وهذا ما تبينه التقسيمات التي وضعها المختصون في دراسة الحكاية الشعبية. "ومن المحاولات الأولى في تصنيف الحكاية الشعبية محاولة ANTTI EARME سنة 1910 ثم محاولة STITH THOMPSON التي أضاف فيها إلى محاولة "آرني" السابقة أنماطا أخرى وأصبحت محاولته تعرف بفهرس "آرني طومسون" اعتمادا فيها على شخصيات الحكاية لا على الحدث"<sup>2</sup>.

كما نجد الصنافة الفرنسية THENESE تبني أيضا هذا التصنيف العالمي "لآرني تومسون" وهو حكايات عجيبة، حكايات واقعية، حكايات دينية، حكايات الغول البليد،

<sup>1</sup>: أحمد كمال زكي: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، ص 40

<sup>2</sup>: بوخالفة عزي: الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، ص 67

حكايات الحيوانات، حكايات ساخرة وتتبعه تصنيفات VLADIMIR PROPP<sup>1</sup> التي تجعل من الحكاية خرافة كالخرافات الأسطورية، خرافات عجيبة خالصة، وخرافات الحيوان، والخرافات الهزلية...

وعلى ضوء هذا التقسيم أنجزت تقسيمات أخرى اعتمدت فيها معايير مختلفة في تقسيمات الحكاية الشعبية أدت بها إلى تقارب وتباين فيما بينها أهمها: تقسيمات "الكسندر هجرتي كراب" وهي: حكايات الجان، حكايات مرحة، حكايات الحيوان، الخرافة، السيرة النثرية. أما تقسيمات "نبيلة إبراهيم" فنجدها تعتمد في تقسيمها على: الحكاية الهزلية، حكاية المعتقدات، حكاية الواقع الاجتماعي، حكاية الواقع الأخلاقي. أما "محمد مرزوقي" فكان تقسيمه: الأسطورة الاجتماعية، الأسطورة، السياسة، الأسطورة البطولية، الأسطورة العقائدية، التاريخية، أساطير الأطفال. ولم يختلف تقسيم "عبد الحميد يونس" عن تقسيم "الكسندر هجرتي كراب" بحيث قسم هو أيضا الحكاية إلى حكايات الجان، حكايات مرحة، حكاية الحيوان، حكاية الشطار، السيرة الشعبية، الحكاية الاجتماعية. ولم يبتعد "عبد الرحمان السارسي" كثيرا في تقسيمه عن هؤلاء بحيث قسم الحكاية إلى حكاية الواقع الاجتماعي، الحكاية الخرافية، الحكاية المرحة، حكاية الحيوان، حكاية المعتقدات الشعبية، حكاية الشطار.

أما "روزلين قريش" انفردت بتقسيم الحكاية إلى قسمين هما: أولا قصة البطولة ومنها البطولة الدينية، الوعظية، البدوية، الحديثة. ثانيا قصة الخرافة الشعبية ومنها الخرافة الشعبية الدينية، الخرافات حول الجن، الخرافة المحلية، الخرافة حول شخصيات غير دينية. وعليه فهي جمعت بين الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية عكس "عبد الحميد بورايو" الذي فصل بين الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية وحكاية الحيوان.

فيما قسّم "مرسى الصباغ" الحكاية من ناحية الموضوع كالتالي: حكايات الحيوان الخرافية، حكايات الجان، الخوارق، التنبؤية، القصص الشعبي الديني الاجتماعي، حكايات

<sup>1</sup>: فلاديمير بروب: مورفولوجية الخرافة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للنشر المتحدين، الدار

الكيد والمجون، حكايات البطولة والتاريخ، حكايات الأمثال، أما من ناحية الهدف فقسّمه كالتالي: حكايات للتسلية، حكايات المعرفة، حكايات ترفيهية<sup>1</sup>.

والذي استوقفني بالنسبة لتقسيمات هؤلاء هو عدم الاستقرار على منهج واحد من أجل تصنيف هذا الجنس الأدبي الشعبي ممّا أدى إلى تضارب واختلاف في التقسيم ابتداء من تسمية الحكاية قصّة عند "روزلين ليلي قريش" والحكاية أسطورة عند "محمد المرزوقي"، ما يبرّر استعصاء وضع حدود جادة لتلك الأجناس.

رغم أن التصنيف يبقى خطوة إجرائية ضرورية لكل وصف علمي إلا أنه يبقى مسألة متشابكة يصعب الحسم فيها، وذلك لتداخل أنواعه إلى جانب وحدة السرد الشعبي داخل الجماعة الواحدة. ورغم هذا الاختلاف الواضح إلا أن مجمله غير مقنع عند بعض الباحثين الذين أكدوا صعوبة تقسيم الحكاية، "في حين لم يعرّها بعضهم أدنى اهتمام لقناعاته بأن تلك الأشكال تمثل تفرّعا للحكاية الشعبية"<sup>2</sup>.

وهناك جهود قائمة في وضع تصنيفات للحكاية الشعبية من خلال دراستهم أمثال دراسة "مصطفى يعلا" للقصص الشعبي المغربي وإشكالية التصنيف والتجنيس" فهو يؤكد أن الحكاية يختلف جنسها من حيث موضوعها، فنجد الحكاية العجيبة والخرافة الشعبية تتداخل فيما بينها وقد يشكل هذا صعوبة في التصنيف.

ولما لهذه التصنيفات من هشاشة في حدودها ظلت تتضارب الآراء حولها وتختلف التقسيمات حسب منهج كلّ واحد منهم حيث انتقد الأستاذ "عبد الحميد بورايو" المنهجية التي اتخذتها "ليلي روزلين قريش" في تصنيفها للحكاية الشعبية الجزائرية خاصة في مبدإ التمييز بين قصّة البطولة والخرافة الشعبية، وأسّس لنفسه طريقة تصنيفية مستمدّة من منهجية "فلاديمير بروب".

وإن دلّ هذا الاختلاف على شيء فإنما يدلّ على شمولية الحكاية وما تتضمنه من تشابه في مواقفها الإنسانية وفي نشأتها وكيفية انتشارها عبر الزمان والمكان، ولهذا يتعذر

<sup>1</sup>: مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص، 11

<sup>2</sup>: عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986

على الدارسين عدم قدرتهم على وضع تصنيفات دقيقة، إذ أن كلّ الحكايات الشعبية متشابهة بدرجة كبيرة من كل النواحي البنائية المهمة، فهي تتضمن معتقدات شعبية، وسلوكات اجتماعية وسياسية....

وبالرغم من المحاولات العديدة للتمييز بين أنواع الحكاية إلا أنها تبقى تكشف فشلهم في عدم القدرة على الوقوف على منهجية محدّدة في تمييز الحكاية، فاخلطوا بين السيرة والحكاية ما عمد إليه "عبد الحميد يونس" حين عدّها شكلاً من أشكال الحكاية وأشارت "نبيلة إبراهيم" على "أن كلا من الملحمة والسيرة تعد حكاية شعبية ذات شكل معيّن"<sup>1</sup>. كما أعربت عن أن الملحمة تتفق في موضوعها كل الاتفاق مع الحكاية الشعبية وكذلك الأسطورة عند "المرزوقي" حين صنفها كحكاية، والقصة عند "روزلين قريش" حين صنفها كحكاية شعبية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بدا جلياً في التقسيمات السابقة أنّ الحكاية الخرافية لم ترسّ على أسس موحدة في تصنيفها، فقد اعتبرها "عبد الحميد يونس" و"عمر الساريسي" بأنها شكل من أشكال الحكاية الشعبية في حين خالفتهما "نبيلة إبراهيم" في أنها شكل آخر غير الحكاية الشعبية حين "جعلت الحكاية الخرافية وريثة الأسطورة مباشرة.... أما الحكاية الشعبية فهي تمثل مرحلة لاحقة للحكاية الخرافية"<sup>2</sup>. "ويذهب إلى أكثر من ذلك العالم الأنثروبولوجي "ليفي ستروس" الذي اشتغل على الأسطورة، والفولكلوري "فلاديمير بروب" الذي اهتمّ بالحكاية إلى "اقرارهما بالتشابه بين الأسطورة والحكاية، فبروب ينعت الحكاية العجبية بأنّها "أسطورية" (بقدر ما تقوم الحكاية، في تكوّنها، على الأسطورة)؛ ويتبيّن ليفي ستروس في الحكاية أسطورة "مُضَعَفَةٌ" قليلاً،...."<sup>3</sup> وهذا ما تشير إليه حكاية "مُلوكَة" والثعبان" أو "الفتاة والإخوة السبعة" المتداولة بمناطق الغرب الجزائري والتي تحكي عن الغيرة التي أدّت بزوجات الإخوة إلى تدبير مؤامرة للفتاة ليجلبوا لها العار بوضعهم لها بيضة ثعبان بالطعام فحملت ثعباناً وبعد اكتشاف المؤامرة قاموا بإخراجه.

<sup>1</sup>: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 170

<sup>2</sup>: مسلم صبري: الحكاية الشعبية العراقية وجهود الباحثين فيها، مجلة التراث الشعبي: العدد 7، 6، 1981، ص 30

<sup>3</sup>: بروب/ستروس: كلود ليفي ستروس وفلاديمير بروب مساجلة بصدد: "علم تشكل الحكاية" ترجمة: محمد معتصم، ص 15

والمتعارف عليه أن "الحكاية الشعبية حريصة على أن تشعر القارئ أو السامع بجوها الواقعي حينها تبدأ حوادث القصة بتحديد زمانها ومكانها مخالفة في ذلك الحكاية الخرافية التي يعد انعزالها عن الزمان والمكان من سماتها الأولى"<sup>1</sup>.

انطلاقاً من هذا التعريف يظهر الفرق بين الحكاية الشعبية والخرافية هذا الفرق الذي يخرج الحكاية الشعبية من جوها المشوق والخيالي إلى عالم مجهول مملوء بأنواع السحر والجن، وهذا ما يضفي على الحكاية الشعبية فنيات جمالية، الهدف منها إبراز المغزى الحقيقي للحكاية. " إلا أن الجانب المهم من التنوع هو تنوع مرتبط بتجارب الإنسان في الحياة، وتشارك جميعها في إعادة النظام والتوازن في حياة الإنسان وفي أنها ترد على تساؤلات الإنسان إزاء كل ما يحتاج إليه من تفسير وفلسفة سواء في عالمه المرئي أو في العالم غير المرئي"<sup>2</sup>.

وفي الأخير تعتبر الحكاية الشعبية صورة تعكس طبيعة الإنسان أو "الشعب" ومواجهته للأخطار الطبيعية وغير الطبيعية تحدد موقفه باختلاف مواقعه وأفكاره، ولذا فالتداخل بينها في الحقيقة ما هو إلا حياة واحدة، حياة الشعب المترابطة أحيانا والمتشابهة أحيانا أخرى. ولعلنا نتساءل بعد ذلك ألا تتضمن الخرافات عن الحيوان عنصراً عجبياً؟ ألا تقوم الحيوانات بدور بالغ الأهمية في الخرافات العجيبة؟ ما هو الفرق بين الحكايات الخالصة عن الحيوان والحكايات الأخلاقية؟ ألا يوظف الحيوان في الحكاية لإبراز سلوك اجتماعي أو أخلاقي أو نقد موقف سياسي؟ وهل يمكن فصل ما هو سياسي عن الاجتماعي وعمّا هو أخلاقي ووعظي؟.

إن مجموعة هذه الأنماط توجد في حكاية واحدة ما يطلق عليها حكاية شعبية، وهذا ما أكدته "نبيلة إبراهيم" في مقدمتها للحكاية الشعبية حيث نوهت بصعوبة التقسيم وذكرت أنه "قد يعترض معترض بأن أي نتاج قصصي شعبي مكتمل يطلق عليه حكاية شعبية ونحن وإن كنا نرى هذا صحيحاً إلى حد ما، إلا أننا نرى وجوب تحديد كل نوع شعبي"<sup>3</sup>

<sup>1</sup>: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 140

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص 144

<sup>3</sup>: المرجع نفسه: ص 133

ويجب أن يكون هذا التحديد هدفه الحقيقي معرفة خبرة الإنسان الشعبية في التعامل مع محيطه والتقرب أكثر من قضاياها التي تشغل فكره ومعرفة سلوكياته الاجتماعية وتحديد قيمها الإنسانية.

إننا ننطلق من هذه الأطروحة باعتبار أن الحكاية الشعبية هي كل ما تنتجه الأوساط الشعبية وتتداوله في أمكنة وأوقات معينة، وإن كل ما هو شعبي يبقى من إنتاج الشعب يشمل الأسطوري والخرافي والاجتماعي والهزلي والواقعي.....، "وربما كان سبب الخط هو فيما تعنيه تلك الكلمة " شعبي" من معان خاصة وأن استعمال هذه الكلمة في اللغة العربية للدلالة على المأثورات الفولكلورية حديث العمر، لم يواكبه بعد ما يكفي من الدراسات التي قد تحدد المعنى المقصود بهذه الكلمة".<sup>1</sup>

والحقيقة أننا لا يمكن عزل الظواهر الإنسانية عن أبعادها المختلفة ومكوناتها، وبهذا الشكل تزول الفواصل داخل الحكاية الشعبية ما تحدث عنه "ديرلاين" في كتابه الحكاية الخرافية " حيث ربط الحكاية الهزلية بالحكاية الخرافية ارتباطاً وثيقاً".<sup>2</sup>

وإذا أردنا أن نتحدث عن أنواع الحكاية الشعبية الجزائرية يمكن أن نجسد هذا التصادم والتداخل كما سبق وأن ذكرت في حدودها وفي زخم موضوعاتها المتنوعة في الحكاية الواحدة، فمعظمها لا يخلو من الخرافات والأساطير والجن والسحرة والواقع الاجتماعي والسياسي والديني والبطولي.....، وعليه يمكن أن نعلل ذلك بالوحدة المتلاحمة والمتكاملة للحكاية الجزائرية.

لم تكن الحكاية الجزائرية تروى على أنها أنواع مختلفة وإنما على أنها نوع واحد خاصة لما حققه من تسكين آلام الشعب الجزائري وما تعرض له من ضغوطات نفسية واجتماعية على مراحل متباينة من التاريخ، فكانت له ملاذاً يحتمي به من واقعه الاجتماعي العسير، وتحقيق بعض من آماله وأحلامه، فكانت إذن الحكاية الشعبية مدرسة

<sup>1</sup>: أحمد رشدي صالح: الادب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص 20

<sup>2</sup>: فرديش فون دير لاين : الحكاية الخرافية، نشأتها، مناهج دراستها، فنيتها، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت،

الطبعة الأولى، 1973، ص 145

رمزية تخرجت منها الأجيال الشعبية، واكتست بمعالم إنسانية تدعو إلى الخير والسلام والعدالة ونبذ الشر والعداء واللامساواة.

وعلى ضوء ما تقدم يمكننا أن نضع الحكاية الشعبية الجزائرية في إطار واقع الإنسان الاجتماعي والنفسي ويمكننا على هذا الأساس أن نقسم الحكاية الشعبية إن جاز هذا التقسيم إلى: أولاً الحكاية الخرافية، ثانياً حكاية الحيوان، ثالثاً حكاية الواقع الاجتماعي.

## 1. الحكاية الخرافية:

حكاية تميّز بها المخيال الشعبي الجزائري تحت مفهوم جديد "الخُرَيْفَة أو مُخَاَرْفَة" والخرافة هي "الحديث المستملح المكذوب، وخرف خرفاً: فسد عقله من الكبر فهو خرف وخرافة رجل من عذرة استهوته الجن، فكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا حديث خرافة"<sup>1</sup> وهناك من الباحثين من لا يرجح هذا المصطلح في الحكاية لعدم تماثيه مع هدف الحكاية الخرافية، إذ يرى علماء النفس أنها ذات قدرات بالغة في تلبية الحاجات النفسية للإنسان لأن "كلمة الخرافة تتضمن الكذب والفساد وهما أمران بعيدان كل البعد عن هذا النوع من الحكايات"<sup>2</sup>.

تضمنت الحكاية الأسطورية الجزائرية عناصر متشابهة من الحكايات العالمية، تلك العناصر التي أدرجت عند بعض الدارسين إلى فروع أو أشكال للحكاية الشعبية منها الجن، الخوارق، السحر، الأحلام، الأرواح، العفاريت..... فهي تصور لنا عالماً مليئاً بالمظاهر الخارقة والأدوات العجيبة التي استعملت من أجل الخروج من المآزق والدخول إلى برّ الأمان.

يرى "فردريتش فون ديرلاين" أن "الحكاية الخرافية تتفق جميعها في كونها بقايا معتقدات، تصل في تاريخها إلى أقدم العصور وتتيح له الفرصة للظهور من خلال تلك التأليفات التي تصور سلوكيات غير حسيّة، وهذه المعتقدات الأسطورية شبيهة بقطع صغيرة من أحجار متناثرة بين زهور تثبت في أرض خصبة لا يكتشفها إلا الذي بصر حاد"<sup>3</sup>. وإذا

<sup>1</sup>: الفيروز الأبادي: القاموس المحيط : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977 : مادة خرف

<sup>2</sup>: طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 126

<sup>3</sup>: فردريتش فون ديرلاين : الحكاية الخرافية، ص 03

تأملنا في الحكايات الشعبية الجزائرية فإننا سنصطدم بما تحمله من فوارق وعجائب ومعتقدات أهمّها: حكايات الغول والغولة، قصص الأولياء الخارقة كتحقيق المعجزات والرؤى، حكايات قبور الأولياء وأسرارها، قصص السحر والجن والأرواح..

يحمل "الغول" صفات الجن والشياطين كما عرفه ابن منظور في لسان العرب على أنه "جنس من الشياطين والجن...تتكون في صور شتى...<sup>1</sup> ". والحكايات تمتاز بالقصص حول الجن والغيلان على العموم متأثرة بجميع المعالم والصفات التي أخذت من فكرة الجن عند تكوينها ثم أثناء تطويرها<sup>2</sup>، ويبقى الغول يمتاز بقوى خارقة للعادة ترتفع أحيانا إلى مستوى الآلهة ففي "المعتقد البابلّي والآشوري يعتبر الجن والأرواح كائنات وسيطة بين مستوى الآلهة الرفيع ومستوى البشر"<sup>3</sup>.

والجدير بالذكر أن الغيلان بصفة الجن والشياطين حاضرة وبقوة داخل الحكايات الجزائرية والتي تعرضها ككائنات غريبة الأطوار بدون أن تحدّد صفاتها الجسدية، تمتاز بحبها وتعطشها لأكل لحم البشر، ولها من الوظائف والأدوار ما يجعلها محورا رئيسيا داخل نص الحكاية حيث تصور كقوى شريرة دائمة الصراع مع الإنسان مثل حكاية "لُونجَة بنت الغول" وكذلك حكاية "عُشْبَة خَصَار" التي وضعتها الأقدار بين أيادي الغولة رغم خوفها من مصادفتها فكانت تقول «لَكُنْتِي نَارًا مَّا وَبًا قَرِيْبِي قَرِيْبِي ... وَلَكُنْتِي نَارَ الْغُولَةِ وَالْغُولُ بَعْدِي بَعْدِي»، إلا أنها تمكنت من الهرب بعد قتلها لابن الغولة بطريقة بشعة مما جعل الغولة تتوعدها بالانتقام ليتحقق وعدّها بعد حرقها حيث أصاب "عُشْبَة خَصَار" عظم من بقايا عظام الغولة المحروقة في عينها. وأصبح بعد ذلك مثالا شعبياً سائرا: «الْعُودُ لِتِحْرَقَهُ يَعْميكَ». ظلت صور الغولة عالقة في المخيلة الشعبية الجزائرية تمتلأ بها الحكايات الشعبية باختلاف أنواعها تنتحل صفات المرأة أحيانا لتحقيق أغراضها

<sup>1</sup>: ابن منظور : لسان العرب :المجلد الحادي عشر، ص 50

<sup>2</sup> : ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 169

<sup>3</sup>: محمد الجوهري: علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامع، الاسكندرية، 1988،

كحكاية "عشق الغولة"<sup>1</sup> التي تزوجت بإنسان إلا أنها لم تستطع أن تتصف بصفات البشر بعدما أكلت نصف ولدها لما أحست بالجوع.

إلى جانب الغولة الكائن الغريب ومظاهره الشريرة، تتمتع الحكاية الجزائرية كذلك بنماذج أسطورية أثرت في ملامح الحكاية الخرافية حتى أصبح من الصعب وضع حدود فاصلة بينهما وبين الحكاية الشعبية نظرا لارتباطهما الوثيق، فكيف يكون الحال إذن ونحن نبحث في أنواع الحكاية الشعبية؟

من النماذج الأسطورية المتناثرة في الحكاية الشعبية تلك القوى الإلهية التي كانت تتمثل في المطر والشمس كحكاية " أنزار " إله المطر الذي قدمت له الفتاة الجميلة جسدها قربانا لإنقاذ أبناء قبيلتها من الجفاف، ليصبح بعد ذلك يوما يحتفل به من أجل نزول المطر أو ما يسمى في حكايات أخرى "بغنجة". هذا إلى جانب حكاية "إلياس" و" وأملن " حكايات تتداول بمنطقة الأهفار "تمنراست" تروي مغامرة الأخوين في البحث عن الكلاب واصطدامهما بجبل " أدريان " الذي شقه " إلياس" بسيفه من أجل الوصول إلى مركز الكلاب، وما زال الجبل قائما تحكى حوله الأساطير المختلفة بين أبناء المنطقة.

تحفل الحكايات الشعبية بالعديد من العناصر الخرافية كالسحر والتحول والمسح والكثير من القدرات الخارقة في التغيير وتحقيق المعجزات مثلما ترويه لنا حكاية " بقرة " اليتامى " حيث مسخ فيها الطفل إلى غزال، هذا إلى جانب بعض الأدوات السحرية التي تساعد البطل على التغلب على العقبات ومساعدة الآخرين مثل حكاية "جَازِيَة"<sup>2</sup> التي تم اختطافها من ساحر يهودي وأعادها إلى مخيم "دياب بني غانم" بعد انتصاره على الساحر.

والراجع هنا أن الحكايات الخارقة والعجيبة والممارسات السحرية تؤدي وظيفة محددة هي التحول والتغيير لتحقيق رغبات الإنسان الشعبي، ففكرة التحول والمسح تواجدت بكثرة داخل الحكايات السحرية التي كان البطل فيها يتحول إلى كلب أو تتحول فيها المرأة إلى بغلة...مثلا. ولذلك يتحتم علينا أن نقر بأن وجود تلك الظواهر غير الطبيعية لدليل

<sup>1</sup>: عبد الرحمان بوزيدة : قاموس الأساطير الجزائرية، ص 54

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص 84

على أسطورية الحكاية وما تحمله من معتقدات كالأرواح الخيرة والشريرة والقوى الغيبية التي تحقق المعجزات وترمز إلى القوة..

كما سار هذا الاعتقاد كثيرا في حكايات الأولياء التي تداولها الحكيم الشعبي بحيث حملت آثارا جلية للحلم والرؤى والتنبؤات التي أثرت في نفسية الإنسان منذ القديم إلى يومنا هذا، فما إن أصابتهم معضلة إلا وذهبوا للأولياء والأضرحة من أجل تفسير أحلامهم ليضعوا حدًا لآلامهم وخلصًا لمشكلاتهم. والملاحظ أن جَل القبائل تنسب لولي صالح يتصل نسبه بالنبي (ص)، فكلمها وصل أجدادها المؤسسّون إلى منطقة إقامتهم الحالية قادمين من المشرق مرورًا بالساقية الحمراء<sup>1</sup>.

ومن الواضح أن كل ذلك ناتج عن "ذاكرة جماعية لا تغير واقعها ولكن تهرب إلى عالم الأولياء والبركة لتتنصر على الفقر والجوع والظلم، والخوف من قوة الطبيعة التي تهددها دائما. كما أن هذه الإجابات لا تختلف عما نجده في الأساطير القديمة وفي سيرة الأنبياء. فالكرامة محاكاة للأسطورة والمعجزة، والولي نموذج لنمط الساحر والنبى والتجاوز الأليف بين الواقع والعالم الخارق.... وربطها بالأحلام والرموز"<sup>2</sup> وهذا ما نلاحظه في الحكايات الجزائرية كحكاية "سيدي موسى بوقبرين"، حكاية "النخلة المباركة" "سيدي عبد القادر الجيلاني"، "البودالي" "حكاية سبعة رجال".....<sup>3</sup>.

يتمتع أبطال هته الحكايات بقدرات خيالية وخارقة للواقع، كما هو الحال أيضا لقبورهم التي تمثل مكانا مقدسا يلجأ إليه الزوار، قناعة منهم بقدراته العجيبة وأثرها القوي عليهم، كحكاية "الولي بوقبرين" و"سبعة رجال" والذين تتضارب حولهم الروايات من منطقة لأخرى ويحضون من الاحترام والتقدير ما يجعلهم في مرتبة القداسة. ففي حكاية "مجمع

<sup>1</sup>: خالد محمد: القداسة والأسطورة في التجربة الطرقية الإسلامية بمنطقة شمال شرق الصحراء، مجلة الجزائري وأسطوره، المخيال الاجتماعي وآليات التماهي، العدد الأول، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، 2003، ص 79

<sup>2</sup>: ميلود حكيم : الكرامة الصوفية مقارنة أنثروبولوجية لمدونة ابن مريم:(البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان)،مجلة القصص والتاريخ، التمثيل الرمزي لحقب من التاريخ الاجتماعي الجزائري،العدد الثاني، أعمال المركز للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان،الجزائر، 2005، ص46

<sup>3</sup>: عبد الرحمان بوزيدة : قاموس الأساطير الجزائرية، ص67،74،78،26

الصالحين<sup>1</sup> يعتقد أهل منطقة بشار من خلال حكاياتهم أن هناك مقبرة عتيقة بها شجرة "الطلح" تعطي ثمارا غليظة يزورها الأولياء الصالحون الأموات منهم والأحياء لتتألمهم بركتهم. ويلاحظ أن أهل المنطقة يقدسون تلك الشجرة "بمجمع الصالحين" ويقام لها ما يسمونه "موسم"، أين تذبج القرابين وتعرض بعض الطقوس، التي تعود إلى زمن الأساطير خاصة في تقديس النبات، الذي كان يعد رمزا لكل "قبيلة" يؤمنون به ويقدمونه، ولعل هذا ما يبرر في الحكاية الشعبية أهمية الأعشاب في الشفاء من الأمراض والنجاة من الموت.

أما "الملحمة تكسب" العشب الشافية" بعدا أسطوريا وسحريا وهذا عندما سحرت "سيرسة" رفاق "أوديس" خنازير، عندما جاء هذا الأخير لمجابهتها، فأعطاه "هرمس" عشب سوداء الجذر بيضاء الزهر في لون الحليب....وفي السيرة الشعبية يصاب الملك سيف بجروح بليغة ويقع أرضا بين الحياة والموت، وفجأة تحط على الشجرة طائران، وقال الأول للثاني: "اعلم يا أخي أن ورق هذه الشجرة إذا أخذ الإنسان منه ومضغه بأسنانه فإنه يصير مثل العجين فيضعه على الجرح فإنه يقطب من وقته وساعته...."<sup>2</sup>.

"ويلاحظ أن كثيرا من أضرحة الأولياء في كثير من بلاد العالم الإسلامي تحتوي على بعض الأشجار المقدسة التي تحظى بمكانة خاصة"<sup>3</sup> ومن أهم هذه الأشجار التي اكتسبت صفة التقديس في الجزائر "النخلة" كحكاية: "النخلة المباركة"<sup>4</sup> التي يتبركون بها بإقامة بعض الطقوس كالبخور والذبائح وإقامة الولائم بالولي الصالح وفي طريقهم يعلقون خيطا أو ألبسة على الشجرة في اعتقادهم أنها تحقق لهم الأمنيات. وعلى ضوء ذلك نلاحظ أن الاعتقاد والإيمان بالله لم يكن إلا بواسطة تلك الأشجار والكائنات.

من خلال تتبعنا لحكايات الأولياء السائدة في المجتمع الجزائري لاحظنا عدم اقتصارها على الذكور وإنما هناك طائفة كثيرة للأولياء الإناث مثل "لالا تركية"، "لالا غالية"، "لالا ستي" "لالا عائشة"، اللواتي لا تقل أدوارهن عن أدوار الأولياء الذكور في

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 33

<sup>2</sup>: طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 212

<sup>3</sup>: محمد الجوهري: علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، ص 71

<sup>4</sup>: المرجع نفسه: ص 67

المخيلة الشعبية، فهن يتصفن بصفات عديدة كتحقيق المعجزات ومخاطبة الموتى والحيوانات، والتنبؤات بالغيب، والشفاء من الأمراض...<sup>1</sup>.

وقد لاحظنا تشابها بين الحكايات المغاربية التي تحكي عن كرامات الأولياء ومناقب رجال الدين مثل حكاية "الشيخ البودالي"، "عبد القادر الجيلاني"، "سبعة رجال"... وهذا الصنف من الحكايات له الأثر البالغ في نفسية الأوساط الشعبية المغاربية رغم تحديها منطق الطبيعة. إلا أن إسناد شخصيات مقدسة لها أضفى عليها طابع الاحترام والتقديس "وتلك التأكيدات تجعل الخرافة في منزلة المعتقد الذي يسرى في الأوساط الشعبية بسرعة عجيبة، أو بمنزلة العقيدة التي لا تقبل الجدل"<sup>2</sup>.

## 2. حكاية الحيوان:

تشكل الكائنات الحيوانية جزءا هاما داخل الحكاية الشعبية لما لها من روابط وثيقة بينها وبين الإنسان منذ القديم، فالإنسان البدائي كان يعيش مع الحيوانات جنبا إلى جنب "في اعتقاده أنها عرضة لتأثير القوى الخفية وأن لها عواطف وإدراكا ويقال إن عادة معاشره الفلاح للحيوان قديمة للغاية، "فمصر كانت إحدى المناطق الأولى التي استأنس فيها الإنسان بالحيوان وسخره في الزراعة. يقول هيرودت عن تلك العادة أيام الفراعنة: "يقضي الناس الآخرون حياتهم في معزل عن الحاشية وأمّا المصريون فتسكانهم دوابهم"<sup>3</sup>. ولهذا السبب أطلق الإنسان الشعبي العنان لإبداعاته التي صورت لنا مغامرات خيالية لحيوانات مختلفة وحشية كانت أو أليفة، تتقاسم معه الحياة في تصرفاته وأفعاله، ولعل هذا جاء نتيجة تواصل بقايا اعتقاد علاقة الإنسان بالحيوان، تلك العلاقة التي عرفت العصور القديمة بعلاقة النسب أو "الطوطمية" التي يعتبر فيها الحيوان جدّ القبيلة يعبدونه ويقدسونه لقوته الخارقة التي حرم منها الإنسان في اعتقادهم. ويشير "لفي ستروس بأن الحيوان والنبات يمدّان الإنسان بطعامه، كما أن الحيوانات والطيور والنباتات في بعض الحالات تبدو أكثر

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 47

<sup>2</sup>: ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 164

<sup>3</sup>: أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 309

قوة من الإنسان، فالحيوانات قوية والطيور - "على رأسه ريشة" - تطير محلقة في السماء، والسماك والحيوانات البحرية تعوم في أعماق البحار والمحيطات<sup>1</sup>.

حافل التاريخ العربي بآثار الطوطمية كقبيلة بني كليب وبني أسد وهدهد سليمان.... الخ من الحيوانات التي ظلت راسخة في الذاكرة الشعبية. ولعل هذا ما جعل الباحثين يذهبون إلى أن "الحكايات الشعبية وحكايات الحيوان بالتحديد هي بداية الأساطير وأنها أكثر قدما وبدائية منها، إذ أنها كانت وعاء لشرح وتقديم الأفكار والمعتقدات، أي أن أكثر هذه المعتقدات كان يتجسد في شكل حيوانات وطيور. فالإله "زيوس" كان نسرا، والإله "ألينا" كان بومة وهيرا كانت بقرة...."<sup>2</sup>. وعلى ضوء هذه التفسيرات الأسطورية تطورت الأفكار ووصلت إلى الأجيال فانتشرت في الأوساط الشعبية على شكل حكايات للحيوان تسرد وكأنها شخصيات حقيقة تفرق بين الشر والخير.

لم يخل قصصنا الشعبي العربي من ذكر حكايات تتحدث بلسان الحيوان أهمها حكايات الجاحظ والدميري، حكايات السير والملاحم خاصة سيرة الزير السالم والسيرة الهلالية.... ومن أهم تلك الحيوانات، الضبع، كليب، اليمامة، الحمامة، الغراب، الذباب النمل.... أما القصص الشعبي الجزائري لعب فيه الحيوان أيضا دورا بارزا بحيث يقوم بنفس أدوار الإنسان في الحياة من معاملات وصراعات وعادات....، وتصوير هذه الأدوار غالبا ما يكون مبالغا فيها لأجل تحقيق قيم وأهداف تربوية بطريقة غير مباشرة لأن الحيوان هنا غير مقصود لذاته وإنما رمز لسلوك ما.

فالحكاية الحيوانية المشهورة في المغرب العربي باختلاف تسميتها "الشاه والضبع" أو "المعزة صنابية لي فزونها ذهبيّة" أو "عزة ومعزورة"، تجمع بين الخرافة والحيوان من جهة ومن جهة أخرى بين الوعظ والمرح والهزل. "تروي الحكاية أن هناك شاه جميلة بمائة قرن لها أربع بنات أو عنزات: "عزة ومعزورة وداقة وأمدقيق" أوصت الأبناء ألا يفتحوا الباب لأحد، إلا أنهم خالفوا وأمرها وفتحوا الباب بعدما انتحل الضبع شخصية أمهم وخدع

<sup>1</sup>: عبد الحكيم شوقي: دراسات في التراث الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص 12.

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص 263

أطفالها والتهمهم، فخرجت كالمجنونة تبحث عنهم وتدوس كل من تجده أمامها إلى أن وجدت الضبع فمزقت بطنه بقرونها لتخرج أبنائها سالمين.

اتسمت حكاية "عزة ومَعزُوزة" بروح الخرافة والخيال الواسع للإنسان الشعبي تحمل في مضامينها أهدافا معينة تكمن في عدم الائتمان للعدو مهما اقتضى الأمر. فالحكاية تحاول إبلاغ حكمة أو نصيحة، والملاحظ أن كل الحيوانات واردة في حكايتنا الشعبية وليست غريبة عن بيئته ذات صلة بالإنسان أهمها: البقرة "بَقْرَةُ اليَتَامَى" العنزة "عزة ومَعزُوزة"، "مَلُوكَة والثَعْبَانُ" الثعبان "الحية"، "الغزالة" قرن الغزال، "الحرباء" "البغلة" "الخروف"، "الأسد"، "الذئب"، "الغراب"، "القرد"، "الناقة"، "الكلب".....

استفادت الحكاية الجزائرية من هذا النوع الحكائي في نقد سلبيات المجتمع وتعزيز إيجابياته، وفي تعلم الأخلاق والحكمة ونشر الفضيلة بين الناس لتحافظ على التوازن الاجتماعي بطريقة مسلية، فيها من الخيال ما يجعلها في مرتبة الخرافة.

ولما كانت الحيوانات تحتل مكانة خاصة في المخيال الشعبي فقد ظلت قريحة الإنسان الشعبي تبدع حكايات تدور بين حيوان وآخر أو بين الحيوان والإنسان، مراعية بذلك خصوصيات تمتاز بها طباع الحيوانات كالأسد الذي يرمز إلى القوة أو الحاكم المستبد، والثعلب الذي يمتاز بالخداع والمكر، والحمامة التي ترمز إلى الصبر والعفة والاحترام وغير ذلك بحيث يقول "ستيث طومسون": "إن الملاحظ في بعض الأحيان أن التراث الشعبي شديد الحرص في اختياره للحيوانات، لكي يجعل الأفعال الإنسانية مناسبة بقدر الإمكان"<sup>1</sup>.

عموما القص الشعبي الجزائري مثله مثل باقي المأثورات العالمية والعربية يحتل فيه الحيوان مكانة هامة لما يحمله من دلالات عميقة اعتقادية طوطمية كما سبق وأن ذكرت، ولو أن هناك من "حذروا من الإرجاع إليها" الطوطمية" خاصة في منطقتنا المغربية، فقد تساءل بعض الدارسين عما إذا كانت الطوطمية قد وجدت في المنطقة، واعترف أحدهم بأن مسألة الطوطمية لم تحل بعد"<sup>2</sup>، والراجح هنا أننا لايمكن أن نلغي

<sup>1</sup>: مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي، ص 61

<sup>2</sup>: ألفريد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، 1981، ص 55

وحدة هذا التراث الشعبي العالمي الذي تجتمع فيه بقايا تفكير الانسان البدائي ويتوحد فيه الوعي الجماعي "فالبلاد المغاربية عرفت مثل هذا النوع من العلاقات الميتافيزيقية الغامضة بين الإنسان والحيوان في الأزمنة الغابرة"<sup>1</sup>.

وقد تشير بعض الحكايات الشعبية إلى وجود العديد من المعتقدات التي مازالت شظاياها شاهدة على التفكير البدائي الذي استعمله الإنسان في تفسير بعض الظواهر الطبيعية وتفكيك رموزها، وهذا أقرب إلى الأسطورة التي تحيل أصول ظهور الحيوانات البرية المتوحشة كلها إلى الثور الوحشي buffle (والذي كان دون شك وراء نشأة عقيدة عبادة الثور وتقديسه في شمال إفريقيا، كما دلّت على ذلك الحفريات الكثيرة في عدة مناطق)<sup>2</sup>، " فالبقرة ذات شأن في سائر الأساطير العالمية فهي في الأساطير المصرية القديمة أم الآلهة جميعا"<sup>3</sup>.

وإذا تمعنا في معظم حيوانات الحكاية نجد أن هناك نوعين من الحيوانات، حيوانات مسيطرة وحيوانات مساعدة، أو الأليفة مثل "الأرنب" في حكاية "عشبة خَصَارُ الفتاة التي وجدت نفسها مربوطة في جذع شجرة وحيدة تستغيث ولا أحد يجيب ..... فمر بها الذئب ولم يبال، ثم الغراب.... ولم يساعدها، إلى أن أتت الأرنب وعجلت بمساعدتها وأخذت تفك رباطها وتقول « بِشْفِيرَاتِي .... بِظْفِيرَاتِي ..... نَسَلْكَ بِنْتُ النَّاسِ وَنُدِيرُ خُرَاصُ »<sup>4</sup>.

أما الحيوانات المسيطرة نجدها في الحيوانات المتوحشة "كالشعبان" و"الأسد" و"الذئب" او "ابن آوى" هذا الأخير الذي "يعتبر حقا بطل الخرافات القبائلية والأمازيغية على العموم"<sup>5</sup>. ونشير هنا إلى أهمية حكايات الذئب في الحكاية الشعبية وما أوله له الدارسون للحكاية الشعبية من اهتمام، فقد جمع له العديد من الحكايات، ويذكر أن ابن آوى يجمع في شخصيته بين الذئب والثعلب المعروف في الحكايات الأوروبية<sup>6</sup>، وأهم هذه المدونات

<sup>1</sup>: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص 112

<sup>2</sup>:المرجع نفسه، ص 128

<sup>3</sup>:مصطفى صمودي : من جلماش .. إلى نيتشه، ص 39

<sup>4</sup> : عبد الرحمان بوزيدة : قاموس الأساطير الجزائرية، ص 163

<sup>5</sup>: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة انثروبولوجية، ص125

<sup>6</sup> E-Laoust : contes berbères du Maroc : Edition LAROSE : 1.2T Paris v, 1949, P12

هي مدونة: "LES CONTES KABYLES:LEO- FROBENIUS" ومدونة CONTES LAOUST BERBERES DU MAROC مابين 1906-1931<sup>1</sup>. وأهم هذه الحكايات "الذئب والقنفذ" المشهورة التي تدل على قوة التحايل مع جميع الحيوانات ومع الإنسان أحيانا وذلك من أجل إشباع غرائزه دون أن يفكر في عواقبها، بعدما استسلم إلى الأكل داخل الحقل إلى أن انتفخ بطنه ولم يستطع الخروج، عكس القنفذ الذي كان كل مرة يقيس بطنه إن كان بإمكانه الخروج، ولم ينجح الذئب في ذلك إلا بعد ما استعمل حيلة من حيله الناجحة. وفي حكاية "المعزة والذئب" التي حاول فيها الذئب التهام أبناء المعزة من فوق الشجرة وهو يهددها «نَلَوِي حَلَاطِي فِي زَلَاطِي وَنُطِيحُ شَجْرَةَ وَنَأْكُلُكَ».

كما نجد في حكاية "هداري"<sup>2</sup> التي اختلطت بين الحقيقة والخيال وهي من عمق الثقافة التندوفية، حكاية الطفل الرضيع الذي اختفى في جوف العاصفة عن أنظار أسرته لترمي به الأقدار إلى مجتمع حيواني أين تبنته "النعام" قبل أن تكتشفه عائلته ليعود إلى المجتمع البشري بصفات قلما نجدها في غيره، وهي صفات نبيلة من جهة وأخرى خارقة للعادة، ليصبح ولياً من أولياء الله الصالحين يتبرك به. فالمجتمع الحيواني جعل من الطفل "هداري" إنسانا ذا قوة خارقة اكتسبها من حيوانات الغابة التي ترمز إلى القوة.

ظلت الاعتقادات الأسطورية راسخة في المخيلة الشعبية التي ترمز إلى قوة وسيطرة الحيوان، والكائنات الحية مثل: الحية أو الثعبان أو الطامة أو الحنش أو الأفعى... فالثعبان في الميتولوجيا العالمية هو القوة الخارقة، حيث يرجع هذا الاعتقاد إلى قدماء الطومبيين يعبدون العجل والثعبان لاعتقادهم بأن لهما قوة إلهية<sup>3</sup>. وظل الصراع بين الثعبان والإنسان في الأساطير العالمية قائما بحيث "تخبرنا .. عن صراع (مزدوج للحية لايو) و(زيوس صارع الحية طيفون) و(أبولو صارع الحية بيثون) ..."<sup>4</sup>.

والجدير بالذكر أن المرأة ترتبط بالحية ارتباطا وثيقا في العديد من الحكايات الشعبية وهذا راجع إلى الاعتقادات ذات المرجعية الأسطورية التي "تربط بين المرأة والأفعى

<sup>1</sup>: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة انثروبولوجية، ص 126 - 127

<sup>2</sup>: عبد الرحمان بوزيدة : قاموس الأساطير الجزائرية، ص 60

<sup>3</sup>: مصطفى صمودي : من جلجماش .. إلى نيتشه، ص 37

<sup>4</sup>: المرجع نفسه: ص، 39

معتقدين أن المرأة في أصلها كانت أفعى والأفعى كانت امرأة<sup>1</sup>. كما ربطوا الأفعى بالخلود والشفاء، ما تذكره لنا الأساطير القديمة، فاسم الحيّة مشتق من الحياة "كما يوضح ذلك رينيه غينون" الذي يضيف في إطار تأويله الباطني، أن صفة "الحيّ" التي هي من أسماء الله الحسنی ينبغي أن تفسر على أنه "المحييّ" الذي يمنح الحياة لكونه مبدأ الحياة<sup>2</sup>، ولهذا نجد "رمز الحيّة الملتفة يدل على الطب بعامة" وهي التي علمت "اسكليبيوس" إله الطب أسرار النباتات والأعشاب وخصائصها في الأساطير القديمة<sup>3</sup>.

ففي حكاية "مُلوكَة والثعبان" نجد أن المرأة تحمل من بيض الثعبان الذي تضعه الزوجة لأخت زوجها في الأكل، فيصر أخوتها على قتلها حتى لاتجلب لهم العار، إلا أن زوجة الأخ الأصغر تبلغ عن المؤامرة التي دبرت لها، فيقوموا أخوتها بإخراج الثعبان من بطنها ويقتلوه إلا أنهم يتفاجئوا بعودة الحياة له ثانية. وهذا ما يفسر ما أكده "مؤرخي الأديان والأناسيين ورواة الأساطير الذين يلحون على الترابط بين المرأة والخصوبة والثعبان، في تقاليد الشعوب ومعتقداتها"<sup>4</sup>.

### 3. حكايات الواقع الاجتماعي:

تشمل الحكاية الشعبية الواقعية موضوعات من الواقع الاجتماعي والنفسي الذي يعيشه الشعب معتمدة في ذلك الحقيقة في الأحداث والواقعية للأشخاص وغالبا ما يكون أبطالها واقعيين، يُحسُّ المستمع بمعاناتهم وآلامهم. ويلاحظ أن هذه النصوص هي حكايات اجتماعية، أخلاقية وتاريخية، هزلية ومرحة تحثه على الصبر والمقاومة والتحلي بالأخلاق الكريمة من جهة ومن جهة ثانية تبعث على التخفيف من المتاعب النفسية للإنسان، ومن أهم الحكايات الجزائرية الشعبية التي تحمل واقعا تاريخيا وبطوليا حكاية "بُوزِيَانُ القَلْعِي" الشهيرة في الجنوب الغربي والتي تحكى عن بطولاته وأحداثه.

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 37

<sup>2</sup>: أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، 2006، ص267

<sup>3</sup>: مصطفى صمودي : من جلجماش .. إلى نيتشه، ص 36

<sup>4</sup>: أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، ص277

ومن الواضح أن الحكايات الشعبية الشفهية المروية بين الناس تلم ببعض آثار التراث العربي القديم خاصة كتاب " ألف ليلة وليلة " الذي شكّلت بعض عناصره الأدبية والعجائبية مادة حيّة لنصوص الحكاية كحكاية الشاطر حسن وكذلك "السيرة الهلالية" مثل حكاية "جَازِيَة ودياب"، حكاية "جبل عنتر" وحكاية "جا" و"مفيدش".....

في الحقيقة لم نعثر على الكثير من الحكايات الشعبية الخالصة تماما من العناصر الخيالية والخرافية والعجائبية التي تبقى الغاية من استخدامها هي تحقيق الرغبات والوصول بالبطل إلى حلول لمشاكله.

وعليه مهما تفرعت الحكاية إلى أشكال وأنواع، فإنها تبقى منحدره من كيان الوحدة الشعبية تعكس طبيعة الإنسان وصراعاته مع الزمن وتحمل في ثناياها آثار التراث العالمي كالأسطورة والتراث العربي كالسير والملاحم. فالحكاية الشعبية إذن تؤسس مشروعية خطابها على مستويين<sup>1</sup>: مستوى الواقع والحقيقة: زمن وأشخاص حقيقيون ومستوى الرمز والأسطورة: قدرة على التحويل والتأثير(السحر..القوى الطبيعية)، وعلى ضوء هذين المستويين للحكاية الشعبية نستطيع أن نذكر بأن الحكاية الشعبية عموما تشمل الواقع الشعبي بما تحتويه من مأس في قالب خيالي يجمعه الجدّ والهزل والمرح والمتعة. ولذلك رغم محاولتنا لتصنيف الحكاية الشعبية وجدنا أنفسنا عاجزين أمام ذلك التداخل بين مضامينها التي تتصل بعمق بالمعارف الشعبية والمعتقدات الأسطورية التي أكدت أبعادا حضارية قديمة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا يمكن أن نضع حدود واضحة تفصل بين الأشكال الحكائية، ولكن يمكن أن نذكر هيمنة شكل من الأشكال خاصة منها حكاية الحيوان أوالخرافة ولهذا نتساءل: أليست حكاية الحيوان حكاية خرافية؟ أولا تتضمن الحكاية الخرافية بعض الحيوانات؟ هل حكاية الحيوان التي تعود أصولها الإعتقادية إلى بقايا النزعة الطوطمية هي حكاية أسطورية؟ وهل حكايات الحيوان أسبق من الأسطورة؟.

رغم أسطورية الحكاية وخرافتها إلا أنها لم ينظر إليها يوما على أنها أمور خرافية ولا تعجبية إلا حديثا، فقد كان الرواة والمستمعون على السواء يؤمنون بكل ما يرد فيها إذن

<sup>1</sup>: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص 100

يرجح أن تكون هذه الحكايات من نتاج العصور القديمة التي سادت فيها النظرات الإحيائية والطوطمية، وآمن الناس فيها إيماناً عميقاً بقدرة السحرة والجان الخارقة، وإمكان مسخ الناس و"سحرم" وتبديل صورهم"<sup>1</sup>. فحكايات الجن والأساطير هي أيضاً حكايات واقعية بما أنهم كانوا يؤمنون بها يوماً. ولهذا السبب أو ذلك فإن "جميع المحاولات التي بذلت لتحديد هذه الأنواع لم توفق في اكتساب رضى جميع الباحثين، بل نجد انتقادات تطال كل هذه المحاولات معبرة عن عدم دقتها"<sup>2</sup>.

ففي الواقع لم تكن سمة التداخل بارزة في الحكاية الشعبية إلا لتؤكد لنا أن الحكاية وليدة مجموعة من تراكمات وترسبات القصص الشعبي العالمي والعربي الذي تداولته الذاكرة الجماعية عبر الأزمنة والأمكنة والتي لا يمكننا فصلها "فأصبحنا نملك نماذج تجمع بين ملامح الأسطورة ولامح الحكاية الخرافية في وقت واحد"<sup>3</sup>، تلك النماذج التي تشترك في الأحداث والأفكار والأشخاص المستمدة - كما ذكرت - أحياناً من الأساطير وأحياناً أخرى من الواقع.

ولعل عدم توفيق الدارسين في تصنيف الحكاية أيضاً لأنهم "يقيسونها بمقياس آداب الفصحيات وبالتالي يعيبون ذلك التداخل، لأن ميزانهم قائم على وجود نظام الأقسام في المجتمع الحديث وفي أدب الفصحى الحديث"<sup>4</sup>. فالأدب الفصيح أو الرسمي أدب تطبعه سمات الفردية أي يعبر عن فكرة وموقف فرد واحد قد يختلف مع مجموعة من الأفراد، عكس الأدب الشعبي الذي يحمل فكرة جماعية فيصبح ضميرها الحي ووجدانها المعبر عن تجربتها وموروثاتها وآمالها وآلامها... " فهو إذن يمثل تراث أمة بأكملها يصعب علينا تقسيمه واختزل مواقفه وتجاربه في حكاية أصبحت ملكاً للشعب تحمل نفس القضايا التي شغلت بال الإنسان منذ القديم. وتشابه الحكايات في العالم دليل على ذلك حيث أكدت ذلك "المدرسة الأنثروبولوجية التي جعلت الحكاية قديمة جداً لدى الشعوب

<sup>1</sup>: طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 127

<sup>2</sup>: المرجع نفسه : ص 126

<sup>3</sup>: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 167

<sup>4</sup>: صالح رشدي: الأدب الشعبي، ص 31

البدائية"<sup>1</sup>، واستدلّت بالكثير من الموضوعات المتشابهة داخل الحكاية في جميع أنحاء العالم: كالمراة الحقود، وزوجة الأب الشريرة.....

ونشير أخيرا أنه لم يكن في نظرنا إذن هذا التداخل عيبا بل دلالة على ميزة الحكاية الشعبية التي تتمثل في وحدة النفس البشرية وشموليتها، كما أنه ليس بلازم في رأينا ولا هو ممكن أن ننجح في تقسيم الحكاية الشعبية حتى ولو حاولنا بعدما توصلنا إليه من حقيقة التداخل، ولكن لا يعني ذلك ألا نعطي رأينا في التقسيمات الواردة في بعض الدراسات وأهمها دراسة عبد الحميد بورايو التي رأينا أنها أقرب إلى تقسيم يخدم الحكاية الشعبية التي تستمد مادتها من الواقع الممزوج بالخيال ما يضيف عليها فنيات جمالية ويرجع ليؤكد أن نصوص الحكاية بالرغم من تفرعها إلى حكايات الحيوان والحكايات الاجتماعية والحكايات الهزلية والحكايات الأخلاقية وحكايات الأغاز...، فإنها في حقيقة الأمر تفرعات انحدرت من شكل حكائي واحد وهو الحكاية الشعبية<sup>2</sup>.

فالحكاية الشعبية بفروعها وأشكالها تبحث عن إجابات ظلت عالقة بفكر الإنسان الشعبي مثل: الخير والشر، الحزن والسعادة، الألم والأمل...، كما تهدف إلى إبراز مواقف الغاية منها التغيير والمواجهة، فهي إذن تعكس صورة الواقع الاجتماعي أو بصورة عامة كل ما يتعلق بالواقع الاجتماعي والنفسي والسياسي والاقتصادي.

ونخلص في الأخير أن الحكاية الشعبية تعد جنسا من أجناس التعبير الشعبي الشفهي ولعلها أكثر حضورا وبقاء من الأجناس القصصية الأخرى، وقد ذهب الإنسان إلى روايتها منذ القديم بحيث بالغ في سبيل إرضاء مستمعيه ورغم تلك المبالغة في السرد إلا أن جموع الناس أكسبته قيمة واحتراما، فأصبح صوت الشعب المدوي، يقدم من خلال ما يرويه مجموعة من المعارف والتقاليد والمعتقدات الشعبية.

ولما للحكاية من أهمية بالغة بين الشعوب وُلّيت باهتمام الباحثين والدارسين باعتبارها أيضا أقدم الفنون الشعبية على وجه الأرض وأكثرها ترحالا وأشدّها بقاءً، الأمر الذي أدّى الى ظهور دراسات مختلفة كان أهمها إشكالية التصنيف لتختلف المفاهيم وتتعدد

<sup>1</sup>: يوري سوكلوف : الفولكلور، قضايا وتاريخه، ص 105

<sup>2</sup>: عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 118

المواضيع. فالحكاية الشعبية إذن هي اختزال للقصاص الشعبي العالمي والعربي، تتأثر بطبيعة وخصوصية كل مجتمع تتواجد فيه، محملة بتجارب وحكم الأجيال، ومن هنا نؤكد قدرتها على تصوير الأحداث والمغامرات، الواقعية منها والخيالية بشخصيات بشرية أو غير بشرية، الغرض منها الوعظ والتعليم من جهة والتسلية والإمتاع من جهة أخرى.

## الباب الثاني

# السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية

مقدمة: مفهوم السلوك ومكوناته ومظاهره

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية

1. الزواج

2. العلاقات الأسرية

3. نظام القرابة

الفصل الثاني: الدينامية الاجتماعية والاقتصادية

1. الحياة الاجتماعية

2. التحولات الاجتماعية

3. علاقة الإنتاج وخصائصها

الفصل الثالث: المضامين السياسية

1. السلطة الاجتماعية

2. السلطة السياسية

3. التراتب الاجتماعي

## مقدمة: مفهوم السلوك ومكوناته ومظاهره

منذ أن خلق الإنسان وهو يعنى نظره وفكره في وجوده، وفهمه للكون والطبيعة المحيطة به، محاولا الإجابة عن أسرارها، وتفسير أحداثها، ولذلك واجهته العديد من الأفكار في تفسير تلك الظواهر والأحداث. ولعل أهم هذه الظواهر ما تعلق بالجوانب الاجتماعية التي عمل الإنسان على تطوير معرفته بها، لتتعاظم جهود الدارسين والباحثين في تحليل تلك الظواهر.

عموما فإن تاريخ الفكر الاجتماعي حافل بمحطات مملوءة بالمسيرات التي كانت بدايتها الأفكار التأملية والفلسفية والأساطير التي اهتمت بطبيعة الإنسان وما يحمله من خصائص وتسمى هذه المرحلة بمرحلة الفلسفة الاجتماعية وهي نواة الدراسات الاجتماعية والإنسانية التي طرحت العديد من القضايا والكثير من التساؤلات والعديد من الأفكار ثم ما لبثت هذه المعرفة الفلسفية أن تطورت وأصبحت الأساس الذي بني عليه " علم الاجتماع" وبعدها ظهرت مرحلة الامبريقية الاجتماعية والتي اعتمدت على التركيز على تطور الإنسان وخصائصه وظلت زمنا طويلا تقتصر على الدراسات الوصفية والإحصائية لحياة الشعوب.

وانطلاقا من تأثير تلك الدراسات الفلسفية والوصفية لظواهر الإنسان الاجتماعية تم الخوض في مسارات التحليل إلى ما وراء الوصف السطحي والتأمل الفلسفي لينتهي بهم المقام إلى التحليل الاجتماعي والذي يعدّ مظهرا من مظاهر العلوم السلوكية هذا المصطلح الحديث الذي ظهر في القرن العشرين "ويشمل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية وإلى حد ما علم السياسة والاقتصاد"<sup>1</sup>.

أ: تعريفه :

اجتمعت المعاجم العربية على تعريفات وشروحات متقاربة لمصطلحي "السلوك" و"المجتمع"، ففي لسان العرب تعني كلمة سلك: السلوك، مصدر سلك طريقا وسلك المكان

<sup>1</sup>:سعد جلال : علم النفس الاجتماعي، الاتجاهات التطبيقية المعاصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية

بسلوكه وسلوكا وسلوكه غيره وفيه واسلكه إياه وفيه : يقول الله تعالى "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه بينابيع في الأرض" أي أدخله بينابيع في الأرض، كما يقول سلكت الخيط في المخيط أي أدخلته فيه"<sup>1</sup> أما مصطلح اجتمع : جمع الشيء واستجمع : مكان الاجتماع، ويطلق مجازا على جماعة من الناس خاضعين لقوانين ونظم عامة"<sup>2</sup>.

فالسلك الاجتماعي هو تلك الأحداث والأفعال التي تجرى في حياة الإنسان وما يقوم به من أعمال وأنشطة مع مجموعة من الأفراد حيث يتفاعلون مع بعضهم البعض في إطار نظم عامة، وينقسم إلى قسمين:

سلوك ظاهري: ما يعبر به الفرد باللفظ أو الحركة، أما السلوك الداخلي وهو ما يشعر به الإنسان كالتفكير والتخيل ولا يمكن ملاحظته. ووفق تلك التصرفات الظاهرية والعمليات العقلية يصدر ما يسمى بالسلوك الاجتماعي، هذا السلوك الذي يعكس سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال فلان حسن السلوك أو سيئ السلوك، وفي علم النفس هو الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حيّ إزاء أي موقف يواجهه"<sup>3</sup>.

عموما هو كل تصرف يبديه الإنسان ظاهريا أو باطنيا، تحدّد به مواقفه واتجاهاته السلبية والإيجابية. ويعتبر السلوك الإيجابي تلك النظرة الإيجابية بين أفراد المجتمع ميزته تفضيل المصلحة العامة على الخاصة أو تطبيق كلّ ما هو متعارف عليه. أما السلوك السلبي هو كلّ التصرفات التي تخرج عن الأنظمة المتفق عليها في المجتمع كالقوانين والمبادئ والأديان والأعراف التي تضبطها المنظومة الاجتماعية.

ومما لا شك فيه أن السلوك الاجتماعي يبقى من أهمّ السلوكات الإنسانية فهو يعدّ أكثر قدما من الثقافة، إذ تمتد ظاهرة "المجتمع" إلى أزمنة عظيمة في القدم في تاريخ الحياة على الأرض أما "الثقافة" فهي ترتبط بظهور الإنسان على وجه الأرض"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>: ابن منظور : لسان العرب، حرف السين، الجزء العاشر، ص442

<sup>2</sup>: المنجد في اللغة والإعلام: دار المشرق، لبنان، الطبعة الثانية والعشرون، 1986، ص101

<sup>3</sup>: معجم الوسيط: الجزء الثاني

<sup>4</sup>: عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثقافية، ص24

فالظاهرة الاجتماعية لما تحمله من عراقة تاريخية يجعلها ذات أهمية بالغة لاستمرار المنظومة الاجتماعية وتأسيس هيئة اجتماعية ذات ضوابط وأنظمة تساعد على بعث التوازن والاستقرار داخل المجتمع وعليه جاء الاهتمام من أغلب الباحثين بمختلف تخصصاتهم "بتحليل البناء الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية ... تتميز بالدراسة المركزة لنظام اجتماعي وتوضيح الترابط والتأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية"<sup>1</sup>.

### ب: عناصره:

وإذا حاولنا أن نحدّد العناصر الأساسية التي تشمل السلوك الاجتماعي فإننا نجد أنها تحتوي على ثلاثة عناصر هامة:

أولاً: شخصية الأفراد وما يصدر عنهم من مواقف تحدّد شخصيتهم من خلال ما يؤثر فيهم من ميولات وعوامل بيولوجية وثقافية واجتماعية، فتأثير هذه العوامل في شخصية الفرد تنعكس في تصرفاته ومواقفه لتختلف من شخص لآخر باختلاف ثقافتهم وطبيعة بيئتهم الاجتماعية.

ثانياً: الحاجة: ف وراء كلّ سلوك اجتماعي حاجة تدفعه إلى القيام بتصرف معين أو موقف خاص، لأنّ واقع السلوك الاجتماعي تحدده مسارات نفسية واجتماعية، فلا وجود لسلوك اجتماعي بدون حاجة نفسية أو دافع اجتماعي وعليه فالسلوك الاجتماعي يتأثر بالحاجات الإنسانية والدوافع الاجتماعية، فحاجة الرغبة الجنسية مثلاً يمكن أن تتحقق من خلال الزواج، وحاجة الاستقرار يمكن أن تتحقق بالتماسك الأسري، وحاجة الانتماء يمكن أن تتحقق داخل مجموعة مترابطة كرابطة الدّم أو الوطن أو العقيدة، ونشير إلى مفهوم "الاحتياجات" في النظرية الوظيفية وخاصة عند عالم الأنثروبولوجيا مالمينوفسكي في " كتابه الأسطورة في السيكولوجيا البدائية" والذي يعرف " الوظيفة بأنها دائماً إشباع احتياج معين ... فالوظيفة في جوهرها هي نظرية تحوّل الاحتياجات العضوية أي الفردية إلى ضرورات وحوافز ثقافية مصنوعة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 30

<sup>2</sup>:سرحان نمر: الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1974، ص42

**ثالثاً: التفاعل:** يتميز الإنسان بطبعه الاجتماعي لما له من أساليب خاصّة التفاعل مع الناس حسب شخصية كلّ واحد منهم، وهو يطوق من وراء ذلك تكوين علاقات أسرية واجتماعية.

تبقى أهمية هذا التفاعل هي القدرة على الاندماج الاجتماعي مع الآخرين ونسج تعاملات معهم، تمكّن من تعلم سلوكات جديدة وتبني اتجاهات مختلفة، كما تُمكن الفرد من تنظيم حياته الاجتماعية وعلاقاته في إطار ما يتعارف عليه المجتمع من " قيم " وعادات وتقاليد. فجميع " أنماط السلوك الاجتماعي تمثل علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في النظم الاجتماعية مثل اللغة والاقتصاد والعائلة والسياسة والدين والأخلاق ونظم القرابة والعادات والتقاليد والآداب العامة والفنون ... وعلاقة الإنسان بعالم الأفكار مثل المبادئ والمثل العليا التي يؤمن بها المجتمع"<sup>1</sup>.

يمتاز كل مجتمع من المجتمعات بسلوكات تميّزه عن باقي المجتمعات الأخرى وتحدّد ميزات أفرادها وذلك حسب ما يصدر عنها من قيم وأخلاق، فكل مجتمع تحكمه أعرافه وأديانه، وتحدده عاداته وتقاليد.

#### د: عوامله:

كما يحدّد السلوك وفق عاملين أساسيين يؤثران في نفسية الأفراد وهي: طبيعة النفس البشرية: تتوحد النفس البشرية في العديد من المكونات النفسية كالغرائز واللذة والألم والخير والشّر وعليه يبقى الإنسان قريباً من الحيوان لاشتراكه معه في بعض السلوكات أو ما تسمى بالسلوكات الفطرية.

طبيعة المجتمع: وهي طبيعة الإنسان التي تنتقل من الحياة البدائية والسلوكات الفطرية إلى طبيعة الحياة الاجتماعية المعدّلة، تحكمه نظم وقوانين كانتقال الإنسان من المغارة إلى الحضارة عبر مراحل تطورية، وبناء على هذا التطور الاجتماعي سلك الإنسان لنفسه تجمعات خاصة مكنته من الحفاظ على حياته واستمرار نسله.

<sup>1</sup>: عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثقافية، ص24

وقد يكون هذا ما يفصل الإنسان عن الحيوان بحيث يتفوق الإنسان على الحيوان بقدراته العقلية التي جعلت منه كائناً اجتماعياً يتأثر ويؤثر فأطلق عليه الدارسون بالحيوان الاجتماعي وعلى أساس هذا التطور الاجتماعي الذي لا يمكن إغفاله راح الإنسان يبحث عن سبل تمكنه من ضبط سلوكياته وتنظيم علاقاته، فسلك مسلكاً مبدأه الثواب والعقاب يحدّد حسب الذم والمدح، فمن مبدأ اللذة والألم إلى مبدأ الثواب والعقاب.

وعليه أصبح الإنسان يتحكم في سلوكياته ويحرص على أفعاله وأعماله ويصغى إلى مبادئ مجتمعه وما يمليه من مثل اجتماعية ومبادئ أخلاقية. "ولاشك أنه من المقرر أنّ ثقافة المجتمع تخلق حوافز معينة للسلوك المرغوب فيه فالسلوك الذي يحبّه المجتمع يجب أن يكافأ بشكل أو بآخر وإلا فإن الأمور ستختلط على الفرد ولا يستطيع المجتمع حينئذ أن يقوم بدوره الذي يضطلع به في تنظيم السلوك"<sup>1</sup>.

فموضوع السلوك الاجتماعي إذن هو موضوع تجتمع فيه مجموعة من التعميمات التي تدور حول حياة الإنسان أي كل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية فما علاقة السلوك الإنساني بالمجتمع؟

إذا نظرنا إلى أصل كلمة "مجتمع" نجد أنها تعني عند قدماء الفلاسفة "الإنسانية" وبعد تطور الدراسات اقتضت كلمة المجتمع على مجموعة من الناس التي تجمعهم وحدة ثقافية. وبعدها أصبح تُعرّف على أنها مجموعة من الناس تربط بينها صلوات ومصالح دائمة، فالأسرة مجتمع والقرية مجتمع والطائفة الدينية مجتمع.... " وقد حدّد Ellwood هذه الصلوات بأنها ذات طابع نفسي أو عقلي، فعرف المجتمع بأنه جماعة من الأفراد تجمعهم روابط نفسية"<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الروابط النفسية هي العلاقات المتبادلة التي يتم عن طريقها تبادل المنفعة، والوحدة في المزاج والعقلية والتطلع نحو آمال مشتركة<sup>3</sup> ويحصرها

<sup>1</sup>: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 42

<sup>2</sup>: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر: مقدمة في علم اجتماع الأدب، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر،

الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2008، ص 12

<sup>3</sup>: المرجع نفسه، ص 12

العلماء في ثلاث تجمعات ذات أهمية: وهي الجماعات البيولوجية وتتمثل في علاقة القرابة الدموية والجماعات الجغرافية: في وحدة المكان والجماعات الاجتماعية وتشارك في الأعمال والوظائف والأفكار. ولهذا السبب تقوم جميع الدراسات الاجتماعية والإنسانية بدراسة السلوك، حيث ذكر أرسطو أن العلوم الاجتماعية هي " تعميم لكلّ العلاقات الاجتماعية للإنسان، موضوعه الأساسي الإنسان وباعتباره حيوانا سياسيا - اجتماعيا"<sup>1</sup>.

ومما سبق يتضح أن دراسة السلوك الاجتماعي يشارك العلوم الأخرى أهدافها من حيث كونه دراسة أكاديمية تسعى إلى التعرف والوصف والتفسير والتنبؤ بالظواهر في حدود طبيعة هذه الظواهر"<sup>2</sup>، فهو إذن دراسة المجتمع كوحدة إنسانية متكاملة تمثل الحياة الاجتماعية للإنسان.

ولهذا كان لزاما علينا الإستعانة بمنهج الأنثروبولوجيا الاجتماعية في دراسة السلوك الاجتماعي لكونه أقرب في معظم مجالاته إلى السلوكات الاجتماعية والإنسانية أو " بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية وكلّ ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية"<sup>3</sup> وعلى هذا التداخل" كتب Chester barnard سنة 1938 " يبدو أنني على حق إذا تمسكت برأيي في أن دراسة السلوك الإنساني في المجتمع، تُعتبر أكثر الدراسات التي تتعرض لها عقولنا تعقيدا"<sup>4</sup>.

### ج: منهج دراسته :

استُخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية في العقد الأخير من القرن 18 م في أوربا على يد "جيمس فريدر" أولّ أستاذ للأنثروبولوجيا الاجتماعية في جامعة ليفربول بإنجلترا، وبعدها تفاقمت الدراسات حولها من خلال عدد هامّ من الدراسات مثل : تايلور، ماكلينان سبنسر، ودوركايم أحد المؤسسين للأنثروبولوجيا الاجتماعية.

<sup>1</sup>:حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، المكتب الجامعي الحديث،

الإسكندرية، 2009، ص07

<sup>2</sup>: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر: مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 14

<sup>3</sup>: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 07

<sup>4</sup>:سعد جلال : علم النفس الاجتماعي، الاتجاهات التطبيقية المعاصرة، ص 355

يُعتبر معظم هؤلاء الدارسين أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي فرع من فروع علم الاجتماع يستهدف كلاهما عمليات السلوك الإنساني "وترى "لوسي ميد" أن علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية أقرب العلوم الاجتماعية لبعضها البعض حيث أن كلاً منها يدرس المجتمع ككل"<sup>1</sup>. إلا أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية " تركز على الدراسة التكاملية المقارنة القائمة على الملاحظة للسلوك الإنساني في مضمونه الاجتماعي دراسة تكاملية أي أنها تدرس الظاهرة من كافة جوانبها في إطارها الاجتماعي"<sup>2</sup>.

تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية في دراستها بالبناء الاجتماعي لأي مجتمع بدائي بسيط وما تحمله من علاقات وأنظمة تتصل مع بعضها البعض بقواعد وأعراف وقوانين وأخلاق تضبط سلوكيات الأفراد. ويشمل هذا البناء على أنظمة وهي القرابة وما تشمله من نظم للزواج والأسرة والمصاهرة والعلاقات المتبادلة، ونظام الاقتصاد وما يشمله من نشاطات اقتصادية وتبادلات تجارية ونظام السياسة وما يشمله من نظم القوة وتوزيعها (الحاكم والمحكوم) ونظم الضبط الاجتماعي وما يتصل به من معايير سياسية ودينية وعرفية تحافظ على القيم والأخلاق.

ومن خلال هذه الشبكة الاجتماعية من النظم يتشكل " المجتمع " المنقسم إلى أجزاء تحدها مجموعة القواعد المتعارف عليها بين الأفراد، ولهذا يعرف البناء الاجتماعي على أنه "تنظيم متميز لنظم اجتماعية متخصصة ومعتمد بعضها على بعض اعتمادا متبادلا.. فالبناء الاجتماعي عبارة عن اتصال تلك النظم الاجتماعية التي تنظم الحياة الاجتماعية"<sup>3</sup> كما يرى " في ستروس الظاهرة الاجتماعية ..عبارة عن بناء يتألف من مجموعة عناصر مترابطة تجمعها صفات مشتركة وهذه العناصر تشكل كلاً متكاملًا"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>: فاتن محمد شريف: الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2007، ص 12

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص 13

<sup>3</sup>: نويل تايمز : علم الاجتماع ودراسة المشكلات الاجتماعية، ترجمة غريب محمد سيد أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص 31

<sup>4</sup>: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 104

ومن الطبيعي أن تتفاعل تلك الأجزاء فيما بينها لتكوّن وحدة أساسية في الحياة الاجتماعية والتي في مجملها تتّصل بالسلوك الاجتماعي، " فكلما ازدادت معرفتنا بالسلوك الإنساني كلما أمكن التنبؤ بهذا السلوك في مختلف المواقف"<sup>1</sup>.

ومن اهتمامات الأنثروبولوجية الاجتماعية دراسة الشعوب البدائية أو البسيطة التي سجّلها التاريخ غير المكتوب والمنقول شفهيًا، وعليه يعتبر الأدب الشعبيّ عامة والحكاية الشعبية خاصّة من أهمّ التعبيرات الشعبية التي رصدت لنا الحياة الاجتماعية للإنسان الشعبي شفهيًا.

فالحكاية الشعبية إذن تعدّ حقلاً واسعاً للدراسات الاجتماعية والثقافية ودراستنا لها هي وسيلة من وسائل الكشف عن مقوّمات الشعب الفكرية وسلوكاته الاجتماعية والتي رصدناها من خلال البناء العام للحكاية كالاتي:

**أولاً: الحياة الاجتماعية :** كان طبيعياً أن يحتلّ النسق القرابي أو الأسري مكانة هامة لدى الأفراد لينتج عنه نظام العلاقات الذي تحكّمه أنظمة وتضبطه قوانين، ومن أهمّ العلاقات الاجتماعية التي احتلت حيزاً هاماً في الحكاية هو الزواج الذي يُعدّ من أهمّ الحوافز الرئيسية في تحريك شخصيات الحكاية، كما كانت لأسرة أهمية بالغة في البناء العامّ لما تمثّله من ترابط في العلاقات.

**ثانياً: الحياة الإقتصادية:** إن الحياة الاجتماعية تتحرك بدافع الحاجة الإقتصادية وتوفير الأمن والغذاء، ولا يمكن لهذه الحاجة أن تتحقق بدون التعاون وتبادل العلاقات، والحكاية الشعبية تعترف بهذا النوع من العلاقات وتنوعها.

**ثالثاً: الحياة السياسية:** الواضح أنه في أيّ شكل من أشكال الحياة الاجتماعية والاقتصادية لابد من وجود سلطة توجّه الأفراد صوب أهداف معينة، وتكون لها القدرة على التوجيه والتأثير، ولا يقتصر هذا على السلطة السياسية فحسب وإنما كذلك على السلطة الاجتماعية.

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 10

## الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية

### 1. الزواج:

تجمع كل العلوم الاجتماعية والثقافية على أن الأسرة هي النواة الأولى واللبننة الأساسية لبناء المجتمع، وإذا كانت الأسرة هي الأساس لبناء المجتمع " فالزواج هو بالفعل الوسيلة الثقافية الأساسية لضمان استمرار الأسرة والجماعة الأخرى القائمة على القرابة"<sup>1</sup> فعن طريقه تتكون الأسرة وينشأ أفرادها، ولهذا يبقى للزواج الأهمية الفاعلة في المجتمعات الإنسانية.

ومن الطبيعي أن نقوم بدراسة الزواج قبل الأسرة باعتباره بداية كل تركيبة اجتماعية" حيث إنه في رأي بعض الباحثين أعرق التقاليد الاجتماعية في أية بيئة تتخذ موضوعا للدراسة، ويمثل التطور التاريخي للقرية بعائلاتها وحمائلها... ومنه يتم الوصول إلى البناء الاجتماعي وقواعد الأسرة"<sup>2</sup>.

ويعرف الزواج بأنه "علاقة مستمرة مقبولة اجتماعيا بين رجل وامرأة أو أكثر، وهي تسمح بالعلاقات الجنسية بينهما بغرض الأبوة"<sup>3</sup>، ولما له من أهمية في بناء مجتمع بجميع هياكله فقد أولته جميع الأديان السموية مكانة خاصة، فالقرآن الكريم حفلت آياته بما يمجّد ضرورة الزواج، ليس لأهميته الاجتماعية وإنما كذلك لأهميته النفسية وما تمليه الفطرة عند الإنسان، فالقرآن الكريم نادى بالزواج وحث عليه لضرورته من الجانبين الجمعي والفردي، كقوله تعالى " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر: مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 197

<sup>2</sup>: سرحان نمر : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 147

<sup>3</sup>: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 198

<sup>4</sup>: سورة الروم، الآية 21

ولهذا فإن علاقة المعاشرة بين الرجل والمرأة من أعظم الدلائل على قدرة الله عز وجل في الرغبة التي يشعر بها كلّ منهما نحو الآخر، وليس الدين وحده من حثّ على أهمية الزواج بل عكست أيضا ثقافتنا الشعبية ذلك من خلال الحكايات والأمثال الشعبية المتداولة في الأوساط الشعبية، فمعظم الحكايات الشعبية تتحدث عن الزواج وعلاقة الرجل بالمرأة وأهميته في حياة الإنسان، وما يقوم به العاشق من مخاطر وأهوال لأجل الوصول إلى معشوقته، كحكاية "حدّ الزين" التي تتحدث عن بطل الحكاية الذي هام على وجه الأرض بحثا عن المرأة التي اختارها أن تكون زوجة له.

أما حكاية "الجوهَر في خيوطها" هي أيضا تحدثنا عن العجوز التي حاولت إبعاد ابن السلطان عن الديار مما عانوه منه من ظلم وتذمر من معاملاته المستبدة، فلجأت إلى حيلة من حيلها وأخبرته أن هناك امرأة جميلة في مكان بعيد لا يستطيع الوصول إليها، وبهذا قرر ابن السلطان التحدي والمواجهة في البحث عنها والزواج بها.

إن ترابط الرجل والمرأة تجربة عرفتها الإنسانية منذ وجودها، لأنها ليست مجردّ التقاء عشوائي وإنما طبيعة تفرضها الفطرة الإنسانية أي الجنس " ...و إذا كانت غريزة الجنس هي غريزة إنسانية، فهي منتجة للغريزة الأولى وهي غريزة البقاء لأنها تحافظ على بقاء النوع الإنساني"<sup>1</sup>. وكلّ الحضارات والثقافات القديمة تحفل بوجود شواهد تعبّر عن الجنس في إطاره الشرعي أو غير الشرعي" فعرب الجاهلية كما يقول الكاتب اللاتيني Annian Marcellinus "لم تكن تعرف الزواج المستمر الذي ترتبط فيه المرأة بالرجل لأجل مبين وإنما كانوا يُؤثرون الزواج المؤقت (أو العائلة المفككة) الذي يشوبه نوع من المشاعية الجنسية"<sup>2</sup>. ومن خلال الجنس والزواج يمكن أن نلغي مبدأ اللامساواة بين الجنسين، لأنها أمور حساسة تجعل كلاً منهما في حاجة إلى مودّة ورحمة بالتساوي، ويجب أن تكون المعاشرة العاطفية متبادلةً بالتساوي، فحاجة كلّ منهما للآخر ضرورية ليست في العاطفة فقط وإنما حتى في الأدوار الاجتماعية أي في المجتمع لأنه يبقى الأصل في ميلاد مجتمع بشري والحفاظ على استمراره، ففي حكاية "حدّ الزين" وحكاية "خنيفسة لآلة

<sup>1</sup>: كاظم الحجاج: المرأة والجنس بين الأساطير والأديان، ص 32

<sup>2</sup>: أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 229

النساء" وحكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" تأكيد على ضرورة الزواج لما له من أهمية في الحياة الإنسانية هذه الأهمية التي يستمدّها "الزواج من وظائفه العديدة التي يقدمها للزوجين، فهو وسيلة منظمة لسدّ الحاجات المختلفة سواء كانت عاطفية أو جنسية أو اقتصادية"<sup>1</sup>.

اشتغل العديد من علماء الفولكلور على الزواج « فقد قام ماك لينان Mac. Lenan بدراسة الزواج من خارج العشيرة، وجاء مورجان عام 1871 فنشر نقده لنظرية ماك لينان وطور رأي باشوفن عن مرحلة العلاقة الجنسية المشاعة فيما قبل وجود أي نظام للأسرة"<sup>2</sup>. أما الزواج في المناطق العربية قبل الإسلام وبعده فلدينا دراسة «الأمومة عند العرب» لولكن Welkin و« القرابة والزواج في بلاد العرب " لروبر ستون سميت"<sup>3</sup>.

ولأول وهلة يظهر لنا بجلاء من خلال مجموعتنا الحكائية أهمية الزواج والحرص عليه بعد عملية الاختيار الزوجي للزوجة أو الانتقاء التي تقوم بها الأسرة في اختيار زوجة الابن أو البنت و" تختلف تلك العملية تبعاً للثقافة الموجودة في المجتمع الذي ينتمي إليه وللمعايير والقيم السائدة فيه"<sup>4</sup>. ومجتمعاتنا الشعبية لها خصوصياتها في اختيار الزوجة، ذلك الاختيار الذي يكون مقرراً ومقيداً أحياناً أو حرّاً أحياناً أخرى.

"يرى ليفي ستروس في ذلك أن قاعدة الزواج المقرر توجد في الأبنية الأولية للقرابة وهي ترتبط بتفضيل الزواج من أشخاص تقوم بينهما روابط الدم مثل الزواج من الأقارب، وخاصة أبناء العمومة والخوالة المتقاطعة أي الزواج بين أبناء العمات والأخوال بينما القاعدة الأخرى هي الزواج الاختياري وهي أكثر انتشاراً في الأبنية الاجتماعية المعقّدة حيث يتم الاختيار الزوجي وفقاً لاعتبارات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>: أحمد مرسى: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 46

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص 224

<sup>3</sup>: المرجع نفسه: ص 224

<sup>4</sup>: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 205

<sup>5</sup>: المرجع نفسه، ص 206

وقد غطت الحكاية الشعبية نماذج عديدة للزواج الاختياري الحرّ وما نتج عنه من منعرجات في حياة حكاية "لُونَجَة مُوَلَاة سَبْعُ سَوَالِفٍ" التي نلمس فيها حبّ لُونَجَة للفارس الذي بحثت عنه طويلاً وبعد اللقاء به تعجب به وبطريقة كلامه ووسامته، فتقرر مساعدته بإخفائه عن أنظار الغولة حتى لا تكشف أمره وتفرّ معه وتتزوج به. أما حكاية "عَانِمٌ وُلْدُ الرَّاعِي" تحدّثنا أيضاً عن اختيار بطل الحكاية "غانم" لزوجته من قرية أخرى بعدما لاحظ كرم وشرف والدها، فقرّر الزواج بإحدى بناته.

إن هذا الزواج، زواج اختياري يحدّد فيه نسب وأصل قبيلة الزوجة أما الزواج المقيد هو ما تحدّثنا به حكاية "حَدُّ الزَيْنِ" التي هجرت موطنها حتى لا يتحقق زواجها من أخيها. ونحاول أن نسير مع الحكاية لاستقراء رحلة الزواج منها وأهم السلوكات التي يتم اختيار الزوجة بها وهي:

أولاً: الزواج بالأقارب ويكشف لنا تفضيل بنت العمّ على غيرها من النساء ويبيّن صوراً عديدة ونماذج مختلفة لحقيقة المجتمع المتمثلة في عدم استقرار القبيلة وكثرة ترحالها بحثاً عن الكلا. وقد تكون لهذه الأسباب الدور المحفّز للزواج من ابنة العم هذا إلى جانب عدم الاطمئنان للارتباط بأجنبية أو خوفاً من تسريب معلومات لعدوّ القبيلة، ولهذا جاء الزواج بالأقرباء من أولويات شروط الزواج.

ففي حكاية " حَدُّ الزَيْنِ مُوَلَاة شَعْرُ الدَّهَبِ " تحدّثنا الحكاية عن ضرورة الزواج من ابن العم بحيث لا يمكن التخلّص من هذا الزواج مهما كانت الظروف وعادة ما يكون الوعد بالزواج من ابن العم منذ الصّغر كما تشير إليه الحكاية « رَأَهُ وُلْدُ عَمِّكَ يَبْغِيكَ هَذَا شَحَالٌ مِنْ عَامٍ ». كما تخبرنا حكاية "عُشْبَةُ خَصَارٌ" عن ابن عمّ "عُشْبَةُ خَصَارٌ" الذي قام بمساعدتها من قبضة الغولة والفرار بها راغبا للزواج منها، لينجح في عملية الفرار ويتزوج بها في آخر الحكاية.

ونستنتج من ذلك أنّ التنافس الحاد بين نسب الولد من جهة الأم (النسب الأموي) ونسبه من جهة الأب (النسب الأبوي) يؤدي إلى تفضيل النسب الأبوي ووضوح انتماء الأبناء للآباء على حساب الأمهات<sup>1</sup>.

وللوالدين الدور في اختيار الزوج أو الزوجة كاختيار الأب تقديم ابنته كمكافأة من أجل إبعاد الخطر عن الأسرة أو عن القبيلة كحكاية "زاجية" التي وافقت القبيلة على شرط "الشريف بني هاشم" قبول الزواج بزاجية مقابل منحهم ما يريدون من القمح، ولسوء حالتهم وحال نسائهم وافقوا على شرط بني هاشم من أجل حماية القرية. وحكاية "الولد ومزّت باباه" الذي ابتعد عن أسرته هروبا من بغض زوجة أبيه له، وفي طريقه يلتقي بعجوز اشترطت عليه الزواج بابنتها، فوافق وتزوج ابنتها.

ثانيا: الزواج بالمرأة الولود : تبرز لنا الحكاية الشعبية لاعتبارات شخصية ولدوافع وظروف عديدة اختيار الرجل للمرأة ورغبة في الإنجاب، أي اختيار المرأة الولود خاصة بغرض "إنجاب الذكور وقد يرجع ذلك للهيبة والمكانة الاجتماعية أو المباهاة بالثروة"<sup>2</sup>.

وتعدّد الزّوجات غالبا ما يكون سببه إنجاب الذكور كحكاية "بقرّة اليتامى" التي حاولت فيها المرأة التي لا تتجب أولادا أن تنتقم من ضررتها بعدما حاولت قتلها وقتل أولادها. أما حكاية "عين الزعفران" تحدثنا عن الرجل صاحب سبع بنات والذي ذهب إلى مكة داعيا الله عز وجل أن يرزقه بولد.

"ومهما يكن فإن الأسرة تظل بحاجة إلى مضاعفة عدد أفرادها، إما لخدمة الأرض أو للدفاع عنها في حالة الإغارة أثناء الإقامة في الأحياء أو أثناء الرحيل"<sup>3</sup> كحكاية "هارون الرشيد" التي استعان فيها البطل بمساعدة أزواج بناته من أجل الدفاع عن قبيلته.

ولهذا يفضل الرجل المرأة الولود لما لها من قيمة اجتماعية داخل مجتمعها، فهي التي تحافظ على استمرار الحياة وعلى تواصل النسل وتطور القبيلة، وعليه فالسعادة تكون بوفرة الأبناء خاصة الذكور ولعل وجود مثل هذا السلوك في الحكاية له ما يبهره في الواقع

<sup>1</sup>: عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص، 55، 54.

<sup>2</sup>: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 203

<sup>3</sup>: بوخالفة عزي: الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، ص 172

أي أن الرجل هو حامي القبيلة من أي عدوان خارجي ومؤمن حياة الأسرة من مأكَل ومشرب.

كما أنّ رغبة الإنجاب متداولة في معظم الحكايات لقيمتها في الحياة الاجتماعية، تدعّم مكانة الأسرة وتعزّز استمرار القبيلة، والزواج بأكثر من امرأة ضرورة تفرضها أسباب عديدة أهمّها الإنجاب، خاصة إن لم تكن المرأة الأولى ولودا أو لا تتجب إلا البنات. "في السيرة الهلالية نجد الرجل يبني بأكثر من زوجة، إلا أن واحدة منهن هي المخصوصة بالحظوة لإنجاب البنين وإن عدم الإنجاب وخاصة الذكور من أهم عوامل تعدّد الزوجات فقد تزوج "رزق" عشر نساء من أجل إنجاب الولد وتكون الزوجة الحادية عشرة وهي "خضرة الشريفة" التي تتجب له بركات الذي سمّي فيما بعد بأبي زيد الهلالي"<sup>1</sup>. "عموما فالأفكار المرتبطة بالزواج كلّها تقريبا تدلّ على أن الرجل حين يتزوج يفقّي امرأة تأتيه بأولاد يرثونه، وترичه من عناء الحياة وتقضي له مطالبه"<sup>2</sup>.

ثالثا: الزواج بصاحبة الجمال والشعر الطويل: يعكس طول الشعر للمرأة جمالها ورغبة الرجال في الزواج منها حيث يتحملون المشاقّ والمصاعب من أجل الفوز بها مثل حكاية "لُونَجَة مُوَلَاة سَبْع سَوَالِف" و "حَدُ الزَيْنِ مُوَلَاة الشَّعْرِ الذَّهَبِ" التي تبدأ سرد حكايتها بوصف جمال "حَدُ الزَيْنِ" « زَيْنُهَا فَوْقَهُ مَا كَانَتْ، كَانَتْ طَوِيلَةً وَبِيضَةً، عَيْنَيْهَا كِي نَتَاعِ الْعُزَالِ أَوْ كَانُ عِنْدَهَا وَاحِدٌ سَالِفٌ طَوِيلٌ، رُطْبٌ وَصَفَرٌ تَحْسُبُوهُ ذَهَبٌ...».

تروي حكاية "حَدُ الزَيْنِ" قصة خصلة شعرها التي وجدها أخوها في البحيرة ولعدم علمه بأن صاحبة الشعرة هي أخته قرّر الزواج بها مهما كان الحال واقسم اليمين أن يبحث عنها حتى يجدها وألا يتزوج من غير صاحبة "الشَّعْرِ الذَّهَبِي" فقال: « يَا نَجْمَ اللَّيْلِ انْتَاعِ مِنْ هَذَا الشَّعْرِ؟ مُوَلَاتُهَا مِنَّا وَلَا مِنْ بِلَاصِ أَحْرَا؟ رَاكُمُ شَاهِدِينَ يَا نُجُومَ اللَّيْلِ! مُنِينُ هِي، نَحْلَفُ كَذَامِ رَبِّي مَانِدِي غَيْرِ مُوَلَاة هَذَا الشَّعْرِ وَلَا نَكْعُدُ عَازِبَ لِلْأَبْدِ! »

فصاحبة الشعر الطويل الجميل من أهم معايير الجمال في اختيار الزوجة، كحكاية "لُونَجَة مُوَلَاة سَبْع سَوَالِف" التي تصفها الحكاية في مقدمتها بأبهي الصفات « مَا كَانَ مَا

<sup>1</sup>: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم إجتماع الأدب، ص204

<sup>2</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 237

أَزِينُ مِنْهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ خُلِقَهَا وَأَنْشَأَهَا بِالزَيْنِ وَالْبَهَاءِ، وَالْحَاجِبِ وَالْعَيْنِ، وَالْحُرُوفِ وَالسَّالِفِ طَوِيلٍ وَأَكْحَلُ غَازِرٌ، بَحِيثٌ أُمُّهَا بَعْدَمَا تَمَشِطُهُ لَهَا تِظْفَرٌ مِنْهُ سَبْعُ أَظْفَائِرٍ» تلك الصفات التي جعلت الرجال يأملون في الزواج بها. فمعيار الجمال لدى أبطال الحكاية يكمن في الشعر الطويل.

نلتمس في الحكاية أيضا قضية المهر الذي يقدم بطابع خاص كت تحقيق عمل عظيم أو قتل عدو كبير أو حيوان مفترس يهدد القبيلة، ما يعكس قوة الخاطب وبيّن رجولته في الحفاظ على الأسرة، كحكاية "لُونَجَة" بعد أن تسلّم أبوها هبة " خبزة محشوة بالذهب " هي عبارة عن مهر للونجة. « وقضية المهر قضية ضاربة في جذور الثقافات الإنسانية حيث نجد في أثر الساميين القدماء أن الرجل كان يشتري زوجته بأن يدفع مهرا " موهار بالعبرية" لأبيها أو لرأس عائلتها أو قبيلتها وعندما يؤدي ذلك الصداق يصبح سيدها"<sup>1</sup>.

والذي استوقفني في جزئيات الحكاية الشعبية هو الزواج بالمحارم في حكاية "حَدّ الزين" التي قرّر فيها الأخ الزواج بأخته بعد معرفته بأنها صاحبة خصلة الشعر التي بحث عنها طويلا. وكذلك حكاية "المكتوب" التي تروي لنا محاولة السلطان الزواج بزوجة ابنه بعد موافقة الإمام رغم تحريمها له.

تقدم لنا الحكاية موضوع « الزواج الاغتصابي باعتباره يمثل أساسا من أسس النظام الاجتماعي الأبوي قبل أن تتعین حدود المحارم في الصلات القرابية»<sup>2</sup>، كبطلة الحكاية "لُونَجَة" التي لجأت إلى الهروب كحلّ ضروري حتى تتجنب الزواج بشقيقها. وقد يكون ذلك بقايا مما كان معمولا به قديما حيث إن « تحديد الزواج كان يظهر من أبناء الجيل الواحد فالآباء مثلا لم يكن لهم الحق في الزواج من بناتهم، بينما كان ذلك مباحا للإخوة بالنسبة لأخواتهم وقد بقي هذا الشكل إلى ما بعد بدء التاريخ المصري حيث نجد قدماء المصريين يتزوجون إخواتهن"<sup>3</sup>. كما أن معظم الأغاني الشعبية تعلّل ذلك بتسمية الحبيب " بالأخ " قُولُوا لُخُويَا " أو " رَاهُ لُخُويَا طَوَّلُ مَا جَاشُ... الخ. " فما من ريب في أن (زواج إيزيس من

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 237

<sup>2</sup>: عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 83

<sup>3</sup>: أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 225

ايزوريس في الأساطير الفرعونية ما هو إلا بقية من زواج أبناء الجيل الواحد بعضهم من بعض" <sup>1</sup>.

تؤكد لنا مسألة الزواج في الحكاية الشعبية أنه غير مرتبط برجل وامرأة وإنما مسألة مرتبطة بجميع أفراد العائلة ثم القبيلة. " فالزواج هو مسألة نظام كامل يقوم على مجموعة كبيرة من العلاقات، وليس مجرد علاقة ثنائية مثلما يفهم في بعض المجتمعات اليوم" <sup>2</sup> ولهذا كان الاختيار ضروريا للزوجة من قبل الأب ثم من الأسرة ثم من القبيلة.

وقد حاولنا رصد سلوكيات عديدة للزواج في حكاياتنا إلا أننا لم نعثر على صور وسلوكيات واضحة ترصد لنا تفاصيل الزواج كالخطوبة، العرس أو الحفل ... فلم نجد أشكالاً واضحة تحدّد طرق وكيفيات الزواج إلا بعض الإشارات فقط، فجّلّ الحكايات يتم الزواج فيها بسرعة كقول الحكاية "لَوْنَجَة مُوَلَاة سَبْعُ سَوَالِفَ" في آخر الحكاية « وتزوج مع لَوْنَجَة الزينة مِلاَة سَبْعُ أَسْوَافِ » ... وَعَاشُوا فِي الْهَنَاءِ وَالرَّاحَةِ حَتَّى جَاهُمْ هَازِمٌ اللَّذَاتُ مَفَرَّقٌ الْجَمَاعَاتُ وَهَذَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَلِي عَلَيْهِ شَيْ دَنْبٌ يَكْتَرُ الْاسْتِغْفَارُ ». أما حكاية " الولدُ وَمَرَّتْ بَابَاهُ " تقول في آخر الحكاية « ... وَخُطِبْتَلَهُ وَرَوَّجْتَهُ وَعَاشُوا مَعَهَا هَذَا حَدَّهَا وَالْحَالُ أَصْبَحَ » أما حكاية " حَدُّ الزَيْنِ مُوَلَاةٌ شَعْرٌ دَهَبٌ " تقول في نهاية الحكاية « أَيُّ وَفَاتِ أَيْمَاتٍ وَدَارُوا لَهَا الْعَرْسُ مَعَ وُلْدِ عَمَّهَا، عُرْسُ سَلَاطِينِ انْتَأَعَ رُبْعِينَ يَوْمًا ».

تكتفي الحكاية بذكر معلومة العرس والزواج بدون الاقتحام في تفاصيله، وفي بعض الحكايات يقوم الرجل بخطبة المرأة شخصياً كقوله في حكاية " بَقْرَةَ لَيْتَامَى " : تَتْرُوجِي بِيَا" أو حكاية " عَشْبَةُ حَضَارَ " عندما طلب ابن السلطان الزواج منها : « أَنَا بَاغِي نِتْرُوجُ بِيكُ ... ومثلها حكاية "لَوْنَجَة مُوَلَاة سَبْعُ سَوَالِفَ" التي أعجب بها الفارس وطلب الزواج منها بعدما أخبرها بمغامرة البحث عنها : تقول الحكاية : « ... مِنْذَاكَ الْوَقْتُ وَأَنَا عَلَى عَوْدِي نَحْوَسُ عَلَيْكَ هَذِي يَوْمِينَ وَلَيْتَيْنِ لَا مَأْكَلَةَ لِأَشْرَابٍ وَغَيْرِ شِفْتِكَ قَلْبِي حَبْرَنِي ... الحمد لله عَلَى نَهَارِ الْيَوْمِ، أَنَا رَبِّي وَفَى لِي الْمَرَادُ وَلِقَائِي بِيكُ...». وقد يعود هذا الاختصار وعدم ذكر التفاصيل إلى ما يبرره عند الراوي ولذلك اكتفت الحكاية بذكر الضروريات، إلا أن ما

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 227

<sup>2</sup>: عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 83

يجدر الإشارة إليه هو أن الحكاية الشعبية في عمومها " تعطينا رسماً يتألف من عناصر مختلفة، بعضها يرجع إلى آلاف السنين وبعضها إلى مئات الأعوام، ومنها ما يفوح بالأفكار الوثنية"<sup>1</sup>.

## 2. العلاقات الأسرية:

مثلما سارت الحكاية الشعبية في إعطاء صور واضحة عن الزواج كما تقدّم، فإنها استمرت في ذلك مع موضوع الأسرة لما لها من مكانة في الحياة الشعبية خاصة في البلاد العربية، حيث أنها تشكل وحدة اجتماعية أساسية<sup>2</sup> وتمثل اللبنة الأولى في المجتمع، تشمل الأب والأم والإخوة. وقد تمتد في غالبية الأحيان لتشمل الجدّ والجدة وبعض الأقارب من الأعمام والعمات أو الأخوال والخالات. وقد أجمع العلماء أن نظام الأسرة مرّ بمراحل مختلفة بدأت بالعلاقة الجنسية المشاعة، وتلك مرحلة طفولة البشرية. وبلي ذلك الزواج بالجملة أو ما يسميه العلماء بشكل العائلة القائمة على علاقة الدم<sup>3</sup>.

وما عكسه حكاياتنا الشعبية والتي لا تعطينا في أغلب الأحيان تفاصيل دقيقة عن الأسرة وإنما تشير إلى تآلف وتماسك المجموعة الأسرية التي قد تتكون من زوج وزوجة وأولاد كحكاية "بُقْرَة لَيْتَامَى" التي تتكون من الأب والزوجة وطفلين أو زوج وزوجتين مثل حكاية "الوُلْدُ وَمَرْتُ بَابَاهُ" أما حكاية "لِلْكَبَارِ وَالصُّغَارِ" وحكاية "الخَيْرُ مَرًا وَالشَّرُّ مَرًا" التي يشمل أفراد أسرتها الزوجين فقط. أو زوج وزوجة وسبع إخوة "ذكور" مثل حكاية "خُرَيْصٌ وَبُوخْرَيْصَة" وسبعة إخوة إناث مثل حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدِ" وحكاية "عَيْنُ الزَّعْفَرَانِ" التي سافر والدهنّ إلى مكة راجياً من الله تعالى أن يمنحه طفلاً.

ويتجلى الصراع بين أفراد الأسرة خاصة صراع الضرات والتمييز بين الأبناء وهذا ما يدعو إلى نشوب النزاع الأسري أو التنافس بين الإخوة من الأب، وصراع الإخوة مع زوجة الأب مثل حكاية "بُقْرَة لَيْتَامَى" التي تعرّض فيها الأخوان "عيسى وعلي" إلى التفرقة

<sup>1</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 230

<sup>2</sup>: عمر عبد الرحمن السارسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 155

<sup>3</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 225

من قبل زوجة أبيهم، وتفضيل ابنتها عليهما ونشب الصراع بينهما مما أدى إلى هجرة الأخوين الأسرة والبحث عن الأمان بعيدا عنها. وحكاية "عُشْبِيَّة خَصَّار" التي أبعدها زوجها أبيها عن البيت أو صراع الإخوة مع بعضهم البعض لإبداء مهارة أو تفوق واعتلاء أمام الوالدين.

ترصد لنا الحكاية الشعبية إذن علاقات أسرية متعددة، بين الزوجين وبين الأبناء ثم بين الزوجين وأبنائهما. وعليه فالبيت الأسري للحكاية يشمل على علاقات متينة بين أفرادها تجمعهم روابط مختلفة وأدوار متعددة. فالابن الأكبر في الحكاية الشعبية عادة ما يكون عماد البيت بعد غياب الأب يكف بالحراسة، ويأخذ مكان أبيه ليصبح مسؤولا عن أسرته «فالعرف الشعبي يعطي الصدارة لرب البيت، فإذا مات احتل مكانه أكبر الأبناء وتلك عادة نجدها عند الفراعنة»<sup>1</sup>.

وتتحدث الحكاية أيضا عن دور الابن الأصغر أو البنت الصغرى الذي يظهر جليا في أغلب الحكايات الشعبية وما يحظى به من مكانة وتقدير أمام والديه، كما تظل المودة سائدة بين الأخوة الأشقاء عكس الإخوة غير الأشقاء، أيضا فلأخت مكانتها الخاصة بين إخوتها تحظى بحب واحترام وهذا قبل أن يتزوج الإخوة وتنشب المشاكل بينهم. فتلاحم الأسرة مع جميع أفرادها ضمان للأمن والأمان وتعاون بعضهم مع بعض ضمان لحياة هادئة، تلك الحياة التي لم تسلم من نظرة الأعداء إليها فتفككهم وتباعدهم عن بعضهم البعض إما من داخل الأسرة أو من خارجها. والجدير بالذكر أن تغير الحياة الاجتماعية وما صادفته الأسرة من مشاكل هو ما سبب هذا الصراع الذي امتد تأثيره إلى التفكك الأسري.

ففي مجموعة الأدوار التي يحركها أفراد الأسرة يكشف لنا عن بنية وسلوكات وعلاقات يتبين من خلالها تنوع وليونة المواقف بين ثوابت تقليدية مألوفة وأخرى غير مألوفة يمكن مشاهدتها في ممارسات العنف والتفكك الأسري من جهة والتماسك الأسري من جهة ثانية.

<sup>1</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 232

**التفكك الأسري:** يكون بين الزوجين أو بين الأبناء وآبائهم أو بين الإخوة، وغالبا ما يكون رفض مبدأ اللامساواة بين الذكور والإناث حيث تتمن الأسرة إنجاب الذكر على الأنثى ومن ثم تنشأ صور التفكك الأسري. هذا ما تصوره لنا الحكاية الشعبية من انفصال وهجرة بين أفراد الأسرة أو وجود عائق يمنع أحد الزوجين من القيام بدورهما أو الوفاة "ويمكننا تعريف التفكك الأسري باعتباره انهيار الوحدة الأسرية وتحلل أو تمزق نسيج الأدوار الاجتماعية عندما يخفق فرد أو أكثر من أفرادها في القيام بالدور المنوط به على نحو سليم ومناسب"<sup>1</sup>.

وقد تنسب الحكاية أيضا بعض أسباب التفكك الأسري إلى بعض العجائز التي تكون سببا في نشوب نار الفتنة في صدور الزوجات كما تروى لنا ذلك حكاية " غانم وُلْدُ الرَّاعِي " وحكاية " الولْدُ ومَرَّتْ بَابَاهُ " وحكاية " عَشْبَةُ خَصَّازُ " التي كان سبب تفرقة أفراد أسرها هي العجوز أو "ستوت" التي تعمل دوما على خلق المكائد والحيل والمصائب لما تحمله في قلبها من حقد بغية تفرقة الأزواج أو الأبناء.

كما تشكل العجوز الساحرة طرفاً أساسياً في إحداث التحول أو التغيير داخل الأسرة وتساهم في بثّ الأفكار الخاطئة والقيام بالأعمال السحرية من أجل الوقوع بين الزوجين وإحداث الفتنة داخل البيت الأسري. ومن الملاحظ هنا أن المرأة العجوز في الحكاية الشعبية لم تحظ بترحيب وإنما باحتقار وذلك عند جميع الشعوب " فلم ينسب المجتمع الشعبي للعجائز فضلا، ولم يضيف عليهن مكرمة أو خصلة حميدة، بل إنهن دائماً مخادعات كاذبات، يورّدن الناس موارد التهلكة، يتحكمن تدبير الخطط، وحبك المكائد"<sup>2</sup>.

كما يكون سبب الانفصال الأسري أيضا هو الزوجة الثانية أو الضرة المذكورة بكثرة في الحكايات الشعبية وما ينشعب عنها من مشاكل ومآزق أسرية ذات آثار سلبية تمتد إلى تفرقة الأبناء وتشردهم كما سبق وأن ذكرت.

ترتبط أغلب حكايات التفكك الأسري بين زوجة الأب الشريرة التي تدبر المكائد وتحبك الخدع لا لشيء إلا لأجل نشوب المصائب ووقوع التفرقة الزوجية أو التفرقة

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 248

<sup>2</sup>: أحمد مرسى: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 54

الأخوية. وغالبا ما تكون هذه الزوجة عاقرا أو لا تلد غير الإناث ما يؤدي بها إلى الغيرة لأن "المرأة المنجبة للإناث منبوذة من المجتمع تجسدها لنا الحكايات كصورة عاكسة للأم النقيضة المنجبة للأنثى المشوهة والحارمة من الغذاء"<sup>1</sup> ما تشير إليه حكاية "بُقْرَة لِيْتَامَى" التي جسدت لنا المرأة التي لم تتجب ولدا وكيف حاولت التخلص من ابن زوجها، أما حكاية "عُشْبَة خَصَّار" هي أيضا تحدثنا عن المرأة التي لم ترزق بأبناء فقررت إبعاد عُشْبَة خَصَّار عن أسرتها والتخلص منها، وكذلك حكاية "لُونَجَة" التي تخبرنا عن غيرة زوجة الأب من لُونَجَة ذات الجمال الفائق، وقد يصاحب سلوكات التفكك الأسري بعض السلوكات العنيفة التي تشد السامع إليها كالقتل والذبح وبتير الأعضاء والتعذيب ....

**العنف الأسري:** ارتبط العنف ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية فهو يعيش في أوساطها منذ البدايات الأولى للإنسان وتتجلى في سلوكاته وثقافته بصور واضحة، وهذا لأنها "وليدة الغريزة العدوانية التي تكمن في الإنسان، وكلّ الأديان السماوية قدمت آيات مختلفة عن كيفية تجنب الإنسان النزعات العدوانية الكامنة في الطبيعة البشرية، والنهي عن الخطيئة الكبرى التي تغوينا بالرغبة في إيذاء الآخرين"<sup>2</sup>.

العنف هو عبارة عن صفة لكلّ سلوك، يعتمد صاحبه على القوة والشدة والخشونة، اقترن بالتفكك والتعامل بالعنف بكلّ أشكاله العدوانية بدون شرعية ولا قانون.

يتجلى العنف الأسري في الحكايات الشعبية على شكل صور تعتبر من أكثر الصور انتشارا، وذلك لأنه مرتبط ارتباطا وثيقا بمظاهر الحياة الاجتماعية، كقتل الأب لابنه، والابن لأبيه والأخت لأخيها والأخ لأخته، بأشبع أشكال القتل والتعذيب.

تجلت دلالات العنف الأسري في علاقات الأزواج أو بين الذكور والإناث التي استمدت عنفها من الثقافة الشعبية التي ورثتها، والتي تترجم خوف الرجل من سلطة المرأة وبالتالي ابعادها عنه باعتبارها مصدر عار، ولذلك تعامل الرجل مع المرأة تعامللا أساسه القوة والعنف من أجل تحقيق رجولته وسلطته وهذا ما تحدثنا به حكاية "المكثوب" التي فضل فيها الرجل إنجاب ولد يقتله وليس بنتا تخرجه من البلاد عندما سئل في حلمه.

<sup>1</sup>: عبد الحميد بورايو : البطل الملحمي والبطله الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 142

<sup>2</sup>: فانتن محمد شريف : الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، ص 197

وتشير هذه الحكاية إلى سلوكات عنيفة وهذا عندما حاول الأب قتل ابنه ويطلب من العبد أن يسافر به بعيدا وهذا قبل أن تتحقق نبوءته، أين قام العبد بفقء عينيه وتركه بعيدا، إلا أن العناية الإلهية ساعدته ليعود وينتقم من أبيه كما تشير إليه الحكاية.

كما يتجسد لنا صراع العنف الأسري بين نفس الجنس كصراع الضرتين أو صراع الأختين من أجل تحقيق رغبة من الرغبات كحكاية " خريص وبُخْرِيسَة " التي حملت سلوكات متعددة لمظاهر العنف الجسدي كالقتل والتعذيب حيث قامت الأخت الكبرى بتواطئ مع العبد بقتل جميع أفراد أسرتها واتخاذ أختها الصغرى خادمة لها تقوم بضربها وتعذيبها إلى حين عودة إختها وإنقاذها من قبضة أختها. وحكاية " عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ " التي تحدثنا عن غيرة الأخوات من أختهم الصغرى التي حاولن الإنتقام منها، وتعرضن للقتل من قبل الأم وأخت زوجها. هذا الى جانب محاولة تدمير الزوجة حياة أخت زوجها في حكاية " مُلُوكَة وَثَعْبَانِ " تحدثنا الحكاية عن غيرة زوجات الأخ حيث شاركن جميعهن في تدبير مؤامرة " مُلُوكَة " بعد أن أكلت بيضة ثعبان، فحملت وأصرّ إختها على قتلها والتخلص من العار الذي سببته لهم، إلا أن زوجة الأصغر أبلغت عن المؤامرة وقاموا بإخراج الثعبان وطلبوا منها السماح.

غالبا ما تنشأ جرائم العدوان الأسري من قتل واعتداء ومشاجرات، يكون سببه الغيرة والحسد أو الصراع حول المال أو الملك، ومن خلال هذا العنف يتجلى لنا كذلك التماسك والترابط الأسري، فالصراعات القائمة بين أفراد الأسرة، هي سلوكات عنيفة من أجل الحفاظ على العائلة والأبناء والتشديد على الترابط الأسري. وعليه نستطيع أن نكشف أن عداة الأطراف الأسرية واختلاف الأقارب وتدمير بعضهم البعض حول قضايا اجتماعية مختلفة قد يكون أكثر عنفا وشراسة، بحيث نرى كيف دخل أفراد الأسرة الواحدة في صراع وتدمير عنيف يفوق في كثير عدائهم للأجنبي. وليس من الصدفة أن تكون أول جريمة أُرْتُكبت في التاريخ الإنساني هي جريمة قتل "قبيل" لأخيه "هايل".

تروي لنا العديد من الحكايات الشعبية فضاة وجرم أفراد الأسرة الواحدة كحكاية البطل الذي قتلت أمّه أباه حتى تبقى ملكة على العرش، ولم يعرف الإبن سبب موت

والده، ونام في حجرته حزينا بعد أن دفنه، فإذا بشبح أبيه يرمقه ويقول "إن أمك أعطتني السم وقتلتني - وقد أصبحت الآن ملكة من بعدي، فانتقم لي"<sup>1</sup> فانتقم الإبن لأبيه بقتل أمه.

فأغلب جرائم العنف في الحكاية لها علاقة حميمية بين مرتكب الجريمة وضحيته فهي عادة تتّم بين الأقارب والأسرة الواحدة، "فالعنف الإقصائي التدميري ليس بالضرورة موجّهًا للبعيد عن العائلة وعن القرابة الدموية، فيمكن للأنا الفارقة في نرجسيتها وماجوسيتها أن تدمّر أقاربها وأبناء دمها أي أن تدمّر كل ما يختلف عنها أو يخالفها في تحقيق رغبتها الشخصية"<sup>2</sup>.

إنّ ظاهرة العنف الأسري حسب الدراسات تعتبر من أخطر الظواهر الاجتماعية "تكمّن خطورته في أنه ليس كغيره من أشكال العنف ذات نتائج مباشرة بل أن نتائجه غير المباشرة المترتبة على علاقات القوة غير المتكافئة داخل الأسرة. وفي المجتمع عامّة غالبا ما تُحدث خلا في القيم، واهتزازا لنمط الشخصية وخاصة عند المرأة والأطفال ممّا يؤدي إلى خلق أشكال مشوهة من العلاقات والسلوك"<sup>3</sup>.

ومن أكثر ما يشوه العلاقات الأسرية تلك الأزمات الأخلاقية التي ينجر عنها العديد من المشاكل بداية من أزمة الإحساس بالفقر من جهة أو الإحساس بالتهميش كاليتيم أو فقدان أحد الإخوة ما يدفع البطل إلى تجاوزه عن طريق الهجرة، هذا السلوك الذي بدا بشكل واضح في الحكايات الشعبية، حيث تعرّض معظم أبطال الحكايات إلى الهجرة هروبا من الإضطهاد الأسري أو البحث عن قريب أو البحث عن المال أو مساعدة صديق.

وعلى ضوء ما تقدم يتبيّن لنا عدم استقرار هياكل وأدوار الأسرة القائمة على التوزيع غير العادل للأدوار الأسرية. فمضامين وسلوكات الحياة الأسرية تؤكد بدورها على التمييز الأسري والتحقير الأنثوي. ومهما يكن فإنّ وضعية الحكاية الأسرية غير ثابتة نشاهد من خلالها التنوع والتعقيد الأسري عبر مراحل الحياة الأسرية.

<sup>1</sup>: نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 169

<sup>2</sup>: محمد سعدي: المثل الشعبي الجزائري، مقارنة بنيوية، رسالة دكتورة دولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

والاجتماعية، 2000، ص 182

<sup>3</sup>: فاتن محمد شريف : الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، ص 198

ومما لا شك فيه أن تأثير التفكك الأسري والبيئة الأسرية غير السوية يؤدي إلى إرتكاب العنف بأشكاله "أو ما سماه البعض بالتدريب الاجتماعي الخاطئ أو الناقص الذي يظهر بصورة جلية من المجتمعات التي تتناقض فيها القيم والأهداف التربوية العامة وتنفك فيها الأسرة بصور ملحوظة وتعلو المواجهات الفردية على المواجهات الجماعية"<sup>1</sup>.

ومهما يكن من أمر تبقى الأسرة أساس عملية التنشئة الاجتماعية تلك العملية الأطول التي تتدرج تحت مستويات عديدة، فلا يمكن لسوء ترابط العلاقات الزوجية أو تدهور حالة أفراد الأسرة أن تنتج تلك العملية، ونذكر هنا أن الوظيفة الأساسية للزواج والأسرة تبقى الركيزة المتينة في تحقيق مجتمع حامل لأسس ثقافية واجتماعية يمررها أفراد الأسرة عبر قيم متداولة نتيجة سلوكيات متعددة من أجل المحافظة على ثقافة المجتمع وهذا ما سنتطرق إليه في الباب الثاني الخاص بالقيم.

### 3. نظام القرابة :

تقوم علاقة القرابة على ارتباط مجموعة من العناصر التي تتشكل نتيجة النواة الأولى للمجتمع وهي "الأسرة" فتكون بذلك بنية قرابية محددة بيولوجياً واجتماعياً وثقافياً، أو كما يطلق عليها العائلة الأولية المتكونة من الزوج والزوجة والأبناء، ولهذا اهتم العديد من الدارسين والباحثين الأنثروبولوجيين بموضوع القرابة وأولوه الاهتمام البالغ في فهم وتحديد مكونات المجتمع، لما رأوه من قيمة وأهمية في تحديد الأصول العائلية وذلك على المستويين الواقعي والأدبي بحيث درسوا مفهوم القرابة وعناصرها البنيوية وما تؤديه من مكانة مركزية في بنية الحكاية الشعبية والأسطورة.

وفي هذا الصدد نشير لأهمية دراسة لفي ستروس في تحليل مكونات البناء الاجتماعي والبحث في الأصول البيولوجية والاجتماعية والثقافية والأسطورية للنظام القرابي الذي يتحكم في تحديد بنية العائلات في « كتابه الضخم "الأبنية الأولية للقرابة"<sup>2</sup> و"دراسة

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 248

<sup>2</sup>: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم إجتماع الأدب، ص 101

لويس مورجان في كتابه الرائد عن "أنساق روابط الدّم والمصاهرة في العائلة الإنسانية عام 1871 وساهمت هذه الدراسة في وضع أسس الدراسات الأنثروبولوجية والقريبة".

تعود أهمية هذه الدراسة لعلماء الأنثروبولوجيا لما لها من أهمية في تحليل البناء الاجتماعي والتغيرات الطارئة عليه "كنشأة الأسرة وتطورها من حيث الإباحية الجنسية وتعدّد الزوجات وصولاً إلى أحادية الزوجة وكذلك الانتساب إلى الأم ومن ثمّ للأب"<sup>1</sup>.

وقد جاء في لسان العرب أن القرابة والقربى: الدنو في النسب والقربى في الرحم وهي في الأصل مصدر وما بينهما مَقْرَبَةٌ، ومَقْرَبَةٌ ومَقْرَبَةٌ أي قَرَابَةٌ، وأقارب الرجال واقربوه عشيرته الأدنون<sup>2</sup>. فالقرابة إذن هي تلك العلاقة الرابطة بين أعضاء الأسرة الناتجة عن زواج والتي تكوّن مجموعة متشابكة من العلاقات المنحدرة من الآباء والأبناء والأخوة، ومهما تكن نوعية العلاقات التي تحكم نظام القرابة إلا أنها تعتبر قوانين محكمة تؤمن الإتصال بين أفراد العائلة التي تجمعهم علاقتين أساسيتين هما: رابطة الدم ورباطة المصاهرة وسنحاول إبراز أهم سلوكيات الأقرباء المصاحبة لأطوار الحياة وما تحمله من تحديد طبيعة هذا النظام القرباني في الحكاية.

رابطة الدم : تتمثل علاقة القرابة بالدمّ أو كما يسميها دوركايم "تجمعات الدمّ" من تلك الروابط التي تنشأ عن الزواج والأبوة والأخوة والتي يكون مبدأها الأسرة الأولية أو مثلث العائلة الخالد: الزوج والزوجة والإبن<sup>3</sup>.

تجسد لنا الحكاية الشعبية مبدأ الأسرة الأولية التي تبنى روابطها على علاقة الدم تلك العلاقة الأخوية والأبوية المبنية أساساً على الحب والتعاون والاحترام كما تشير إليه معظم الحكايات في بدايتها. ونشير هنا إلى أهمية الأسرة الأولية في تحديد النظام القرباني والانتماء الاجتماعي لأن "أهمية دراسة السلوك داخل النسق القرباني، كما يقول (لوي) ما يشير ويكشف عن جوهر النسيج الاجتماعي"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>: عيسى الشماس : مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)،إتحاد الكتاب العرب، دمشق،2004، ص 103

<sup>2</sup>: ابن منظور: لسان العرب . باب قرب، ص 565

<sup>3</sup>: عبد الحكيم شوقي: السيرة والملاحم الشعبية، ص 10

<sup>4</sup>: المرجع نفسه : ص 24

تحدثنا معظم الحكايات عن تلاحم أفراد الأسرة الواحدة، إلا أن هذه العلاقة لم تستمر في بعض الحكايات الأخرى، كمحاولة الأخ قتل أخيه أو الأخت قتل أختها وأمها في حكاية "خريصٌ وبُوخريصة" وحكاية "عينُ الزعفران" ومحاولة الأب قتل ابنه في حكاية "المكتوب" إلى جانب صراعات الغيرة بين الإخوة والأخوات كحكاية "هارون الرشيد" وحكاية "عينُ الزعفران".

ورغم تلك الصراعات القائمة بين أفراد الأسرة الواحدة، ظلت القرابة الدموية هي التي تتحكم في سيرورة العائلة مثل حكاية "لونجة" التي تربت في فضاء غير فضاء أسرتها فلم يؤثر عليها مكان إقامتها ولا حتى رابطة الرضاعة التي تعتبر في مجتمعنا من أهم الروابط القرابية، وعليه فإن الأمر يصبح أكثر وضوحاً «كما يقول وارتر، فإنه من المستحيل في بعض الحالات أن ينتمي أي فرد تلقائياً لطبقة معينة»<sup>1</sup>.

ولعل ما يمكن أن نسجله من سلوكيات صراعية بين أفراد الأسرة الواحدة هو تلك الصراعات التي تزيد حدتها في الأسرة المفككة أو المعقدة، وما ينتج عنها من سلوكيات سلبية فاقت الأسرة النواة (أو الأولوية)، فقد كان التأثير قويا في المزيد من العلاقات والصراعات التوتيرية بسبب حضور شخصيات أخرى كزوجة الأب (الضرة) أو زوجة الأخ أو زوجة الإبن... من الشخصيات الجديدة على الأسرة النواة، وعليه نستطيع أن نميز نوعين من العلاقات القرابية: علاقات إيجابية تصور لنا التقارب بين عناصر الأسرة الأولية وعلاقات سلبية تصور لنا صراعات بين أفراد الأسرة المعقدة وما يصيبها من تعقيدات وصراعات بين أفرادها كزوجة الأخ التي تدفع بزوجها إلى إلحاق الأذى بأخته، في حكاية "ملوكة وثمان" وزوجة الأب التي تززع هدوء العائلة واستقرارها وتدفع بأبناء زوجها إلى الفرار من معاملتها القاسية.

ومن الملاحظ هنا أن "الملح الأكثر أصالة للجسد الفولكلوري العالمي بأكمله من حيث الاحتفاء بمأثورات مثلث العائلة الخالد، الزوج، الزوجة والابن، وصراع الضرتين،...

<sup>1</sup>: المرجع السابق : ص 25

واضطهادات زوجة الأب، التي تدفع بالأم إلى الخروج من قبرها لتتقذ طفلها القديري المضطهد من زوج أبيه<sup>1</sup> وهذا ماتحدثنا به حكاية "بَقْرَةَ لَيْتَامَى".

وانطلاقاً من فكرة العودة إلى الأسرة الأصلية أو البلد الأصلي في معظم الحكايات الشعبية سببها رابطة الدم التي تؤسسها مجموعة عناصر الأسرة الأولية، ففي معظم الحكايات "لُوْنَجَة، بَقْرَةَ لَيْتَامَى، عَشْبَةُ خَصَارَ، المَكْتُوب "عَيْنُ الزَّعْفَرَانُ".....نلاحظ أن هجرة أبطالها إما هروباً من الظلم أو بحثاً عن زوجة، أو مساعدة قريب لم تمنعهم من العودة إلى أسرهم التي تربطهم بها رابطة الدم فهي إذن "وسيلة اجتماعية معدة للقيام بوظيفة اجتماعية وهي تأمين التوازن الاجتماعي وتأسيس السلم وتمتين التلاحم بين أعضاء المجموعة"<sup>2</sup>.

والجدير بالذكر أن علاقة الدم تعترف بها كل المجتمعات القديمة والحديثة عرفاً وقانوناً سواء من الأقارب المنحدرين من خط ذكوري أو خط أنثوي والملاحظ أن الحكاية اتجهت نظام قرابي ينحدر وفقاً لنظام (أبوي) فهو الذي يمثل السلطة المتمثلة في الدفاع عن الأسرة والمحافظة على النسب، وذلك في غياب السلطة الأمومية التي لم تستطع الصمود أمام سلطة الأب. فمن خلال الدراسات التي قام بها مالينوفسكي لبعض المجتمعات "في أن الرجل لا علاقة له بإنجاب الأطفال، ولا يعتبر أباً بل مجرد زوج... ومن هنا لا يرث الابن أباه، بل أن وريث الأب هنا يشترط أن يكون ابن أخته..<sup>3</sup>".

وربما أبرز ما يميز ذلك النظام الأبوي هو فشل المرأة في فرض إرادتها وردّ الأمور إلى مسارها الطبيعي لينهزم نظامها أمام حرص وسيطرة ذلك النظام الذي عمل على القضاء على النظام الأسري الأمومي وتكفيل الابن الأكبر أو العم بمواصلة السلطة العائلية الذي يعتبر امتداداً للخط القرابي الذكوري، وامتناع الحكاية عن ذكر شخصية الأم والخال في سرودها والإكتفاء بالأب والعم والأبناء أمر يفسر إقصاء الجنس الأنثوي من السلطة أو محاولة إقصائها لأنه كما "يرى مالينوفسكي أن الخال يؤدي دور الأب في المجتمع

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 10

<sup>2</sup>: محمد بن حمودة : الأنثروبولوجيا البنيوية أو حق الاختلاف، ص 70

<sup>3</sup>: عبد الحكيم شوقي: السيرة والملاحم الشعبية، ص 26

التروبيندي... فالأولاد يرثون عنه، وبه يناط أمر تربيتهم القبلية، الأب وحرثه ليسوا حتى نموذجاً يحتذى للإبن والصراع يحصل هنا مع الخال وليس مع الأب الذي يعيش بعيداً عن أبنائه<sup>1</sup>. وعليه تحدثنا مصادر عديدة عن قداسة الخال أو بقايا النظام الأمومي الذي كان سائداً ومازلت آثاره بادية في تراثنا الشعبي.

فأقارب الأم لهم مكانتهم الخاصة عند الأبناء، إلا أن حكاياتنا الشعبية نلاحظ إقصاء الأم وأقاربها كحكاية "هَارُونَ الرَّشِيدُ" التي تحدثنا عن البنات اللواتي قررن الزواج ولم يستطعن إخبار والدهن فذهبن عند المدير ليجد لهن طريقة يخبرانه بها. ونلاحظ هنا أن الحكاية كانت بحاجة ماسة إلى شخصية الأم الأقرب إلى بناتها إلا أنها أقصيت بشكل عمدي أو غير عمدي. "ولذلك فإن الحكاية الشعبية تحرص على إبراز سلسلة نسب الأسرة أو القبيلة فهي تبتدئ بذكر الجد الأكبر الذي سلّم مقاليد الأمور إلى أولاده، ومنهم إلى أولادهم"<sup>2</sup>.

تحدثنا حكاية "سَعِيدٌ وَدِيَابُ" عن تهيئة الأبناء لإستلام السلطة بعد والدهم وحكاية "حَدُّ الزَيْنِ مُوَلَاةَ شَعْرَ الذَّهَبِ" التي يصطحب فيها السلطان ابنه إلى معركة القتال ليديره على فنون الحرب لمواجهة أعداء القبيلة. كما تحرص الحكاية على أهمية مكانة ابن العمّ وما يمثله من بطولة في اختياره كزوج مفضل للفتاة مهما كلف الأمر كما حدثنا به أغلب الحكايات.

وصلة الدّم على أية حال تحضى بعناية كبيرة من خلال سلوكيات اجتماعية تتادي بالمحافظة على علاقات الدم كما يحفظها لنا التراث الشعبيّ عامة، وبالخصوص في الأمثال الشعبية "عَمْرُ الدَّمِ مَا يُولِي مَا" و "كذلك " خُوكُ خُوكُ لَا يَغْرُكُ صَاحِبُكَ".

فمهما كانت الصراعات القائمة بين أفراد الأسرة الواحدة إلا أن العلاقة الدموية تبقى الركيزة الوحيدة التي تجمع بين الإخوة مهما نشب بينهم من عداوة، تحدثنا حكاية " حَدُّ الزَيْنِ " التي حاول أخوها الزواج منها بعدما اكتشف أنها صاحبة خصلة الشّعْر إلا أنها هربت من البيت بعد سماعها الخبر وطلبت من الله أن ينتقم لها من أخيها حين قالت:

<sup>1</sup>: أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، ص 263

<sup>2</sup>: نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 134

"يَا حُويَا يَا وُلْدَ مَا وَأُبُويَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَزْشَ وَمَا يَدَاوِيكَ لَا طَالِبُ وَلَا طَبِيبٌ" ولكنها عندما سمعت بمرضه لم تطاوعها "القراية الدموية" وهمت إليه طالبة منه السماح ومن الله الشفاء، كما طلبه هو أيضا.

إن صلة الدم يعمل أصحابها على الحفاظ على نظامها وإستمرار وجودها كما يتعاونون ويتعاطفون مع بعضهم البعض. ومنهم من يفتخر بنسبه الذي يعود إلى الجدّ الأول "وقد لاحظ الفولكلوريون أن عادة الانتساب إلى جدّ واحد وهمي يصل خيوط العشيرة أو العائلة، تبقى قائمة لدى المجتمعات البدائية، ومنها تذيب عادات مختلفة كالحلف بذلك الجدّ وأحيانا تقدسه وتعبده"<sup>1</sup>. وهذا ما تذكره لنا حكايات الأولياء التي يقُدّس أصحابها الوليّ الصالح باعتباره جدّ القبيلة الذي ينبغي احترامه وطاعته لما يحمله من سمات قدسية وهو الحافظ لنسبهم ونشير هنا أيضا إلى تلك المعتقدات التي مازالت تحتفظ بها الذاكرة الشعبية الجزائرية كالامتناع عن أكل نوع من أنواع الحيوانات التي يعتقد في ذهن القبيلة أنّها تحرم على سلالتهم، لأنها كانت السبب في نجاة جدّهم الأول من الموت.

ومن أبرز أنواع الحيوانات التي يحرم أكلها عند بعض الناس الذين حاورتهم هي "الأبقار" «فالبقرة ذات شأن في سائر الأساطير العالمية، فهي في الأساطير المصرية القديمة أمّ الآلهة جميعا... ولا غرابة في أن تكون الإلهة البقرة (نيسون) أمّا لجلماش"<sup>2</sup>. وقد يعود هذا الاعتقاد أيضا إلى النظام الطومبي الذي كان سائدا في المجتمعات البدائية خاصة وأن أهمية "الثور" بارزة في شمال إفريقيا وحاضرة على رسومات صخور الطاسيلي.

كما نشير أيضا إلى القراية بالمصاهرة التي تتم عن لقاء عنصرين من أسرتين مختلفتين عن طريق الزواج مما يؤدي إلى قيام أسرة جديدة ليتوسع النظام القراي ويشمل فضاءات بيولوجية واجتماعية جديدة.

فالحكاية الشعبية لم تحدّ من نظام القراية بالمصاهرة وعملت على الزواج من خارج التجمعات القراية كحكاية "غانم وُلْدِ الرَّاعِي" التي قرّر فيها بطل الحكاية "غانم" الزواج

<sup>1</sup>: أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 220

<sup>2</sup>: مصطفى صمودي : من جلماش ... إلى نيتشه، ص 39

لِيسْتَقَرَّ اختياره على امرأة خارج تجمع القرابي (قرية أخرى)، ونلاحظ هنا أن الافتخار بالنسب باديًا في سلوكات البطل التي تتميز بالذكاء الحادّ، وعن طريقه تمكّن من التعرف على ابنه الذي كان يجيد حلّ الألغاز. ومن الواضح أن نسبة الذكاء هي العامل الأساسي في تحديد نسب البطل ووضع الطبقية. ما تشير إليه الحكاية من سذاجة ابن غانم حتى أنّه كان يسخر منه والده وينسبه إلى أمه ... يذكر راوي الحكاية أن «غَانِمِ انْخَلَعَ مِنْ لَقِي وَوَلَدَهُ مَا يَعْرِفُشْ يَجَاوِبْ، حَتَّى وَلى يَعْايرَهُ بِأَمِّهِ».

أما حكاية "الولد ومزّت باباه" تحدثنا عن الزواج خارج النسق القرابي حينما التقى البطل بعجوز خارج مدينته لتزوجه ابنتها مقابل المكوث عندها. كما تحدثنا حكاية "هارون الرشيد" عن شخصية السلطان التي تجلّت في البحث عن أزواج لبناته السبع، فقام باستدعاء شباب المدينة حتى تختار بناته أزواجا لهن. ولم تقف الحكاية عند هذا الحد بل امتدت إلى تسليمه السلطة لزوج البنت الصغرى لشهامته وكفائه. وبهذا تستمر السلطة الذكورية عن طريق زوج البنت الذي أوكلت إليه مهام الحكم، وبهذا فالقوة والحضور يخضعان لمنطق الذكورة.

لا تقتصر القرابة في الحكاية الشعبية على القرابة الدموية والقرابة بالمصاهرة، وإنما اتجهت اتجاها آخر وهو منظومة قرابية من عالم آخر تتشكل فيها عائلة جديدة نصفها إنساني والنصف الآخر غير إنساني.

تحدثنا حكاية هذا النظام القرابي عن دخول أبطالها ضمن منظومة قرابية من عالم آخر حيث يتجه أغلب أبطالها إلى البحث عن الزوجة أو المرأة الجميلة، كحكاية "جوهز في خيوطها" التي تبتدئ بحيلة العجوز التي حاولت من خلالها إبعاد "ابن السلطان" عن المدينة بعدما أخبرته بوجود امرأة جميلة (عالم غير إنساني)، ولا يمكنه الوصول إليها. إلا أن "ابن السلطان" قرّر التحدي رغم معارضة والده على السفر وصعوبة الوصول إليها. وبعد مغامرات الطريق التي تحدثت عنها الحكاية يصل البطل إلى "الجوهز في خيوطها" ويعود بها زوجة له.

تقوم هذه الحكاية على حركية عائلتين من جنسين مختلفين، بداية علاقتهمما تصارعية علاقة ابن السلطان (عالم الإنسان) مع أب المرأة (عالم غير إنساني) لتنتهي

هذه العلاقة بالمصاهرة . أما حكاية "عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ" هي أيضا تجمع بين عالمين، عالم إنساني تمثله "عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ" وعالم آخر يمثله كائن غير انساني "لسان العصفور" الذي اشترط على والدها الزواج منها حتى يعيد له هدية ابنته التي وعددها بها، وخوفا من عودته إلى البيت بدون هدية لأعز بناته وافق على طلبه ووعدته بالزواج بها لتتم علاقة المصاهرة.

ولعل ما يميز هذه العلاقات هو العودة إلى العالم الإنساني (البلد الأصلي) وفشل العالم الآخر. فانتصار "ابن السلطان" على والد "جَوْهَرٌ فِي خَيْوُطِهَا" هو انتصار للعالم الإنساني وانقاذ "لسان العصفور" "عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ" من أمه وأخته (عالم غير إنساني) والزواج بها هو انتصار للعالم البشري.

لم تصمد عائلة العالم الآخر أمام عائلة العالم الإنساني، لأن الحكاية وظفته ليساعد أبطال العالم الإنساني حتى تكتمل ذواتهم ويصان ما قد ضاع منهم بفعل السلوك البشري. ومن الملاحظ أيضا أن الزواج الخارجي من أهم نظم البناء القرابي التي تعمل على الربط بين علاقات الدم وعلاقات المصاهرة، بل ومن أهدافها إخراج النساء من العائلات التي ينتمين إليها بروابط الدم، وإعادة توزيعهن على جماعات أخرى<sup>1</sup>

كشفت لنا طبيعة النظام القرابي السائد في الحكاية الشعبية أنه نظام ذكوري مسيطر، تعود فيه السلطة إلى الأب أو الابن الأكبر أو العم وتغيب فيه سلطة الأم والخال والبنات. ومما يؤكد ضعف السلطة الأموية هو إبراز شخصية العم بشكل واضح ويمتد إلى الخط الذكوري الأبوي.

وبالرغم من ابتعاد الابن عن أسرته أو قبيلته إلا أنه لا ينفصل عن شعوره بالعودة إلى وطنه الأصلي ما يبرر لنا انتصار النظام الأبوي، إلى جانب قيمة الأسرة الأولية في تحديد الهوية البيولوجية والاجتماعية. ومن الواضح في الحكاية الشعبية أن النسق القرابي لا ينتهي عند حدود الأسرة بل يمتد إلى ما هو أبعد حيث يشمل فئات اجتماعية.

<sup>1</sup>: عبد الحكيم شوقي: السيرة والملاح الشعبية، ص 25

وعليه فإن الفرد لا يعيش إلا داخل ما تفرضه عليه تلك المجموعات القرابية .. من حقوق وواجبات ويكون وجوده مرتبطا بوجوده داخل الجماعة التي تسودها ثقافات ونظم مشتركة.

## الفصل الثاني: الدينامية الاجتماعية والاقتصادية

### 1. الحياة الاجتماعية :

تضع الحكاية الشعبية بين أيدينا مجموعة من النماذج السلوكية الواقعية منها وغير الواقعية التي تساعدنا على معرفة الحياة الاجتماعية وما يبرز عنها من ملامح العيش وتبادل العلاقات الاجتماعية، كما يعرض لنا بالإضافة إلى تلك النماذج عملية الحراك الاجتماعي وما ينتجه من تغيير وتبدل للأوضاع الاجتماعية. ونقصد بالحراك الاجتماعي تلك الظاهرة الاجتماعية المرتبطة بظاهرة التغيير الاجتماعي حيث يتعرض لها الأفراد أو الجماعات أو الموضوعات الاجتماعية أو القيم أو السمات الثقافية. ويشير هذا المصطلح إلى الانتقال أو التحول مع وضع اجتماعي معين إلى وضع آخر ومن مكانة اجتماعية إلى أخرى<sup>1</sup>.

يمثل الحراك الاجتماعي في الحكاية الشعبية تلك التحولات والتغيرات التي تصيب الأفراد والأسر والمجتمعات التي تعتمد على معايير وأسس واتجاهات يشترك فيها مجموع الأفراد والتي من شأنها أن تؤسس قوانين خاصة تقوى من شعور الانتماء للطبقة الاجتماعية.

والراجع هنا أن "الطبقة الاجتماعية كما يعرفها Bernard barber بأنها مجموعة من الأسر حيث تعد الأسرة وحدة متماسكة داخل الطبقة الاجتماعية لأنها تمجد في كل مجتمع بصرف النظر عن اختلاف الأبنية الداخلية. وهذه الأسر متماثلة في أسلوب الحياة ومستوى المعيشة ومقاربة في مقدار الثروة أو الوضع المهني أو المستوى التعليمي"<sup>2</sup>.

عرف ابن خلدون "الطبقة الاجتماعية الواحدة تنطوي عادة على فئات اجتماعية مختلفة، ونراه يجمع بين فئات القائمين بأمور الدين من القضاة، والفتاوي، والتدريس

<sup>1</sup>: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1975، ص202.

<sup>2</sup>: فائق محمد شريف : الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، ص 382

والأذان، تحت مقولة القائمين بشؤون الدين أو طبقة رجال الدين ... وصنف ابن خلدون الطبقات الاجتماعية حسب معيار المهنة<sup>1</sup>. ولا شك أن طبقات مجتمع الحكاية هي تلك الطبقات التي تستلهم تقاليدها وقوانينها من عرف الجماعة السائر في تلك المجتمعات، التي تميزها البساطة والحدود المعيشية الميسرة.

فالبحث في الحياة الاجتماعية عن سبل العيش والاستقرار وكسب الرزق تطلعا على سلوكات وملامح عديدة لتلك الحياة الريفية البسيطة، غالبا ما تدور أحداثها في بيئة متواضعة يسودها الأمن والسلام إلى حين تغييرها إلى بيئة غير مستقرة تبحث عن مخرج لمآزقها ومشاكلها، كمساعدة قبيلة من قبضة عدو أو مغامرة البحث عن المحبوبة أو الأخت أو هروبا من متاعب زوجة الأب وغيره أبنائها .. أو من فقر بيئة يسودها الظلم والاستبداد.

وغالبا ما تدور أحداث الحياة الاجتماعية حول بطل الحكاية إما أن يكون شيخا أو امرأة أو طفلا يتيما أو شابا عاشقا يحاول مساعدة معشوقته من قبضة العدو المتمثل في عدو إنساني أو زوجها المقيد أو زوجها من الغول كحكاية "لونجة" ليتحول ذلك إلى صراع اجتماعي يتعرض له البطل في الدفاع عن فتاته وإنقاذها من العدو.

يختلف أشخاص الحكاية الشعبية الى ذوي المراتب الرفيعة كالملك أو السلطان أو الجّد أو الأب، أو العكس هم أناس بسطاء مثل الفلاح، الخادم، الحرفي، العامل ... ولكن لا تبقى الحالة الاجتماعية على طبيعتها في معظم الحكايات لتتغير أو تتحول كتبدل حال السلطان إلى فقير أو الفقير إلى سلطان.

هذا التحول الاجتماعي تناولته الحكاية لترصد من ورائه قيما يرتكز عليها المجتمع فصورت لنا "حركية المجتمع كانتقال عضو من طبقة دنيا إلى قمة الهرم الاجتماعي"<sup>2</sup>، وعادة ما يظهر هذا التحول نتيجة ظلم المجتمع واستبداد السلطة ولكن في مقابل ما تفوح به هذه الحياة الاجتماعية من رائحة الظلم والاستبداد الدائم فهي تفوح أيضا برائحة الوفاء والكرم والعدل والمساواة.

<sup>1</sup>: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 157.

<sup>2</sup>: نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، 1974، ص 184

ولهذا نجد الحكاية بمختلف سلوكياتها الاجتماعية تدور حول صراعيين ( صراع الشر وصراع الخير) أو قوتين: قوة مدمرة تستلهم قوتها من عناصر مختلفة ترصدها الحكاية(كأفعال السحر، والكائنات الموحشة أو الظواهر الطبيعية) وقوة مساعدة تقوم بمساعدة الناس وإخراجهم من المآزق التي تعترض أبطال الحكاية.

ولا شك أن مجتمع الحكاية مجتمع بدوي بشكل خاص تكوّن عبر قرون عديدة وكون أنماطاً اجتماعية واقتصادية وأشكالاً ثقافية، حاولت التعبير عن خصوصية هذا المجتمع، وقد عبرت الحكاية عن طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

فإننا نجد في مجتمع الحكاية البدو مجتمع قرية فلاحية أو مجتمع متمدن تدريجياً بأسباب التجارة والصناعة وبعض الأشكال الحرفية والمهنية وأهم ما يميز الحكاية الجزائرية هو انتمائها إلى طبقات متوسطة أو الطبقات الفقيرة التي تتعرض إلى التهميش والسلب. فهي تصوّر لنا الحالة الاجتماعية المزرية التي تعيشها الأسر وتجسد لنا السلوكيات التي يستعملها الأفراد للحصول على قوتهم، ومن الملاحظ أن معظم الحكايات نلمس فيها الحالة المعيشية المزرية والبحث عن لقمة العيش، كحكاية " لِلْكَبَارِ وَالصَّغَارِ " التي تبدأ حكايتها بوصف حالة الزوجين الفقيرة "رَاجِلٌ مِسْكِينٌ هُوَ وَرُوجَّتُهُ ... " حيث وصل بهما الأمر إلى القيام بالحيلة من أجل الحصول من جيرانهم على العشاء. فتخاصما أمام بيت الجار حتى يسمعها ويدخلها لحضور الوليمة المقامة ببيته تقول الحكاية " يَدِيرُوا أَرْوَاحَهُمْ كَالِي مَدَابِرِينَ ... عَلَى خَاطِرِ مُسَاكِينٍ جِيَاعٍ بِلَا عَشَا وَجِيرَانَهُمْ مُوجِدِينَ وَاحِدٌ كُسْكُسِي سُلْطَانِي بِالْجَاجِ ... «.

كما تذكر لنا حكاية " كِشْمِيَتِ كِي كُلِيَتِ " حالة الجوع التي سادت المجتمع القروي واستهزاء البائعين بالزبائن خاصة الغرباء عن المدينة، حيث تمكن الشاب الفقير الذي حاول بائع الشواء التلاعب بأفكاره من الإنفلات من مكره بجوابه المقنع.

وهذا السلوك الاجتماعي اعتاده الشباب من أجل التسلية أو معرفة أفكار الناس خاصة منهم الغرباء عن المنطقة، إلا أن الشاب استخدم ذكائه الذي مكّنه من الرد على بائع الشواء دون شجار فالحكاية تبيّن فصاحة اللسان وفتنة الذكاء اللذين يخرجان صاحبهما بلا شك من المواقف الصعبة عندما ردّ بقوله « كِسْمِعَتِ كِخْلَصْتِ ».

عموماً فالحياة البائسة التي ترسمها لنا الحكاية ليست مقتصرة على أفراد الأسرة وأبناء المجتمع وإنما أيضاً على القبائل والقرى. ومجتمع الحكاية كأى مجتمع إنساني آخر، عرف مختلف المهن والحرف، عرف الفلاحة والزراعة والرعي والإحتطاب والصيد وهي مهن تُكون طبقة الفلاحين كما سماها ابن خلدون " مهن بسيطة أقرب إلى الطبيعة لذلك ينتحلها البدو البسطاء وهي مهن سبقت الصناعة والتجارة... و تدني المكانة الاجتماعية سمة ظاهرة في القائمين بهذه المهنة <sup>1</sup> وظهور هذه المهن والحرف طبيعي في المجتمع الجزائري، خاصة الإحتطاب لما تملكه المنطقة من ثروة غابية في مختلف الأوساط، فالحطاب يكسب قوت يومه من جمع الحطب وبيعه، وهكذا يتمكن من سد حاجات أسرته. وليست مهنة التحطيب مقتصرة على الرجال بل حتى على النساء كما تشير لنا حكاية "كُلُّ شَيْءٍ يَبْرَأُ... وَكَلَامٌ سُوءٌ مَا يَبْرَأُ" فالخادمة " هبرة " كانت تذهب يومياً إلى الغابة لجلب الحطب، كما تذكره لنا الحكاية : " نُجِي تَحْطَبُ فِي الْغَابَةِ..".

ومن النماذج العملية الأخرى الأكثر انتشاراً في الحكاية مهنة الرعي المتداولة بكثرة في المجتمع الريفي والقروي كحكاية : "المِعْرَةَ الصَّنِيَّةَ" وحكاية "عَانِمِ وِوَلْدِ الرَّاعِي" التي تروي لنا عمل الفلاح الذي يملك أربعين معزة ويقوم على عنايتهم وسلامتهم، فتصفه لنا الحكاية وهو في طريقه إلى عمله، حاملاً معه زاده المتكون من القربة (الماء) وكيس الخبز (زرع) والعصا وهو يُرَدِّدُ « هِشْ هِشْ، مُعِيرَاتِي خِيَاتِي قُدَامِي، حَتَّى لِلْغَابَةِ».

كما تذكر لنا الحكاية تفاصيل ثنائية لعملية الرعي ونوعية الأكل الذي تأكله الماشية، هذا إلى جانب مهنة الرعي المنتشرة في تلك المناطق الريفية، هناك مهنة الصيد المتواجدة بكثرة كحكاية «لُونَجَةَ مَوْلَاةَ سَبْعِ سَوَالِفِ» التي تذكر لنا تفاصيل إلتقاء الفارس الصياد "بَلُونَجَةَ" حينما كان يمارس عملية الصيد مع أصدقائه في الغابة. فسقطت الحجلة على الثلج وحينها قرّر الزواج من فتاة ناصعة البياض، محمرة الخدين مثل بياض الثلج الذي سقطت عليه الحجلة وسال دمها عليه فقال لأصدقائه : « يَا أَلِي أَخَذَ طِفْلاً خُدُودَهَا بُوضِينَ كِي هَذَا التَّلْجُ وَحُمْرِينَ كِي هَذَا الدَّمُ، أَلَا نَقُولُ رَبِي نَعَمَ عَلَيْهِ ».

<sup>1</sup>: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 159

وحكاية " الولدُ ومَرَّتْ بَابَاهُ " الذي هجر فيها الولد أسرته بعد اضطهاده من قبل زوجة أبيه، ليلتقي بعجوز تقوم بتربيته إلى أن يأتي أخوه باحثاً عنه، وكان الولد ماهراً في الصيد، لا ينقضي يوماً بدونه، تقول الحكاية « كَانُ كُلُّ يَوْمٍ اِصْيَدُ، قَالَتْ لَهُ الْعَجُوزُ: قَاعُ الْجِبَالِ صَيْدٌ فِيهِمْ غَيْرُ هَذَا الْجِبَلِ لَأَ ». .

تتحدث الحكاية عن سلوكيات متعددة لعملية الصيد البري وما يصطادونه من طيور مختلفة، وقد يكون هذا الشكل العملي محبباً لدى أبناء المجتمع الريفي لما يجدون فيه من المتعة والتسلية من جهة وتلبية حاجات الأسرة من جهة أخرى.

وقد تطلعتنا الحكاية على مهن أخرى كالتجارة في المواشي، من أغنام وأبقار ... ما تذكره لنا حكاية "بقرة اليتامى" حينما توجه الأب المكسور إلى سوق الجمعة لبيع "بقرة اليتامى" التي قطع وعدا مع زوجته المتوفية بالألّا يبيعهها ويتركها لأطفاله، ولكن زوجته الثانية من شدة كرهها لأبنائه وغيرتها منهما بعدما اكتسبوا بنية ووسامة من شرب حليب تلك البقرة، أرغمتها على بيعها والتخلص منها. وقلّما ذكرت لنا الحكاية الشعبية تلك المهن المتمدنة كالطبيب والمعلم، والمهندس ...

أما النماذج العملية التي تتعلق بالمرأة فقد ذكرت لنا الحكاية بعض السلوكيات العملية النسائية، تتعلق معظمها في الأعمال الحرفية كحرفة غزل الصوف في حكاية "لؤلؤة مؤلاة سبغ سؤالف" التي ذكرت لنا عملية صنع البرنوس بعدما طلبت زوجة أبيها أن تساعدتها في صنع برنوس لأبيها بنية التخلص منها حيث قالت لها : « يَا لَوْلُؤَةَ بِنْتِي أَيَا نَسِدُو بَرْنُوسُ لُبُوكُ كِنَكْمَلُوهُ وَيَلْبَسَهُ يَفْرَحُ بِيكَ ». .

كما تشير الحكاية إلى أعمال نسائية أخرى، كغسل الملابس في الوادي إما عملاً لتتقاضى به أجراً أو لقضاء حاجات أفراد أسرتها والعناية بنظافتهم.

ما تحدثنا به حكاية "بابا قرماز" عندما كان الزوجان يخرجان كل يوم للعمل فالرجل يخرج لكسب رزقه مثله مثل المرأة التي اكتسبت من غسل ملابس الناس عملاً يساعدها على تلبية حاجات أسرتها المعسرة حيث تقول الحكاية : « وَهِيَ مَشَاتُ لُقْشَهَا، يَعْنِي قَشُ النَّاسِ وَغُسِبِلَهَا فِي الْوَادِ كَالْعَادِ ». أما حكاية " المعزة الصنبية " تذكر لنا هي أيضاً غسل

الملابس في الوادي حيث تقول « وطولُ النهارُ وهي تَغسَلُ في قَشْهَا في الوادِ وَحَنَّا الذِيبُ يَحَاوِزُ فِيْنَا ...»

ولأول وهلة تظهر لنا بجلاء أنواع الأطعمة البسيطة التي كانت تستهلكها الطبقة المتوسطة في الحكاية كأنواع الخبز من شعير وكسرى وخبز الزرع إلى جانب العسل والسمن والحليب والكسكس، والشواء والدجاج... الخ.

وانطلاقاً مما سبق نستطيع أن نلاحظ ذلك الجانب الهام من الجوانب الاجتماعية للعمل البسيط الذي تحفل به المجتمعات القروية والتي تدفع بهم الظروف القاسية والحالة الاقتصادية الصعبة إلى العمل من أجل الحياة.

وعليه نستطيع أن نلمس المشاركة الاجتماعية والعلاقات المتبادلة بين أفراد المجتمع في الحياة الاجتماعية للحكاية الشعبية أهمها : العلاقات الاجتماعية والأسرية وما تحمله من سلوكات مختلفة كالتعاون والتسامح والعلاقات العدوانية كالكراهة والانتقام وحب الذات...

لم تقتصر العلاقات الأسرية والاجتماعية على الإخوة والأخوات أو على الأصدقاء وإنما كذلك على الأزواج، وما تمثله حكايات يبين لنا علاقتهم المتينة مع بعضهم البعض في الحفاظ على العلاقة الأسرية، وتلاحمهم على اجتياز المخاطر والمشاكل الاجتماعية من أجل رعاية أبنائهم وتوفير الأمن والأمان لهم.

فالتبادل والتعاون الاجتماعي من أهم السلوكات التي تشيد به الحكاية الشعبية في جميع أطوارها فهي التي تعلن أن « الوحدة ليست هي الفرد بل هي الجماعة القرابية، والفرد ليس إلا جزءاً من مجموعة أقارب، وهذا لا يكون صحيحاً إلا إذا اعتبرنا أن الفرد أو الجزء يسهم في عملية التبادل مع جماعته»<sup>1</sup>. وهذا ما يراه علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع أن الجماعات التي تكونت منذ بدأ الخلافة تكونت على أساس التعاون بين أفراد الجماعة وكانت الأسرة دائماً هي النواة الأولى للجماعات»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>: سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 47

<sup>2</sup>: سعد جلال : علم النفس الاجتماعي الاتجاهات التطبيقية المعاصرة، ص 134

امتد تأثير العلاقات الأسرية إلى العلاقات بين باقي أفراد المجتمع كالعلاقات التجارية، وعلاقات الأصدقاء وعلاقة المصاهرة وقد تظهر هذه العلاقات جلية في الحكاية وما تبرزه من ارتباط كل واحد بالآخر ارتباطا اجتماعيا لتحقيق مصلحة مشتركة، ولعل هذا التلازم يؤكد نجاعة العلاقة الاجتماعية القائمة على تبادل المصالح رغم أن هذا التواجد لا يعني بطبيعته الإنسجام بل يعني في الغالب التعايش لتحقيق المصالح المشتركة. "فالإنسان بطبعه يحتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته، وتلك المعاونة لا بد فيها من المفاوضة أولاً، ثم المشاركة وما بعدها، وربما تفضي المعاونة عند اتحاد الأغراض إلى المنازعة، فتنشأ المناقشة والموافقة، والصداقة والعداوة ويؤول إلى الحرب والسلم بين الأمم والقبائل"<sup>1</sup>.

وبناء على ذلك نسجل أهمية العلاقات الاجتماعية في البناء والتفاعل الإنساني حيث تذكر لنا الحكاية مجموعة من العلاقات بين أفراد المجتمع، منها علاقة الأب أو شيخ القبيلة أو السلطان برعيته أو أبنائه، فشيخ القبيلة هو الذي يشرف على تطبيق القوانين وتسيير أمور القبيلة، وأفرادها يسرون طوع مشاورته في أمورهم خاصة.

لم تقتصر الحكاية الشعبية على العلاقات الاجتماعية بين القائد ورعيته وإنما امتدت إلى علاقات الحب والهيام بعدما عرضت لنا مجموعة من السلوكات بين الأحبة كحكاية لُونجة". وحكاية "حَدّ الزين مُولاة الشَّعر الذهب" التي وقع في حبها ابن عمها وتزوج منها بعدما عانى قرحة الفراق.

والملاحظ أن العلاقات الاجتماعية التي ميزت الحكاية هي علاقة المصاهرة بين أبناء السلاطين ونساء أدنى مستوى منهن لتعكس الحكاية لنا تغير الأوضاع الاجتماعية والأسرية.

## 2. التحولات الاجتماعية:

تبقى الحكاية الشعبية ببساطتها تمثل لنا تلك السلوكات الاجتماعية المنحصرة بين العلاقات الاجتماعية وتحولات أفرادها، لأن من طبيعتها اختزال الحياة الحقيقية ومكوناتها الواقعية وتصويرها " لإنقلاب العلاقات الاجتماعية والقيم المرتبطة بها وتبشيرها بضرورة

<sup>1</sup>: حسين عبد الحميد أحمد رشوان: علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 157

إخلال نظام جديد على أنقاض النظام السابق، وهو ما يدل على أنّ نشأتها تعود إلى مراحل تغير جذري في العلاقات الاجتماعية عرفها المجتمع المغربي القديم<sup>1</sup>.

فالسلكات التي يحارب فيها الظلم ويتم فيها الانتقام من المتعدي، ويتحول فيها الفقير إلى غني، متعددة في الحكاية الشعبية، تتغير فيها وضعية الضعيف والفقير والأمير والسultan والغني، وقد تتخذ الحكاية سلوكات مختلفة للقيام بهذا الغرض.

والراجع هنا أن الحكاية مرتبطة بالإنسان الشعبي المحروم وملازمة له لتغيير أوضاعه الاجتماعية من خلال إجرائية تقوم في مكانه بتغيير هذه الأوضاع. وحينما نتأمل السلوكات التي احتوتها الحكاية نجدها لا تختلف كثيرا عن سلوكات الحكايات الشعبية في العالم إلا أنها تمتلك بعض المميزات الثقافية التي ورثتها عن قصص عالمية أخرى وطبعتها بطابع محلي خاص.

ومن الملاحظ أن أهم العناصر الأساسية المحركة للتحويل والتغير هي المبالغة التي تجسدها سلوكات مختلفة كالسحر والحيل والمسح.... التي تشكل إحدى أبهى صور الحكاية خاصة الحكاية الخرافية.

"إن مسخ شخص يعني خضوعه لتحويل يصيبه إما بالزيادة أو بالنقصان وهو أن تطرأ تحولات فيزيولوجية على شخص ما، كأن يتحول إلى حيوان أو جماد أو نبات"<sup>2</sup>.  
حكاية "بقرّة النيامي" تحدثنا على الأخوين اللذين فرّا من ظلم زوجة أبيهما، وفي طريقهما أحس الأخ بالعطش فشرب من إحدى العيون المتواجدة بالغابة، ليتحول إلى "غزال" تقول الحكاية «غَيْرَ اشْرَبَ مِنْ الْمِيِّ انْتَاعَ الْعَيْنِ، انْصَحَطَ وَلَا غَزَالَ».

والمسخ هنا هو الإنتقال من صورة إلى أخرى، يتحول فيها الإنسان من طبيعته الآدمية إلى طبيعة حيوانية ويرتبط أحيانا «بالسحر إذ بواسطته يحصل هذا التحويل، إضافة

<sup>1</sup>: عبد الحميد بواريو : الحكايات الخرافية للمغرب العربي دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات، دار

الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1992، ص 122

<sup>2</sup>: المصطفى مويقن : بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 2005،

إلى أنه بواسطته يمكن إعادة من صار حيوانا إلى طبيعته الأصلية»<sup>1</sup>. وفي حكاية أخرى استعانت الحكاية بعملية السحر لتغيير الإنسان الممسوخ إلى إنسان طبيعي بعد شربه لماء مسحور تقول الحكاية « دَاهِمُ مَعَاهُ لِلْقَصْرِ وَلَعَى لِلطَّالِبِ شَرِبُوْلَهُ وَاحِدَ الْمَاءِ .. وَلَا عَازِبُ كِدَائِرٍ .. ».

يُرد التحول السحري عادة للبطل بغية إيقاع الأذى به من قبل العدو، بغرض الانتقام أو الإبعاد وتارة بغرض المساعدة والنجاة . كحكاية "الوُدُّ وَمَرَّتْ بَابَاةٌ" التي تذكر لنا الحكاية التحول من الموت إلى الحياة باستعمال "العشبة الشافية" التي كانت سبباً في عودته إلى الحياة. وحكاية " الفلاح والخماس " التي أمر فيها الخماس زوجة الفلاح بأن تستعمل العشبة الشافية لزوجها عندما فقد الوعي.

وهذا يذكرنا بعشبة الخلود التي بحث عنها "جلماش" في أسطوره « البحث عن الخلود». وكذلك عشبة "الرعرع" أو "العرعر" الفرعونية التي حك بها أيوب جسمه فشفي. هذا النبات عميق الخضرة وأهم من هذا، أن في خضرته العميقة، ما يرمز إلى الخصوبة وتجدد الميلاد في الطبيعة»<sup>2</sup>. وقد يدل هذا التشابه في الذهن الشعبي على شمولية الحكاية الشعبية وامتدادها الأسطوري.

ونشير أيضا إلى عمليات التحول والتغير بطرق " الحيلة " كحكاية "عَانِمٌ وَلُدُّ الرَّاعِي" التي غيرت فيها المرأة العجوز ابن الراعي بابن سيدتها، ولم ينكشف أمرها إلا بعد تفتن الأب لذكاء ابن الراعي وسذاجة ابنه.

كما تذكر لنا الحكاية حيل زوجة الأب التي تستعملها من أجل التخلص من ابنة زوجها كحكاية "عُشْبَةُ خَصَّارٌ " عندما طلبت من ابنة زوجها أن تساعد في حياكة برنوس لأبيها بحيث منحتها كبة صوف كبيرة وأمرتها بتمديدها إلى آخرها حتى تتخلص منها. كما تشير حكاية "زَاجِيَّةٌ" ذات الفطنة والجمال إلى فرارها من الشريف هاشم باستعمال حيلها وفطنتها التي مكنتها من الرجوع إلى أحضان قبيلتها وديار زوجها.

<sup>1</sup>:المرجع السابق: ص 242

<sup>2</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 13

أما الحكايات التي تتحول فيها الأوضاع الاجتماعية للأشخاص من حالة إلى أخرى عن طريق الزواج فهي عديدة كزواج "لُونَجَة" ابنة الغولة من ابن السلطان، بعدما عانت الظلم والتهميش من زوجة أبيها وترتبت في بيت الغيلان لتتغير أوضاعها وتصبح زوجة سلطان وصاحبة جاه.

أما حكاية " بَقْرَة الْيَتَامَى " عانت فيها الأخت مع أخيها آلام ومرارة فراق أمهما والتعرض إلى قسوة زوجة الأب وظلمها لهما، حيث وصل بها الحد إلى تهديدهما بالموت ولأجل ذلك لم يستحمل الأخوين الصمود أمام شرستها، فاضطرا إلى الهروب وعانوا مشقة الهجرة إلى أن التقت الأخت بابن السلطان الذي أحبها وعرض عليها الزواج بعدما انبهر من جمالها ورقتها وذكائها وقال: « هَذِي هِيَ الْمَرَا لِتُلِيقُ بِي ... ».

تعتمد الحكاية الشعبية في سلوكات التحول الاجتماعي على "روح المبالغة التي هي سمة شعبية تفرضها طبيعة القاص نفسه... قد تكون (المبالغة) محفزة لاستنهاض بطل مظلوم"<sup>1</sup>. " فالمبالغة في إضفاء صفات خاصة على مثل هؤلاء تنقلهم من وضع ما إلى وضع آخر"<sup>2</sup>، كالفقير الذي أصبح غنيا واليتيمة التي أصبحت زوجة سلطان، والراعي الذي أصبح سلطانا،.. ونلاحظ أن فكرة التحول عندما انتقلت من الأسطورة إلى الحكاية بدأت تفقد انتماءها إلى الفضاء المقدس لتكتسب شكلا متدنيا كالتحول من الفقر إلى الغنى أو من الشيخوخة إلى الشباب.

وعموما فإن المبالغة في التحول والتغيير تعكس الحاجة الأساسية لأفراد المجتمع التي ترتبط أساسا بطموحات وأحلام الشعب في تحقيق أمنياتهم كالانتقال من الفقر إلى الغنى ومن الظلم إلى الحرية، لتظل مجموعة هذه الحكايات في دينامية اجتماعية تشكل في أبعادها طموحات القاص والمستمع في فترة معينة.

<sup>1</sup>: ياسين النصير: المساحة المختفية، قراءات في الحكاية الشعبية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 195، ص 14

<sup>2</sup>: المرجع نفسه : ص15

### 3. علاقة الإنتاج وخصائصها:

مما لا شك فيه أن التحولات والعلاقات الاجتماعية ظاهرة طبيعية وضرورية عند الإنسان بمعنى أنه لا يستطيع أن يعيش منعزلاً عن الجماعات البشرية والتبادل الاجتماعي، فلا بد إذن من اجتماع الأفراد "فشعور الفرد برغبته في الحياة الاجتماعية شعور فطري يدفعه إلى الاستئناس بأخيه الإنسان وتتعكس الضرورة الاجتماعية في هذا من خلال حاجة الأفراد إلى التعاون لسد حاجاتهم الاقتصادية والدفاعية"<sup>1</sup>. ولذلك فإن الحاجة الاقتصادية من أهم الضروريات التي ذكرها ابن خلدون في الحياة الاجتماعية التي تستلزم القدرة على تحصيل الحاجات الغذائية.

إن العلاقات الاجتماعية تتحرك بدافع الحصول على الأمن والغذاء وقد عبر ابن خلدون عن ذلك بحاجة الإنسان إلى "الاستعانة بأبناء جنسه، وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت وغذاء ولا تتم حياته... ولا يحصل له أيضاً دفاع عن نفسه"<sup>2</sup>.

فالحكاية تعترف بهذه العلاقات وتنوعها لمالها من أهمية في تقوية الدور الاجتماعي والنمو الاقتصادي، حيث ترتبط المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي للشخص بالمظاهر الاقتصادية للحياة الاجتماعية التي تعتمد على القيم والاتجاهات التي يشترك فيها الفرد مع الآخرين لدرجة كبيرة والتي من شأنها تقوية الشعور بالعضوية في طبقة اجتماعية خاصة<sup>3</sup>، وعلى هذا الأساس يمكن أن يمتد أثر الحراك الاقتصادي وشدته إلى الحراك الاجتماعي وتنوعه.

وإذا تأملنا في الحياة الاجتماعية نلمس ذلك الاختلاف والتنوع في مصادر القوى الإنتاجية والتي تظهر بوضوح في الحكاية "... فمنذ فجر التاريخ هناك صراع بين الحضارة الزراعية (الأنهار) وبين البداوة ومجتمعات الرعي والصيد والإغارة"<sup>4</sup>. والعديد من الأساطير تذكر ذلك الصراع كأسطورة "جلجماش" ذلك "الفلاح المتحضر" وصديقه أكيدو

<sup>1</sup>:حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 97

<sup>2</sup>:المرجع نفسه : ص 97

<sup>3</sup>:مجموعة من أساتذة علم الاجتماع: دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 201

<sup>4</sup>: عبد الحكيم شوقي: دراسات في التراث الشعبي، ص 196

"الراعي المتوحش"، هذا إلى جانب قتل الفلاح "قبيل" شقيقه "حام" صاحب الزرع، وبعدها صراع قبائل الاوس والخزرج من فلاحين ورعاة.

إن البدو والحضر هما التصنيف الأول الذي اكتشفه ابن خلدون في المجتمع العربي، وليس هو الأسرة مثلاً كما هو الشأن في المجتمع الغربي. وهذا التصنيف عنده أساسه الاقتصاد<sup>1</sup> والمجتمع البدوي هو المجتمع التي تقتصر حياته على ما هو ضروري متجاوزاً بذلك الكماليات، لأن طبيعة السلوكيات الاجتماعية تختلف تماماً عن سلوكيات الحضر، فهم يعتمدون على الدفاع عن أمنهم (الدفاع عن القبيلة والأسرة....) كما يعتمدون في معاشاتهم على التعاون الاجتماعي في تحصيل الغذاء مستعملين الفلاحة والغرس والزرع، وتربية المواشي ورعي الأغنام،.... وكان ذلك التعاون والاجتماع في تلبية حاجاتهم الضرورية ما هو إلا تحصيلاً لحاجاتهم وحفاظاً على حياتهم واستمرارها. " فالبدوة حالة اجتماعية اقتصادية تتسم بالبساطة-لا التعقيد- وذلك لقلة أفرادها والاقْتِصَار على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد، ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي.."<sup>2</sup>.

وما يهمننا الآن مجتمع الحكاية التقليدي الذي يجمع بين البدوة والزراعة لأن أهم ما يميزه هو انتمائه إلى مجتمعات ما قبل الرأسمالية أو ما يسمى بنمط: " الإنتاج الآسيوي وهو نمط قائم على الملكية الجماعية للأرض والتنظيم القبلي"<sup>3</sup>، فالتمسك بالأرض مثل التمسك بالعرض، وقد لمّحت لذلك الحكاية وأكدت على العلاقة المتينة بين الأرض ومالكها، إلى جانب مكانتها المقدسة في النفوس والتصاق أبطالها بها بصفاتها "الأم" و"الوطن". كما ارتبطت الحياة الاقتصادية بالفلاحة (الأرض) إلى جانب تربية الحيوانات (الأغنام البقر، المعز،...) والانتفاع بمننتاجاتها (كاللحم والصوف والحليب...).

قدمت لنا الحكاية أيضاً الصيادين والقوافل التجارية وحركتهم الدائمة والأسواق والتبادل التجاري الذي كان يعتمد فيه على " الحمار" باعتباره الوسيلة الوحيدة المسخرة في

<sup>1</sup>: عبد الله شريط : نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 34

<sup>2</sup>: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 135

<sup>3</sup>: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص 193

التبادل التجاري والقيام بالأعمال اليومية، فكان مساعدتهم في جميع الأعمال الشاقة. "وصلة الفلاح بدابته ليست قاصرة على مشاركته العمل، بل هي تعاشره وتساكنه كوخه أو منزله، يعتمد عليها في طعامه، ويعتبرها مصدرا للكسب"<sup>1</sup>... وتعود هذه المعاشرة إلى زمن الفراغة حيث تعتبر مصر من المناطق الأولى التي عاش فيها الإنسان الحيوان، ولذلك تركت هذه العادة في الأدب الشعبي أثرها في تركيب الصور والمعاني في الأمثال والحكم والشعر، كما تركت أغاني العمل أساليب المناجاة التي يوجهها الفلاح إلى دابته.

ففي حكاية "عشبة خضار" تذكر لنا تلك العلاقة التبادلية للإنتاج عندما منحت أم "عشبة خضار" "صحن فضة" (مكان النقود) لابنتها من أجل شراء ما تحتاجه. وكان التاجر وسيطا بينهما وبين زوجة أبيها، وعليه نلاحظ ذلك السلوك التجاري الذي اختفت منه العملة وحلت محله المقايضة التي كانت سائدة في المجتمعات البدائية "وقد يكون التبادل بين فرد وفرد، أو بين جماعة قرابية، أو بين قرية وأخرى. وبذلك نجد أنه في كل الترتيبات المتعلقة بالنظام الاقتصادي. يبني السلوك الاجتماعي للأهالي على مبدأ "الأخذ والعطاء"<sup>2</sup>.

تحدثنا أيضا حكاية "الخير مرأ والش مرأ" عن مؤانسة الإنسان بالحيوان ومشاركته العمل، بحيث كان الحمار سببا في غنى الرجل عندما اقترحت المرأة الذكية على زوجها بجمع المال وشراء حمار تستعمله في نقل حمولة الحطب وبيعها في الأسواق. فحركة الأسواق الدائمة والتبادل التجاري كانت حاضرة في السلوكات الاجتماعية لأهميتها في كسب الرزق والدفع بحركة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

أما حكاية "المعزة الصنبية" و"غانم ولذ الراعي"، "زاجية ودياب بغالم"... الخ من الحكايات التي يعتمد أصحابها على "الرعي" كمصدر رئيسي لتلبية حاجاتهم الاجتماعية وضمان استمرار حياة أسرهم. تقدم لنا نوعية من الرعاة، رعاة خواص أي مالكين للماشية، يستفيدون منها لتسديد حاجيات أسرهم والنوع الثاني هم رعاة الجماعة، وهم أجراء عند أصحاب المال أو ما يطلق عليهم باسم "العزري"، وعادة ما تكون شخصية الراعي في

<sup>1</sup>: أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 309

<sup>2</sup>: سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 43

الحكاية شخصية مساعدة لأبطال الحكاية. إلى جانب " الرعي " هناك وسائل إنتاجية هامة كالأرض والماء التي يُعتمد عليهما في كسب الرزق والقوت كحكاية " عَشْبَةُ خَصَّازٍ " التي عانى فيها أفراد المجتمع الجفاف وندرة الماء، مما أدى بهم إلى الفقر والمعاناة.

يعدُّ الماء من أهم الموارد الرئيسة في المجتمعات وذلك منذ بزوغ الإنسانية فكان على الدوام هدفا من أهداف الحروب الطاحنة والهجرات المتتالية، ولهذا تداوله تراثنا الشعبي بنوع من الأهمية، " ومنه فكرة ماء الحياة في الفولكلور وهو السائل السحري الذي يرَد ويعيد الموتى إلى الحياة"<sup>1</sup>.

تذكر لنا حكاية " بَقْرَةُ الْيَتَامَى " أهمية الماء في بعث الحياة من جديد وهذا عندما شرب البطل ماء مسحورا تحوّل بسببه إلى حيوان، وبعد شربه ماء آخر مسحورا رجع إلى طبيعته الآدمية، تقول الحكاية " اشْرَبْ مِنَ الْمَيِّ نَتَأَعُ الْعَيْنَ، نُسْحَطُ ... " ثم تقول في الأخير « لُغَاو لَطَالِبُ شَرْبُوْلَهُ وَاحِدُ الْمَاءِ ثُمَّ وَلَى عَارِبٌ كِدَائِرُ. » فالحكاية تشير إلى أن الماء هو الحياة والموت معاً. وإذا رجعنا إلى الأساطير فإننا نجد أن سحر الماء في إعادة الحياة له رواجٌ بين الناس" فعشترت أنزلت إلى العالم السفلي ابنها "تمو" وأعدت إليه الحياة عن طريق ماء الحياة"<sup>2</sup>.

من الواضح أنّ الماء والأرض هما من أهم المصادر الاقتصادية التي اعتمد عليهما الإنسان قديما وحاضرا وفي" هذا الصدد يقول ابن خلدون : أما جلب المنافع والمرافق فيراعى فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ثره (أي غزيرة المياه) فإن وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية"<sup>3</sup> ولقوله تعالى « وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ».

وعليه فتنوع المصادر الإنتاجية والاقتصادية تظهر بوضوح ضمن السلوكات الاجتماعية على طول هذا الإرث الشعبي وهي مصادر طبيعية وحيوانية يعتمد عليها اقتصاد الحكاية الشعبية. فهو إذن مجتمع قروي أساسا، ترتبط علاقاته بين السيد والعامل

<sup>1</sup>: عبد الحكيم شوقي: دراسات في التراث الشعبي، ص 237

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص 40

<sup>3</sup>: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 100

تلك العلاقة التي تتشكل المنبع الرئيسي لتنظيم المجتمع ولهذا " يرى ابن خلدون أن الأوضاع الاقتصادية لها صداها الذي يتردد في بقية أنساق المجتمع ونظمه"<sup>1</sup>.

عموما تصور لنا الحكاية المجتمع الفلاحي تصويرا دقيقا لما يقوم به من أعمال جماعية، فتراه يعيش حياة بسيطة يسودها التعاون والعمل المشترك (كالحصاد والرعي... وغيره) من الأعمال الفلاحية. ومن الحكايات التي خدّت لنا علاقات الإنتاج بين الفلاح وأصحاب الملك، تلك الحكايات الرمزية "الذئب والقنفذ" أو "النعجة والثعلب". فلم تقتصر الحكاية على وصف الأوضاع الاجتماعية بل اتسعت لقصص أخرى تصف الحياة التي يقوم الحيوان فيها مقام الإنسان وتتسم هذه القصص بالقصر من حيث الشكل وبتصوير التعسف وتغلب الأقوى على الأضعف برغم الحق والعدالة من حيث المضمون"<sup>2</sup>.

استعملت الحكاية هذا السلوك الرمزي من أجل التعبير عن مواقفها اتجاه الظروف الاجتماعية والاقتصادية خاصة تلك العلاقات بين الفلاح المقهور وأسياد الملك لتختزل ذلك الصراع في رمزين متناقضين هما " الذئب والقنفذ ". والملاحظ هنا أن "الإنسان انفرد عن جميع المخلوقات بالسلوك الرمزي وبالقدرة على استعمال الرموز والتعامل بها، وإن الرمز بتعبير آخر هو الذي يُحول الإنسان من مجرد حيوان فحسب إلى حيوان آدمي"<sup>3</sup>.

اعتمدت الحكاية على سلوكات الشراكة في العمل الفلاحي كحكاية "الذئب والثعلب" اللذين اشتركا في إنتاج محصول القمح وحكاية " الذئب والقنفذ "في اشتراكهما في إنتاج "البطيخ" وحكاية " الحيلة والنية" في اشتراكهما في فلاحه القمح واللفت. " فالحياة الواقعية قائمة على مثل هذا التعاون، إذ يشترك الإنسان والحيوان في كل ما يتصل بالزراعة من أمور، ومن هنا كان للحيوان دوره المهم في الحياة والمجتمع مما يظهر في كثير من الحكايات الشعبية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص 135

<sup>2</sup>: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 201

<sup>3</sup>: أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، ص 37

<sup>4</sup>: أحمد مرسى: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 58

تحدثنا مجموع هذه الحكايات عن العمل الجماعي خاصة تلك السلوكات القائمة على الشراكة، وعملية قسمة المنتج التي غالبا ما تكون غير عادلة. فحكاية "الذئب والقنفذ" حاول فيها الذئب أن يستحوذ على كامل المنتج لولا فطنة القنفذ، حيث حاول الذئب استعمال حيله المتعددة التي لم تجد نفعاً أمام نكاه القنفذ. أمّا حكاية "الذئب والثعلب" فجسدت لنا ذلك السلوك غير العادل لعملية قسمة المحصول وهذا عندما أراد "الذئب والثعلب" أن يقنّسما المنتج إلا أنّ الثعلب لم يرض بقسمة الذئب الظالمة، فاشتكاه إلى السلوقي-رمز العدل- الذي أنقذه من تلك القسمة الظالمة ليهرب الذئب خوفاً من السلوقي وهو يردد : « كُنْثِي رَاهُ لِيكَ بِالصَّافِي وَالكَرْفَةَ بِلِي تَحْتَ الطَّارِفَةَ، كُلُّ شَيْ رَاهُ لِيكَ ».

ولم تغفل حكاية " الفلاح والخماس " عن نموذج الإنتاج الإقطاعي الذي كان سائداً في المجتمع القروي في استغلال الأرض بواسطة " الخماسة ". فغالبا ما كان الفلاح يشتغل كخماس أي يأخذ الخمس من الإنتاج في السنة والباقي يأخذه صاحب الأرض أو المالك لوسائل الإنتاج.

ومما لا شك فيه أنّ الحكاية استعملت شخصيات كرموز لتعكس بهم الصراع القائم داخل الوسط الاجتماعي والاقتصادي الذي كان يزداد بؤسا بسبب الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في المغرب العربي عامة والجزائري خاصة. فإذا كان الذئب رمز القوة والسلطة فإن القنفذ والثعلب رمز الفلاح البسيط الذي يسترجع حقوقه المغتصبة عن طريق شخصية "السلوقي" رمز العدل والإنصاف.

والذي استوقفني هنا هو أهمية "الذئب" في الحكايات الشعبية التي يعتبر فيها بطلا لحكايات الحيوان، وقد جُمع له العديد من الحكايات كمدونة " تاسعديت ياسين " ومدونة "لاوست " وتبقى حكايته المشهورة التي تداولتها الأوساط الشعبية المغاربية هي "عرس الذئب" و"ديب بُونَوْرَة" وهي من أهم الحكايات الشعبية المتداولة في جميع المدن والقرى الجزائرية.

تشير حكايات الذئب في معظمها الى شراكة زراعية مع الحيوانات أو حتى مع الإنسان، وتبقى تلك النزعة السلطوية تبقى دائما علاقة صراعية قائمة على المكر والاحتيال ويمكن فهم تلك العلاقة بظهور "النموذج الفردي المرتبط باقتحام الليبرالية

التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية التقليدية، وهو ما سمح بتحول قسط هام من طبقة الفلاحين إلى عمال في المصانع، ومن المعروف أن العمال أكثر تحرراً من وطأة الجماعة من زملائهم الفلاحين<sup>1</sup>.

عموماً فإن تداول تلك الحكايات دليل على رفض ذلك السلوك الفردي المبني على التفكك الأسري والاجتماعي. وبكل بساطة هي " الوجه الحقيقي للصراعات الدفينة التي تعتمل في عمق الحركة الاجتماعية"<sup>2</sup>. فإذا كان الذئب يستعمل سلوكيات المكر والخداع في الحصول على ما يريد، فإن القنفذ يتمكن من الخروج من تلك المآزق بذكائه الحاد وخفته. ماتحدثنا به حكاية " الذئب والقنفذ " التي لم يتمكن الذئب فيها من مخادعة القنفذ هذا الأخير الذي استغل طمع الذئب وأخبره بأن في البئر خيرات لا تحصى وأقنعه بالنزول إلى البئر حتى يتمكن هو من النجاة من قاع البئر وفي تقاطعهما يسأل الذئب القنفذ إلى أين أنت صاعد؟ فيجيب القنفذ بثقة في النفس « هَذَا حَالُ الدُّنْيَا وَاحِدٌ هَابِطٌ وَاحِدٌ طَالِعٌ ».

إن حكايات الذئب التي كانت متداولة بين الناس أغلبها يعبر عن طبيعة علاقات الإنتاج القائمة على الاستغلال الذي تعرض له الفلاح البسيط والذي لم تكن له أية ضمانات للعيش الآمن. فكان رزقه يسلب تحت أي ادعاء ولهذا فالحكاية الشعبية " ليست مجرد شكل تعبيرية يؤدي وظيفة معينة إنها أكثر من ذلك، إنها خطاب اجتماعي يسجل كل التوترات التي تشهدها البنية الاجتماعية والذهنية للمجتمع، كما تعكس حركة القيم الأخلاقية في اضطرابها وميلادها وزوالها"<sup>3</sup>.

تتجلى الحركة الاقتصادية في تلك النماذج السلوكية المجسدة في رمز " الذئب والقنفذ " والتي تعلن عن نوع التنظيم الاجتماعي الذي كان سائداً في الحياة الاجتماعية أهمه : العلاقات الاستغلالية، خاصة علاقة المستعمر الفرنسي مع أفراد الشعب الذي ساعد في إبراز طبقة ملاك الأرض، الأرض التي انتزعتها المستعمر من أصحابها ومنحها

<sup>1</sup>: حميد بوحبيب: مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص 136

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص 138

<sup>3</sup>: المرجع نفسه: ص 142

لمن ساعده في وجوده وبقائه، ليخلق بذلك فجوة الصراع بين أصحاب سلطة الأرض وطبقة الأجراء (الخماسون، الحصادون، المؤجرون...).

والجدير بالذكر أن الحكاية الشعبية كانت دائما لبساطتها أكثر قدرة على التقاط الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتحولاتها المتعددة، لأن من طبيعتها اختزال الحوادث والمكونات الواقعية في عناصرها المتلاحمة، وتقديم تلك الحوادث بشخصيات حقيقية أو رموز ممثلة في الحيوان الذي يعد في الفكر العقائدي الإنساني أقرب للإنسان" وربما كان ذلك امتدادا لعقائد طوطمية قديمة<sup>1</sup>.

نشير أخيرا الى أنّ الحكاية الشعبية لا تقتصر على شراكة الإنسان الحيوان في الزراعة والفلاحة وإنما يتعدى ذلك إلى خروجه من صورته الأدمية إلى صورة حيوانية عن طريق المسخ أو السحر كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

لعلنا الآن نستطيع أن نرى بوضوح ذلك المجتمع الفردي البسيط الذي اعتمد نظاما اقتصاديا واجتماعيا بسيطا بساطة حياته الملتصقة بالأرض والطبيعة، معتمدا على جهده في الرعي والصيد، ثم سيطرته على الأرض وقد جاءت هذه السيطرة نتيجة اختراعه أدوات العمل الزراعي " وانتقال البشرية من الرعي إلى الزراعة كان أعظم ثورة اجتماعية في العالم القديم نتج عنها بدء التاريخ"<sup>2</sup>، غير أن اكتفائه الذاتي وفائضه الإنتاجي بعد سيطرته على الأرض ضمن له الحياة والاستقرار ومدّه بصلاحيه الملكية الفردية للأرض والاستعانة بأيادٍ عاملة تحت سلطته، هذه الملكية التي تولدت عنها السيطرة ثم السلطة.

<sup>1</sup>: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 59

<sup>2</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 225

## الفصل الثالث: المضامين السياسية

### 1. السلطة الاجتماعية :

عبرت الحكاية الشعبية عن الحياة الاجتماعية والأسرية التي عمل أبطالها على تأمين حياتهم من العدو وتحقيق الأمن والتعاون الاجتماعي، فالإنسان يتعاون مع أخيه الإنسان ويستأنس مع الحيوان لسد حاجياته الأساسية المتمثلة: في حاجة الأكل وحاجة الأمن. ومن أهم العلاقات التي جعلت أبطال الحكاية يتعاملون مع بعضهم البعض هي التبادلات الاجتماعية والاقتصادية التي تلبي حاجياتهم في أغلب الأحيان - المصلحة المشتركة - وبناء على ذلك نقر بأهمية العلاقات الاجتماعية مهما كانت أهدافها لأنها تعمل على مواصلة البناء الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي مواصلة الحياة.

لم تقف الحكاية الشعبية على طبيعة اجتماعية أو اقتصادية واحدة بل تعدتها إلى تحول وتغيير تلك العلاقات، وهذا دليل على عدم الاستقرار في جميع مراحل الحياة الاجتماعية والاقتصادية. ومما لا شك فيه أن التحول الاقتصادي شهد صراعات متعددة ترك أثره على الحياة الأسرية والاجتماعية مما نتج عنه التفكك الأسري والاجتماعي.

وبما أن الإنسان خير بطبعه كما ذكر ابن خلدون، فهو يعمل جاهدا من أجل تنظيم تلك العلاقات وتمتينها وهذا ما تناولته الحكاية الشعبية في تقوية وتعزيز الانتماء الاجتماعي ونبذ الأناية وحب النفس والحد من الصراعات والنزاعات.

ولا يمكن في أي حال من الأحوال أن يتحقق ذلك إلا بوجود عامل أساسي يرتكز عليه وهو السلطة السياسية والاجتماعية أو الضبط الاجتماعي"والذي يستخدم أحيانا على نطاق واسع ليشير إلى كل أنماط القسر والقيود التي تفرض الامتثال للمعايير والعادات في المجتمع البشري"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>: فاتن محمد شريف : الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، ص 148

منذ بداية تكثف الإنسان في المجتمعات راح يؤسس لنفسه أنظمة وقوانين تجعله يحافظ على ذلك التجمع، وكان أول تجمع إنساني هو "الأسرة" النواة الأولى للمجتمع والتي تعتبر الميلاد الأول " للسلطة"، تلك القوة التي تفرض نفسها للقضاء على الاضطرابات وتحقيق الاستقرار والأمن داخل المجتمعات، فالأسرة منذ القديم عمدت الحفاظ على وحدتها ووحدة نظامها وتحديد سلوكيات أفرادها. وللحفاظ على سلطة بقائها لازمتها "سلطة" تتحكم في العلاقات الاجتماعية وتنظيماتها، وهي تختلف باختلاف المجتمعات والأنظمة والقوانين والأعراف ...

"والبداية المنطقية لأية دراسة للتنظيم السياسي، تكمن في تحديد وتعيين الوحدة السياسية من حيث الجماعة والمنطقة ويقدر ما يعرف مفهوم الوحدة السياسية باعتبار أنه يتضمن أفكار القوة والسلطة، يجب أن يعرف أيضا بوصفه جماعة من الناس تخضع خضوعا دائما ومستمرًا... لزعامة معينة بهدف المحافظة على نفسها كوحدة"<sup>1</sup>.

وما تشير إليه الحكاية الشعبية من تنظيم سياسي وتعزيز لوحدها الجماعية، يكمن في سلطة القانون الحاكم والمتمثل في "السلطان"، وسلطة قانون الأعراف والمعتقدات الشعبية أو الضبط الاجتماعي الذي "يستخدم للإشارة إلى السلوك الاجتماعي الذي يقود الأفراد والجماعات نحو الامتثال للمعايير المقررة أو المرغوبة"<sup>2</sup>.

والواقع أنّ السلطة ممارسة واجبة وحق على المجتمع إذ أن "ممارسيها ملزمون بالحفاظ على الجماعة، فالسلطة إذن مظهر من مظاهر المجتمع لا يمكننا فصلها عنه، لأنها نبعت منه وتعيش فيه، فلا يمكن فصل السلطة عن المجتمع ولا مجتمع بدون سلطة.

وتجدر الإشارة هنا أن الخضوع "للسلطة" ما هو إلا طاعة للعادات والقوانين الاجتماعية، "قدوركايم" يرى أن الخضوع للسلطة ما هو إلا خضوع للنظام، والخضوع للنظام له فائدة كبيرة من أجل صالح المجتمع والفرد"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>: سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص97

<sup>2</sup>: نويل تايمز : علم الاجتماع ودراسة المشكلات الاجتماعية، ص198

<sup>3</sup>: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص308

إذا حاولنا أن نبحث عن أهم الأسباب والنقاط التي جعلت من مجتمع الحكاية في صراع دائم مع أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ونزاعاته المتعددة، وفي الوقت نفسه يدعو بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى وحدة الجماعة وتكافل أفرادها، فإننا نجد من يقف وراء هذا كله وهي السلطة الاجتماعية والسياسية التي تسيطر على الجماعة باعتبارها هيكلًا سياسيًا ضابطًا للمجتمع، ونعني "بالسلطة الاجتماعية تلك القوة الضاغطة المتمثلة ظاهريًا في أحكام العرف الاجتماعي والمرتكز مادة وموضوعاً على امتلاك وسائل الإنتاج"<sup>1</sup>.

تظهر السلطة في جميع التنظيمات الاجتماعية، ولكل تجمع سواء كان صغيراً أو كبيراً له سلطة يمثل لها، وعليه فالسلطة تعتبر ضرورة حتمية داخل المجتمعات، عرفتها الشعوب منذ القديم وكان أغلبها يستمد عناصر سلطته الاجتماعية من :

**الغني :** يعتبر الأغنياء من أهم الطبقات الاجتماعية خضوعاً لسلوكات القوة التي ينجر عنها خضوع الفقراء لهم ولأوامرهم لما يملكونه من قوة وجاه ومال، " والجماعة البشرية تحتفي بأخبارهم أيما احتفاء وتهدر أقدار الآخرين فإذا مات غني لبسوا عليه السواد فأطالوا في ثيابهم وأما الفقير حين يموت فلا خبر.."<sup>2</sup>.

تشير الحكاية الشعبية إلى فئة الأغنياء التي تضعهم في مرتبة الحكام والسلطين لما يملكونه من مكانة رفيعة لدى الجماعة، وهؤلاء لا يتعاطف معهم الراوي، غير أنه يمكن أن يبرز منهم بطل توازره الجماعة مؤقتاً. وهذا ما تشير إليه معظم الحكايات في سلوكات الزواج التي ترجح دائماً الزواج بابن السلطان أو الأمير، والبحث عن الغني والمال مهما كانت الصعوبات للرفع من شأنهم وإعلاء مكانتهم الاجتماعية. فالثروة في بعض المجتمعات الإفريقية " لا تعطي صاحبها حقاً في أن يعيش في مستوى أعلى من مستوى الأشخاص الذين يقلون عنه مادياً لكنها تنتج له سلطة يقود بها الأشخاص التابعين له ويسيطر على كثير ممن هم أقل منه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 92

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص 99

<sup>3</sup>: سامية محمد جابر : علم الإنسان مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 86

**أصالة النسب:** تلعب المنزلة الاجتماعية والمكانة القبلية الدور الكبير في السلطة الاجتماعية المتمثلة في القبيلة، باعتبارها السلطة العليا التي تسيطر على الجماعات. وقد تختلف القبائل حسب أصالة كل واحدة منها مرتكزة على شيخ القبيلة الذي غالبا ما يعتبر هرم البناء القبلي والمنظم لشؤونها.

فهي تعد "إحدى وسائل الدفاع عن الذات.. استمدت مشروعيتها وفعاليتها من خصوصية كل قبيلة وما تتمتع به من حسب ونسب ومال وشجاعة وكثرة الفرسان"<sup>1</sup>. وفي حكاياتنا الشعبية نجد لهذه السلوكيات ما يبرزها حين تحدثنا حكاية " غَانِمٌ وَلُدُّ الرَّاعِي " وحكاية " رَاجِيَةٌ " عن مكانتهم العالية وافتخارهم بنسبهم الهلالي وعادةً ما يرتبط الذكاء والفتنة والقوة والشجاعة بأصل النسب.

**تقدم السن أو الحكماء:** يحتل كبار السن كالشيخ أو الحكيم أهمية وتقدير بالغين من قبل الفئات الشعبية المختلفة، يحضى فيها المسن بمكانة السلاطين لما يولونه له من احترام وتقدير، يعملون بنصائحهم وإرشاداتهم. واحترام المسن أو الشيخ يعود إلى أزمة بعيدة حيث يذكر "هيروديت" إن المصريين كانوا يخلون الطريق للمتقدمين في السن، وإذا أقبل رجل كبير القدر أو سامي المنزلة على من هم أدنى منه همّوا واقفين"<sup>2</sup>. ولذلك نجد معظم الحكايات ترد أصحاب المعرفة والدراية شؤون الحياة إلى الرجال المسنين والشيوخ (كالمدير) الذي يعود إليه أبطال الحكاية لحل ألغازهم ومشاكلهم، فيطلبون منه العون والمساعدة والمشورة لخلصهم.

فإذا اعتبرنا بأن السلطة الاجتماعية هي تلك القوة الضاغطة على الأفراد والتي تسيطر على الجماعة، فسلطة العرف والمعتقدات هي أيضا تمثل شكلا من أشكال الضبط الاجتماعي التي توجه الناس صوب هدف محدد، فهي تمتلك القدرة المؤثرة في إقناع الناس وإجبارهم على القيام بعمل مشترك والامتثال له من خلال تلك النماذج السلوكية التي يشترك فيها أبطال الحكاية، حيث تعتبرها الفئة الشعبية سلطة الأجداد، التي تُعرض

<sup>1</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 92

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص 94

أصحابها للعقاب الاجتماعي اذا انتهكوا مقدساتهم. وهي تتجلى عموماً في قوة وصرامة تطبيقها حيث ترجع أصولها إلى النشاط البدائي الذي حاول من خلاله الإنسان أن يفرض رغبته على الواقع الطبيعي من خلال السلوكات التي تدعي القدرة على التحويل والتحكم في المصير وتغيير السيرة خارج النظام المتعارف عليه ولهذا "يجوز أن نعتبر أن التقاليد والعادات ماهي إلا مظاهر ودلالات على السلطة ذات التاريخ القديم"<sup>1</sup>.

تناولت الحكاية الشعبية الكثير من النماذج التي تلزم أعضاء المجتمع الواحد وتجبرانه على الامتثال لها. ومن أهم النماذج التي تكشف عنها الحكاية الشعبية هي المعتقد الديني الراسخ في الوعي الجماعي، حيث يرتبط أبطالها ارتباطاً وثيقاً بالتصورات الدينية، كالعناية الإلهية التي تساعد الأبطال على الانتصار والنجاح أو الفرار.... فحكاية "بَقْرَةُ الْيَتَامَى" تحدثنا عن تدخل تلك العناية الإلهية في إنقاذ الطفلين من الموت المحتوم بعدما حرمتها زوجة أبيهما من الأكل، فكان اقتناءهم حليب البقرة سبباً في نجاتهم.

فالحكاية إذن تؤكد على إبراز الاعتقاد بالعناية الإلهية وهذا بانتصار المظلوم عاجلاً أم آجلاً وأن كل ظالم سيلقي جزاءه وسيجد من يقتص له من ظالميه. كما تحدثنا حكاية "خُرَيْصٌ وَبُوخْرُوصَةٌ" أيضاً عن العبد الخادم الذي عشق ابنة سيده وتجراً على الزواج منها بعد أن تواطأ معها في قتل أمها وأبيها وجعل أختها خادمة لهما، إلا أن القدرة الإلهية قلبت الأوضاع بعدما كانت الأم قد رزقت بطفلين "خُرَيْصٌ وَبُوخْرُوصَةٌ" قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، فتعتني بهما أختهما الصغرى إلى أن يكبرا وينتقما لوالديهما. أما حكاية "المَكْتُوبُ" هي أيضاً تحدثنا عن الإعانة الإلهية التي جسدتها لنا الحكاية في إرجاع بصر ابن السلطان وهذا بفضل الحمامة التي طلبت منه أن يضع أوراق الشجرة الشافية على عينيه، ليعاد له بصره ويعود إلى وطنه وينتقم من والده الذي حاول التخلص منه.

أما حكايات الأولياء والأضرحة تعدّ من أهم الاعتقادات الشعبية التي مازالت حاضرة في ذهن الشعبي الجزائري والمغربي، فهي محل اعتقاد من طرف الجماعة التي يظل

<sup>1</sup>:المرجع السابق : ص 92

أفرادها تحت سيطرتها وسلطتها. فهي تسند للأولياء الكثير من الأعمال الخارقة كحكاية "عرف سيدي معمر" التي تحدثنا عن أحد الأولياء الصالحين، وهو رجل يقتدى به في الغرب الجزائري، فقد كان كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال تطبق من قبل الناس حتى أصبحوا يتضرعون إليه بالأدعية ويطلبون رضاه وتقام له الولائم تقريبا منه. فقد كان كل من يخالف تعاليمه يبغى بمصيبة فيقال « فَلَانْ خَرَجْتْ فِيْهِ دَعْوَةُ سِيْدِي مُعْمَرٌ »<sup>1</sup>. ولهذا الولي تأثير واضح في الأوساط الشعبية يظهر ذلك في حرصهم الشديد على تطبيق التقاليد المتعارف عليها والتي أوصى بها هذا الولي، فمعظم أهل الغرب الجزائري يعتبرون أنفسهم أبناء له، وإذا ما شعروا أن أحدهم يبتعد عن هذه القيم يقولون بلهجة مليئة بالخوف والتذمر: «أَحْنَا مُسْلِمِينَ مُكْتَفِينَ» لاعتقادهم باللعنة التي سوف تصيبهم إن لم يمتثلوا لعاداته وتقاليد.

ومهما يكن من أمر فإنّ الإعتقاد بكرامات الأولياء وقدرتهم على توليد الفعل الخارق، ترجع إلى إيمان الناس بالبركة واللعنة، وبقدرة الوسطاء والمقربين على جلب المنفعة. ففي حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" تحدثنا عن "الولي عبد القادر الجيلاني" المتداولة في معظم الأقطار العربية، بحيث يقترن اسمه بالقدرة على تحقيق المعجزات وعددٍ من الأمور الهامة، نذكر منها العلاقة بين الولي والجن ... فقد رأى البعض أن الجن المؤمن يمكن أن يكونوا في خدمة الولي... وهذا هو سرّ القدرات الخارقة العجيبة التي يتمتع بها الأولياء<sup>2</sup>. وهكذا جسدت لنا حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" سلطة الاعتقاد ببركة الولي "عبد القادر الجيلاني" في مساعدته على تحقيق طلباتهم ورجباتهم،....."هَآوْ مُوَلَايَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي لُقِينَاهُ يَا بَرَكْتِنَا بِقُضِيَا حَوَاجِنَا".

ومما سبق نخلص الى أنّ الحكاية لم تتخلص من سلطة الأولياء والأضرحة فهي تجعل من الإنسان الشعبي راضخا لها والأعرافها، ويعتقد بسلطتهم. وما ينعنون به من أسماء لدليل على الامتثال لهم "كسيدي عبد الرحمن"، "المقام سيدي عبد الرحمن"، "سيدي عبد الرحمن شيلاه" ... الخ من التسميات التي تعظمهم وتجلهم.

<sup>1</sup>: عبد الرحمان بوزيدة: قاموس الأساطير الجزائرية، ص 172

<sup>2</sup>: محمد الجوهري : علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، ص 65

إنّ الرضوخ لسلطة المعتقد الديني منتشرة منذ القديم سواء وافدة أم أصلية، تحكى عن كرامات الأولياء ومناقب رجال الصوفية الذين يتحدو المنطق الطبيعي، ولم يقتصر الأمر على تقديس أضرحتهم بل تتعداه لتقديس الأشجار المجاورة لأضرحتهم وسلطتها عليهم بحيث لا يجوز لأحدهم قطع أو قطف ثمارها حتى لا يصيبهم الأذى ولا يتعرضون للعقاب، كما أنهم يعلقون قطعاً من ثيابهم عليها في اعتقادهم أنها تحميهم من كل ضرر أو تساعدهم على تحقيق عمل ما كالإنجاب مثلاً...

تكشف لنا الحكاية في سلوكات أفرادها عن مظاهر سلطة معتقد الولي الراسخة في الفكر الجمعي عبر عصور طويلة، تلك السلطة التي تتغذى من الاعتقادات الشعبية المنتشرة داخل الأوساط الشعبية، إلى جانب المعتقد الديني في الحكاية هناك معتقد السحر والجان والحلم والنبوءة، تلك المعتقدات التي تعتبر من أقدم المعتقدات المرتبطة بالأساطير والتصور الروحاني للعالم الذي يعتبر أنّ كل شيء في الطبيعة يشتمل على أرواح ينبغي احترامها وخدمتها حتى تحقق رغباتهم وتنجح أعمالهم وتشفى مرضاهم. وقد أولت بعض الدراسات أهمية خاصة للسحر والمعتقد في شمال إفريقيا خاصة دراسة الباحث Edmond douuté "دمون دوتيه" السحر والدين في شمال إفريقيا<sup>1</sup>. وما نصادفه في حكاياتنا هي تلك الجزئيات المتجسدة في سلوكات سحرية عديدة كالمسخ والتحول والشفاء.....وتصور لنا الخوف منه والصراع من أجل اجتنابه.

فحكاية "بِقْرَةُ الْيَتَامَى" تحدثنا عن إمكانية تحويل كائنات انسانية إلى كائنات حيوانية كالغزال أو المعز أو الكلب ... فبمجرد تعرضها إلى عملية سحرية كشرب ماء مسحور يصاب بتغيير هيئته الإنسانية إلى هيئة حيوان "فالسحر في الحكاية يعمد إلى التدخل لتغيير مجرى الحياة وللتحكم في مصائر الشخوص"<sup>2</sup>، كحكاية " حَدْ الزَيْنُ مُوْلَاةٌ شَعْرُ الدَّهْبِ" التي تحدثنا عن ابن السلطان الذي أصيب بمرض خطير معتقداً أنه مصاب بسحر «كَانُوا يَقُولُو سِحْرُوهُ وَلَا دَعَاوُ عَلَيْهِ». كما يعتبر السحر سلطة تطرد الأرواح الشريرة الناجمة عن أفعال الجن وتشفى من الأمراض.

<sup>1</sup>: Edmond douuté : magie et religion dans l'Afrique du nord .Alger 1909

<sup>2</sup>:المصطفى مويفن : بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، ص 200

وإذا كان تقديس الأولياء وتصديق كراماتهم ينتسب إلى الدين الإسلامي، فإن هناك الكثير من الأساطير والمعتقدات التي كانت سائدة قديماً منها عبادة المغارات، ومنابع المياه التي تعتبر كمنافذ خروج الجن القاطنين فيها. مثل حكاية " الخَيْرُ مُرًا وَشَرُّ مُرًا " التي يحرس فيها الجان المال والذهب الموجود تحت الأرض.

يعتقد الإنسان الشعبي منذ القديم بسلطة الجن التي تسكن الأرواح خاصة الحيوانات كالكلب الأسود، الثعبان، العنزة ... "وتعتبر هذه الأرواح في بعض الأحيان أبناء الإله... وفي الغالب أيًا كان نسبها أو قرابتها الروحية عبارة عن رسل الآلهة"<sup>1</sup>. فحكايات الاعتقاد بسلطة الجان مترددة في الكثير من السرود الشعبية كحكاية " الجَوْهَرُ فِي خِيُوطِهَا " التي تدور أحداثها حول حدوث الزواج بين الإنس والجن، تدلنا هذه الحكاية على رحلة ابن السلطان إلى مملكة الجان للبحث عن المرأة الجميلة في عالم مجهول، توصف كائناته غير البشرية بصفات غريبة كألوان بشرتهم الحمراء أو الزرقاء .....

ويجدر الأمر نفسه في معتقد سلطة الحلم والنبوءة التي تكشف لنا عن علم الغيب والامتثال له وتصديقه، وعليه فإنّ عملية التنبؤ والحلم في حكاياتنا الشعبية لها ما يميّزها داخل سلوكيات أفرادها. كحكاية "المَكْتُوبُ" التي تحدثنا عن السلطان الذي خيّر في حلمه بين إنجابه لولد يقتله أو بنت تخرجه من البلاد، فاختر الولد عن البنت. فأنجب ولدا وظلّ خائفاً منه الى أن قرّر قتله حتى لا يتحقق حلمه، وهذا ما حدث بعد رجوع الابن إلى وطنه وانتقامه من أبيه. وما يلفت النظر أنّ الأحلام والنبوءة ترجع إلى الأساطير الأولى كأسطورة "جلجماش" التي تحدثنا عن الأحلام السبعة للملحمة"<sup>2</sup>. أما القصص الشعبي العربي فهو يحمل الكثير من الحكايات التنبؤية والأحلام أهمّها السيرة الهلالية التي " نجد فيها كل حادثة خطيرة وكل واقعة عظيمة وكل عمل من الأعمال الكبيرة لا بد أن تسبقه رؤيا تنبئ به وتدلّ عليه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>: محمد الجوهري : علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، ص 364

<sup>2</sup>: هيثم هلال : ملحمة جلجماش، دار النهج للنشر والتوزيع، العراق، الطبعة الأولى، 2007، ص 45

<sup>3</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 97

و نشير أخيرا إلى أنّ سلطة العرف والمعتقدات تجبر أصحابها إلى الامتثال لها والتوافق لقوانينها والاعتراف بها وبسلطتها وسلطة الأشخاص الذين يملكون من الامتيازات الاجتماعية والعقائدية ما يرشحهم إلى مكانة هته السلطة. " ووظيفة انتقالها من جيل إلى جيل لا تؤديها نظم حكومية ذات سلطة مركزية وإنما تقوم الجماعات الاجتماعية المختلفة ونماذج السلوك بهذه الوظيفة"<sup>1</sup>.

## 2. السلطة السياسية:

ففي موضوع العلاقة بين الإنسان الشعبي ونظامه الاجتماعي، والاقتصادي والسياسي يكمن ما يصنعه الإنسان بفكره، وثقافته وأحلامه، والحكاية الشعبية هي جزء من هذا التراث الذي يحمل مسارا طويلا لنضال الشعوب. وبما أن الأوساط الشعبية الجزائرية عانت حياة شاقّة نتيجة ظروفها المختلفة، ظلت تردد تلك الحكايات العاكسة لأوضاعها، حيث ضاقت مرارة التعسف والظلم مما أثر سلبيًا على حياتها الاجتماعية والاقتصادية.

إنّ الحكاية الشعبية الجزائرية كغيرها من الحكايات العالمية والعربية تعكس لنا طبيعة الأنظمة السياسية التي هي بالضرورة نظام الحكم ودور الحاكم في ترسيخ وجوده كقوة. " وطبقا لذلك فإن كلمة سياسي يجب أن تستخدم كما يرى "وحيز" للتشير إلى أنّه صورة من صور السلوك الاجتماعي التي تقوي وتعزز بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وحدة الجماعة"<sup>2</sup>.

وعليه نرى أن السياسة هي إحدى الركائز الأساسية في تنظيم وضبط المجتمع ووحدته، ولا يمكننا في أي حال من الأحوال أن نفصلها عنه فهي "ظاهرة اجتماعية ومن أبرز الظواهر الاجتماعية لأنها تنشأ فيه ولا يمكن تصوّر وجودها إلا فيه"<sup>3</sup>. فهي ظاهرة اجتماعية وسياسية معاً. ولهذا تعود نشأة السلطة السياسية إلى توفير الأمن والغذاء وهذا

<sup>1</sup>: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 103

<sup>2</sup>: سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 101

<sup>3</sup>: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 297

بعد "تحصيل الغذاء وحماية الإنسان نفسه من الحيوانات فصار بحاجة ماسة إلى سلطة تكون وازعا يدفع بعضهم عن بعض لما في طبيعتهم الحيوانية من ظلم وعدوان وخاصة أنهم ملكوا السلاح"<sup>1</sup>، وامتلكوا الأراضي كما سبق وأن ذكرت. فامتلاك الأرض والسلاح هما من أهم أسباب ظهور مظاهر السلطة والتي بظهورها ظهرت السياسة.

حفلت الحكاية الشعبية بمشاركة سياسة واضحة من خلال ما تبرزه لنا من سلوكيات سياسية تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكومين من أجل استقرار الحياة الاجتماعية "ويعتبر ابن خلدون ظاهرة السلطة هي ظاهرة حتمية في المجتمع، وأن كل مجتمع هو بالضرورة سياسي"<sup>2</sup>. ومما لا شك فيه أن هته الظاهرة هي عامل أساسي في بناء المجتمع وتطوره خاصة إذا بُنيت على أسس متينة، وبما أن الإنسان بطبعه متعدد الحاجات وكثير النزاعات فإن ذلك يؤدي به إلى صراع السلطة التي تكون فيها السيادة للأقوى.

تختزل الحكاية الشعبية السلطة السياسية في تلك السلوكيات التي تسيطر على أفراد المجتمع متمثلة في "السلطان" باعتباره الوحدة السياسية الوحيدة في التنظيم الاجتماعي، كونه الضامن للعدل والنظام بين الرعية. "وقد شغل السلطان جزءا كبيرا من كتاب" كليلة ودمنة " الذي يسجل أحواله في مختلف وجوه حياته"<sup>3</sup>. وعادة ما تبتدأ الحكاية بذكر السلطان لمكانته المعنوية وتسييره لدواليب الحكم حينما تقول: «كَانَ وَحْدَ السُّلْطَانِ، وَمَا هُوَ سُلْطَانٌ غَيْرَ رَبِّي» أو «وَحْدَ النُّهَارِ كَانَ سُلْطَانًا، مَا هُوَ سُلْطَانٌ غَيْرَ اللَّهِ» «مَا خَرَفْتُكُمْ وَمَا خَرَفْتُكُمْ، غَيْرَ عَلَيَّ وَاحِدَ السُّلْطَانِ»... «وَحْدَ النُّهَارِ، جَا وَعَدَ السُّلْطَانُ تَاعَ الْبِلَادِ».... «وَحْدَ النُّهَارِ، كَانَ وَحْدَ السُّلْطَانِ هُوَ وَمَرَّتَهُ قَاعِدِينَ...» ثم «وَحْدَ نُهَارِ كَانِتْ هَذِي الزِينَةُ فِي لِبْنَاتِ، بَغَاهَا وَدُ السُّلْطَانِ»... إلا أننا لا نجد حضورا كبيرا لأهم سلوكياته إلا من خلال بعض الإشارات وكأن منزلته في الحكاية لم تلق اهتمام الراوي ولا المستمع، كون الراوي مهتما بالطبقة المغلوبة على أمرها، والتعبير عن ظروفها المأساوية وحالتها المزرية والبحث

<sup>1</sup>: مصطفى صمودي : من جلجماش ... إلى نيتشه، ص 205

<sup>2</sup>: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 151

<sup>3</sup>: ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 212

عن مخرج ولو بخيالها، فمن الواضح أنّ الفولكلور هو تراث الفلاحين أو الطبقات الدنيا في المجتمع<sup>1</sup>.

صوّرت لنا الحكاية نوعين من السلاطين أو الحكام، نوع يقدمه لنا ظالما جبارا يملك من المال والنفوذ ما يجعله قوة تُعارض كل من وقف ضد مصالحه وعارض شؤونه. يستعمل التفرة والتوزيع غير العادل للحقوق والواجبات مما يؤدي الى انعدام المساواة بين مختلف فئات المجتمع، كحكاية "الجَوْهَرُ فِي خَيْوُطِهَا" التي تحدثنا عن غطسة وسلطة ابن السلطان. هذا النوع من السلطة الذي يتمثل في "سلطان الغابة الذي يحتفظ دائما لنفسه بحصة الأسد دون الاهتمام بالآخرين، فيتمتع بالافتقار على جميع الأمور والعزّ والمجد والغنى"<sup>2</sup> أو ما تسمى بالسلطة القهرية. ونوع آخر يمثل العدل والمساواة في حكمه لما ينتج عنه من سلوكات عادلة تضمن التوازن الاجتماعي والتكامل الاقتصادي بين أفراد المجتمع. فهو ليس سلطانا عادلا يفصل في قضايا رعاياه فقط وإنما إنسان عادي من فئة الشعب. وهذا ما تحدثنا به مجموعة من الحكايات مثل حكاية "سَعِيدٌ وَدِيَابٌ"، "هَارُونُ الرَّشِيدُ"، "جازية ودياب" التي خضع حكامها إلى احكام السلطة العادلة. هذا السلطان العادل الذي يسعى دائما للحفاظ على نظام المجتمع والبحث عن الخليفة المقتدر الذي يمكنه أن يعمّم العدالة على الجميع.

ومن الطبيعي جدا أنّ الحكاية الشعبية عندما كانت تعجز عن تحقيق الوجه الحقيقي للسياسة العادلة والحكم الصحيح (السلطان) كانت تلجأ إلى منفذ جديد يعيد الأمور إلى نصابها ويحقق العدالة الاجتماعية التي طالما ناشدتها الشعوب العربية في تراثها الشعبي.

لم تقتصر الحكاية على ابراز السلوكات الصراعية في رسم العلاقات بين الحاكم والمحكوم وإنما نشدت بشدة الى دعوتها لتمجيد السلوكات الايجابية للحاكم، واعتناق المبادئ السامية، التي تخدم مصلحة الجماعة وتدعم بناءها الاجتماعي. فاذا نظرنا الى حكاية "سعيد ودياب" نجدها تصرح بما يبحث عنه الناس من سلوكات مميزة "للحاكم" المقتدر والعادل النزيه، ليتحقق العدل مع جميع الناس ويعمّ الخير كل البلاد.

<sup>1</sup>: محمد الجوهري : دراسات علم الفولكلور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص 24

<sup>2</sup>: ليلي روزلين قریش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 213

في الواقع لا تعكس الحكاية الشعبية موقعا متناقضا، وإنما تمجد سلطة الحاكم العادل الذي تتضمن مواقفه ترسيخ العدل السياسي والاجتماعي. "وعليه فهي تهدف الى ترسيخ قيم أخلاقية ذات بعد سياسي كالمطالبة بانفتاح الأفق السياسي أمام الناس جميعا"<sup>1</sup>.

والجدير بالذكر أن حلقة الوصل بين الحاكم والرعية لم ترق إلى ما يصبو إليه الفئة الشعبية، فلم يكن هناك نزاع حول السلطة مما يؤكد استبداد السلطان واحتكاره الحكم مع أبنائه أو إلى خوف الرعية في مواجهة الحكام والسلاطين وإبداء رأيهم. والمتأمل في سلوكات السلطان يلاحظ جملة من الأفعال والمواقف أهمها مبدأ السيطرة الذي من خلاله تكبح القدرات الشعبية وتختفي المواجهة السياسية.

وعليه تتحصر السلطة السياسية في الحكاية بسيطرة معظم حكامها على الشعب واستعمالهم لوسائل الضغط وبذلك تتحرف السلطة السياسية عن مجراها الحقيقي في تسيير أمور المجتمع، وتتخذ أساليب أخرى لا لشيء إلا لتمسكها بزمام السلطة وتميرها إلى أبنائهم. لتفقد قيمتها الأساسية التي تلزم على كل حاكم أن يتصف بها وهي الأخلاق.

تحدثنا الحكاية الشعبية عن أهم صفات النبيل والعدل والمساواة التي يلتزم بها "السلطان" حتى يستطيع أن يكون حاكما مقتدرا، يفصل بين النزاعات ويحرص على النظام الاجتماعي، ومن أهم هذه الصفات هي مسؤولية حماية الشعب من أي ضرر داخلي وخارجي « ففي العصور القديمة كان له قائد حرب، وكاهن وساحر»<sup>2</sup>. لحماية شعبه من العدو ومن السحر أيضا ولهذا كان يتطلب فيه امتلاك القدرات السحرية والمعرفة بالسحر تلك السلوكات التي مازالت أثارها حاضرة في ثنايا الحكاية. كحكاية "العبد كحل" التي تحدثنا عن أهمية المعرفة بالسحر للحاكم، الذي أحضر عبداً له دراية كبيرة بالسحر بغرض تعليمه كيفية القيام بالأعمال السحرية. تذكر الحكاية "كَانَ عِنْدَهُ وَحْدُ الْعَبْدِ كُحْلٌ يَخْدِمُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَعْرِفُ السِّحْرَ، عَلَّمَ سَيِّدَهُ كَيْفَاشْ يَدِيرُ سِحْرًا.. " قال له العبد : لُكَانُ تُورِيلِي يَا سَيِّدِي لَرَاكَ تَعْرِفُ تَسِحْرًا كَيْمَا عَلَّمْتَكُ".

<sup>1</sup>: بوخالفة عزي : الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، ص 89

<sup>2</sup>: سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 88

تعتبر المعرفة بالسحر من أهم الميزات التي يمكن أن يتحلى بها الحكام لأجل حماية شعبيهم من أضراره والمشاكل التي يمكن أن تتجرّ عنه. " يستمد سلطته من الاعتقاد الشعبي بأنه ملهم ويتمتع بصفات خارقة للطبيعية يملك الإلهام والنظرة التنبؤية والغريزة السحرية"<sup>1</sup>. إلى جانب السحر يتصف الحاكم بشهرته كمحارب، فالنجاح في الحرب يؤهل صاحبه إلى امتلاك السلطة وأحقّيته بها ما تحدثنا به حكاية "هارون الرشيد" التي تعرضت فيها القبيلة إلى هجوم أجنبي ممّا أدى بالسلطان إلى مواجهة هذا الغزو، وبما أنّه ليس له أولاد يدافعون عن مملكته قام الحراس وأزواج بناته بمواجهة الجيش، الذي تصدى له زوج البنت الصغرى هارون الرشيد بشجاعته، عكس الأزواج الآخرين ممّا اضطر بالسلطان إلى إعلاء مرتبته حين قال له: «هُوَ لِيغَادِي يُولِي سُلْطَانَ فِي بِلَاصْتِي».... «خُرَجَ بِيهِ السُّلْطَانُ وَدَارَهُ سُلْطَانٌ فِي بِلَاصْتَهُ». كما تشير هذه الحكاية إلى أهمية الجنس الذكوري في وراثة السلطة بحيث سارت في خط ذكوري، فعدم انجاب السلطان لابن يرثه في ملكه، نقل سلطته إلى زوج ابنته، الذي تميّز بمهارة حربية وشجاعة عالية. فامتيازات السلطان واضحة تتسم بالطهارة والقداسة من جهة، والقوة والشجاعة من جهة أخرى. فالقائم على السلطة إذن غالبا ما يكون مقتدرا يدفع بالناس إلى الامتثال والموافقة على أرائه لما يحمله في نظرهم من مكانة عالية واحترام وتقدير"فالعلاقة بين القائد وأتباعه تعتبر من أهم العلاقات الاجتماعية جميعا"<sup>2</sup>.

أمّا ما حمله لنا القصّ الشعبية العربي من شخصيات بطولية قاندية تأثرت بها شعوبنا المغاربية هي شخصية "هارون الرشيد" والشاطر حسن أو "الحسن البصري" ... التي لقيت رواجاً داخل الحكايات الشعبية وظفها تراثنا لتأكيد على القيم الأخلاقية التي كان يتصف بها هؤلاء وما يلزم على الحاكم أن يتصف به من أخلاق. " فأفلاطون لم يفرق بين ما هو سياسي وما هو أخلاقي"<sup>3</sup>، إلا أننا نجد تضارب الصراعات والنزاعات نحو السلطة التي تكون فيها ولها الغلبة والسلطان واليد القاهرة عليهم (الشعب) حتى لا يصل أحد إلى غيره

<sup>1</sup>: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 305

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص 306

<sup>3</sup>: مصطفى صمودي : من جلماش ... إلى نيتشه، ص 153

بالعدوان»<sup>1</sup>. وعليه فبين "أفلاطون" و"ابن خلدون" تحققت معادلة الحكاية الشعبية في السلطة التي تطمح إليها الفئة الشعبية، تلك السلطة الضابطة للمجتمع والمسيرة لشؤونه الاجتماعية والاقتصادية والمحافظة على نظامه في إطار أخلاقي.

وعليه تبقى السلطة "ضرورية ولازمة لتحقيق التوازن والاستقرار داخل البناء الاجتماعي، فهي جزء لا يتجزأ من أي نظام اجتماعي... تلازمه ولا تنفصل عنه<sup>2</sup>، شريطة أن يتحلى أصحابها بالصفات الأخلاقية حتى يعود ذلك على الشعب بالخير وتحقيق التوازن الاجتماعي والاقتصادي. والسلطة في الحكاية الشعبية هي سلطة ذات أهمية تنحدر من رابطة القرابة أو (الوراثة) يرتبطون برابط قرابي فيمتزج السياسي بالقرابي امتزاجاً كاملاً. وهذا عندما يمنح السلطان حكمه لابنه في تسيير النظام الاجتماعي والحفاظ على الثروة، ما تحدثنا به معظم الحكايات الشعبية في توريث السلطة للابن الأكبر، وبهذا الشكل لا تخرج السلطة في الحكاية لا تخرج عن المحيط القرابي والذكوري، مما يؤدي إلى اللامساواة والطبقية.

### 3. التراتب الاجتماعي:

سارت الحكاية الشعبية بخطوات متشابهة نحو تفاعل وتحرك العلاقات الاجتماعية، تلك العلاقات التي تفاعلت مع محيطها وحددت أوجه الفوارق الاجتماعية بين فئتين مختلفتين، فئة الأغنياء والسياسيين وفئة الخدم والفقراء، وذلك من خلال النماذج التي عرضتها الحكاية، والمحددة بالمكانة الاجتماعية وفق الوضع الاقتصادي والاجتماعي للفرد وعائلته، فالمكانة الاجتماعية مرتبطة بالدور الاجتماعي للشخص وبالمظاهر الاقتصادية للحياة الاجتماعية التي تعتمد على القيم والاتجاهات التي يشترك فيها الفرد مع الآخرين لدرجة كبيرة، والتي من شأنها تقوية الشعور بالعضوية في طبقة اجتماعية خاصة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>: المرجع السابق : ص 205

<sup>2</sup>: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 298

<sup>3</sup>: المرجع نفسه: ص 201

ومن العوامل الحاسمة في تحديد ذلك هو الغني وما يملكه من ثروة أو جاه وعليه تظهر لنا الفوارق بظهور السادة والخدم والرعاة ... "وقد ميّز ابن خلدون بين مفهوم الطبقة ومفهوم الفئة وذلك على أساس المهنة فكتب يقول: إن الطبقة الاجتماعية الواحدة تتطوي عادة على فئات اجتماعية مختلفة"<sup>1</sup>. وعليه قسم الطبقة الاجتماعية إلى أربع طبقات، طبقة العلماء والدين والقضاء، وطبقة الفلاحين وطبقة التجار وطبقة الصناع، أما "كونت" قسمها إلى ثلاثة أنواع طبقة العمال ورؤساء الصناعة وطبقة العلماء ورجال الدين والفلسفة وطبقة العمل العاطفي المتكونة من النساء والأمهات والزوجات"<sup>2</sup>.

ولأول وهلة يظهر بجلاء نوعين من الطبقات في الحكاية الشعبية، طبقة الحكام أو السلاطين والأغنياء، وطبقة الشعب العاملة من فلاحين ورعاة وصيادين وخدم، وماعانته هته الطبقة من حياة صعبة وقاسية، تعددت فيها المعاناة والمآسي، حيث انعكست على سلوكياتهم الاجتماعية والاقتصادية. ومن أهمها معاناة الحروب والغزوات كحكاية "رَاجُلُ بِلَا مُخٌ" التي تخبرنا عن حياة أفراد القبيلة التي عانت من الحروب ومتاعبها وما توفره من لوازم الحروب.

أما حكاية "رَاجِيَّة" تخبرنا عن الحالة المزرية للشعب حيث تعرضوا للفقر والجوع الذي كاد يقتلهم، وعليه توجهت قوافلهم تشق الصحراء باحثة عن مصدر رزق ينجيهم من الموت، هذا الوضع دفعهم إلى غزو قبائل أخرى أكثر ثراء. أما حكاية "حَدَّ الزَيْنُ مَوْلَاةَ الشَّعْرَ ذَهَبٍ" تروي لنا العمليات الحربية القائمة بين القبائل، وتأهب أبطالها خوض غمار الحرب، بعد أن حدّدت لنا الحكاية مدة غياب السلطان وابنه في موقع القتال ب "سبع سنين" تقول الحكاية "« مِنْ قُفْلِ الْوَلْدِ الرِّبَطَاعِشِ أَنْعَامٌ، مَشَى مَعَ بُوهُ مِنْ بِلَادٍ لِبِلَادٍ اِيْحَارُبُوا الْعِدِيَّانَ، فَعَدَّ غَايِبٌ سَبْعَ سِنِينَ»". أما المعاناة الاقتصادية هي تلك المعاناة التي يتعرض لها الفلاح الصغير من نهب واستغلال، حيث عاش حياة الذل والاستغلال ولم يكن أسعد حال تحت لواء الإقطاعية التي يفرض فيها تسديد قدر معين من المال للمالك، وعليه عاشت تلك الطبقة من الفلاحين نوعا من البؤس والفقر انعكست في حكاياتهم.

<sup>1</sup>: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 157

<sup>2</sup>:المرجع نفسه : ص 163

أما المعاناة الاجتماعية، ليست أقلّ حالاً من المعاناة الحربية ولا الاقتصادية، فقد عانت الطبقة الشعبية الولايات لما تعرضت له من تهمة وأفات متعددة كالوباء والمجاعة والفقر وحتى الكوارث الطبيعية ... ففي حكاية "دياب بغالم" تحدثنا عن الحالة الاجتماعية المزرية بعد إصابة قبيلة بني هلال "بالجفاف" التي حتمت عليها الهجرة، تقول الحكاية «وَاحِدُ الْعَامِ أَيُّسُ وَالصَّابَةِ مَآكْفَاتِشُ الْخَلْقِ حَتَّى خَافَتِ النَّاسُ ثُمُوتَ بِالْجُوعِ». أما حكاية "كي شميث كي كليت" تجمع لنا، سلوكات دالة على الجوع والفقر والسخرية من الطبقة الميسورة، وهذا عندما عرضت لنا حالة الطفل الجائع وهو ينظر إلى محلّ الشواء يستنشق رائحة اللحم الشهية، إلا أن صاحب المحل منعه من ذلك وطلب منه تسديد ثمن الشمّ وحاول السخرية منه والتلاعب بأفكاره عندما قال له "حُنَ فِي تَغْنِيفِ كِي شَمِيثِ كِي كَلِيثِ" قبل أن يتفطن له ويردّ عليه بأكثر فطنة وذكاء «كِي تَغْنِيفِ كِي الْبُلْدَانُ الْأُخْرَى».

والواضح في ذلك أنّ الحكاية الشعبية تبرز لنا السلوكات الشعبية التي تصوّر لنا الصراع من أجل البقاء والاستمرار، فالطبقات الشعبية من عمال، وفلاحين، وفقراء... عاشت في ضيق وفقير عسير، وعانت الجوع والحرمان، وعليه شددت الحكاية الشعبية في محتواها على العدالة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية المشتركة، والترابط الأسري.

لم تجد هذه الطبقة مفراً من الحالة المزرية سوى الاعتقاد الشعبي السائد في الحكاية وهو الإيمان بالقضاء والقدر" فلم تعد الأمور الكبيرة كالحياة والموت وحدها المقدر، بل صارت أبسط الأمور مقدره أيضاً"<sup>1</sup>. فجّل المآزق التي يقع فيها أبطال الحكاية ترجعها إلى القضاء والقدر، كحكاية "الولد ومزّت باباه" الذي يبحث فيها الأخ عن أخيه معللاً ذهابه في البحث عنه إلى ما كتب الله له ذلك. ولاشك أن هذا الاتساع في مفهوم القضاء والقدر له علاقة وثيقة بوضع الطبقات الشعبية التي لم تجد مبرراً آخر لأوضاعها الاجتماعية غير ردها إلى الاعتقاد بالقضاء والقدر.

وبناء على ذلك يتضح لنا أن الطبقة الاجتماعية للحكاية الشعبية تنقسم إلى قسمين هما الطبقة الحاكمة المتمثلة في "السلطان" وطبقة الرعية وهي الشعب، فالطبقة الغنية التي نلاحظها في الحكاية هي طبقة قليلة العدد بالمقارنة مع طبقة الفقراء التي تمثل أغلبية

<sup>1</sup>: طلال حرب : بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ص 350

الشعب. وعلى ضوء تلك الفوارق التي ظهرت في شكل السادة والخدم، قدمت لنا حكاية "كُلْشِي بِيْرًا .. وَكَلَامُ السُّوءِ مَا بِيْرًا " خادمة ترافق سيّدتها في مشاويرها، وتنيرها بأفكارها وهذا بعد نصيححتها بالذهاب إلى بيت " الأسد" رمز القوة والعدل والكرم ليصلح بينها وبين زوجها. وفي حكاية "عَانِمُ وُلْدُ الرَّاعِي" تقدم لنا الحكاية زوجة الراعي وهي خادمة لدى عائلة غنية وهي تحاول تبديل ابنها بابن السيدة من أجل أن يكبر ابنها في العز والرفاهية، فاستتجبت بامرأة مأكرة وهي تقول لها: « شُوفِي كِي دِيْرِي وَبَدَلِي وَوَلْدِي بُوْلْدُ لآلَة، بَاشْ يَعْيشُ وَوَلْدِي فِي الْعَزْ ».. « وَهِيَ مَا بَغَاتِشْ وَوَلْدَهَا يَعْيشُ فِي الْغَيْبَةِ ».

والذي استوقفني هو تلك السلوكات التي صاحبت تلك الطبقة الفقيرة أو ما كانت تنسبه لهم الحكاية من أفكار رجعية، عكس الطبقة الغنية التي أعطتها الحكاية ميزة راحة أفكارها وذكائها وكأن الأفكار مرتبطة بالطبقات حسب منازلهم، ولعل حكاية "كُلْشِي بِيْرًا... وَكَلَامُ سُّوءٍ مَا بِيْرًا" وما تشير إليه من سلوكات غير متوازنة بين السيّدة وخادمتها التي وضعتها الحكاية في منزلة حماقة وعدم الإحسان إلى من ساعدها، وهذا عندما راحت تتعت الأسد الذي قام بكرمها وضيافتها بأبشع الصفات عكس السيدة التي مدحته ومدحت خصاله.

أما حكاية "عَانِمُ وُلْدُ الرَّاعِي" تخبرنا عن السيّد (الأب) الذي تعرف على ابنه بعد أن لاحظ فطنته وذكائه وشجاعته، تلك الصفات التي لم يتميز بها ابن الراعي، ونجد الأمر نفسه في قصصنا الشعبي عندما تمنح كل صفات الذكاء والفطنة للطبقة العليا، كيف لا وقد استطاعت ابنة الوزير الكبرى "شهرزاد" أن تضع مالم تستطع بنات عامة الناس القيام به وهو استخدام الذكاء لإيقاف سلوك "شهريار" العنيف مع نساء المملكة، "ولذا فالعامة هنا محكومة بقدرية مسبقة من امتيازاتها وجود ملك بشخصية قوية ووجود رعية بشخصية ضعيفة"<sup>1</sup>.

ونجد الأمر نفسه في حكاية "جَازِيَة" الهلالية التي جعلت منها الحكاية مثالا للذكاء والفطنة لانتمائها إلى أسرة شيخ القبيلة الذي طلب منه "شريف بنو هاشم" الزواج من "رَاجِيَة" مقابل مساعدة القبيلة، فلم يجدوا وسيلة أخرى لإنقاذ القبيلة سوى الموافقة على

<sup>1</sup>ياسين النصير : المساحة المختفية، قراءات في الحكاية الشعبية، ص 117

طلبه، إلا أنّ نكاءها وفطنتها مكنتها من الرجوع إلى أحضان قبيلتها وديار زوجها. ولم تستقر الحكاية عند هذا الحدّ بل استمرت في وضع الطبقات الريفية موضع الطبقات الدونية عكس أصحاب المدينة ما حدثتنا به حكاية "مَزَاحُ جَحَا الْجَزَائِرِيِّ" في محاولة منه التغلب على حيلّ جحا الساكن بالمدينة لكن غباءه أوقعه فيما لا يحمد عقباه.

لم تقف الحكاية عند هذا الحدّ بل أنصفت مرة أخرى تلك الطبقة الدونية ومثلتها أحسن تمثيل في بعض السلوكات مثلما رأينا في الحياة الاقتصادية عندما أنصفت الفلاح الصغير وأعطته حقه من الإنتاج أو تلك العلاقات الاجتماعية التي حققت تلاحم الطبقات الاجتماعية المختلفة كالمصاهرة مثلا بين طبقتين مختلفتين.

ومن الواضح أنّ الحكاية الشعبية غير ثابتة اجتماعيا فهي في حراك مستمر تعكس لنا حركة الأفراد وتغير الطبقات، ولهذا فالثبات الطبقي غير موجود في الحكاية لما يصيب أحداثها من تحولات وتغيرات ايجابية وأخرى سلبية، ما تحدثنا به حكاية «الخيزر إمرا والشز إمرا» المرأة الذكية التي غيرت حال الحطاب وأسرته بعد ما كان يعاني الفقر ويفتقد الى أبسط حاجات العيش.

وعلى الرغم من وجود طبقتين متضادتين إلا أن الطبقة الشعبية هي الأكثر تمثيلا في الحكاية، ولا يوجد مبرر لذلك إلا لما كانت من عجز في التغيير. فظلت تردّد حكاياتها المترجمة لأحلامها. والذي لا شك فيه أيضا هو تعبيرها عن وفاء وإخلاص تلك الطبقة وما تميزت به من أخلاق كحكاية "جَازِيَة" التي أصرت على الوفاء بعهدا الذي قطعه مع "شريف بني هاشم" رغم الظروف التي منعتها من تحقيقه.

والواقع أنّ ما حققته الحكاية من تغيير في الطبقات ما هو إلا دليل على تغير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي تختلف باختلاف الزمان والمكان. وعليه يصبح ذلك التغير والتحول في الطبقات راجع لعدم إمكانية ضبط المجتمع ضبطا عادلا. ولهذا لم توفق الحكاية في تعميم السياسة الأخلاقية داخل مجتمعها رغم محاولاتها المتكررة، ما أدى بها إلى توظيف الصور الخيالية والسحرية للوصول إلى تحقيق مجتمع مثالي.

حينما ننظر الى سلوكات أشخاص الحكاية كالسلطان والأمير والوزير والقاضي، الخلافة والقصر.... والخدم والرعاة والعبيد، الفقراء....، نلاحظ اتساع فجوة التفرقة بين

الطبقتين وهذا نتيجة تأثير السلطة الاجتماعية والسياسية عليهم."ولذلك يظل عامل السياسة أساسا للتقسيم الطبقي في كثير من المجتمعات قديما وحديثا"<sup>1</sup>، هته الظاهرة الاجتماعية التي وُلدت نتيجة سياسة السلطة الفاشلة التي انحرفت عن مسارها الأخلاقي.

إنّ البناء الاجتماعي للحكاية الشعبية وأنظمتها يعكس لنا دور العلاقات الانسانية والاجتماعية التي تتفاعل فيما بينها نتيجة التعاون الاجتماعي والترابط الأسري والتقارب العائلي، فلا يمكن للفرد أن يعيش بمنأى عنهم لأنه في كل لحظة هو بحاجة إليهم وهم بحاجة إليه. ومن أهم هته العلاقات علاقات تبنى على أساس الزواج أو الصداقة، أو المصلحة، فهناك العلاقات الودية التي نجدها داخل الأسر والعلاقات القرابية، وعلاقات المصلحة التي تنشأ خارج هذا النسيج وتتمثل في العلاقات الاقتصادية والسياسية.

ومهما يكن من أمر فإن السلوكات الاجتماعية للحكاية يجعلنا نركز أساسا على الوعي الجماعي الذي "يتكون ضمناً في السلوك الشامل لأفراد يساهمون في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية"<sup>2</sup>، وفي ظل هذا الوعي الجماعي كان لزاماً أن يتحقق نوع من التوازن والاحترام الذي لا يمكن أن ينشأ إلا بإنشاء سلطة تلازم هذا البناء وتساعد على تنظيم علاقاته.

ونشير أخيرا الى أنه في أي شكل من أشكال السلوك لابد من وجود سلطة توجهه صوب أهداف محددة، تكون لها القدرة على التوجيه والتأثير، وإلى جانب السلطة الوضعية أو العقائدية هناك سلطة القيم التي توجه الإنسان إلى سلوك معين أهمها القيم الأخلاقية.

<sup>1</sup>:المرجع السابق : ص205

<sup>2</sup>: Lucien Goldman : pour une sociologie – Romaned – idée Gallimard paris , 1964 , p 41

## الباب الثالث

# القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية

مقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها

الفصل الأول: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الأسرة والمجتمع

1. قيم التفاهم بين الزوجين

2. قيمة الأمومة

3. قيمة التماسك الأسري

4. قيمة الكرم والضيافة

5. قيمة الصبر والتسامح

الفصل الثاني: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الاقتصاد والسياسة

1. قيمة الحث على العمل

2. قيمة التشارك والتكافل

3. قيم بين الحاكم والمحكوم

4. قيمة العدالة الاجتماعية

الفصل الثالث : نماذج من القيم السلبية

1. القيم الساخرة

2. نقد المجتمع

3. القيم التربوية

## المقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها:

إن المجتمع الإنساني مسرح حافل بثتى ألوان القيم والأنماط المتباينة من السلوكيات الاجتماعية والإنسانية، وعندما نراقب هذه السلوكيات نجد أنها تتخذ قرارات بدافع المصلحة أو المبادئ، ولذلك فإن "سلوك الناس وأخلاقهم والقيم التي تحدد علاقتهم بأنفسهم وبالآخرين ليست أبنية خالصة يضعها الفرد بحرية كاملة، بعيدا عن المجتمع وأوضاعه السائدة، وإنما شأنها شأن كل ما يتعلق بالإنسان، فهي نتاج تصنعه أوضاع المجتمع من ناحية، وأداة تؤثر في المجتمع وتسهم في تغييره من ناحية أخرى"<sup>1</sup>. وسلوكيات المصلحة هي إخضاع أصحابها إلى توفير حاجياتهم المادية والمعنوية مع احترام القواعد الإنسانية والخضوع إلى المثل والقيم المختلفة فما المقصود بالقيم؟

تعتبر القيم مجموعة من المعايير التي يحدد بها الإنسان سلوكياته ويحقق بها مصالحه، حيث تعبر عن المنفعة العامة للمجتمع أو ما يسمى بالمصلحة الجماعية، ولما لها من أهمية في استقامة المجتمع وتنظيمه، لقيت اهتماما بالغا من الكثير من رواد الدراسات الفلسفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

بدأ هذا الاهتمام في "الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الحالي...ولعل الفضل في ذلك يرجع الى اثنين من علماء النفس هما (ثرستون) وما قدمه من تصور لمعالجة القيم في اطار المنهج العلمي"<sup>2</sup>. ومنذ ذلك الوقت سار التضارب والاختلاف في المفاهيم بحيث اهتم عدد كبير من الباحثين في مجالات مختلفة، كالفلسفة، والتربية، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وغير ذلك من المجالات. وقد ترتب على ذلك نوع من الخلط والغموض في استخدام المفهوم من تخصص الى آخر، بل ويستخدم بطرق متعددة داخل

<sup>1</sup>: رشيد جرموني : قراءة في التحولات القيمية، دراسة مقارنة بين المغرب وباقي بلدان العالم، مجلة المستقبل العربي، العدد366، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، أوت 2009 ص 83

<sup>2</sup>: عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم، دراسة نفسية، عالم المعرفة، مجلة شهرية ثقافية، العدد160، الكويت، 1990،

التخصص الواحد، فلا يوجد تعريف واحد لمفهوم القيم يعترف به جميع المشتغلين في مجال علم النفس الاجتماعي كموضوع يقع في دائرة اهتمامه<sup>1</sup>.

وعليه أردنا أن نقدم بعض الدراسات المهمة التي تناولت مسألة القيم في مسارات متعددة ومقاربات متنوعة حيث تناول فريق من الباحثين في العلوم الاجتماعية مجموعة من البحوث في المنظومة القيمية في أوروبا وقد كان الهدف منها معرفة العمق الثقافي المشترك بين مختلف الدول الأوروبية<sup>2</sup>، وتناولت القيم العائلية عند الأوروبيين وقد سجل هذا المسح في جميع الدول الأوروبية أن الأسرة مازالت تشكل المجال المفضل والمثمن لإنشاء العلاقات بين الزوجين، التي تسود بينها أجواء التفاهم والحوار<sup>3</sup>. كما قدم فريق مغربي بحثا وطنيا معمقا عالج فيه موضوع القيم والأسرة بين النمط التقليدي والنمط الحداثي والذي شكّل صراعا داخل منظومة القيم وأثره على بنية الأسرة المغربية .

يأخذ مفهوم القيمة معاني عدة ولهذا أردنا أن نضبط المفهوم على المستوى اللغوي والاصطلاحي، والقيمة لغة تعني بها "قيمة الشيء، قدره وقيمة المتاع ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة، ماله ثبات ودوام على الأمر"<sup>4</sup>. أما في قاموس المحيط تعني بها "القيمة بالكسر واحدة القيم، وما له قيمة إذا لم يدم على شيء وقومت السلعة واستقمته ثمنته، واستقام واعتدل، وقومته عدلته فهو قويم"<sup>5</sup>.

ويعرف علماء الاجتماع القيمة على أنها مستوى أو معيار للإنتقاء من بين بدائل أو إمكانات اجتماعية متاحة أمام الشخص الاجتماعي في الموقف الاجتماعي<sup>6</sup>، أما في القرآن الكريم نجد قوله تعالى « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ »<sup>7</sup>، أو قوله تعالى « فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ »<sup>8</sup>.

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص30

<sup>2</sup>: رشيد جرموني: قراءة في التحولات القيمية، دراسة مقارنة بين المغرب وباقي بلدان العالم، ص86.

<sup>3</sup>: المرجع نفسه: ص87.

<sup>4</sup>: معجم الوسيط: الجزء الثاني، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1973، ص 768

<sup>5</sup>: الفيروز الأبادي: قاموس المحيط، ص 168

<sup>6</sup>: عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم، دراسة نفسية، علم المعرفة، عدد 160، الكويت، 1990، ص33.

<sup>7</sup>: سورة البينة: الآية 05

<sup>8</sup>: سورة البينة: الآية 03

من هنا يتضح أن القيمة تختلف حسب صفة الأشياء فقد تكون قيمة اقتصادية للأشياء المادية أو قيمة أخلاقية للصفات المعنوية، بحيث القيمة الاقتصادية توجد خارج الذات الإنسانية أما الأخلاقية فهي موجودة في كل ذات إنسانية. فهي الاستقامة والاعتدال، امتدت إليها جميع الشعوب في تقويم أعمالهم وتحديد سلوكياتهم ما يشير إليه "ماكس فيبر" على أنها معطيات موضوعية ووضعية توجه سلوك الأفراد وأحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب عنه من أشكال السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير<sup>1</sup>.

ومن هذا المنطلق يتضح أنها تجمع بين عاملين أساسيين هما: الموضوعية كما يصورها " أفلاطون" والذاتية كما يصورها "دوركايم". فأفلاطون يرى أن الناس لا يعون مصادر الالتزام في حياتهم، ومع ذلك فهم يدركون مثلاً علياً، ويتحدثون عن الحق والجمال، ويرى أنه لا بد أن يكون هناك مصدر استقى منه الناس هذه المعتقدات التي تؤدي بهم إلى هذا اللون من التفكير أو الحديث أو السلوك<sup>2</sup>.

وإذا نظرنا إلى السلوكيات الإنسانية نرى أنها لا تخضع إلى غرائزها وهذا ما يميزها عن السلوك الحيواني وإنما تخضع إلى ما هو أفضل، فينتج عن ذلك صراع داخلي بين الدافع الغريزي وبين القيمة ومطالبها، ويولد ما يسمى "بالواجب السلوكي" ولذلك يضطر الإنسان إلى مراقبة جميع سلوكياته وتصنيفها حسب القيم المتعارف عليها قصد توجيهها نحو الواجب المنحصر في مجموعة من القيم التي تختلف تصنيفاتها حسب اختلاف العلماء والدارسين لها، وأغلبهم يصنفونها إلى ثلاثة أنواع: القيم الدينية، القيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية.

أما قاموس ويبستر "webster dictionary" يصنفها كالتالي: القيم الأخلاقية، القيم المجتمعية القيم الفكرية، القيم السياسية.

<sup>1</sup>: عبد اللطيف محمد خليفة : ارتقاء القيم، دراسة نفسية، ص14.

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص32

أما عالم الاجتماع "سيرانجر" فيقسمها إلى ستة تقسيمات: القيم الدينية، القيم السياسية، القيم الاجتماعية، القيم النظرية، القيم الاقتصادية، القيم الجمالية.

كما قدّم نيلسون تصنيفاً للقيم في ضوء ارتباطها بالنمط البنائي للمجتمع إلى فئتين: قيم تقليدية وقيم عقلية، وهذا ما فعله "روبت ردفيلد" عندما ميّز القيم على أساس نوع المجتمع إلى قيم خاصة بالمجتمع الشعبي القديم الذي تسوده القيم التقليدية وقيم خاصة بالمجتمع الحضري الذي تسوده القيم العصرية<sup>1</sup>.

ولما كانت لهذه القيم من أهمية على سلوكيات الأفراد وطريقة تفكيرهم فهي تسعى دائماً إلى تعميم الخير واستبعاد الشر من أجل المصلحة العليا، ولذلك تبقى القيمة الأخلاقية ذات أهمية كبرى من بين القيم الأخرى لما تمثله من أهمية خاصة في تعميم الخير وتنظيم السلوك الإنساني، وهي وحدها التي تقدم نظاماً ملائماً وكافياً للنشاط الاقتصادي، وهي وحدها التي تدعم الانسجام والتناغم الاجتماعي<sup>2</sup>، فالخصوصية التي ميزت الحضارة الإسلامية عن سائر الحضارات، هي أنّها دارت رحاها على محور "الأخلاق" فإذا كانت حضارات أخرى قد أرست قواعدها في المقام الأول - على "الفن" أو "العلم" أو غير ذلك من الأسس كالزراعة والتجارة أو الصناعة، فإن الحضارة الإسلامية قد اختارت "الأخلاق" أساساً لها<sup>3</sup>. ولذا نرى أن "ابن خلدون" جعل من "الأخلاق" عنصراً أساسياً في قيام الدولة وقوتها واعتبر الأخلاق الهادي للسياسة.

ومهما يكن من أمر فإن القيم الأخلاقية توجد في أي مجتمع من المجتمعات البشرية التي تشكل سلوكهم وتوجه أعمالهم، كما أنّها تساعد على تلاحم الأفراد وتماسك المجتمعات، ولذلك يبقى الإنسان خاضعاً للأطر والمعايير الاجتماعية التي تحكم سلوك الأفراد مما يجعلها قيماً مهيمنة من حيث فعاليتها وصلاحيتها داخل مجتمعه وتأثيره عليه.

<sup>1</sup>: عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم، دراسة نفسية، ص 34.

<sup>2</sup>: حسين عبد الحميد أحمد رشوان: علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 125

<sup>3</sup>: محمد فيصل شيخاني: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية، دراسة تاريخية وتربوية تحليلية، دار

الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ص 27

فالإنسان يتأرجح بين سلوكات متعددة، ليختار الأفضل فيها دون السيئة، بعدما تصطدم دوافعه الذاتية مع قيمه الأخلاقية المرتبطة بالمبادئ والمثل السامية : كالخير والصدق والأمانة، والعدل ....

فالقيمة الأخلاقية إذن تعتبر من أهم القيم الرئيسية داخل النظام الإنساني فإذا فقدت فقدت معها المسؤولية وحلت محلها الفوضى" وقد ذكر "جيبو" في كتابه "نحو أخلاقية بلا إلزام ولا جزاء": إذا لم يكن هناك إلزام فلا مسؤولية ومن ثم فلا عدالة فتنفسي الفوضى<sup>1</sup>، ومن الطبيعي أن تتمتع هته القيمة الأخلاقية بسلطة تلزم جميع الناس بتنفيذها وتطبيق أوامرها، وقد تختلف المدارس في نوعية هذه السلطة، فمنهم من يرجعها إلى سلطة العقل مثل "كانت" الذي يرى أن العقل هو الذي يميز بين الخير والشر ومنهم من يرجعها إلى "اللذة والمنفعة"، ومنهم من يرجعها إلى الضمير الجمعي أو المجتمع مثل "دوركايم"، ومنهم من يرجعها إلى الدين وأحكام الله مثل المعتزلة" التي ترى أن الحسن ما وافق الشرع، واستوجب الثواب، والقبيح ماخالف الشرع، ويترتب عليه العقاب في الآخرة..<sup>2</sup>.

وبعد هذا التضارب حول مصدر القيمة نتساءل عما هو الأساس الذي نقيم عليه الأخلاق فهل هي قواعد ترتكز على مبادئ ثابتة أم مجرد سلوكات تختلف باختلاف المجتمعات والأديان؟ ومن هذا المنطلق يقسم الفلاسفة القيم إلى اتجاهين أساسيين هما :

أولاً: اتجاه القيم الأخلاقية الثابتة ومصدرها عالم المثل وهي متعالية كما يرى "أفلاطون وسقراط" ولا تتغير في الزمان والمكان، ومن أبرز من ذهبوا إلى هذا الاتجاه هو "كانت" في كتابه تأسيس ميتافيزيا الأخلاق. والاتجاه الثاني هو اتجاه القيم الأخلاقية المتغيرة التي يرجع مصدرها إلى تأثير المجتمع.

ففي جميع الأحوال لا يمكن حصر القيم الأخلاقية في اتجاه معين دون الآخر وإنما ننظر إليهما كاتجاهين مترادفين، لنخلص في الأخير إلى أنها صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في سلوك الإنسان الذي يمكن تقديمه على أنه "أثر من آثار

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص38

<sup>2</sup>: عبد اللطيف محمد خليفة : ارتقاء القيم، دراسة نفسية، ص33

النفس المحمودة كالعطاء وعن جود أو الإمساك عن شح، ومنه ما هو استجابة لغريزة كالأكل، وثالثة استجابة إرادية لترجيح فكرة، ورابعة من قبل الآداب الشخصية أو الاجتماعية أو طاعة للأوامر والتكاليف الإلهية<sup>1</sup>.

ومن ثم تتميز القيمة الأخلاقية بأهميتها الخالدة حيث تختلف حسب تنوع قيم وأعراف ومعتقدات الشعوب التي لا يمكن أن تستغني عنها. وعليه فإن القيم ضرورة سوسولوجية وأنتروبولوجية حيث أنّ قيم الصدق والعدل والأمانة والاحترام وغيرها تعدّ من القيم الإنسانية التي تسهم في بناء هوياتها وبنياتها وتشكلاتها الاجتماعية .

تشكل القيم الأخلاقية طبعا اجتماعيا يرسم الملامح الكبرى والقواعد الأساسية لمنطلقات الأفراد والجماعات في التبادل المادي والرمزي من أجل تحقيق منافع عامة تقوم أسسها على خلفيات قيمية .

في البداية كانت القيم، ومصدرها كان الضمير الإنساني الذي ينبعث صوته من العمق أمرا بالخير أو ناهيا عن الشر، ومن صميم الضمير الجمعي الذي ينبع صوته من المجتمع وكل ذلك لأجل تحقيق نوع من الضبط الاجتماعي والمحافظة على التوازن النفسي والاجتماعي وتحقيق الأمن والاستقرار. إنّ هذه الأهمية البالغة للقيمة في الحياة الإنسانية وانعكاساتها على المجتمع يسعى الأفراد إلى تعميمها بمختلف الوسائل والأساليب التربوية والثقافية والتعليمية.

إن إتباع التربية القائمة على القيم الأخلاقية تفتح أوسع الأفاق أمام أفراد المجتمع وما يصادفونه من تناقضات وتغيرات في المجتمع، ولهذا يجب أن تكون هناك أسس واضحة في تربية المجتمع على مختلف المستويات أهمها: تنظيم العلاقات الاجتماعية والأسرية وبتّ روح المحبة والاحترام بين الآباء والأبناء، وباقي أفراد المجتمع، وتجنب كل السلوكات التي تنتافي مع القيم الأخلاقية، "فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسط الذي لا بد منه لانسجام

<sup>1</sup>: المرجع السابق: ص15

الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا على مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار"<sup>1</sup>.

وعليه تلعب الثقافة دورا جوهريا في تعميم القيم الأخلاقية بين أفراد المجتمع من خلال تثقيف الأفراد وتوعيتهم، والتاريخ القريب يشهد المقاومة الثقافية في أشكالها المتعددة للإستعمار بمختلف أنواعه في الوطن العربي عبر رهانات الثقافة والتربية في إعادة إنتاج المنظومة القيمية التي رسخت قابليتها للمقاومة بمختلف أنماطها. كما أن الثقافة تؤثر في الناس أبلغ تأثير لما تحمله من قيم، وما كتبه "موليار" ومثله على خشبة المسرح من قصص يقصد بها إصلاح الأخلاق السيئة المنتشرة في طبقات مجتمع عصره، فأنصّف بها أعمال معاصرة وعوائدهم المثيرة للسخرية. وكذلك الحال بالنسبة للجاحظ الذي اتخذ شكل القصة ليؤلف كتابه البخلاء"<sup>2</sup>.

وإذا نظرنا إلى تراثنا الشعبي خاصة منه التراث اللامادي نرى أنه كان له القسط الكبير في توعية الشعب وتعميم الفضيلة، كالأمثال الشعبية، والأغاني والحكايات والقصص الشعبي...، فهي تصدر في مضامينها عن تأصيل القيم الإنسانية وتأكيد المثل الاجتماعية والأخلاقية، خاصة الحكاية الشعبية التي تعبر من خلال ثناياها على قيم نفسية واجتماعية.

وعادة ما تتغير وتتحوّل هذه القيم من عهد إلى عهد، ولكن هناك ما يثبت في الحكاية الشعبية التي ظلت قيمها قائمة رغم قدمها وهي القيم التي سنتعرض لها في هذا الباب. فهل الحكاية الشعبية تحمل مضامين لقيم أخلاقية من خلال السلوكات الاجتماعية المختلفة؟ وهل هي حقيقة سبب من أسباب مواجهة الواقع في تردي الأخلاق؟

هذا ما تؤكدّه "ليلي روزلين قريش" وهي تتحدث عن الفترة الاستعمارية: "بأنّ الأخلاق في هذه البيئة الجزائرية مهدّدة بالفساد برغم الجهود المبذولة لحفظها، فكيف يمكن الدفاع

<sup>1</sup>: محمد فيصل شيخاني : القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية، ص 33

<sup>2</sup>: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 09

عنها في هذه البيئة اليائسة؟ وبطبيعة الحال كان يبدو أنّ الحكاية البسيطة تمثل درساً نافعا أكثر من اللوم والعتاب"<sup>1</sup>.

نلاحظ في دراستنا أنّ الحكاية الشعبية الجزائرية تحرص أشد الحرص على تشديد الخطاب التربوي والأخلاقي وبتّ القيم الأخلاقية التي تعتبر بمثابة قواعد محكمة من أجل تحقيق أهداف نبيلة، فهي تحاول أن تحل محل المرشد وتتنظر نظرة المراقب وتحكم حكم العادل.

إن حصر مجال القيم الأخلاقية واستثماره حسب التصنيف الذي قدمناه في الباب الثاني الموسوم: السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية نوظفه في الباب الثالث وذلك بغية تفكيك بنية الحكاية الشعبية من حيث البناء الاجتماعي وجهازه القيمي إلى مجموعة عناصر يمكن إجمالها في ما يلي :

#### 1 - القيم الأخلاقية الأسرية والاجتماعية:

الأسرة مؤسسة اجتماعية لا توجد في فراغ اجتماعي وإنما يحكمها إطار ثقافة فرعية تنتمي إليه وتوجهه ولذلك فإنّ نواة الأسرة وعلاقاتها الداخلية والخارجية تبنى من خلال مسارات وأنساق كالقرباية والزواج ونظام الأسرة انطلاقاً من قيم استمدها الفاعلون من مجتمعهم الكبير ويعيدون إنتاجها عبر ممارستهم داخل مجتمعهم الصغير .

فالزواج باعتباره قيمة في ذاته يسهم في بناء أنساق أخرى مثل الأسرة والتي تشكل هي كذلك بناء قيمي في علاقة مع منظومة أخرى وهي القرباية، هذه الأنساق الثلاثة في بعدها القيمي دائماً في تفاعل مستمر لبناء وتشكيل قيم المجتمع كالتسامح والصبر والتكافل والصدقة..

أما الزواج كمؤسسة يحمل مضامين وقيم رمزية تسهم في تماسك الرباط الزوجي كالتفاهم بين الزوجين وما يصدر عنه من حب و ودّ و وفاء، ممّا ينتج أسرة ذات قيم مبنية على أساس اجتماعي وثقافي تحاول نقلها إلى الأجيال الصاعدة منها قيم الأمومة والتماسك الأسري وتكافؤ الحقوق والواجبات بين الأبناء و الآباء.

<sup>1</sup>:المرجع السابق، 180

## 2 - القيم الأخلاقية الاقتصادية والسياسية:

إن التحولات الاقتصادية وعلاقة الانتاج وأثرها على المجتمع، تكشف عن مكونات قيمة كانت مستترة فيعاد تنشيطها من جديد كقيم الحث على العمل ونبذ الخمول والعمل التشاركي في المجتمع الجزائري كالتوزيعة مثلا التي تعكس قيم التعاون والتكافل.

أما المضامين السياسية في الحكاية الشعبية فتتجلى في أشكال مترابطة تحمل معايير والزامات مبلورة في قواعد وأنظمة كالسلطة الاجتماعية والسياسية التي تشكل نسيج قيم تنظم العلاقات الانسانية حول أقطاب يغلب ذكرها، مثل أقطاب الديمقراطية، أو الحرية أو الاستقامة أو الحقيقة<sup>1</sup>. التي ترسخ مبادئ بين الحاكم والمحكوم والعدالة الاجتماعية الدالة على فضيلة خاصة وعلى قيمة أساسية سواء بسواء.

"فكرة العدالة التي تعمل على طراز مماثلة العدالة التعويضية والتوزيعية إنما تجثم في مبدأ النظام السياسي. وحتى حين تأخذ في اعتبارها الأوضاع الاستثنائية فإنها تظل في خدمة....رؤية تراتبية عن المجتمع الذي يعترف بسادته وبعبيده."<sup>2</sup> ويدفع بالعنف والعنف المضاد الذي ينجم عن رفض الآخر في شتى مستوياته الدينية والاجتماعية والعرقية.

<sup>1</sup>جون بول رزقير: فلسفة القيم، تعريب عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2001،

ص64

<sup>2</sup>: جون بول رزقير: فلسفة القيم، ص 100

## الفصل الأول: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الأسرة والمجتمع

كما سبق وأن ذكرت أن الحكاية الشعبية لا تهدف إلى التسلية، وإنما وظيفتها الأساسية ضمان استمرار العلاقات الاجتماعية وتمتين الروابط الأسرية، وتحقيق مجتمع مفعم بقيم التعاون والاستقرار الاقتصادي والسياسي. ولن يتحقق ذلك إلا بتمرير القيم الأخلاقية وتمتين ركائز المثل الاجتماعية إلى الناشئة وترسيخها في الذاكرة الشعبية.

وإذا حاولنا أن نرصد محصول القيم في الحكاية فإننا سوف نصطدم بمجموعة من القيم المتنوعة والمتعددة، منها من يتغير ويتحول أو حتى يزول، ومنها ما بقي قائماً إلى وقتنا الحاضر، فعادة ما تتغير القيم من مجتمع إلى آخر ومن عهد إلى عهد، ولكن هناك ما يثبت في الحكاية التي ظلت قيمها قائمة رغم قدمها.

ومن أهم هته القيم التي حافظت عليها الحكاية لحد الآن، القيم الذكورية داخل الأسر الجزائرية التي ظلت محافظة على نفس التوجهات الأساسية منذ أقدم العصور حتى اليوم. والعائلات الجزائرية مازالت تحمل هته القيم التي تتميز بسلطة الرجل وتقسيم الأدوار في نطاق مجتمع أبوي أو ذكوري.

أما القيمة الثانية هي قيمة الإنجاب وبالتحديد إنجاب الذكور، فلا يخلو مجتمع من مجتمعاتنا من الاهتمام بوجود عنصر الذكور الذي يمثل بناء الأسرة ويحافظ على اسمها، ولهذا حضيت الحكاية الشعبية بما يؤكد قيمة الإنجاب وقيمة وجود الأبناء، وتفضيلهم على الإناث أو بمعنى آخر التحيز ضد إنجاب الأنثى.

وليس غريباً في مجتمعاتنا أن تكون تلك القيمتان أساسهما قيمة العصبية المرتبطة من تصورات المجتمع الشعبي بضرورة الحفاظ على كيان الأسرة وكبر حجمها، أو الأخذ بالثأر الذي كان يعد بدوره قيمة أساسية في التصورات الشعبية في المجتمعات القديمة.

كما يمكننا أن نشير إلى القيم التي اندثرت بينما كانت حاضرة بقوة في المجتمعات القديمة وهي قيمة الجنس عندما كانت النساء تمنحن أجسادهن هبة للآلهة أو ما يسمى "بالبغاء المقدس الأنثوي... الذي كان منتشرًا جدًا عند الإغريق... كتمرين إلهي يسمح

للتائه والفقير والراهب بالحصول على النشوة الجنسية من دون هدف الإنجاب، وكانت هذه الممارسات منتشرة في أرجاء العالم...<sup>1</sup>. فمفهوم البغاء كان مقدساً ومعتزفاً به ذات قيمة خيرية لما تقدمه النساء من نشوة جنسية إلى المحتاجين والفقراء "فالجنس كان مقدساً له مكانة في المعابد"<sup>2</sup>، "والملكة نيتوكوس كانت بغياً في معبد الآلهة آمون"<sup>3</sup>.

وقد يظهر هذا التغيير في القيم جلياً في تطور الأسرة من حيث الإباحة الجنسية وتعدد الزوجات وصولاً إلى أحادية الزوجة وكذلك الانتساب إلى الأم ومن ثم إلى الأب"<sup>4</sup>.

فإذا كانت بعض القيم ذات أهمية في وقتها فقد أصبحت اليوم عرضة للتغيير مع تغير المجتمع الذي قد يحافظ عليها أو يغيرها أو يقف ضدها أي فرد من أفراد المجتمع، وعليه "لا يمكن أن نقيس بمعيار أخلاقي واحد مصطلحاً أو مفهوماً وُجد في حقبتين وبيئتين مختلفتين من حيث البعد الزمني والمكاني. إذ أنّ للزمان والمكان دوراً هاماً في تغيير كثير من المفاهيم والمصطلحات"<sup>5</sup>.

لست الآن بصدد عرض تلك القيم المختلفة التي تغيرت بتغير المجتمعات وإنما حاولت أن أرصدها لأبين إمكانية تبدل القيمة أو اندثارها بسبب الأوضاع وحسب رغبة قبولها أو رفضها، وأحاول الآن أن أتعامل مع بعض ملامح القيم الأخلاقية الثابتة في النفس البشرية والمبثوثة داخل ثنايا الحكاية الشعبية "ومن خلال كل الاتجاهات والسلوكات معاً، على أساس أن الاتجاهات والسلوك أو الفعل هما محصلة نهائية لتوجهات القيم"<sup>6</sup>.

والقيم الأخلاقية هي من بين القيم التي تولد مع الإنسان قبل أن يصطدم بالنزعات والرغبات الإنسانية ولذلك تعد مبداء من "مبادئ التعايش التي تجعل البشر فيما بينهم بالرغم من كونه يحمل نزعات ذاتية وعدوانية....رغم ذلك يتعايش. فهي تفرض على الأفراد مبدأ التعايش فيما بينهم وهي نمطان: قيم من الخارج تفرض التعايش عليهم وأخرى تتبع

<sup>1</sup>: كاظم الحجاج : المرأة والجنس بين الأساطير والأديان، ص 22

<sup>2</sup>: مصطفى صمودي : من جلجماش إلى نيتشه، ص 27

<sup>3</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 227

<sup>4</sup>: عيسى الشماس : مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 103

<sup>5</sup>: مصطفى صمودي : من جلجماش إلى نيتشه، ص 67

<sup>6</sup>: عبداللطيف محمد خليفة : ارتقاء القيم، دراسة نفسية، ص 48

من الداخل أي تلقائياً<sup>1</sup>، ومن أهم هذه القيم، نزعة الخير والحب والتفاهم الذي يعد جوهرية التركيبية البشرية، وبما أنّ النواة الأولى للمجتمع هي الأسرة فإن التفاهم بين الزوجين من أساسيات القيم التي يبني عليها المجتمع.

## 1. قيم التفاهم بين الزوجين:

تفيض الحكاية الشعبية بثروة غير متناهية من القيم الأخلاقية التي نشعر بمعانيها الإيجابية والتي تدلّ على الخير ومكارم الأخلاق، وقد حملت الحكاية الجزائرية تلك القيم في زمن عانت فيه المجتمعات الجزائرية الظلم والاستبداد والفقر، ممّا أدى إلى اتساع هوة الفوارق الاجتماعية وإفراز الكراهية والبغض والخوف من المستقبل المجهول.

لا يخلو نص من نصوص الحكاية الشعبية من الإشارة إلى تلك الصراعات أو المعاناة التي عانتها الطبقات البسيطة تلك الطبقات الأكثر تضرراً واستغلالاً، ليلجأ القصاص الشعبي بدوره إلى تصوير مختلف الصور التي تتراوح بين صراعات الخير والشر ويؤكد على قدرات الحكاية في تمثيل أواصر الارتباط الاجتماعي والأسري، ونشر الحب والودّ بين أفرادها. ولهذا "أجمع علماء الاجتماع على أنّ الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الوحيدة التي احتفظت بعنصر التماسك بين أفرادها وإنّها مع تعقد مجتمعاتنا الحديثة بدأت تفقد مثل هذا التماسك"<sup>2</sup>. ومن أهم تلك الروابط الرابطة الزوجية، فالزواج في الحكاية الشعبية حضي بقيمة التفاهم والمسؤولية بين الزوجين، والتي لم تحصرهما الحكاية على الزوج فقط وإنما حملتهما للمرأة أيضاً، فهي مسؤولة عن نجاح زوجها في الحياة أو فشله مثلما تحدثنا به حكاية "الخيز مرّاً وشزّ مرّاً"، المرأة التي كانت سبباً في نجاح زوجها لما تحمله من خبرة في الحياة، مكنتها من إعلاء مكانة زوجها ونجاح أعماله. ولهذا "فالحكاية تحرص على إحداث التكافؤ في الحياة الزوجية وتسخر من الأسر التي يختل فيها هذا التكافؤ"<sup>3</sup>. تروي لنا حكاية "بابا قرماز" عن الزوجة التي تشارك زوجها العمل

<sup>1</sup>: محمد البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الاسلامية للدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، 1994،

ص 70

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص192

<sup>3</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 109

وتقتسم معه أعباء الحياة الاجتماعية القاسية، فهي ذات فطنة وذكاء، تقدم له النصح والإرشاد، وهذا بعدما تفتنت بالأذى الذي أصاب ابنها من قبل الغول، غير أن زوجها لم يأبه بكلامها ولم يصدقها إلى أن تحقق بنفسه.

فقيمة مسؤولية المرأة التي من أجلها سردت الحكاية تبين مكانتها في المجتمع ودقة تفكيرها وإحساسها بالخطر، وعاقبة الزوج الذي لا يسمع كلام زوجته، وهذا يظهر جلياً في الحكاية حين يقول الزوج للغول الذي حاول قتل ابنه «كُنِّي مِنْ الرَّجُلَيْنِ لِي مَا تَبْعُوشُ مَرَاتَهُ، كُنِّي مِنْ الْيَدَيْنِ أَلِي ضَرَبُوا مَرَاتَهُ كُنِّي مِنْ الْوَدْنَيْنِ أَلِي مَا اصْنُتُوشُ كَلَامَ مَرَّتِهِ...».

تشير الحكاية إلى العلاقات الزوجية المتبادلة بينهما والتي تعمها الحميمية والتفاهم والتعاون على صعوبة الحياة ومشاقها، فهما يحافظان على تلك الرابطة الزوجية، بكل الوسائل والممارسات التي تمنحها وتمنح زوجها وأبناءها السعادة في كنف أسرة متماسكة، فهما يتعاونان على الحصول على لقمة العيش والتغلب على مشاق الحياة، مثلما رأينا في حكاية "بابا قرماز" التي نلتمس من خلالها تعاون الزوجين على الفقر الذي أدى بهما إلى البحث عن العمل والكراء. كما تبين لنا قيمة التآزر والتعاون في العمل، بحيث تساعد الزوجة زوجها في العمل "غسل الملابس مقابل المال" حتى يتمكن من توفير لقمة العيش. وبالتالي جعلت الحكاية من علاقة الرجل بالمرأة، علاقة ترابط ومودة وتكافؤ تسودهما الرحمة والمحبة» لقوله تعالى «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»<sup>1</sup>.

ولا تتوقف الحكاية عند ذكر تعاون الزوجين ودورهما خاصة دور المرأة التي تتجاوز إطار الأعمال المنزلية، فهي تساهم في تنشيط الحياة الاجتماعية والاقتصادية داخل المنزل وخارجه، كما تذكر لنا ذلك حكاية "لونجة مولاة سبغ سولف" التي تقوم فيها الزوجة بصناعة النسيج وحكاية "جوهز في خيوطها" في جلب الماء من الوديان.

<sup>1</sup>: سورة الروم، الآية ص21

«لا تخلو الحكاية الشعبية من التحدث عن المرأة الطيبة الفاضلة والمكافحة في سبيل رعاية زوجها وأبنائها وبيتها خير رعاية»<sup>1</sup>، والهدف من إبراز هذه الصور هو تأكيد قيم المرأة المكافحة من أجل زوجها وأبنائها.

تحفل الحكاية الشعبية بقيم التوازن بين الزوجين وما يترتب عنه من تحقيق الأمن والاستقرار لتؤكد لنا بذلك قيمة من قيم المجتمع الذي يحافظ على تماسكه ويثبت به دعائمه، فالزواج يعدّ رابطة مقدسة تقوم على المعاني الروحية والعاطفية أكثر ما تقوم على أي معنى آخر، وهو عقد لا يراد به صفقة عابرة ولا أمر فتي سريع الزوال بل هو عهد يقوم على اشتراك الطرفين في الحياة في شركة يراد بها الدوام والاستقرار<sup>2</sup>. وقد لا تتحقق هذه الشراكة والتوازن إلا من خلال مبادئ ترسم نمط العلاقة بين الزوجين، وبينهما وبين الأولاد، والأولاد فيما بينهم<sup>3</sup>.

ومما لا شك فيه أن الحكاية جاءت بقيم تثبت بها الأسس السليمة للزواج وتهيئ الحياة الكريمة له، مما يضمن له أسرة صالحة ومجتعا أصلح. ومن أهم تلك القيم الأخلاقية التي أكدتها الحكاية في الزواج هي الإحساس بالعاطفة والمشاعر والروابط النفسية. وهذا حينما عرضت لنا مجموعة من الحكايات تحدثنا فيها عن قيمة العاطفة والحب بين الزوجين. كحكاية "لُونَجَة" التي أحببت الفارس الشهم وعمدت الهروب من بيت الغولة والالتحاق به بعدما أحبته من أول لقاء. ويقول الراوي «لُونَجَة شَافِتْ فِيه... وَظَهَرَ لَهَا مَا كَانَ مَا أَزِينْ مِنْهُ، وَزَادَ دُخَلَ فِي قَلْبِهَا الْكَلَامَ الْخُلُو أَلِي سِمَعَاتُهُ وَالرَّجُلَ عَجِبَهَا...».

كما تحدثنا حكاية "خُنَيْفَسَة لآلة النّسَا" عن ضرورة الزواج والبحث عن الزوج المناسب وذلك عندما قرّرت "خُنَيْفَسَة" الزواج وخرجت إلى السوق باحثة عن زوج مناسب، وكلما سألتها أحد عن سبب تواجدها في ذلك المكان تجيب «نَنْقَرَجْ وَنِدَحْرَجْ، وَنُحِبُّ نِزْوَجْ» وظلت على حالها ترفض كل من تقدم لها إلى أن تحقق مرادها باختيارها لزوج فصيّلتها "خُنَيْفِس".

<sup>1</sup>: سرحان نمر : الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص 80

<sup>2</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 114

<sup>3</sup>: محمد البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص 93

أما حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" هي أيضا تحدثنا عن "بنات السلطان السبع" اللواتي قررن الزواج، فذهبن إلى "المدير" كي يساعدهن في كيفية إبلاغ والدهن بقرار الزواج، وبعد أن علم والدهن قرر استدعاء جميع شباب المدينة لتمكن بناته من اختيار ما يناسبهن من الرجال. كما تشير حكاية "حَدُّ الزَيْنِ" إلى أهمية الزواج وقيمه النفسية والاجتماعية، فهي تحدثنا عن إصرار الأم على زواج ابنها بما أنه أصبح رجلا قادرا على الانجاب حيث تقول له «يَا وَلَدِي رَاكَ كَبِيرَ الْيَوْمِ، لَأَزِمُ تَنْزُوجَ وَدِيرَ وَوَلَادَ وَبَنَاتَ مَا بَقِيَ حَالٌ». و لهذا " فالزواج يستمد أهميته من وظائفه العديدة التي يقدمها للزوجين، فهو وسيلة منظمة لسد الحاجات المختلفة سواء كانت عاطفية أو جنسية أو اقتصادية، وبعد التجاوب العاطفي ذا أهمية كبرى لنجاح الزواج"<sup>1</sup>.

تحفل الحكايات الشعبية بما يؤكد هذه القيم في حياة المجتمع ولذلك فهي تركز على الأسس الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الزوجين لاستمرار علاقتهما من حب وإخلاص وتفاهم وتعاون في شؤون الأسرة حتى يكتمل التوازن النفسي والاجتماعي ويعم الأمن والاستقرار، فهذا التوازن الجزئي في المجتمع هو توازن ضروري"<sup>2</sup>.

## 2. قيمة الأمومة:

تعرضت الحكاية بمختلف أشكالها وأنواعها إلى قضية فقدان الأم وما يترتب عنه من مشاكل "كاليتيم" ومن خلال هذا "اليتيم" تبرز قيمة الأمومة "باعتبارها حالة نفسية فطرية في الإنسان، تولد معه وتظهر قوية مع ممارسته للسلوكات الإنسانية الأخرى، ومن هنا جاء الاحترام والتقدير لهذه الأمومة"<sup>3</sup>. فمعظم الحكايات تتحدث عن موت الأم أو فقدانها أو زواج الأب من امرأة أخرى، لتحل محل الأم ويحل الشقاء والغبن والتمييز بين الأبناء، فتندثر سعادتهم ويكثر الظلم والحرمان.

<sup>1</sup>: أحمد مرسي : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 46

<sup>2</sup>: محمد البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص93

<sup>3</sup>: أحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص169

يمكن اعتبار قيمة الأمومة ظاهرة عالمية لما يصدر عنها من أشكال حكايات اليتيم وفقدان الأم. فقد عبرت حكايات عديدة "كبقرة اليتامى" وحكاية "الولد ومَرَّتْ بِأَبَاهُ" عن قسوة زوجة الأب على أبناء زوجها، هذه القسوة التي بلغت إلى حد التجريح والتعذيب أو محاولات القتل، والهدف الحقيقي من عرض هذه القسوة هو تأكيد قيمة الأمومة والكشف عن عقدة زوجة الأب، فالأم تبقى مشدودة إلى أبنائها ذكورا وإناثا برابطة الأمومة المثالية، التي تتجلى عبر محطات متنوعة في حكاية "بقرة اليتامى"، التي تجسد من خلالها دور الأم المثالي الذي ترمز له "البقرة" بالعتاء والبقاء وهذا بعدما كانت تمدّ الشقيقتين باحتياجاتها من الحليب لتحلّ بذلك محل الأم التي تبعث في أبنائها الدفاء والحنان بتحقيق مصدر الغذاء وتعويض الحرمان الأمومي الذي تسببت فيه زوجة الأب الشريرة. فالأم هي التي تحافظ على أسرتها وتجمع أبناءها حولها إذا توفي الأب بينما في حالة وفاتها فانه يتزوج مرة أخرى ولا يهتم بجمع شمل أولاده"<sup>1</sup>، أما حكاية "المعزة الصنبية". تؤكد لنا الحكاية أهمية الأم في توفير الغذاء لأبنائها فهي تخرج يوميا لجلب الغذاء، متحملة شقاء العمل والتعب وعند عودتها تقول لابنها: جِبْتُ حَلِيبٌ فِي بَرُولِي، جِبْتُ الْمَاءَ فِي قَرْفُورِي، جِبْتُ الْحَشِيشُ فِي قَرْفُورِي... جِلُّو الْبَابُ نَرَضَعُكُمْ». فقيمة الأمومة مرتبطة بعرض الحكاية لحب الأم الشغوف على أبنائها، تصارع من أجلهم القسوة والحرمان وحريصة دوما على سعادتهم وأمانهم "مدفوعة بغريزة حب البقاء لأن أبنائها استمرار لوجودها"<sup>2</sup>.

تبقى مكانة الأمومة "نافذة بين الأبناء وهذا دليل على مدى تأثيرها في الأسرة فهي التي تمنح حياتها مقابل حياة أبنائها وأسرتها أو "بمعنى آخر تعطي الحياة بفقدانها هي الحياة وهكذا تتعاطى دورة الحياة، كل شيء سبب في وجود الشيء الآخر"<sup>3</sup>، ففي حكاية "الجَوْهَرُ فِي حَيْوُطِهَا" تحدثنا الحكاية عن الأم التي تبكي ولدها المسجون وتبحث عنّ يساعدها في إخراجها. فهي التي تعتني بأبنائها ويعتنون بها، ما تُقَرُّ به الحكاية الشعبية حينما تركز على قيمة تأثير الأم في أبنائها وولائهم لها. كحكاية "بقرة اليتامى" التي لم يستطع فيها الأبناء نسيان أهم التي كانت ترعاهم قبل فقدانها الحياة. كما تركز الحكاية

<sup>1</sup>: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عبد بدر : مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 187

<sup>2</sup>: عمر عبد الرحمن السارسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 164

<sup>3</sup>: أمحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 166

على قلق الأم على أبنائها وهي بين الموت والحياة عندما طلبت من والدهما ألا يبيع البقرة بحاجة أبنائها منها وكأنها تعلم مصيرهم بعد موتها من زوجة أبيهم. فلا بد هنا من أن ننوّه بعرض الحكاية لصور "الأم الحنون"، لأن هذه الصور تشمل الغالبية العظمى للأمهات. فالأم وضعتها الطبيعة في موضع الحارس الأمين ومربيته النشيطة الدؤوب لأولادها. حتى إذا ما كبر الأولاد ظلت الأم تحرص على مصالحهم وتزودهم بالنصيحة والمساعدة المادية والمعنوية ما وسعها ذلك"<sup>1</sup>.

كما تشير حكاية "لُونَجَة مُوَلَاة سَبْعُ سَوَالِف" لرحمة وشفقة وسماحة الأم التي لم يطاوعها قلبها على هجرة ابنتها التي ربتها منذ صغرها وأخبرتها عن الخطر الذي ستصادفه في طريقها وهي تقول «لُونَجَة بِنْتِي اغْدَرْتِنِي لِكِنْ قَلْبِي مَا يُفُونَكَش...». فحسرة الأم وقلقها على أبنائها يكاد لا يندم في مجموع الحكايات الشعبية، إلى جانب قيمة الأمومة، تطلعنا الحكاية عن خاصية هامة في بعض الحكايات حينما تجعل من المرأة قوة نافذة وفكر مدبرا وذكاء حادا فتعكس لنا بذلك "قيمة المرأة" التي تمتد لتشمل كونها أهم عضو في الأسرة فقد حافظت على مكانتها وشرفها.

ركزت الحكاية حول ردّ الاعتبار للمرأة بوجودها ككائن اجتماعي له من الميزات الإيجابية من ذكاء وشرف وعمل وجهاد ... ما يؤهلها لأن تنفرد بمكانة عالية بموجبها تلقى الاحترام والتقدير، ولهذا نرى أن الحكاية الشعبية اتسمت بالموضوعية، فهي لم تنتصف لأحد طرفي المجتمع على حساب الآخر، وإنما اتخذت موقفا عدائيا من النماذج السيئة عند كل من الرجل والمرأة على السواء وهذا ما أكده أحد الدارسين للأدب الشعبي في مغزى دراسته الميدانية "للمرأة والحدوثة"، فالمرأة التي تروي وتحكي الحدوثة لا بد وأن تكون قد وظفت كل ما لديها من أفكار وخلفيات وقضايا في تنشئة الصغار"<sup>2</sup>.

ففي حكاية "جَازِيَة" تؤكد لنا قيمة الفطنة والذكاء والشرف الذي يجب أن تتحلى بها أية امرأة تساهم في تطور أسرتها وبالتالي مجتمعا. فقد وجدنا في بعض الحكايات أنّ

<sup>1</sup>نمر: الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص 81 سرحان

<sup>2</sup>: خالد أبو ليل: المرأة والحدوثة، دراسة في الإبداع الحكائي الشعبي للمرأة المصرية، جمع ودراسة، تقديم أحمد مرسى،

دار العين للنشر، القاهرة، 2008، ص80

المرأة ينبغي لها أن تسلك سلوكا معياريا هو سلوك الجماعة التي تنتمي إليها. ومن هنا أعطتها الحكاية أدوارا بارزة في المجتمع تؤكد على قيمة اجتماعية لازمة للمجتمع وهي المحافظة على تماسكه بترسيخ قيم أخلاقية وطمس قيم أخرى فاسدة.

وتجدر الإشارة في هذا السياق أن معظم قيم الأمومة هي قيم ثابتة في الحس الشعبي، لا تتأثر بتغير الظروف الاجتماعية والثقافية المحيط بها، فهي قضية منققة عليها في كل السياقات وفي كل العصور، ونموذج من أهم النماذج التي ظلت ثابتة رغم اختلاف العصور والظروف، نموذج يحضى بالاحترام والتقدير من أبناء المجتمع، وهو ما تلقى أيضا فيه جميع الحكايات الشعبية لما تحمله الأم من حب وحنان وعطف ورحمة وشفقة هذا إلى جانب تضحيتها من أجل أبنائها وحرصها على ترابط وتماسك أفراد أسرتها، وعليه تكون مجموع هذه القيم دعوة إلى التحلي بقيم الأخلاق الأسرية التي يجب إتباعها حتى تتدعم الروابط الأسرية.

تعنى الحكاية الشعبية أشد العناية بأفراد الأسرة ومن ثم فهي تحرص دائما على توجيه سلوكياتهم إلى ما هو في صالحهم حتى تستقيم وتؤدي وظيفتها الأساسية في بناء المجتمع، ومن بين أهم هذه القيم التي تعتمد عليها الحكاية في المحافظة على الترابط الأسري، هي الإحساس بالشعور الأخوي والعاطفة الزوجية، والزواج كما سبق وأن ذكرت هو الحجر الأساس الذي تقوم عليه الأسرة والتي تنحصر "وظيفتها في كونها المؤسسة الوحيدة التي تفرض ضرورتها في ميدان استمرارية التناسل البشري من جانب، وكونها تضطلع بعملية التنشئة الاجتماعية من جانب ثان، فضلا عن اشباعها للحاجات الجنسية والعاطفية والجمالية للزوجين"<sup>1</sup>.

### 3. قيمة التماسك الأسري:

تعد الأسرة كمؤسسة اجتماعية لا توجد في فراغ اجتماعي وإنما يحكمها إطار الثقافة الفرعية التي تنتمي إليه، كما يتمثل في المستوى الاقتصادي والاجتماعي... وغير ذلك من

<sup>1</sup>: محمود البستاني: الاسلام وعلم الاجتماع، ص 189

المتغيرات، فالأسرة تلعب دوراً أساسياً في اكتساب الفرد قيماً معينة<sup>1</sup> ولهذا تهدف الحكاية الشعبية إلى ترسيخ قيم المحافظة على التماسك الأسري بين الآباء والأبناء من خلال محاربة التفكك والدعوة إلى تدعيم أسس المساواة بين أفرادها كي لا تتفكك روابطها، فهي مجال للتضامن المطلوب يتم بواسطة القضاء على الخلافات الأسرية ومحاربة التمييز بين الأبناء ومنحهم فرصاً متساوية ما تحدثنا به حكاية "سَعِيدٌ وَدِيَابٌ" الذي لجأ فيها الأب إلى وضع أبنائه في وضعية مسابقة، الهدف منها اختيار الأفضل للحكم وتدريب الأبناء على كيفية التغلب على متاعب الحياة. هذا إلى جانب محاربة التمييز بين الجنسين من خلال حكاية "مُلُوكَةُ وَالثَّعْبَانُ" التي كسرت الحواجز وخرجت عن المألوف، عندما حاولت أن ترفع من شأن إنجاب الإناث، حيث تروي لنا الحكاية الشعبية هجرة الأخوة السبع البلاد توهماً منهم بإنجاب أمهم ولداً. ولما كبرت أختهم اكتشفت أنها سبب هجرة إختها فقررت الرحيل للبحث عنهم.

كما تؤكد لنا الحكاية قيم المساواة بين الجنسين في حكاية "عَيْنُ الزَّعْفَرَانِ" البنت التي تحظى بحب والديها والاهتمام الكبير بها. فتصور لنا الأب وهو يفكر بمصير أولاده، يخشى عليهم من التشرد والضياع بعد وفاته. كما ورد في حكاية "زَيْنَبُ وَكَعَالَةُ السَّبْعِ" التي قطع فيها الأب مسافة طويلة من أجل معرفة حالة ابنته المتزوجة وما صادفه من مشقة في رحلته إليها، وكان الهدف من هذه الحكاية ترسيخ قيم حب الآباء لأبنائهم وتحملهم المشاق لأجلهم. "ففيما يتعلق بدور القيم التي يتبناها الآباء في تنشئة الأبناء، فقد تبين أن نمو الضمير عند الطفل يعتمد على معايير الآباء أنفسهم، وقيمهم، كما يعتمد على طبيعة العلاقة بين الطفل وأبويه."<sup>2</sup>

أما حكاية " القَطِيطُ وَالْفَوَيْرُ " يقوم فيها الأولياء بتربية أبنائهم وتقديم النصائح لهم بما يُساعدهم على تخطي الصعاب وتجنيب العدو وما قد يتعرضون إليه من مشاكل، فالأب يلجأ دائماً إلى وصاية أبنائه، يدعوهم إلى الالتحام والتماسك ولو كانوا غير أشقاء كحكاية "الوَلَدُ وَمَرَّتْ بَابَاهُ" التي تحدثنا أيضاً عن قيمة الإخوة التي تربط بين الأخوة غير الأشقاء

<sup>1</sup>: عبد اللطيف خليفة: ارتقاء القيم، ص 77

<sup>2</sup>: المرجع نفسه : ص 172

"من أب واحد" وما عانوه من حرقة الفراق بعد هجرة أحدهما البيت بسبب التفرقة بينهما حينما قال لأخيه «أنا راني قريب نهجّر، أنا عرفت بلي هذي ماشي ما، باغي نهجّر» «وعنق حوه وراخ». تسرد لنا الحكاية مغامرة البحث عن الأخ الضائع وما تعرض له من مشاق في رحلة البحث عنه وإنفاذه من الموت ما يدل على العلاقة الأخوية التي يمتثل لها الأخوان، فالحب الأخوي ظل يراودهما، إلى أن أحس أحد الأخوة بإصابته بمكروه ليقول «أنا البلاد إلى كلات حويا تاكلني» وعليه تؤكد لنا الحكاية من خلال هذه العلاقات القيم الأخوية التي تركز على العاطفة والحب والتسامح بين الإخوة.

وتتحدث الحكاية أيضا عن قيم الإحساس بالعاطفة اتجاه الإخوة في حكاية "ملوكة" والثعبان" التي حظيت فيها الأخت الصغرى بحب إختها وعنايتهم بها، فالأخت تبقى مكانتها خاصة بين إختها تحظى بعلاقة حب متينة. كما تشير حكاية "بقرة لينامي" إلى طبيعة حب الإخوة لبعضهم البعض وتماسكهم، إضافة إلى تمسك الأخت "عايشة" بأخيها "علي" رغم تحوله إلى غزال إلا أنها حرصت على البقاء إلى جانبه رغم ظروفها الصعبة. هذا ما تروييه الحكاية على لسانها «حَفَنَلَه وَفَنَلَه مَا غَيْرَ الْمُوتْ لِي أَفَرَقْ بَيْنَانَا» وظلت بجانبه لسنوات عديدة تعينه وتحرصه من الصيادين إلى أن تمكن منه أحدهم فرمت بنفسها عليه وقالت: «أَكْتُلُونِي وَخَلُو حُويَا. أَكْتُلُونِي وَخَلُوهُ أَعِيشْ، خَلُوا حُويَا».

فالحب والود الذي جمع "عايشة" و"علي" جعل منهما لحمة واحدة لا تفرقهما الأيام، خاصة وانهما هجرا البيت فارين من سيطرة زوجة الأب وظلمها. أما حكاية "خريص" وبوخريصة تؤكد لنا قيمة الحب والود والتضامن بين الإخوة بعدما قامت أخت خريص وبوخريص "برعاية إختها منذ الولادة لتمنحهم الدفاء والحنان وهذا بعدما فقدت أهم الحياة فلم تتهاون لحظة في الاعتناء بهم رغم الصعوبات التي تلقفتها. ولعل حكاية "حد الزين مؤلاة الشعر الذهب" هي أيضا تؤكد الرابطة الأخوية المتأصلة في الإنسان، فرغم هروب الأخت من أخيها بعدما حاول الزواج بها، إلا أن مشاعر الأخوة تحركت بداخلها، فلم تسعفها بعد تلقيها خبر مرضه الشديد بسبب غيابها، فأسرعت إليه تتاجيه وتطلب عفوه.

تؤكد الحكاية قيم التسامح بين أفراد الأسرة لتحقيق رابطة التماسك والتواصل بين الأقارب، فهي تبعث على تمثين العلاقات القربانية ونبذ تفرقتهم وتدعو إلى التسامح والصفح

والتجاوز وتغليب قيم الرحمة من أجل اكتمال "مستويات التوازن الاجتماعي العام والذي يشمل المجتمع بكل ما يحويه من أفراد وجماعات والتوازن الجزئي الذي يتحقق في نطاق وحدات اجتماعية محددة كالأسرة"<sup>1</sup>.

تشير حكاية "مُلوكَة والثعبان" إلى قيم التسامح بين أفراد الأسرة بعدما سامحت الأخت "مُلوكَة" إخوتها السبع الذين ظنوا بها سوءاً، وحاولوا التخلص منها حتى لا تجلب لهم العار وتدنس شرفهم، ولكن بعد اكتشاف حقيقة المؤامرة التي حكيت ضدها من قبل زوجاتهم قاموا بإنقاذها من "الثعبان" الذي نما بأحشائها وطلبوا منها الغفران. "إنّ تعارض القيم بين أفراد الأسرة يؤدي الى اضطراب عمليات التطبيع الاجتماعي وتنشئة الأبناء، فتنشأ شخصيات مضطربة بشكل يعوق توافقهم في المستقبل"<sup>2</sup>.

ولذلك تكرر مضامين الحكاية الشعبية روح التسامح والتواصل من أجل الترابط بين الأقارب حتى يعم الاستقرار الأسري، وتتأصل أوامر القرابة. وهذا ما أقره الأنثروبولوجي مالنوفسكي ان "العلاقات القرابية هي وسائل اجتماعية معدة للقيام بوظيفة اجتماعية وهي تأمين التوازن الاجتماعي وترسيخ السلم وتمتين التلاحم بين أعضاء المجتمع"<sup>3</sup>.

لا تكفي الحكاية في ذكر قيم رابطة الأمومة والتآزر الأسري عند الإنسان بل تتعداه للحيوان كحكاية "المعزة الصنبية" التي تحدت المخاطر والصعاب في البحث عن أولادها الصغار. كما تشير الحكاية إلى الطريقة العنيفة التي استعملتها "الأم" في إنقاذ أبنائها من قبضة العدو، حيث استعملت قرونها الذهبية الحادة لإخراج أبنائها من بطن الذئب أحياء وهذا يرمز إلى استعمال العنف أحيانا للدفاع عن تماسك الأسرة.

يهدف العنف في الحكاية إلى تحقيق وتأكيد قيم التماسك الأسري والترابط بين الأبناء والإحساس بحب الوالدين لأبنائهم، كحكاية "القطيط والفؤير" التي تحدثنا عن قيمة احترام الوالدين بحيث تسرد لنا الحكاية قلق الوالدين على أبنائهم وهذا بعدما قدم القط والفأر نصائح لابنيهما خوفاً من إصابتهما بأي مكروه خارجي.

<sup>1</sup>: محمود البستاني: الاسلام وعلم الاجتماع، ص 91

<sup>2</sup>: المرجع نفسه: ص 173

<sup>3</sup>: محمد بن حمودة: الأنثروبولوجيا البنوية أو حق الإختلاف، ص 69

إنّ واجب الأخذ بنصائح الأولياء من أهم القيم التي تحرص عليها الحكاية الشعبية وهذا ما تؤكدته الحكاية «إلي ما يسْمِعْش راي كَبِيرُو، الهمّ تَدْبِير...» وتقول أيضا «إلي قَالُوهُلْكَ بَابَاكَ وَيِمَاكَ حَتَّى أَنَا قَالُوهُلِّي بَابَا وَيِمَا» فطاعة الوالدين قيمة خلقية نبيلة تساعد على تربية الأبناء وتوجيههم إلى ما هو أصلح.

تقدم لنا الحكاية في مضامينها قيم الاحترام وطاعة الوالدين، فهي تدعوهم إلى الإحسان والبر بهما مثل حكاية "المكثوب" التي تحدثنا عن طاعة الابن لأبيه واحترامه فتقول الحكاية «خَرَجَ مِثْرِي وَطَايَعُ بَابَاهُ بِرَافٍ .. مَا يَعْصِيهِمْش..» فكلها «جوانب تربوية مرتبطة بالقيم الدينية التي تحت الإنسان على الرأفة والحنان نحو والديه»<sup>1</sup> تماشيا مع قوله تعالى « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا »<sup>2</sup>.

فتلاحم الأسرة مع جميع أفرادها ضمان للأمن والاستقرار، وطبيعة هذا التلاحم ليس بالجديد في نظام الأسرة وإنما منذ أمد بعيد "حيث أن أعضاء الأسرة الواحدة أو البطن الواحد لم يكن لديهم - في البداية - أي شعور بفرديتهم، فالرابطة الجماعية كانت عندهم قوية لدرجة أن كان التجمع البشري هو كل شيء والفرد لا شيء"<sup>3</sup>.

وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا قيم التماسك الأسري لما لها من أهمية في الحياة الاجتماعية بحيث تعتبر الأسرة النواة الأساسية في بنية المجتمع إن صلحت صلح حال المجتمع، وذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية والتربوية التي تعتمد خصوصا على الثقافة الشفهية للمجتمع التي تسمح للأبناء بتعلم المعالم الأساسية لثقافتهم من خلال إعادة الإنتاج.

تسهم الحكاية الشعبية في تأنيث المخيال بالقيم الايجابية التي تدعو إلى التسامح ونبذ العنف وتقبل الآخر ومشاركته في مجريات الحياة اليومية وهذا ناتج عن العلاقة الزوجية المبنية على الحب والتفاهم لتنشئة أسرة مبنية على الترابط و التلاحم. "بحيث شكلت الأسرة

<sup>1</sup>: أحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 167

<sup>2</sup>: سورة الإسراء : الآية 23

<sup>3</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 232

ركيزة متينة في تطوير الأحداث الداخلية للحكاية وعمدت على الاهتمام بقيم العلاقات الأسرية والاجتماعية، بمختلف شرائحها فهي إذن تريد أن تصدر ... في أشكالها ومضامينها عن نموذج اجتماعي تريد أن ترفع إليه سلوك الأفراد<sup>1</sup>.

إن النزعة الإنسانية بمختلف ترانباتها وقيمها تدفع اتجاه بناء منظومة سلوكية وخلفية وبالتالي تسهم في بناء مجتمع متصالح مع نفسه ومع غيره، مما يجعل الأمن الاجتماعي والاستقرار حوصلة لوجود قيم الخير وعليه يجب أن تقوم داخل المنظومة الأسرية "قيما أسرية نحو الأصول بالاحترام والطاعة ونحو الفروع بحسن التربية والرعاية والعطف وتجاه الأزواج باجتناج العلاقة المحرمة، واستمرار علاقات المحبة المتبادلة والمساواة والتشاور والتحكيم عند الاختلاف"<sup>2</sup>، حتى ينشأ أفراد الأسرة تنشئة مستقيمة، ويخلق جيلا صالحا في كنف الفضيلة وحنان الأمومة ورعاية الأبوة إلى جانب العدل والمساواة بين الزوجين، فلا يمكن أن يسير ذلك إلا إذا عم التفاهم والاحترام المتبادل، وتضل هذه القيم قيما مدعمة لتحقيق التعايش الاسري والاجتماعي والحياة المشتركة.

#### 4. قيمة الكرم والضيافة:

ترصد لنا الحكاية في مضامينها قيم الكرم والضيافة والجود التي يجب أن يتصف بهم الإنسان، وهذا إشارة منها على أنّ الطبقات الفقيرة رغم احتياجاتها إلا أنها تقوم بقيم الواجب اتجاه الضيف وتدل على الصفات الحميدة الكامنة في نفوس الشعب، فرغم المعاناة الاجتماعية إلا أنه محافظ على هذه القيم النبيلة، كحكاية "الولد ومَرَّتْ بَابَاهُ" التي أكدت فيها المرأة العجوز قيم الخير والإحسان فهي تحسن استقبال البطل وتكرمه.

وفي حكاية "خُرَيْصٌ وَبُؤْخُرَيْصَةٌ" هي التي ترشده وتوجهه وتحذره من المخاطر والمكائد التي يحتمل أن يصادفها في طريقه. أما حكاية "كُلْثِي بِيْرًا... وَكُلَّامٌ سُوءٌ مَا بِيْرًا" تؤكد لنا على لسان الحيوان، شهامة وكرم الأسد الذي يرمز له عادة بالكرم. ويشير إلى ذلك الراوي عندما يقول « والسَّبْعُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَعْرُوفٌ بِالْكَرَمِ، مَعْرُوفٌ بِالْقُوَّةِ وَالرُّجْلَةَ... ».

<sup>1</sup>: عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية، ص 85

<sup>2</sup>: محمد فيصل شيخاني : القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية، ص 40

تسرد لنا الحكاية تفاصيل المشاكل الزوجية التي أدت بالزوجة إلى طلب الضيافة من الأسد إلى حين هدوء أمورهم، فأحسن الأسد استقبالها هي وخدامتها ووقّر لهما ما تيسر من مأكّل ومشرب يقول الراوي « لَأَقْ بِبِهِمْ وَكَبَّرَ بِيَهُمْ مَا قَصَرَشْ كُلُّ يَوْمٍ يَمْشِي يُصَيِّدٌ وَيَجِيبُ لَهُمْ مَا يَلِزِمُ وَعُمَرَهُ مَا يَقْرَبُهُمْ، بَاقِي مِحْتَرَمَ الْمَرَا وَخُدَيْمَتَهَا وَحَتَّى الْمَغَارَةَ انْتَاعَهُ مَا يَدْخُلُهَاشْ ». ومن هنا يتضح لنا حسن الضيافة والكرم التي يجب أن يتسم بها أفراد المجتمع من أجل إسعاد الضعفاء والفقراء. " فلن ينجح مجتمع في هذا الطريق إلا إذا وثقت الصلة بين أبنائه فلم يبق محروما يقاسى ويلات الفقر ولم يبق غنيا يحتكر مباحج الغنى"<sup>1</sup>.

والجدير بالذكر أن النص الشعبي لا يحمل قيمة أو قيمتين في الحكاية وإنما هو مخزون متدفق لمجموعة من القيم في الحكاية الواحدة، وعليه يمكننا أن نشير إلى حكاية "الأسد" التي كانت وراء تحقيق رغبة أخرى غير الضيافة وهي الكرم الذي يعدّ من أهم القيم الإيجابية التي تساعد علي التوازن الاجتماعي بين الأفراد.

تسرد لنا الحكاية معاملة الأسد الحسنة لضيفته إلا أنه تلقى ما يسيء إلى كرامته بعدما وصفته الخادمة بصفات قبيحة وهي تحدث صديقاتها عن كرمه وضيافته وحسن استقباله لها، إلا أن جسده تنبعث منه رائحة لا يمكن تحملها وهي تقول « يَا لَطِيفٌ... لَأَكُنْ مَافِيهِ لَوْمٌ، حَلْفَهُ رَبِّي، وَحَدُّ الرِيحَةِ حَازِرَةٌ نَعْمٌ". فلم يستوعب الأسد ماجرى من حوار بين الخادمة وصديقاتها ليتربص لها في الغابة وهي تقوم بعمل الإحتطاب وطلب منها أن تضربه بالفأس بين عينيه، ورغم محاولات الرفض إلا أن الخادمة رضخت لطلبه، وكان كلما يلتقيها يسألها عن التحام الجرح، إلى أن شفي تماما ففرحت الخادمة لتقول له « يَا سَيِّدِي بَرًا وَمَبْقَى ائْزُ الْحَمْدُ لِّلَّهِ » ليصرح لها الأسد بما كان يخفيه من مغزى وراء ضربها له بالفأس فقال : «شُفْتِي، الْجُرْحُ بِالْفَاسِ وَبِرَى ... كَلْشِي بِيْرًا يَا هَبْرَةَ»، وكلام السوء مأيبراً، فلو تمعنا في الكثير من نصوص الحكاية لوجدناها تمتد إلى أخص خصوصيات المجتمع أغلبها تؤكد قيما أخلاقية توجه سلوك البطل الذي تختلف ملامحه وتتنوع أمكنته.

<sup>1</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 110

فالحكاية عموماً " مرتبطة بواقع الإنسان وبتوقع مشكلاته، فسواء كان البطل منتمياً إلى أسرة أو قبيلة أو كان مجهول الهوية وليست لديه ملامح... فإنه يحقق هدفاً له قيمته على المستوى الجمعي وعلى المستوى الاجتماعي"<sup>1</sup>. ولو تمعنا في الكثير من نصوص الحكاية لوجدناها تمتد إلى أخص خصوصيات المجتمع، أغلبها يؤكد قيماً أخلاقية توجه سلوك البطل، الذي تختلف ملامحه وتتنوع أمكنته.

## 5. قيمة الصبر والتسامح :

تقوم الحكاية الشعبية بدور كبير في تأكيد الروابط الاجتماعية وهذا ما يجعلها صدى وصوت الشعب، تقدم من خلاله معالم الحياة الفاضلة بطريقة غير مباشرة فهي مرآة المجتمع، وعليه تحرص دائماً على تناول مجموعة من القيم الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الأفراد، بحيث تعكس رؤية المجتمع الذي يبحث عن نسيج اجتماعي أفضل وفي كنف اقتصاد أوفر.

إنّ الاهتمام بالمسائل المادية هو اهتمام طبيعي لدى كل إنسان، لمجابهة المتطلبات الحيوية للحياة والعيش"<sup>2</sup> فمن أهم القضايا التي شغلت المجتمع وما زالت تشغله هي قضية الفقر، التي تعتبر قضية اجتماعية وإنسانية، عمل الإنسان منذ القديم على محاربتها لما تسببه له من أزمات أخلاقية. ومن ثم عالجت الحكاية الشعبية هذه القضية لتكسر حاجز اللامساواة بين الغني والفقير، وتبعث في هذا الأخير نوعاً من الدعم المعنوي والنفسي لتخلصه من عقده. ولأجل ذلك فهي تدعم قيمة الصبر التي تحلت بها الأسر الفقيرة.

يعد الصبر قيمة من القيم الأخلاقية التي يجب أن يتصف بها الإنسان لتحمل أعباء الحياة وقساوتها، فهو لا يجد أمامه سوى رضوخاً للواقع وقبولاً للأحداث بموجبها يسلم أمره لله وللقدر وللأوضاع السائدة "والمراد هو العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن

<sup>1</sup>: نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 145

<sup>2</sup>: الطاهر بوعازي: القيم التربوية، مقارنة نسقية، منشورات الحبر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2010، ص 55

المعصية ضارة، والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية، والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر..<sup>1</sup>.

تحدثنا حكاية "الخَيْرُ مَرًا وَالشَّرُّ مَرًا" عن الفقر المدقع الذي كان يعاني منه أبطال الحكاية وما قسوه من جوع وسوء للحالة الاجتماعية المزرية إلا أنهم التزموا بالصبر وظلوا على حالهم إلى أن حلت بمنزلهم المرأة الذكية التي ساعدتهم على تخطي أوضاعهم القاسية بأفكارها الراجحة، حيث وقّرت لصاحب البيت العمل وساعدت زوجته على العمل داخل البيت. ولهذا كان رهان المرأة الذكية مع زوجها السلطان في أن "الخَيْرُ مَرًا وَالشَّرُّ مَرًا" هو فضل على الرجل الفقير الذي أصبح بصبره وقناعته من أصحاب المال والغنى.

كما تصور لنا الحكاية قيمة القناعة على ما أصاب الأسر من فقر وعدم استطاعتهم تلبية حاجاتهم الأسرية، حيث نلتمس الفقر والحالة المزرية التي عاشها أبطال حكاية "بَابَا قَرَمَاز" فلولا الحاجة والفقر لما خرج الرجل وامرأته بحثًا عن السكن والعمل. تشير الحكاية إلى قناعة الزوجين بما كتب الله لهم من حياة، حيث تقول الحكاية «يَمَشُو يَتَعَشُو عَشَاءَ الْمَسَاكِينِ طَعِيمَةً وَشَوِيَّةَ لَحْمٍ ... وَلَبَّاسٌ عَلَيْهِمْ يَفْرَشُوا فُرَاشَهُمْ وَيَمَشُو يَرْفُدُو».

"إن النظر البصير إلى الحياة يجعل الإنسان لا يبتغي من حياته إلا ما بها من قوام العيش وأمن الحياة دون حرص على اللذات فيطلب من دنياه الأمن والعافية وقوت اليوم"<sup>2</sup> وهذا ما يؤكد الراوي في قوله "... وَلَبَّاسٌ عَلَيْهِمْ ..." وكأنه يقول أن الإغراق والسرف في المتاع ليس من مطالب الحياة.

ساهمت الحكاية في بث قيم القناعة التي ميزت تلك الفئة من المجتمع وسعة صدرها على تحمل المشاق رغم معاناة الجوع والفقر، كقول راوي الحكاية «رَجُلٌ مَعَ مَرَّتَهُ مَسَاكِينٌ وَحَامِدِينَ اللهُ بَلِي أَعْطَاهُمْ ..» أو قول الراوي كذلك «حَامِدِينَ اللهُ، لَبَّاسٌ عَلَيْهِمْ ...».

لم تقف الحكاية الشعبية عند حمل مضامين أخلاقية فردية وإنما تعدت ذلك إلى القيم الأخلاقية التي يجب أن تتحلى بها الجماعة كقيمة التضحية في حكاية "ذِيَابُ بَغَالِمِ"

<sup>1</sup>: زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي، ص 132

<sup>2</sup>: المرجع نفسه : ص 116

الذي قصد سلطان تونس "الشريف بنو هاشم" طالبا منه المساعدة مقابل المال. إلا أن السلطان قبل العون ورفض المال شريطة أن يتزوج "رَاجِيَّة" زوجة دياب التي تميّزت بالذكاء والجمال والشجاعة. إلا أنه بعدما عمّ الجوع حياة القبيلة لم يجد دياب حلاً لإنقاذ قبيلته من الموت سوى القبول بشرط "الشريف" خوفاً من إلحاق الضرر بأفراد قبيلته، وذلك لغرض يريد به الراوي تأكيد قيمة التضحية في سبيل الجماعة وبتن القيم السلبية من النفس كالأنانيّة وحب النفس.

تستعين الفئات الاجتماعية التي تعاني الفقر والجوع والحياة البائسة بالصبر على ما أصابها وتفتنع بما وفره الله لها وتستعين بحكمه في ذلك. فهي "تدرك أنه لا علاقة بين حظوظ الناس من المال وإحرازهم للثروة وبين حظهم في الآخرة ونيلهم رضوان الله"<sup>1</sup>. "المجتمع الشعبي يؤمن إيماناً كاملاً في رحمة الله التي تسع كل شيء، وتغفر كل ذنب، فالله عز وجل قد نجى "يونس" من بطن الحوت، ونجى "أيوب" من مرضه العضال"<sup>2</sup>. وهذا دليل على القناعة بما رزقهم الخالق وتوكلهم عليه في أعمالهم ومصائبهم.

ولما لهذه الفضيلة من أهمية فقد أولاهما الغزالي تطويلاً في كتابه "المنهاج"، والتوكل هو ألاّ يبالي المرء في أسباب الحفظ، وأن يوطن النفس على ما يسرق من متاعه، وألاّ يحزن بل يفرح حين يُسرق،..... وأن يشكر الله على أن جعله من المظلومين، ولم يجعله من الظالمين"<sup>3</sup>.

يسعى البطل في الحكاية إلى كسب رزقه عن طريق التوكل على الله، وهذه الحالة تأتي بعد يأس الإنسان من أخيه الإنسان حين تهتزّ القيم ويطغى الجانب المادي على الجانب الروحي وتضعف الروابط الإنسانية"<sup>4</sup>. فالتوكل على الله من القيم الأخلاقية والدينية التي تستعين بها الطبقات الشعبية الفقيرة حتى تقوى على الصبر والقناعة، فلا مسير لأحوالهم غير الله ولأجل ذلك تذكر بعض النصوص بأن الفقراء يتيهون على الأغنياء

<sup>1</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث ص 116

<sup>2</sup>: أحمد مرسى: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 100

<sup>3</sup>: زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ص 144

<sup>4</sup>: أحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 197

بتوكلهم على الله، أي: إن الفقير يحس بتفوق على الغني لأنه يعتمد على عطاء الله تعالى وليس على العطاء البشري<sup>1</sup> ولذلك أولتها الحكاية الشعبية الكثير من الاهتمام.

يدور مجال الحكاية الشعبية حول صلة أفراد الأسرة مع بعضهم البعض، وصلة الإنسان بغيره أهمها العفو والسماحة اللذان يمثلان الركيزة الأساسية في الحفاظ على كيان المجتمع وتواصله الاجتماعي وتساعده على تنقية النفس البشرية من آثارها السلبية التي تهدد سلامته وأمنه، فالحكاية الشعبية تعمل على توصيل القيم أو المبادئ إلى الآخرين، من جانب وضبط المجتمعات عن الانحراف عنها من جانب آخر<sup>2</sup>

ففي حكاية "الخَيْرُ مَرًا وَشَرُّ مَرًا" تحدثنا الحكاية عن عفو الزوجة عن زوجها الذي أبعداها عن المنزل بسبب تشدده وعناده وحكاية "حَدُّ الزَيْنِ مُوَلَاةَ الشَّعْرِ الدَّهْبِ" التي سامحت فيها الأخت أخاها رغم الذنب الذي اقترفه اتجاهها، وحكاية "مُلُوكَةَ والشَّعْبَانِ" التي سامحت فيها الأخت إخوتها الذين أساءوا لها ولشرفها، وحكاية "لُؤْنَجَةَ" التي سامحت فيها الأم "الغولة" ابنتها رغم فرارها...، جميعها من الحكايات التي طغت فيها قيم العفو والتسامح التي تعدّ ضرورية داخل المنظومة الإنسانية لما تحمله من حب ورحمة وشفقة لتقوية صلة الروابط الأسرية والاجتماعية. فالتسامح يقلل من صفات التنازع والخصومات والقطيعة "فصغار الأمور تهيج كبارها والتنازع يؤدي بقوة الجماعة إلى الهلاك والخصومة والقطيعة بين الجماعات والأفراد تزلزل أركان المجتمع وتجعله مسرحا للفتن والأحقاد"<sup>3</sup>.

لم تكتف الحكاية بقيم التسامح والتضامن والتعاون وما إليه من قيم أخلاقية ترصد في النفس وتعمل على نضجها وتكاملها، بل ركزت أيضا على قيم تربية تدفع الإنسان إلى اعتمادها والعمل بها، كحكاية "لُؤْنَجَةَ مُوَلَاةَ سَبْعِ سَوَالِفٍ" التي ركزت في مضمونها على قيمة حرص الإنسان على عدم تدخله في شؤون الآخرين، والاكتفاء بما يخصه حتى يتجنب نتائجها السلبية التي تؤثر عليه وعلى محيطه الأسري أو الاجتماعي، وهذا عندما طلبت "الغولة" من "لُؤْنَجَةَ" ورفيقها ألا يكثرثا لما يصادفهما في طريقهما فتقول لهما «

<sup>1</sup> :محمود البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص143

<sup>2</sup> :المرجع نفسه: ص 95

<sup>3</sup> :مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث ص 116

...نُوصِيكُمْ وَاشْ مَا لَقِيْتُمْ وَإِلَّا شَفُّوْا فِي الطَّرِيقِ، مَا دَخَلُوش رُوحَكُمْ فِي الشَّيْءِ إِلَيَّ مَا يَهْمِكُمْش ... أَيَا وَإِيَاكُمْ الْفُضُولِي إِلَيَّ يَدْخُلُ رُوحَهُ فِي الشَّيْءِ إِلَيَّ بُعِيدٌ عَلَيْهِ مَا كَانَ إِلَّا يَنْدِمُ ...». ورغم وصية "الغولة" لابنتها "لُونَجَة" ورفيقها إلا أنهما لم يكثرتا لها، وهذا بعدما صادفا في طريقهما صقريين متخاصمين، فحاولا فكّ النزاع بينهما وعدم الاكتراث لوصية الغولة، الشيء الذي أدى بالصقر إلى اختطاف رفيق "لُونَجَا"، ثم إعادته بعد مدة إلى كنف أسرته وهو يحاول طمأنتهم على سلامته مؤكدا لهم أنه لم يقم بهذا العمل لأجل ألا يحشر نفسه فيما لا يعنيه. تقول الحكاية «غَيْرُ كُونٍ مِثَّيْ، وَلِدَكَ مَا بُغِيْتْش نَأْدِيَهُ بُغِيْتْ نُخَوْفَهُ بَرَكْ. عُمْرَهُ مَا يَدْخُلُ رُوحَهُ فِي الْكَلُوفِ إِلَيَّ بُعَادَ عَلَيْهِ..».

وفي هذا السياق إذن، يتضح كيف أنّ مضمون الحدث في الحكاية يحمل بداخله العديد من القيم المتداخلة كقيمة الامتثال لوصية الوالدين وقيمة محاربة الظلم والقهر، كظلم الصقر القوي للضعيف إلى جانب قيمة احترام خصوصية الآخر، وهذا ما يجعل القيم الأخلاقية والتربوية واضحة ومتعددة ما يؤكد عبقرية الفاعلين في نسج الحكاية، الذي يجعل منها وعاء من القيم التي تتعدد وتتوحد مع تنوع الشخصيات بين الإنسان والحيوان.

إنّ الحضور الكثيف للخطاب الأخلاقي في الحكاية يعزّز منهج الدرس التربوي الهادف في مجمله إلى تعميق قيم الخير ونبذ الشر حيث "...استطاع النص أن يعالج هذه القضية بطريقة فنية، بحيث يتحول المستمع إلى متفرج على خطوط سير الأحداث دون أن يسأل لماذا؟ لأن الوسائل التي توصل إلى الغايات ظاهرة أمامه ولا يحتاج إلى تحليل كثير"<sup>1</sup>.

إن تشابك القيم وتمازجها في إطار مضامين الحكاية الشعبية يعطي مدلولات عدة تحمل معاني متعددة من حيث التصنيف ومن حيث العمق بحسب السياق والإطار الاجتماعي والنسق الثقافي الذي تمنحه الحكاية بعدا جديدا ذا منحى محلي.

<sup>1</sup>: أحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 140

## الفصل الثاني: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الاقتصاد والسياسة

### 1. قيمة الحث على العمل:

تحدثنا الحكاية عن كفاح الإنسان الشعبي لما تحمله في مضامينها من مهن وحرف وأعمال مختلفة تسود المجتمع، فهي تذكر لنا العامل البسيط والحرفي المتقن وتسد له صفات الحب والعمل والإخلاص والتعاون لكسب رزقه ورزق أسرته، فقيمة العمل من أهم القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تحرص عليها الحكاية، فهي تظهر من خلال سلوكيات أفراد المجتمع التي ترمز إلى حب العمل والوفاء له مهما كان صعبا.

رغم الفقر الذي خيم على الطبقات الشعبية في الحكاية إلا أنها لم تستسلم لأمره، وإنما هي تعمل وتكد في سبيل كسب الرزق، فهي تذكر تلك الطبقة المتوسطة بنوع من الكرم والوفاء لعملمهم" حيث أنها تتميز عن أخلاق غيرهم من الطبقات الاجتماعية الأخرى لأنهم يصرون على البقاء مع من يشتغلون معهم رغم تنكر الأيام لهم"<sup>1</sup>.

ففي حكاية "بَابَا قِرْمَازُ" تجسد لنا الحكاية قيم الحث على العمل مهما كانت الظروف قاسية وصعبة، بحيث تطلب الزوجة من زوجها الخروج إلى العمل، حاثّة على الصبر والشجاعة كقولها له «الله يُسَهِّلُ يَا أَخِي، نَيْبُ يَشْمَشِمَ خَيْرٌ مِنْ قُصُورِ الرَّاقِدِ» فالعمل مهما كان نوعه خير من سلطان بدون عمل، فالحكاية تبت في مستمعها حب العمل ونبذ الخمول والاتكال.

يضع الراوي في هذا النوع من الحكايات الشعبية مجموعة من القيم التي يتعظ بها الناس، ويلفت بها نظرهم إلى ضرورة الاعتماد على الأخلاق الحميدة التي يجب أن يتصف بها العامل ورئيسه، ففي حكاية "الخَيْرُ مَرَا وَالشَّرُّ مَرَا" تحفزنا الحكاية على المثابرة في العمل ونبذ الخمول، وكيف أن الإنسان بنشاطه وجدّه يستطيع أن يزيح عن طريقه

<sup>1</sup>: عمر عبد الرحمان السارسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 181

وضعية الفقر، ولهذا لم تقف المرأة متحصرة عن سوء حال وضعيتها ووضعية أفراد أسرتها بل راحت تكّد وتعمل لتوفر ما تحتاجه لعائلتها، فأمنت لهم الطعام والشراب والملبس. فالحكاية جابهت الفقر بالعمل وأكدت هذا العمل في كسب المال، وان لا سبيل إلى الحصول عليه بدون عمل وجهد<sup>1</sup>.

أما حكاية "المعزة الصنبية" تحدثنا أيضا عن العمل من أجل ضمان حياة آمنة لأبنائها، فتجد وتتعب لتوفير الغذاء والشراب محملة كل يوم فوق قرونها العشب وفي فمها الماء حيث يقول الراوي : « وتَلْمُ الحَشِيشَ مِنْ الرِّقِيقِ الطَّرِيقِ وتُدِيرُ فِيهِ شَوِيَّ نُؤَارَ تَرْيِنِهِ وتُدِيرُهَا قَبْضَةَ وَتُحْطَهُ بَيْنَ قُرُونِهَا » وبعد نهاية العمل تتجه إلى بيتها محملة بالغذاء لأبنائها "عزة ومعزوزة" وهي تقول : « عَزَّةٌ وَمَعْرُوزَةٌ " جِبْتُ حَلِيبٍ فِي بَرُؤَلِي، جِبْتُ مَاءٍ فِي قَرْفُورِي، جِبْتُ حَشِيشٍ بَيْنَ قُرُونِي، عَزَّةٌ وَمَعْرُوزَةٌ حَلُّوا البَابَ نَرَضَعُكُمْ ».

كما يضع الراوي في هذا النوع من الحكايات الشعبية مجموعة من القيم والإشارات التي تحت على العمل ونظرته الأخلاقية وكسب المال بالحلال والتعب ففي حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" يصور لنا الراوي كيف أنّ الحصول على المال والثروة بدون جهد يؤدي بصاحبه إلى فقده أو شقائه، وهذا ما جعل "هَارُونُ الرَّشِيدُ" يبحث عن عمل عند إحدى العجائز "كراعي غنم" بعدما فقد ثروته في قاع البحيرة، وظل يكافح في عمله ويكسب من قوت رزقه بمثابرتة في العمل ممّا أدى بآبنة السلطان إلى اختياره كزوج لها من بين شباب المنطقة. ولا شك في أن أبطال الحكاية يفضلون "انتصار الخير وحسن الأخلاق على الحصول على السعادة والثروة المادية إذا وقع تعارض بين السعادة والثروة مع الأخلاق الطيبة والمثل العليا"<sup>2</sup>. فكسب المال لا فائدة منه بدون عمل و جهد.

إنّ حكاية "الخَيْرُ مَرًا وَالشَّرُّ مَرًا" ارتقى فيها الرجل من مستوى الفقر إلى مستوى الغنى بعدما ظل يكافح في عمله ويجد في نشاطاته التجارية إلى أن كسر حاجز الفقر بتعبه وحرصه على العمل. وقد أدرك الرجل الفقير بمساعدة المرأة الذكية التي حرصت على عمله أنّ كسب المال يأتي بالاجتهاد والعمل وليس بالاستسلام والكسل. وهذا بعدما

<sup>1</sup>: طلال حرب : أولية النص : نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 135

<sup>2</sup>: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 209

رجعت المرأة إلى منزل زوجها وكأنها قد أدت رسالتها الحقيقية في إبلاغ الرجل بطريقة التخلص من الفقر وهدية إلى النجاح بكل سبل العمل. "فالحكاية الوعظية لا ترصد النفس ككل، وتعمل على نضجها وتكاملها، ولا ترصد حدثاً بعينه، بل تركز على صفة أخلاقية واجتماعية، وتدفع الإنسان إلى اعتمادها والعمل بموجبها محذرة من عواقب مخالفتها"<sup>1</sup>. وهذا ما تحدثنا به حكاية "الذئب والثعلب" عن عاقبة الذئب الذي ظل بدون عمل ينتظر محصول السنة الذي تعب من أجله الثعلب من زرع وحصد ودرس، فكانت عاقبته أنه لم يحصل على المنتج الذي حاول أن يأخذه بسلطته وقوته ولكن "السلوقي" انصف الثعلب بمنحه المنتج كاملاً.

أرادت الحكاية أن تثبت قيم العمل ونتائجه الوفيرة، وتتصف المظلوم على الظالم. "العمل يعتبر في حد ذاته قيمة إنسانية متميزة بين مجموعة من القيم التي تنظم مقومات الوجود الإنساني كما أنه له دور أساسي في تحقيق القيمة الفعلية للحياة مهما كان نوعه ومهما كانت طبيعته، فالعمل هو الذي يحول الشيء المعدم القيمة إلى نافع له قيمة نفعية أو جمالية"<sup>2</sup>، ولهذا وجب إتقانه حتى ندرك ما نصبو إليه ونحقق ما يلزم تحقيقه منه.

فمنذ قدم التاريخ والإنسان يطور في أعماله ويتقدم في اكتشافاته، بعدما تأكد من قدرته على تحقيق ما يريد بفضل أعماله " فالقدرة على الفعل والحركة هي دليل الحياة... والعمل أساس مرتبط بقدرة الإنسان على الإضافة"<sup>3</sup> إلا أنه لو حده لا يستطيع الوصول إلى أعلى المراتب إن لم يكن هناك تعاون وشراكة بين أفراد مجتمعه، فالتضامن والتكافل والوفاء للعمل له قيمة خلقية تضاعف المنتج وتحقق النجاح.

<sup>1</sup>: طلال حرب : أولية النص : نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 135

<sup>2</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 113

<sup>3</sup>: المرجع نفسه : ص 113

## 2. قيمة التشارك والتكافل:

تشير حكاية "الذئب والثعلب" على قيم الشراكة والتكافل في العمل الفلاحي وهذا بعدما اشترك الذئب مع الثعلب في إنتاج محصول القمح، وتشير أيضا حكاية "الذئب والقنفذ" في اشتراكهما في إنتاج البطيخ وحكاية "الحيلة والنية" في اشتراكهما في فلاحه القمح، ولا شك أنّ علاقات الشراكة واضحة في الحكاية كما سبق وأن أشرت وما الشخصيات التي استعملتها الحكاية إلا رموز عن علاقات صراعية حاضرة على أشدها في الوسط القروي الجزائري أين تزداد الحالة الاجتماعية بؤسا وفقرا وشقاء وما نتج عنها من خلافات كانت تقع بين الناس حول طلب الحق في قطعة أرض أو ميراثها أو غيرها من النزاعات<sup>1</sup>.

تؤكد لنا الحكاية قيم الإنصاف والعدل بين العامل وصاحب العمل وهذا عندما تتصف الفلاح البسيط في قسمة المنتج، وتتصر العدل والمساواة، وقد أسند الراوي رمز الحيوان "السلوقي" في القضاء على الظلم وإعادة الحق إلى أصحابه كما نجد ذلك في حكاية "الذئب والفلاح" عندما فقد الذئب ذيله وكأنّ فقدان الذيل هي عاقبة كل متسلط ومعتدي على حقوق الناس.

والمؤكد أن قيمة الحكاية تكمن في معرفة طريقة حسم الصراع والتناقض ودفع السامع إلى اختيار سلوك أفضل وبطريقة غير مباشرة أو محفزة، فمن خلال عقاب الذئب بفقدان ذيله يتم عقاب الظالم ونصرة المظلوم.

وفي هذا المجال تعتبر حكايات الذئب المنتشرة في المجتمع القروي الجزائري راهنية اقتصادية واجتماعية كطبيعة علاقة الإنتاج التي كانت سائدة والتي تؤدي في الأخير إلى جزاء الظالم رغم محاولات النهب والسلب المتكررة. فهي إذن حكايات عاكسة للواقع الاقتصادي الذي كان سائدا وصورة حقيقية لصراع طبقة الضعفاء من أجل ضمان البقاء واستمرار الإنتاج.

<sup>1</sup>: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 201

ولعل أهم قيمة يمكن أن نشير إليها في ذلك هي قيمة العدل في أعمال الشراكة الى جانب نبذ الأنانية والفردانية بالحث على الإنصاف والعدل والمساواة في تقسيم الإنتاج ففي حكاية "الحيلة والنية" تذكر لنا تلك القسمة الغير عادلة، وتؤكد محاولة النهب والسلب والاستغلال لحقوق الضعيف وهذا عندما حاولت "الحيلة" عدة مرات أن تستخفّ " بالنية " لتحصل على الجزء الأكبر من المحصول إلا أنّ " النية " كانت تجبرها على إعادة القسمة في كل مرة إلى أن ماتت.

وهكذا تستمر علاقة النهب والابتزاز في الحكاية لتؤكد في الأخير إعادة الحق إلى أصحابه، كحكاية "الذئب والفلاح" التي أراد من خلالها الذئب بحيله استغلال محصول الفلاح البسيط، إلا أنّ الفلاح تظن له ولمكره وأنقض محصوله من الضياع.

تنظر الحكاية الشعبية إلى تلك الشراكة في العمل بمثابة وفاق وتكامل بين أفراد المجتمع بغية تعاونهم ومشاركة بعضهم البعض، غير متنافسين أو متكالبين على المنافع الشخصية. فالاعتماد على العدل والإنصاف في التقسيم يضمن وفرة المحاصيل الإنتاجية، ويعكس الاستقرار الاقتصادي، وعليه يتطور المجتمع ويرقى أفراداه إلى الأفضل في القضاء على الحياة الاجتماعية المزرية. ولهذا عمدت الحكاية الشعبية على بث تلك القيم التي توجه سلوكات الأفراد الى الأفضل وتبعدهم عن الكثير من التوجهات السلبية المتاحة والتي تنعكس على نموهم الاجتماعي وإنتاجهم الاقتصادي.

نقلت الحكاية العديد من القيم الأخلاقية الخاصة بالعمل وحاربت الكثير من السلوكات الفردانية التي تقضي على مسار شبكة العلاقات الاجتماعية، كالأنايية التي لا محل لها في العمل الشراكي، لذلك عالجته في كثير من نصوصها وحاربت الميول الى الفردية عن طريق دمج أفرادها في جسد اجتماعي واحد. فقدرات الأفراد لم تكن يوما متساوية، لكن ينبغي أن تكون هذه القدرات والكفاءات الفردية في صالح الجماعة وليس ضدها، ولهذا مهدت الطريق لقيام الشراكة والتعاون وما تحمله من قوة فاعلة بين الأفراد.

وعليه تشير الحكاية في هذا المجال أنه لا يمكن أن يستقيم العمل الجماعي أو الشراكة إلا إذا اتسم بروح التعاون ومساعدة الإنسان لأخيه الإنسان "فهي حريصة على

سعادة ورفاهية المجتمع وتوضح طريق الحق من طريق الباطل وتبيّن فوائد التعاون وتحذر من التخاذل<sup>1</sup>.

وفضلا عن ذلك، يستحيل أن يعيش الانسان بمفرده منعزلا عن الناس، فهو في حاجة إليهم لمواجهة صعوبة الحياة، والتخفيف من أعباء العمل الشاق، ولهذا الغرض قام الإنسان الشعبي كعادته إلى احداث سبل للتعاون في العمل أهمها "الثَوْبِرَة" التي يعمل أصحابها على مساعدة بعضهم البعض ومجاوبة قساوة العمل بالعمل الجماعي الذي مازال متداولاً في بعض المناطق. "إن مبدأ قضاء الحاجات ومايرتبط به من (الايثار) يظل تعبيراً عن (دلالة الحب) إحدى دعامتي (التعاون)، مضافاً الى دعامة (المسؤولية في ممارسة الدور الاجتماعي)، أما ممارسة الدور فيقترن بمبدأ إجتماعي يتحدّد من خلاله تعاون الناس فيما بينهم من خلال تقسيم العمل"<sup>2</sup>

لم تقتصر الحكاية الشعبية على التعاون في العمل الجماعي وإنما كذلك على التعاون في الحياة الاجتماعية، ويمكن أن يكون ذلك التعاون بين الأسر المحتاجة التي تفتقد إلى قوت يومها كحكاية "الفلاح والخماس" التي تؤكد لنا قيمة التعاون بين الجيران وهذا عندما حاول الخماس الفقير بخصاله الكريمة مساعدة زوجة الفلاح التي حرّمها زوجها البخيل من أكل اللحم رغم غناه.

من هذا المنطلق النبيل كان موقف "الخماس" الذي أشفق على المرأة المحتاجة، ولم يبخل عليها بالشيء القليل الذي يملكه، ولكن رغم نبله وكرمه إلا أنّ الفقر والجوع جعل منه إنساناً يستعمل الحيلة لأجل كسب قوته وهذا ما ذهب إليه عندما قام بمخادعة الفلاح بمساعدة زوجته وجعله يقلع عن عادة البخل المتمثلة في أكل البصل وهو الذي يملك ثروة الأغنام، ولم يكن قبوله لهذه المساعدة لولا قبول زوجة الفلاح شرطه وهو أن تمنحه كل ليلة نصيبه من اللحم إلى أن تحقق مرادها. تبرز لنا الحكاية الشعبية في العديد من محطات استعمال الإنسان الفقير للحيل والخدع للوصول إلى الهدف.

<sup>1</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 113

<sup>2</sup>: محمود البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص134

وعلى ضوء ما تقدم تحاول الحكاية الشعبية أن تؤكد لنا قيم العمل وما تحمله من أسس ومبادئ كالشراكة والتعاون، فهي تثبت في الناس قيم استثمار العمل والجهد والكّد في مشروع يحقق العيش الكريم مهما كانت صفته، كما تسعى إلى إقناعهم بأن المال والثروة ان لم تكن توازيها القيم الأخلاقية والكسب الحلال فلا قيمة لها فقد تفسد أخلاقهم وتشوه سلوكياتهم. ولذلك عمدت الحكاية دائما إلى رصد القيم الأخلاقية ودعم التمسك بها حتى ولو كانت شخصيات رمزية كالحَيوان "وكثرة ظهور الحيوان... يدل على أهمية دوره في القصة الشعبي الجزائري على وجه العموم، كما يدل على أنه استخدم رمزا لفقد المساواة الاجتماعية أو نقد الأوضاع السياسية الجائرة"<sup>1</sup>. فالعلاقة الارتباطية بين العامل وصاحب العمل التي تمثلها شخصيات رمزية له ما يبرره فيما كان سائدا في المجتمع من ضغط سياسي وقهر اجتماعي على الأفراد.

عاش المجتمع الجزائري مرحلة من القهر والاستعباد ممّا أدى به إلى استعمال وسائل وأساليب مختلفة كانت المتنفس لأوضاعه القاسية ومحققا لغايات أخلاقية، فلم يجد وسيلة أجدى من الحكايات «التي يكمن وراءها هدف تربوي لمجتمع يعتمد أساسا على التقاليد والأعراف»<sup>2</sup>.

### 3. قيم بين الحاكم والمحكوم :

إلى جانب تلك النماذج من القيم الأخلاقية الاجتماعية والاقتصادية هناك نوع آخر من القيم تسعى من خلاله الحكاية إلى التعبير عن مكبوتات الأوساط الشعبية وما تطمح إليه هذه الفئة من عدل وحرية ومساواة. ومن هذا الجانب تكون الحكاية الشعبية قد ساهمت في ترسيخ القيم الأخلاقية السامية التي ينشدها المجتمع من خلال دعم سبل التواصل بين الحاكم والمحكوم، ونبذ السيطرة أو العلوّ والحث على الممارسة التي تتطلب تقسيم العمل الى حاكم ومحكوم، يخضعان الى مفهوم التكافؤ وليس التفاضل"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>: ليلي روزلين قریش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 211

<sup>2</sup>: رابح بلعمري : الوردة الحمراء، ص 05

<sup>3</sup>: محمود البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص 133

لاشكَّ أن الحكاية الشعبية لجأت إلى تحقيق ذلك من خلال إبرازها قيم العدل والاستقرار والإخلاص وضبط النفس في الحكم، بعدما أنزلت الطبقة الحاكمة منزلة الطبقات الشعبية لتحسسهم بمعاناة ومرارة هذه الطبقة، مثل حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" التي عمدت في مضمونها إلى إخراج الحاكم من حكمه الذي انتزعت منه لمدة سبع سنوات، لتؤكد من خلال هذا الحرمان دلالة سياسية وإثبات قيمة أخلاقية. فالسلطان الذي انقضى ملكه عايش الطبقات المحرومة وذاق معهم بؤسهم و أوضاعهم الجائرة.

أسهمت الحكاية بشكل أو بآخر في تغيير وضعية السلطان وكأنها توجه دعوة إلى الطبقة العليا عامة والحاكمة خاصة إلى تذوق معاناة الطبقة الدنيا والتعرف على واقعهم المعيش، فجدت الملك من ملكه لتجعله يحس بالفقر وظلم الناس، كما أرادت أيضا أن تثبت قيم التكافل بين أفراد الطبقات الكادحة وذلك بعدما أعانت المرأة العجوز السلطان وتكفلت بوضعيته المزرية التي لحقت به بعد ضياع ملكه في عمق الواد.

تحدثنا الحكاية أيضا عن الحاكم الذي يمكن أن يزول ملكه وحكمه بسبب سلوكاته الغير أخلاقية، وكبريائه على نعمة الله متناسيا واجبه اتجاه شعبه، وعليه تعلن الحكاية عن جزاء الحاكم المحدد بسبع سنوات دون مال ولا جاه ولا حكم.

شغلت فكرة الحاكم الظالم الفئات الشعبية منذ القدم، ولذلك فهي ترى أن الحاكم الظالم حتى ولو كان سلطانا فإن عدالة السماء له بالمرصاد، وتعود الحكاية مرة أخرى لتعيد له رزقه وماله بعدما تحققت فيه الخصال الأخلاقية المطلوبة وهي الحاكم العادل المحب لشعبه، ليقف حائرا أمام قدرة الله بقوله: " سُبْحَانَ اللَّهِ إِلَّا سَهِّلْتَ نُجَيْبَهَا شَعْرَةَ وَبِلَا صُعَابٍ تُقَطِّعُ سَنَابِلُ " وهذا بعد عثوره على شعرة الحصان في الوادي والتي كانت سببا في اكتشاف ملكه المفقود.

كما تؤكد لنا نفس الحكاية قيمة العدل والمساواة بين الأفراد وهذا بعدما دعا السلطان جميع شباب المدينة ليتسنى لبناته السبع اختيار أزواج لهن. وما زاد من عدل وانصاف الحكاية اختيار السلطان زوج ابنته الصغرى "هَارُونُ الرَّشِيدُ" الذي كان يتسم بالشجاعة والقوة ويمنحه عرشه وسلطانه ولم يأخذ منه موقف الكره والبغض كما حمله لأصهاره وكأن الحكاية تريد أن " تصل بالشعب بهذه الوسيلة إلى حكم نفسه، وإن الشعب الذي كان يرى

الملك وراثة تدور في حلقة لا يستطيع النفاذ منها قد استطاع أن يرسم لنفسه طريق الوصول إلى الحكم<sup>1</sup>.

رفعت الحكاية الشعبية من مستوى الطبقة الدنيا إلى منزلة الحكم بحيث منحت السلطة لفرد من أفراد الطبقة الشعبية وأكدت بهذا الفعل أن السلطة ليست حكرًا على أسرة واحدة أو عن طريق الوراثة وإنما لمن يفتر لها ويتصف بالشجاعة والقوة، دون تمييز إنسان على آخر مادام هذا الإنسان قادرًا على مراعاة مصلحة الشعب وإقامة العدل بينهم، وهذه الصفات هي نفسها صفات البطل الشعبي "الذي لا يكتفي بمحاربة الفساد والظلم، بل نراه بريئًا من كل ما يثيرهما فهو لا يحب المال ولا يهواه، بل يكرم أصدقاءه وأحبابه إذا ما وصل إليه"<sup>2</sup>. فاتجاه السلطان إلى "العدل والمساواة" في حكمه ما هو إلا هدف أرادت به الحكاية أن ترسله إلى السامع إيمانًا منها بأن العدل والمساواة هما القيمتان اللتان تلزم على الحاكم أن يتصف بهما.

إنّ الشئ المتفق عليه في الحكاية أنها جعلت من شخصية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" الحاكم العادل المنصف والذي حملها المخيال الشعبي الكثير من السلوكات والممارسات التي اختلطت بين الحقيقة والخيال، وكتب التاريخ تصف عصره بأنه العصر الذهبي للخلافة العباسية لحرصه على العلم والعلماء والأدب والأدباء ولحزمه ويقظته.

أما حكاية "زَاجِيَّةٌ ودياب بغالم" هي أيضا أثارت قيمة الحاكم العادل الذي يصبو إلى تحقيق المصلحة العليا قبل المصلحة الشخصية عندما ضحى بزوجته زَاجِيَّةَ زوجة "لشريف بنو هاشم" مقابل إنقاذ قبيلته من الموت المحتوم، فلم يكن أمامه إلا الامتثال لمطلبه وهو يقول في حسرة « هُوَ طَلَبُ الْمَحَالِّ... لِأَكُنَّ الشَّعْبُ ضَايِعَ رِجَالٍ وَنِسَاءً وَأَطْفَالًا... كَيْمَا قَدَّرَ رَبِّي نِعْطُوهُ مَا طَلَبَ... لِلضَّرُورَةِ أَحْكَامٌ ». فالحكاية تؤكد لنا قيمة تضحية الحاكم وشجاعته وتفضيل سلامة شعبه على التمسك بزوجته التي كانت تمتاز بذكاء مكنها من العودة إلى زوجها لاحقًا.

<sup>1</sup>: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 51

<sup>2</sup>: طلال حرب : بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ص 145

أما حكاية "سَعِيدٌ وَدِيَابٌ" تبرز لنا قيمة الحاكم العادل الذي يتصف بنظرته العميقة في اختياره لمن يمسك الخلافة بعده، الأمر الذي أدّى به الى اختيار أبنائه طالباً منهم القيام بجولة خارج المدينة. وبعد رجوعهم سأل كلاّ منهما عمّا رآه في طريقه، إلا أن الابن سعيد لم ير شيئاً لعدم قدرته على الملاحظة والدقة، أما الابن "دياب" فذكر له ما رآه بالتدقيق والتفصيل، ليتأكد أباه من قوة ملاحظته وذكائه، ويعيد التجربة المرة الثانية ويسأل ابنه "سعيد" عن أشهى أكل وأحسن لباس وأجمل اسم، فيجيبه الابن: «الْمَأْكَلَةُ الْمَلِيحَةُ ثَرِيدٌ، وَاللِّبَاسُ الْمَلِيحُ الْجَدِيدُ وَالْإِسْمُ الْمَلِيحُ سَعِيدٌ» أما إجابة الابن "دياب" فكانت «الْمَأْكَلَةُ الْمَلِيحَةُ الْمَحْضَرُ، وَاللِّبَاسُ الْمَلِيحُ الْمَسْتَوْرُ، وَالْإِسْمُ الْمَلِيحُ هُوَ الْبَشِيرُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.» فخبيرة الأب الحاكم المحنك تأكد من اقتدار ابنه "دياب" على خلافته وتحمله المسؤولية وهذا بعد قناعاته من عدم طمع ابنه في ترف الحياة وتمسكه بقيم الدين الإسلامي تلك الصفات التي يلتزم بها كل حاكم مقتدر عكس الابن "سعيد" الذي وجد فيه انعدام المسؤولية وحب الذات وميله إلى حياة العزّ والرفاهية، فلم يكن من وراء هذه الحكاية سوى تأكيد القيم التي يلزم أن توجه سلوك الحاكم وهي "العناصر الضرورية ... وتكمن في القدرة على كبح جماح النفس والسيطرة على أهوائها ونزواتها، بحيث تسلك مسلكاً يتفق مع النظم والأوضاع الاجتماعية التي تسود حياة المجتمع وتنظم سلوك أفرادها وجماعاته"<sup>1</sup>.

ومثلما أشارت الحكاية إلى عدل وإنصاف الحاكم أشارت أيضاً إلى الحاكم المستبد، الذي كان يستعمل سلطته في استغلال الضعفاء وقوته في قهر البسطاء، ففي حكاية "الْجَوْهَرُ فِي خَيْوُطِهَا" يستعمل ابن السلطان مركزه لابتزاز الشعب بعدما كان يمنع عن أصحاب القرية سقي الماء من الواد. وهذا دلالة على سلطته التي يفرضها على رعيته التي عانت ظلمه وجبروته ممّا أثار غضبهم وقرروا التخلص منه فتقوم المرأة العجوز بذكائها بترحيله من المدينة، ليجابه المخاطر ويصارع الأهوال.

لم يكن هدف الحكاية إخراج الملك من ملكه إلا لتجعله يعيش تجربة الحالة الاجتماعية القاسية التي يعيشها الناس، ويعرف من خلالها قيمة مرارة الحرمان، وبالتالي أرادت أن تتخلص من سلطة الظالم وإقامة العدل وانتصار الحق، كما لم تخلُ هذه الحكاية

<sup>1</sup>: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع: دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 298

من إبراز قيم الذكاء والوعي الذي تتميز به الطبقة الدنيا مجسدة في المرأة العجوز. ونفس الحكاية تشير إلى السلطان الذي قام بسجن ابن المرأة العجوز ظلما وزورا، لتعاني حرقه فراقه، وتطلب المساعدة من ابن السلطان في أن يتوسط لها وتخلص ابنها من قبضته.

" ونتيجة خبرة المجتمع الطويلة بالملوك والحكام، فقد صورتهم الحكاية دائما، لا يشغلهم إلا التافه من الأمور..... كما صورت أبناء الملوك خائبين، تافهين لا يحسنون شيئا"<sup>1</sup>.

إن المأثورات الشعبية باختلاف أشكالها وأنواعها غالبا ما تستوقف عند ظلم واستبداد الحكام لرعييتهم وهذا ما عاشته الشعوب العربية عامة والجزائرية خاصة من ظلم وطغيان، فظلت قريحة الوجدان الشعبي تعكس ما آلت إليه حالتهم تارة وتارة أخرى تعكس أحلامهم وطموحاتهم ولعل أشهرها قضية الملك "شهريار" رمز السلطة والخطورة، ونموذج الحكام المستبدين الذين يضعون نزواتهم المادية والمعنوية قبل تحقيق مصالح الشعب. ولأجل ذلك ظلت قريحة الوجدان الشعبي تعلن من خلال تراثها الشعبي " عن طموح الشعب ورغبته الملحة في أن يحكمه الحاكم العادل الحكيم"<sup>2</sup>.

ومن أشهر الحكايات الشعبية العربية الدالة على تشبث الحكام الظالمين بالحكم حكاية السلطان الذي طلب من شباب المدينة قتل جميع آبائهم المسنين وهذا حتى لا يقتدي الأبناء بآبائهم "أي أن يقبل كل شاب بالتخلي عن التفكير الناضج والسليم. ومعلوم أن الشباب هم القوة الفاعلة في المجتمع"<sup>3</sup>. ولهذا الغرض راحت قريحتهم الشعبية تمجد أبطال الشعب وتحرص على الاقتداء بهم، وجعلهم في مراتب الشجعان الذين استطاعوا أن يواجهوا الظلم ويتصدوا له بأساليبهم. إن القيم الأخلاقية مرتبطة بالقيم الثقافية التي تشرّبها من رجالاتها الأوائل، ومن روح الشهداء الذين ارتبط إسمهم بالجهاد في سبيل الله والذود عن حياض الوطن"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 51

<sup>2</sup>: نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ص 191

<sup>3</sup>: طلال حرب : أولية النص : نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 139

<sup>4</sup>: الطاهر بوعاري: القيم التربوية ، مقارنة نسقية، ص 53

ففي حكاية "بُوزِيَانُ القَلْعِي" اختلط الخيال بالحقيقة وأبدع فيها الفكر الشعبي لا لشيء إلا لبيث قيم العدالة والانتصار والحرية من خلال شخصيات المقاومة والبطولة لصدّ الخدول والخوف من جهة وبثّ قيم الشجاعة والوطنية من جهة أخرى. فحكاية "بُوزِيَانُ القَلْعِي" تحمل قيما كثيرة كالانتماء الوطني والدفاع عنه، وهذا عندما تصفه الحكاية بالشجاعة الفائقة وحب الوطن وبعدهما أعلن ثورته على المستعمر الذي سلب خيرات البلاد و حرم شعبها منها ما أثار غضب "بُوزِيَانُ القَلْعِي" وقرّر استرجاع الأرض وخيراتها من أيدي المستعمرين والمؤيدين لهم.

عموما فالحكاية تصور لنا " ثورة الشعب على غياب القانون... يقدمها الضمير الشعبي صرخة احتجاج إنساني ... ويصوغها الوجدان الجمعي وثيقة فنية يضم بها تلك الفترات الحالكة في تاريخه"<sup>1</sup>. فترتبط القيم الاخلاقية بالشخصية الوطنية التي توالى عليها القرون والسنوات الطوال، ولم تتزحزح فيها هذه القيمة الروحية وتلك الروح التضامنية.

إنّ الفئات الشعبية لكثرة ما عانتها من جور وسلب من حكامها تطلعت في حكاياتها إلى أبطال تاريخها العظيم المليء بالشخصيات التي مازالت أسماؤها تدوي داخل الحكايات الشعبية العربية والجزائرية كحكاية "بُوزِيَانُ القَلْعِي" بطل الثورات الشعبية في الجنوب الغربي التي مازال نساء المنطقة يرثونه في أغانيهن وقصصهن التي امتزجت بين الحقيقة والخيال"، ومن الواضح أنّه كثيرا مايمتزج القّص التاريخي بالحكي الخيالي في هذه (الأعمال) الشعبية ويرتبطان معاً في وحدة عضوية يصعب التمييز فيها بشكل قاطع بين مختلف المكونات الواقعية والخيالية أو حتى الأسطورية<sup>2</sup>، إلا أن هدفها الرئيسي هو الامتثال للروح الوطنية وتأكيد القيم السامية في التمسك بالمبادئ الوطنية ومساعدة الأهالي ومحاربة المستعمر، ولأجل ذلك ظلت الذاكرة الشعبية توظفه في تراثها الحكائي من أجل ترسيخ قيم البطولة وبعث روح الشجاعة وحب الوطن .

<sup>1</sup>: المرجع السابق، ص 141

<sup>2</sup>: أحمد أبوزيد : الواقع والأسطورة في القص الشعبي، ص04

تجمع الحكاية الشعبية خلاصة القيم الأخلاقية وآداب السلوك فتضيفها على أبطال قصصها<sup>1</sup>، وتتشد حكامها للامتثال لها كما تسعى إلى تحقيق العدالة بين الحاكم ورعيته، وتؤكد ما تطمح إليه الفئة الشعبية من قضاء على السلطة القهرية وتمثيلها بسلطة عادلة تمكنها من تولي أمور البلاد، وممارسة العدل بين مختلف الفئات الاجتماعية من أجل تحقيق العدالة و المساواة الاجتماعية.

#### 4. قيمة تحقيق العدالة الاجتماعية:

كما سبق وذكرنا أن الحكاية اعترفت بتلك الحواجز الغير العادلة بين الطبقات الشعبية، فسوّت بين ذوي الجاه والطبقة الشعبية العادية، وأعلنت مرارا أن لا وجود للطبقة الاجتماعية، أو هي نظام يجب مراعاته والحدّ من تعالي الطبقة الحاكمة واستغلالها للطبقات المحرومة، ليعمّ الخير والمحبة والسلام بين جميع أفراد المجتمع، فلم تكتف الحكاية بالتعرض إلى الصراع القائم بين الطبقتين أو بين الحاكم وشعبه، بل عالجت مواضيع أخلاقية أخرى ترفض الاستبداد، وتؤكد حق الجميع في العيش الكريم أوالعدالة الاجتماعية.

تعتمد الحكاية الشعبية الى تحرير الطبقات الدنيا من القيود الاجتماعية المفروضة عليهم ونزع عنهم صفات البلادة والغباء التي تلتصقها بهم الطبقة العليا وهذا ما تشير إليه حكاية "الجَوْهَرُ فِي خَيْوُطِهَا" عندما قرّر ابن السلطان الخروج من مملكته للبحث عن الفتاة الجميلة التي دلته إليها المرأة العجوز للتخلص منه اعتقادا منها أنّه لن يعود، لأن الوصول إلى تلك الفتاة الجميلة مستحيل دون أهوال ومشاق. وعليه قبل السلطان التحدي وغامر برحلة البحث الشاقة عن "جَوْهَرُ فِي خَيْوُطِهَا" لينتقي في طريقه امرأة طلبت منه الإفراج عن ابنها المسجون، الذي يتميز بذكاء حادّ وفطنة عالية نظرا لخبرته التي اكتسبها في الحياة، ممّا جعل أمه تطلب منه مرافقة ابن السلطان في رحلته جزاء لما صنعه لها.

ترجح الحكاية في مضمونها قيمة الذكاء والتضامن والشجاعة والصمود الى الطبقة الاجتماعية الدنيا التي اعتبرتها قوة جسدية وفكرية لا تضاهيها قوة الطبقة العلي من حكام

<sup>1</sup>: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 197

و سلاطين، وهذا حينما طلب الشاب من ابن السلطان بآلاً يفتح الصندوق وهو في طريق العودة حتى لا يلحق به "خَطَافُ العَرَايسِ" ضرراً إلا أن عناء ابن السلطان جعله لا يكثرث بنصيحته ليتسبب في اختطاف فتاته من قبل "خَطَافُ العَرَايسِ"، كما تتبع الحكاية بث قيم الذكاء والفتنة عندما تضع "صديقه" موضع حكمة بعدما استطاع أن ينقذ الفتاة من قبضة "خَطَافُ العَرَايسِ" بفطنته وقوة ملاحظته .

كما تشير مرة أخرى حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" إلى إمكانية وصول أبناء الطبقة الدنيا إلى الحكم بقوتهم وشجاعتهم وذكائهم أيضاً، بعدما استلم "هَارُونُ الرَّشِيدُ" الحكم لمهارته الحربية وشجاعته وصموده الطويل أمام الأعداء والواضح أن "أهم المسلمات الشعبية على الإطلاق هو إيمان الطبقات الشعبية بمبدأ الإنصاف والانتصاف، فصاحب الحق وصل إلى حقه لا محالة، وإن طال الأمد وتعاقب الزمن، والمتعدي دافع ثمن اعتدائه، طال الزمان أوقصر"<sup>1</sup>.

وهذا ما أوضحته لنا حكاية "الجَوْهَرُ فِي خِيُوطِهَا" وحكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" اللتان أفرزتا مجموعة من القيم الأخلاقية التي تدعو إلى عدم التفرقة والمساواة بين الطبقات بعدما أكدت لنا أن قيمة المال والسلطة والجاه، لا سلطة لها أمام مواجهة الأخطار والأهوال لتتخطم القيود ويصبح السلطان ضعيفا أمام مواجهة الأخطار ويصبح الإنسان البسيط صاحب القوة والذكاء والرأي السديد.

ولعلّ الغرض الحقيقي من الحكاية الشعبية هو تجسيد قيم المساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الطبقات بعدما استطاع أن يحل محل السلطان الإنسان البسيط والإنسان البسيط محل السلطان، لا يفرقهما في ذلك سوى الشجاعة والقدرة على تحمل الشدائد.

فرغم مكانة ابن السلطان الاجتماعية إلا أنه قليل الذكاء والخبرة، فبعدما أخرجته العجوز من البلاد بذكائها، أنقذه ابن العجوز بفطنته من المخاطر وساعده على استرجاع فتاته من قبضة "خَطَافُ العَرَايسِ".

<sup>1</sup>: طلال حرب : بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر ممالك، ص 357

"الواقع أن القصة جاءت لتدافع عن هذه الشريحة العريقة، وتعبر عن معاناته من الطبقات الأخرى، لتحيي فيها الأمل"<sup>1</sup>، فراحت تبسط العدالة الاجتماعية بين مختلف الشرائح الاجتماعية البسيطة كيف ما كانت ووضعيتها واستمرت في الإعلان عن تحقيق قيم المساواة بين العلاقات الاجتماعية الزوجية، كالزواج بين طبقتين مختلفتين (زواج أبناء السلاطين من نساء أدنى مستوى منهم) ما تحدثنا به حكاية "بقرة اليتامى" التي قرّر فيها ابن السلطان صاحب الجاه والسلطة -كما سبق وأن أشرت إلى مضمون الحكاية- الزواج من اليتيمة التي عانت هي وأخوها اضطهاد زوجة الأب بعدما اعجب بها وبحسن خلقها وأدبها.

تشير الحكاية إلى الزواج من الأقل قيمة أو مرتبة أو العكس، كزواج الراعي من الأميرة أو السلطان من الفقيرة حتى ولو كان ذلك صعبا يتطلب مواجهة الأهوال وهجر الأوطان. فالزواج المعروف في الحكاية الشعبية بين مستويين مختلفين، مستوى القوة والسلطة والجاه ومستوى الفقر والانحطاط هو مسعى الفئات الاجتماعية الدائم إلى تحقيق قيم المساواة بين الطبقات الاجتماعية، تلك الظاهرة الإنسانية التي أرهقت المجتمعات البشرية منذ القديم.

فزواج السلطان قمة الهرم الاجتماعي والسياسي من المرأة الفقيرة يتحقق من ورائه تأكيد قيم المساواة بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا وهي قيمة أخلاقية تجسد نظرة المجتمعات المرددة للحكاية والتي عانت مثل هذا التمييز الطبقي.

ولم تكف الحكاية بعرض قيم المساواة بين الطبقات الاجتماعية وإنما راحت تؤسس لقيم المساواة بين الأجناس وتعلن عن التمييز العنصري بينهما، كحكاية "العبد لَكحل" خادم الأمير ومعلمه السحر الذي حاول بسحره الإيقاع بالأميرة، بعدما حوّل الأمير إلى حمامة وحول نفسه إلى أمير حتى يتمكن من تحقيق حلمه في مضاجعة الأميرة التي تفتنت له، وعزمت على إنقاذ زوجها باستعمال ذكائها.

<sup>1</sup>: أحمد عزوي: القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 188

والجدير بالذكر أن حكايات الزواج والحب بين بنات الأمراء والسلاطين من "العبد" حاضرة بكثرة داخل مضامين القصّ الشعبي العالمي عامة والعربي خاصة كحكاية "خريص" و"بؤخرينة" التي تحدثنا عن عشق ابنة السلطان الكبرى "للعبد" والتي ساعدته على قتل والديها حتى تحقق رغبتها في الزواج منه.

إنّ ارتباط مضاجعة زوجات الملوك والأمراء بالعبيد تنقله لنا العديد من أشكال القصص الشعبي، كممارسة زوجة الملك "شهريار" الجنس مع أحد العبيد السود وكذلك انتهاك زوجة "شاه زمان" حرمة زوجها من قبل أحد عبيده ما حدثتنا به "أسطورة شهرزاد"<sup>1</sup>.

إن الحكاية الشعبية رغم الضبط الاجتماعي المفروض على مردديها إلا أنها لا تعترف بهذه الحواجز الاجتماعية غير العادلة، وكثيرا ما نرى هذه السلوكات في الحكاية التي تشجع الزواج من طبقتين مختلفتين بعدما تعلن نجاحه وتصله إلى غايته لتساوي بين ذوي الجاه وبين الطبقة العادية. كما تعلن الحكاية بطريقة غير مباشرة الزواج من "العبد الأسود" وإمكانية التواصل والانسجام بين جنسين مختلفين رغم نظرة المجتمع إليه نظرة عار، ويبقى الغرض الحقيقي من وراء هذا الزواج كسر التمييز العنصري وتحقيق المساواة بين مختلف الأجناس. "إنّ الاحساس بالنوع في المجتمعات البشرية لا يتوقف عند مجرد الاستعلاء النوعي في نطاق (المشاعر الداخلية) بل يتجاوزها إلى العدوانية التي أفرزت أشرس السلوك العنصري حيال النوع الآخر"<sup>2</sup> ولعلّ ظاهرة الأبيض والأسود تظل من أهم أبرز الظواهر في المجتمعات.

وانطلاقا مما سبق تتضح لنا القيم الأخلاقية التي تبثها الحكاية في النفوس فهي تعتمد إلى خلق التوازن بين الطبقات الاجتماعية أي بين أصحاب النفوذ وبين الفقراء. فالحطاب يصبح غنيا والغني يفقد ثروته، كما قد يسترجع المظلوم حقه كزواج الفتاة من ابن السلطان بعدما ظلمت من زوجة أخيها... "ومن ثمّة كانت القصة الشعبية التي تعالج هذه القضية، كرد فعل من الطبقة الفقيرة، لتحطم ذلك الحاجز النفسي والمادي الموجود بين الطبقتين، والسعي إلى تخليص المجتمع من الحرمان ومن الأوجاع والدموع الناتجة عنه...."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>: ياسين النصير : المساحة المختفية، قراءات في الحكاية الشعبية، ص 97

<sup>2</sup>: محمود البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص149

<sup>3</sup>: أحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 188

إن ظاهرة الطبقة في الحكاية الشعبية تحتل مكانة كبيرة بصفقتها "ظاهرة اجتماعية مقرونة أولاً بكونها ذات فاعلية في البناء الاجتماعي بحيث لا يمكن التغافل عنها، ثم بكونها أيضاً مشكلة تسبب في إيجاد التوتر بين الجماعات، بما يستتبع هذا التوتر من حدوث مختلف الانحرافات الاجتماعية"<sup>1</sup>، ولأجل ذلك حاربت الحكاية الشعبية التفرقة الاجتماعية والعنصرية وحطمت الحواجز والعراقيل بين أفراد المجتمع، ولعل الهدف الرئيسي من تناقض مختلف السلوكات هو التساوي بين مختلف الفئات الاجتماعية والاعتراف بوجود قدرات وطاقات لمختلف الطبقات الاجتماعية بمختلف مكانتها وأعرافها وأجناسها.

وبناء على ما سبق جاءت الحكايات الشعبية قاسية على الحكام والسلطين، وأظهرتهم على حقيقة أمرهم وكشفت عيوبهم. فهي ترى أنهم ليسوا أهلاً لتولي تلك المناصب فأفسحت المجال لأفراد الشعب بأن يحلوا محلهم، وقضت على سلطة الحكم الوراثي بين أفراد الأسرة الواحدة وبذلك عبرت عن وضعية الحكم والسلطة بتجسيد قيم العدل والمساواة بين جميع أفراد الشعب واعتبرتها قضية إنسانية عامة، فالظلم والاستبداد حاضر في جميع دول العالم وفي كل الأزمنة وعليه لا يمكن مهما بلغنا من أمر أن نلّم بكل القيم التي تناولتها الحكاية الشعبية لغزارتها كيف لا؟ والهدف الحقيقي من وراء سردها هو تحقيق نظام اجتماعي متوازن.

والذي نهدف إليه من هذا كله أن قيم العدل والحرية والمساواة والإخاء تسعى إلى تحقيقها الحكاية مع مختلف شرائح المجتمع وجعلها قدوة يحتذى بها. وعليه لم تلقى الطبقة تجاوباً ولا تعاطفاً في الحكاية الشعبية، ولم تجعلها من القيم الأخلاقية السامية فقد حاولت بثتى الطرق والأساليب إلغاء الطبقة، فالقيم الأخلاقية السياسية تعالج قضايا اجتماعية متشابهة في جميع ربوع العالم مما يؤكد شمولية الحكاية واعتبارها نصاً إنسانياً.

<sup>1</sup>: محمود البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص 141

## الفصل الثالث : نماذج من القيم السلبية

### 1. قيم ساخرة:

لا تكتفي الحكايات الشعبية بعرض القيم الإيجابية للمجتمع وإنما تغدو إلى عرض القيم السلبية أو القيم المنحطة كالغرور والنفاق والبخل وما شابه ذلك، ويقصد من ورائها نعيها عن الواقع لتحقيق مجتمع مثالي، والأخذ بالعبر والدروس الرامية إلى التربية من جهة والنقد من جهة أخرى.

ومهما يكن من أمر فإن الحكاية الشعبية لا تنكر وجود هذه القيم السلبية كالخيانة والمكر والغش... داخل الجماعات وسوء العلاقات بين أفرادها ولكنها ترفضها وتحاول تنقادي أسبابها، فهي صفات سيئة تنخر كيان المجتمع "ومن ثم فإن الشعب يستغل حكاياته في تأكيد تلك القيم تارة وإبراز العيوب الخفية تارة أخرى"<sup>1</sup>.

والملاحظ أن القيم السلبية غالباً ما توظف في قالب ساخر المقصود به الاستهزاء من بعض المظاهر الاجتماعية والبشرية وتحديد بعض العيوب والنقائص النفسية كالبخل والغباء والبلادة . فأسلوب الحكاية الساخر هو "نقد لاذع يحمل علاقة عاطفية قوية بين الساخر وموضوع سخريته... يعتمد اعتماداً كبيراً على إبراز عيوب الخصم وتجسيدها لتجريحه والإنقاص من شأنه"<sup>2</sup>.

وقد عرف هذا الأسلوب من النقد والسخرية في أدبنا الشعبي عامة والحكاية خاصة رواجاً من بين الناس لما يؤديه من "وظيفة نقدية تبدو ضرورية لتندد من خلالها بما تراه من مآخذ وأمراض في تصرفات الأفراد والجماعات فتشير إليها إشارة المنبه لخروجها عما تراه قيم المجتمع من مثل"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>: نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ص 173

<sup>2</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 138

<sup>3</sup>: عمر عبد الرحمن الساريسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 185

ففي حكاية "المشجّاح الكبير" تبرز لنا الحكاية ظاهرة البخل التي يتّصف بها صاحب المنزل الذي طلب من أصدقائه الذين كانوا يسهرون بمنزله دفع قيمة الإنارة المستعملة لكل واحد منهم وبعدها رفض أحدهما دفع القيمة اضطر صاحب المنزل البخيل أن يغمض له عيناه طول ليلة السهرة.

وفي حكاية أخرى "الفلاح والخمّاس" حدثتنا أيضا عن الفلاح البخيل فرغم غناه وثروته إلاّ أنّه كان لا يطعم عائلته إلاّ بصلا مما أدى بجاره إلى الاستياء منه والاتفاق على حيلة مع زوجته تحدّ من بخله، فتتحقق مناله ومنال زوجة الفلاح التي تخلصت من بخل زوجها وأوفت بوعدها باطعام جازها اللحم يوميا.

تسخر الحكاية الشعبية من ظاهرة البخل تلك القيمة السلبية التي تنخر جسد المجتمع، وتعمل على إزاحتها لتحل محلها قيم الكرم والجود "فنجاح الإنسان في إزاحة عواقب البخل التي تعترض مشاعر الخير هو في نظر الحكاية الاجتماعية فضيلة كاملة"<sup>1</sup>.

وتستمر الحكاية الشعبية في عرض نماذج القيم الساخرة المملوءة بالإيحاءات والدلالات الداعية من ورائها إلى نقد المجتمع كحكاية "مزّاح جحا الجزائري" التي تسخر فيها من غباء الرجل الذي وقف ساعات متكئا على الحائط خوفا من سقوطه بعدما أوهمه "جحا" الذكي بأن يأخذ مكانه إلى حين عودته حتى لا يسقط الحائط .

تعتبر حكايات جحا من أهمّ الحكايات الشعبية التي فرضت وجودها في هذا المجال، وقد ورد ذكره في كتاب " أخبار الحمقى والمغفلين " لابن الجوزي" .... الذي قال عنه "ومنهم \_أي من المغفلين الحمقى\_ جحا ويكنى أبا الغصن وقد روى عنه ما يدلّ على فطنة وذكاء، إلاّ أن الغالب عليه التغفيل وقد قيل إن بعض من كان يعاديه وضع له حكايات والله اعلم"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص111

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص 141

وحكايات جحا غالباً ما تحدثنا عن فطنته وذكائه وسرعة نباهته خاصة حكايات "جحا والسلطان" التي ينتصر فيها بحيله الناجحة، ما يغضب السلطان على الاستهزاء به، فقد أظهرت لنا هذه الحكاية بعض الصفات السيئة التي ينبذها الفرد في قالب ساخر بحيث تحدثنا عن تقرب جحا من السلطان طمعا في الولاء وكسب المال الوفير، لما كان يعيشه من فقر، أدى به إلى تقديم "رشوة" إلى السلطان ليحقق له مبتغاه، بعد ما طلب من زوجته أن تحضر له "وزة محمرة" يقدمها هدية للسلطان « خُتَارِي لَنَا وَرَّةً كُبِيرَةً مِنْ اللَّي عُنْدَنَا، طَيِّبِيهَا وَحَمْرِيهَا نَدِيهَا لِلسُّلْطَانِ بِالْأَكْ كَاشَ مَا يَجُنُّ عَلَيْنَا بِشَوِيَّةٍ مَالٌ»، ولكن الجوع الذي انتاب جحا في طريقه الى السلطان أدى به إلى أكل أحد رجلي الوز، وبعد وصوله طلب منه السلطان تفسير ذلك، فأجابه بان جميع الوز الموجود عنده برجل واحدة، وطلب منه النظر من النافذة ليتحقق بنفسه وقد كان الوز في حالة وقوف على رجل واحدة، ممّا أدى بالسلطان إلى أمر خادمه أن يفرقه بالعصا ليكتشف أمر جحا ويطلب السلطان منه تفسير ذلك فيجيبه : « أَنَا لُوكَانَ حَاوَزْتِي بِهَذَا المَطْرَقُ نِمَشِي عَلَى رِنَعَةٍ مَشِي حَتَّى الوَزِ ».

تعالج الحكاية العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية من جوع وفقر وسوء تسيير في قالب ساخر لتخفف من متاعب الحياة وإدخال البهجة والسرور على مختلف الفئات الاجتماعية. كما تحاول حكاية "جوهز في خيوطها" أن تشير إلى ظاهرة الرشوة التي تفتشت في الأوساط الشعبية حتى بين الملوك والسلاطين، وذلك بعدما دفع ابن السلطان "حدّ الزين" مقدارا من الذهب راجياً من الحاكم الإفراج عن ابن العجوز الذي سجن ظلماً وعدواناً.

ومن الواضح هنا أنّ الحكاية تشير إلى العديد من السلوكيات المنبوذة كظاهرة الرشوة التي تجسدت لنا من خلال هذه الحكايات، وشخصية جحا تمثل الفئة الشعبية التي سلبت مالها وأرضها وعانت الظلم، أما شخصية السلطان فهي تعكس سوء تسيير الملوك لشؤون بلادهم من خلال طمعهم وقلة ذكائهم.

ولذلك لا بد لنا من أن نشير الى سبب تركيز الحكاية على ابراز قلة حيّل الحكام وفطنة وذكاء الطبقة الدنيا التي استعملت ذكاءها في طرد السلطان أو على الأقل إبعاده

عن الحكم\_ كما سبق وأن ذكرت\_ في حكاية "هارون الرشيد" و"جوهر في خيوطها" وهذا ليتذوق طعم الطبقات الشعبية المظلومة ويكشف عن عيوبهم المتعددة "فالمجتمع يذمّ خصالا معينة، ويمتدح أخرى وهو بالطبع يذمّ البخل ويكره طباع الضباع والذئاب، ويمتدح الكرم ويفضل الإنسان الكريم على غير الكريم"<sup>1</sup>، لأنّ حب المال تلك القيمة السلبية التي تصيب المرء في خلقه ينجرّ عنها آفات سيئة خاصة إذا ارتبط المال بالخسة والندالة.

ومن الواضح أن الحكايات الشعبية تعكس في مضامينها قيمتين للمال، قيمة ايجابية وقيمة سلبية، ولذلك نلاحظ مدح أصحاب المال والسلطين وقيمتها الاجتماعية من خلال الحكاية، كتشجيع الزواج بالأثرياء والأمرء، وما يصيب الفقراء من حياة الذل والتعاسة وتراكم المشاكل الأسرية، كعدم الاستقرار كما مرّ علينا في حكاية "بَابَا قِرْمَاز" وكيف كان الفقر سبب في تفكك الأسرة. هذا من جهة ومن جهة أخرى نلمح القيمة السلبية المتمثلة في تصوير المال كسبب من أسباب تعاسة الإنسان وهذا لما يحمله في نفسه من حب زائد للمال وطمع في المزيد مما يؤثر على علاقته مع أهله ومجتمعه. "والحقيقة أن مثل هذه القيم قد تبثها الطبقات الاجتماعية العليا في المجتمع التي حرصت على تأكيدها، وأن تظل حية مستمرة بإقناع الطبقات الدنيا أنّ المال سبب من أسباب الشقاء، من ثم فإن الفقر سعادة لا يدركها الأغنياء"<sup>2</sup>.

فالحكاية الشعبية لا تدعو إلى أسلوب معين أو إلى طريقة خاصة لكن ما يهمها هو الوصول إلى تحقيق هدفها التربوي بالأسلوب الذي تراه الجماعة مناسباً لإقناع أفرادها فقد تقدمه نقداً لاذعاً أو تهكماً ساخراً.

ويمكن أن نستمر في ذكر القيم السلبية الساخرة في الحكاية الشعبية التي "تدور حول المفارقات والأخطاء والحماقات والأكاذيب والمبالغات والحيل وأسباب الخداع والعبث والمزاح...."<sup>3</sup>، ومنها حكاية "عَلَّاشٌ وَذُنَيْنٌ الْبُغْلُ طُوالٌ" وهي حكاية تدور أحداثها على لسان الحيوان، وحكايات هذا النمط تطرح مضامين اجتماعية واقعية أو سياسية أو

<sup>1</sup>: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 49

<sup>2</sup>: المرجع نفسه : ص 50

<sup>3</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 140

اعتقاده، وهي لا تختلف عن الأنماط الأخرى إلا من حيث الترميز أو ما يسمى بأنسنة الحيوان.

تروي لنا هته الحكاية عن اجتماع مجموع الحيوانات في شكل طابور كبير يجمع حيوانات الغابة: الغزال، الفيل، الحصان، الكباش، المعزة، الحمامة، الديك، والبغل... وذلك لأجل تسميتهم (خلق الحيوانات كما تذكر الحكاية) ولكن البغل لغبائه لم يعجبه اسمه فحاول التحايل وإعادة الطابور مرة أخرى لعلهم لا يتذكرون اسمه ويغيرونه بأفضل منه إلا انه لما حان دوره شدّه المنادي من أذنيه وقال له : " يَاكَ أَنْتَ سَمِيْتُكَ الْبُغْلُ !.. " ممددا أذنيه، ومن ذلك العهد وأدنا البغل طويلتان.

كما تشير حكايات أخرى عن غباء البغل الذي كان يتنكر دائما لأصله والاعتراف به، فبعد اجتماع الحيوانات التي راحت تتفاخر بأنسابها، سؤل البغل: من هو أبوك؟ فرد عليهم «خَالِي الْعَوْدُ» أي الحصان تقاديا لذكر "الحمار".

فالحكاية تسخر من الغباء في قالب هزلي يثير المرح ويفرج عن الهموم ويخفف الضغوط والمتاعب اليومية، ممّا يجعل الناس يميلون إلى هذا النوع من الحكايات الساخرة، ويمكن أن تحظى هذه الحكايات باهتمام فئات معينة كالأطفال .

وفي هذا السياق تعتبر الحكاية الساخرة بما تعرضه من مواقف متناقضة تثير الضحك الذي ينتج عن الغرابة أو الأمور غير الطبيعية سبيلا لتحقيق هدفها المتمثل في "تأكيد رغبة واضحة كت تحقيق مقولة أو أداء نقد لاذع أو التنديد بظاهرة كال بخل والتهكم والسخرية بأناس يتصرفون عكس ما توحى به مظاهرهم أو عكس ما يفترض أن يتصرفوا به"<sup>1</sup>.

تعالج الحكاية الشعبية قضايا مختلفة يريد منها المجتمع أن تكون المصلح الاجتماعي بطريقة نقدية بناءة فتعرض لنا تلك الحكايات مجموعة من القيم السلبية كالرشوة، الغباء، البخل، حب المال والطمع وترويتها بطابع هزلي هدفه تخفيف مما يعانيه

<sup>1</sup>: سرحان نمر : الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص 93

المجتمع من حرمان وظلم كما يحذر نوي المال والجاه من جبروتهم وسلطتهم التي أدت بالكثير منهم الى الهلاك.

## 2. نقد المجتمع :

تساهم الحكاية الشعبية الجزائرية عامة و بالغرب الجزائري خاصة في نقد المجتمع وتدعو بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى ضرورة إعادة النظر في بعض العادات والمظاهر السلبية التي تنتشر بين الناس.

وقد لاحظنا في الحكاية الشعبية تلك القيم السلبية التي يقصد من ورائها إبراز عيوب المجتمع والتلويح إلى أضرارها التي تصيب كيانه ووحدته وإستمراريته، من جهة ومن جهة ثانية رسم صور ايجابية لخلص المجتمع من براثن الفساد إلى مجتمع الرخاء والرفاهية، مجتمع الأحلام السعيدة التي تطمح إليها الحكاية دائما.

تتدد الحكاية الشعبية دوما بالصفات القبيحة والسيئة التي تنقص من كرامة وشجاعة صاحبها كحكاية "رَاجُلٌ بِلَا مَخْ" التي تحدثنا عن رجل حاول مرافقة أصحابه إلى الحرب وهو لا يتقنه، فحمل أسلحته وتوجه معهم إلى ساحة الحرب، لكنه لقي أول ضربة رمح في رأسه. فحمله أصدقاؤه إلى الطبيب. وقبل نزع الطبيب الرمح من على جبينه سأله عن اختراق الرمح المخ أم لا؟. لكنه يتفاجأ بإجابة الرجل المصاب : « غَيْرِ اجْبَدَه، مَالْحَقْ مَخْ »فرد عليه الطبيب ضاحكا « كيف علمت ذلك » يجيبه الرجل : « لُو كَانْ عَنْدِي مَخْ مَا نُجِي مَعَا هُمْ وَنُدَخَلْ رُوْحِي فِي الْكُلُوفِ إِلِي اِبْعَادْ عَلِيَّ ».

أما حكاية "كُلْشِي بِيْرًا وَكَلَامْ السُّوءِ مَا بِيْرًا" فإن الحكاية تتدد بشدة على الإنسان الذي لا يحسن رد الجميل لمن أحسن له، فهي تروي حكاية الزوجة التي خرجت من بيتها هي وخادمتها طالبة الحماية من الأسد الذي وقر لها كل الظروف التي تجعلها في مأمن هي وخادمتها ومع ذلك فإنها أساءت له بالكلام الجارح رغم ما فعله بهما من كرم وحسن ضيافة. لذلك تُنهي الحكاية حياتها بين مخالب الأسد، وما الأسد في الحكاية إلا رغبة المجتمع في عقاب هذه المرأة الناكرة للجميل.

نجد في الحكاية نقدا لاذعا للواقع الاجتماعي الذي يقابل الحسنة بالسيئة ومن ثمة فهي ترفض نكران الجميل، فالإنسان المخادع والمحتال هو إنسان فاسد، انحرف عن مغزى الفكر الجماعي والإنساني في حب الناس والتعامل بما هو خير للجميع .

تعرج الحكاية أيضا على نقد لون آخر من السلوكات الاجتماعية السيئة كالكسل. ففي حكايات "الذئب" تحدثنا عن القيمة السلبية التي تحط من قيمة الإنسان المتكل على الغير مثل : حكاية "الذئب والثعلب" التي حاول فيها الذئب الاحتيال على الثعلب والاستيلاء على محصول عمله.

كما تشير لنا الحكاية في الأخير عن عاقبة الإنسان الذي يطمع في ثروة غيره، وما يصيبه من حسرة وألم. وشخصية الحيوان من أهم الأدوار التي كان لها الفضل في تأكيد مثل هاته القيم التي تدعو إلى العمل والتعاون ونبذ الكسل والتخاذل إلى جانب نقد الأوضاع السياسية" فكثرة ظهور الحيوان في تلك القصص تدل على أهمية دوره في القصة الشعبي الجزائري على وجه العموم وتدل على أنه استخدم رمزا لنقد المساواة الاجتماعية أو نقد الأوضاع السياسية الجائرة<sup>1</sup>

فالحكاية عموما تطالبنا برد الجميل والمعروف بأحسن منه، والعفو والتسامح وتدعو إلى الشجاعة والثقة بالنفس وتنبذ الغباء وحب النفس. وبطبيعة الحال ليست هذه الحكاية الوحيدة التي تنقد الواقع وتحاول تقويمه فكثيرة هي الحكايات التي تقدم قيما سلبية تحتوي نقدا ضمنيا للواقع الاجتماعي، محاولة بالمقابل أن تضع مجتمعا فاضلا يتحقق فيه العدل والمساواة وتتعدم فيه الفوارق الاجتماعية والأمراض النفسية كالأنانية والحقد والحسد.... فهي تدعو دوما إلى حب الخير ونبذ الشر فإنها في أرقى القيم التي تهتف لها الحكاية وتشجع عليها، على اعتبار أنها سرّ أسرارها وغاية ما يدعوا إليها<sup>2</sup>. وإن كانت هذه القيم غير واضحة في نصوص الحكاية إلا أنها تظهر ما بين ثناياها، لأن الحكاية الشعبية لم تأت عبثا دون تحقيق قيم إنسانية أو اجتماعية أو أخلاقية.

<sup>1</sup>: ليلي روزولين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 211

<sup>2</sup>: عمر عبد الرحمان السارسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 200

جاءت الحكاية في وقت صراع ومعاناة المجتمعات البشرية الحافل بالصراعات الطبقيّة وحب الذات والعمل على فرض السلطة "فقد عانت جماهير الشعوب ألوانا من التعسف والاستغلال على مرّ القرون وقاست الفاقة والمرض والتجهيل المتعمّد والانسحاق تحت وطأة قهر الطبقات المسيطرة"<sup>1</sup> وأكثر "المعاناة منه هي الطبقات الشعبية المحرومة، وقد عبرت عنه بواسطة القصة الشعبية بتعابير مختلفة"<sup>2</sup>. وعليه حرصت الحكاية في كل مضامينها على إبراز القيم الأخلاقية من أجل إحداث توازن اجتماعي وبث الرحمة والشفقة في النفوس وإعلاء الخير وهزم الشر.

فمن الطبيعي إذن أن تحظى الحكاية باهتمام المجتمع الذي يريد يعبر بطريقة نقدية عن الإصلاح والقضاء على التصرفات السلبية وكل هذا من أجل النقد والتعلم والتربية حيث أن حاجة النفس إلى التربية كبيرة ولم يكن هناك من هو أخط قدرا ولا أبخس ثمنا من نفس لم تتل نصيبها من التربية وليس من السهولة أن تربي الجماعات قبل أن تربي نفوس الأفراد"<sup>3</sup>. هذا ما تشير إليه حكاية "سَعِيدٌ وَذِيَابٌ" وحكاية "عَانِمٌ وَذُو الرّاعِي" التي تضع أمامنا مجموعة من الصفات الأخلاقية التي يجب أن يتصف بها الأبناء من الشجاعة والذكاء. خاصة من يخلفون آباءهم في الملك، فالابن تشير الحكاية لا يمكنه أن يتقلد زمام الحكم إلا إذا اتصف بصفات النبل والعدل والصرامة، لأنّه لا يمكن لمالك أن يحكم شعبا وهو يفتقر لميزات الحاكم المقتدر.

أما حكاية "مُلُوكَه وَالثُّعْبَانُ" و"بَقْرَةَ البَيْتَامَى" ولُونَجَةَ مَوْلَاةَ سَبْعِ سَوَالِفُ" فإن الحكاية تبلغنا بالابتعاد عن الثأر والانتقام وكل ما يمكن أن يتصل بهما، فالبنت لم تنتقم لزوجة أبيها التي عانت منها الظلم والعدوان، والأخت في حكاية "مُلُوكَه وَالثُّعْبَانُ" لم تتأثر لزوجات إختها عند ما حاولن أن يقعن بينها وبين أخيها بعدما أوهموه بحملها والطنن في شرفها، ففضلت الهروب على الانتقام .

<sup>1</sup>: يوري سوكولوف : الفولكلور قضاياه وتاريخه، ص 112

<sup>2</sup>: أمحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 136

<sup>3</sup>: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 202

ولا تقف الحكاية عند هذا الحد وإنما تؤكد على انتقام آخر هو الانتقام الإلهي وحكم العدالة الإلهية عندما تذكر لنا نهاية حكاية "بقرّة الينّامى" التي توفيت بها زوجة أبيها حرقاً في منزلها. وأيضاً حكاية "ملوكّة والشّعبان" بطلاق زوجات إخوتها. إن هذه العدالة ليست مقصورة على ما سبق وإنما هي عدالة شاملة تتسع لكل الأفراد ولكل تصرف<sup>1</sup>، ولذلك نجحت الحكاية الشعبية في تحقيق أهداف إنسانية وقيم أخلاقية عن طريق عرضها لنماذج مختلفة في شكل ثنائية مضادة بين القيم الإيجابية والقيم السلبية وجعلها قطبين تدور حولهما الحكاية الشعبية.

وما دامت الحكاية الشعبية تسعى إلى تحقيق المثل والأخلاق بين الناس بشتى الوسائل فإنه كان لزاماً عليها أن تستعمل النقد والسخرية من أجل توجيه وتحسيس الناس بمساوئهم تارة والإشادة بخصالهم الحميدة تارة أخرى. ومن هنا يمكن القول إن الحكاية الشعبية المتداولة في الغرب الجزائري، تلعب دوراً مهماً في تربية الأشخاص وتعليمهم، والكشف عن عيوبهم.

### 3. قيم تربوية :

إن الحكاية الشعبية المتداولة في منطقة الغرب الجزائري، تلعب دوراً مهماً في حياة الأفراد وتكشف عن مكنونات النفس الإنسانية كما تعبّر عن الرغبات الملحة التي يود الإنسان تحقيقها رغم أنها كانت تدور في أوساط تسودها الأمية، إلا أننا لا يمكن أن ننفي دورها التربوي الذي تؤديه في المجتمع، فهي تقدم العبر لتحديد سلوكاته واتجاهاته وتجعله يتجاوب معها، تلك العبر المحصورة في العديد من القيم الإيجابية والسلبية التي يمكن أن نجدها في نص واحد مختلفة الأشكال والألوان. وقد كشفت الدراسات السابقة عن أهمية القيم في خلق البيئة التربوية المناسبة التي تحقق المزيد من الفهم والاستيعاب<sup>2</sup>

ولما لهذه القيم من أهمية كبرى في التربية فإن الأسرة تعمل على ترسيخ أسسها في شخصية الطفل الناشئ، "فدور إطار الزواج ومنه إلى الأسرة له دور حاسم في إنجاح

<sup>1</sup>: المرجع السابق، ص 105

<sup>2</sup>: عبد اللطيف محمد خليفة: إرتقاء القيم، ص 169

عملية التنشئة الاجتماعية. إذ أنّ مشروع تنشئة الأطفال اجتماعيا مشروع طويل المدى<sup>1</sup>، ولتحقيق هذه المهمة لم يجد مجتمع الحكاية وسيلة أجدى من الحكايات التي تبدو واضحة للعيان مثل حكاية "القَطِيطُ والفُوَيْرُ" التي سردت على لسان الحيوان، وغالبا ما يكون لهذا النوع من الحكايات دور هام في تربية الأطفال وتنظيم العلاقات الأسرية كالعلاقات بين الآباء والأبناء. وتقدم هذه الحكاية مجموعة من النصائح للأبناء إلا أنّ الفأر والقط لم يأخذا بها ما تسبب لهما في مشاكل، فالحكاية تقدم دورا تعليميا تربويا في الأخذ بنصائح الوالدين كما يقول راوي الحكاية "اللّي مَيسْمَعُش رَأي كَبِيرُ الهمّ تَدْبِيرُ .....".

أما حكاية "المِعْرَةَ الصَّنِيَّة" التي أوصت أولادها بعدم فتح الباب لأي كان ومهما كان السبب والاحتراس من حيلّ الذئب. إلا أنّ الذئب بعد محاولاته العديدة ينجح في الوصول إلى أبنائها ويلتهمهم، والمغزى واضح في الحكاية هي طاعة الوالدين والتقيّد بأوامرهما. فطاعة الوالدين قيمة تربوية نبيلة تساعد على تربية الأبناء وتوجيههم.

يرجع تمسك الناس بالحكاية الشعبية لما تحمله بين ثناياها من أهداف تربوية ماثرة بداخلها، فهي تمثل وسيلة لإصلاح عيوب الناس بدعوتها إلى إتباع سلوك وقيم أخلاقية لضمان مجتمع سليم، هذه القيم التي تدعو الحكاية إلى إتباعها والتي سبق وأن أشرنا إليها يمكن اختزالها في الدعوة إلى فعل الخير واجتناب الشر لأنّ في الأولى جلب المنفعة، وفي الثانية دفعا للمهالك عن الفرد والجماعة.

وقد يكون الصراع الدائم بين الخير والشر في الحكاية وراءه مغزى تربوي كانتصار المظلوم على الظالم دائما، أو انتصار الخير على الشر في نهاية الحكاية، ولذلك تعد الحكاية من أهم الأنماط التعبيرية الشعبية المليئة بنماذج من الأبطال والشخصيات الذين ينالون، كل شيء مكافأة لهم على سلوكهم الطيب وأخلاقهم الحميدة أو جزاء لهم على ما لاقوه من مشقة في حياتهم<sup>2</sup>، ولأجل ذلك فرضت المكافأة وجودها في الحكاية لغرض تعليمي كاجتناب الشر وفعل الخير الذي يجاز صاحبه أحسن جزاء كالزواج من الأميرة

<sup>1</sup>جماعي : الهياكل العائلية والأدوار الاجتماعية، سلسلة مراجع، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، تونس، ص66

<sup>2</sup>: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 42

والحصول على المملكة .. وفي الحكاية نجد الكثير من الحالات المشابهة التي يعاقب فيها المسيء وينتصر المظلوم كانتقام "المعزة الصنية" من الذئب الذي خطف أبناءها أو فقدان الذئب ذيله بعد محاولته الاعتداء على ملك الغير ...

فالمجال التربوي حاضر في الحكاية التي تعتبر كناقل للقيم وتميرها إلى الناشئة، فهي التي تدعو إلى التضامن الاجتماعي والحث على قيم التعاون والتآزر كحكاية "خريص وبوخريصة" التي تحدثنا عن تكفل الجماعة بالطفلين الذين وجدا بداخل الشجرة وحضيا بعنايتهما، وهي تسعى أيضا إلى القضاء على التمييز بين الأبناء ومعاقبة الضرة كحكاية "بقرة اليتامى" والولد ومرث باباه" ... ومهما يكن من أمر فان معظم نهايات الحكاية هي نهايات سعيدة نتيجة تضامن جهود قوى الخير التي تدعو إليها.

تدفع الحكاية الشعبية عموما مستمعيها إلى التعامل مع قيمتي الخير والشر بطريقة نفعية لأن "القيم بوصفها أحكاما بالمرغوب فيه حسب المعتقدات والأفكار ولذلك فإننا لا نراها ( القيم ) وإنما نشعر بها ونحس بمظاهرها وآثارها في أعمالنا وأفعالنا وممارساتنا"<sup>1</sup> فهي لا وجود لها في حد ذاتها ولكن بنتائجها على الإنسان الذي ينبغي أن يقوم بالخير لأن فيه مصلحته أولا ثم مصلحة الجماعة ثانيا.

وبناء على ماسبق نرى أنّ رواية الحكاية تمنح المجتمع بفئاته المختلفة دروسا أخلاقية متعدّدة " ولا تبتعد عن الأهداف التربوية والتحذيرات الأخلاقية، فالقصد دائما واحد في هذا النوع الأدبي الشعبي هو: التوجيه والإرشاد من منظور تعليمي أخلاقي بواسطة التجسيد السلوكي الذي يوضح باللمس مختلف العواقب الإيجابية والسلبية ليشجع على التمسك بالأولى ونبذ الثانية"<sup>2</sup>، إلى جانب تعزيز ثقهم النفسية وبث الشعور بالتفاؤل والأمل في الحياة لما يصدر عنها من نهايات سعيدة وانتصار المظلوم .

الى جانب ماتعالجه الحكاية من صراعات متنوعة كالتحرّر من مشاعر سلبية ضاغطة واكتساب المزيد من العبر ولذلك ركّز أفلاطون في جمهوريته على تنمية مخيلة

<sup>1</sup>: محمد الجوهري : دراسات في علم الفولكلور، ص 232

<sup>2</sup>: مصطفى يعلى: الخطاب الأخلاقي في الحكاية الخرافية، ديوان الدراسات المحكمة، مقال 06 فبراير 2010

الطفل برواية الأساطير والحكايات " التي تركز على جوانب ايجابية كالحب العظيم والخير العظيم ومكارم الأخلاق لإنماء بذرة الفضيلة"<sup>1</sup>.

فهي توجه الطفل إلى اكتشاف هويته ومواهبه وترشده إلى نوع التجربة التي ينبغي أن يمر منها لتنمية طبيعته"<sup>2</sup>. وعليه تعدّ الحكاية "أحد الوسائط التربوية في الفولكلور لها فلسفتها في العملية التربوية إذ " يعدّ أدب الأطفال أحد الوسائل التي لجأت إليها المجتمعات منذ القديم لتنمية وغرس القيم والأخلاقيات الموجودة في النشء"<sup>3</sup>.

تقف الحكاية دائما في صف البطل وتحاول أن تخلص النفوس من أمراضها، فتدين الشر وتعاقبه عقابا شديدا وتتصر الأبرياء والمظلومين وأهل الخير، فلا يصل البطل إلى ما يريد إلا عندما يخلص نفسه من تلك النزاعات والأمراض. "ولذلك يجزم بعض الدارسين للحكاية أن لها أهمية كبيرة في العلاج النفسي لبعض الأمراض"<sup>4</sup>. من خلال ما تبثه في النفس من قيم متعددة كالأنانية وحب النفس والظلم والحسد واحتقار الآخرين ....

نشير أخيرا الى أنّ الحكاية الشعبية تؤمن بضرورة تقويم الفرد ليصير صالحا للجماعة مدافعا عن قيمها ومثلها الخلقية والاجتماعية حتى يضمن استمراره في محيطه المليء بالصعوبات والمشاكل. فهي إذن "ترفع الذهن فوق ضجة الحياة اليومية ولعنتها وتجعل الناس يفكرون في حياة أفضل"<sup>5</sup>، لا تكتفي بتصوير الأحداث الخيالية ولا رصد الأخبار التاريخية ولا المعتقدات الشعبية، ولا تقف عند تحقيق الرغبات التي عجز الإنسان على تحقيقها، ولا عن تعويض الألم والعجز والجوع والفقر ولا لأجل التسلية وإنما تذهب إلى أبعد من ذلك حينما تبلغنا برسائل مشفرة ذات قيم إنسانية، أخلاقية وتربوية. ومجمل

<sup>1</sup> : مصطفى صمودي : من جلجماش... إلى نيتشه، ص140

<sup>2</sup> : Bruno Bettelheim : psychanalyse des contes de fées , paris, robert Laffont , 1976-p163

<sup>3</sup>: أميمة منير عبد الحميد حادو: تربية الطفل في التراث الشعبي المصري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 2004، ص184

<sup>4</sup> : Bruno Bettelheim : psychanalyse des contes de fées , paris, robert Laffont , 1976-p:44

<sup>5</sup>: بيوري سوكلوف : الفولكلور قضاياه وتاريخه، ص 91

هذه القيم مرتبطة أكثر بالتجربة الإنسانية وسيرورة واقع الحياة، لأن معظم القضايا التي يعاني منها الإنسان في العالم هي نفسها وإن تغيرت مظاهر أسبابها، وبالتالي فالحكاية الشعبية يمكن اعتبارها نصا إنسانيا يخص الأمور الحساسة بالنسبة للإنسان داخل المجتمع الذي يعيش فيه.

## خاتمة عامة

وخلاصة القول، إن التراث الشعبي ومنه القصص الشعبي من أهم الأشكال التعبيرية التي تقاسمتها جميع شعوب العالم، بحيث أنتجت كما هائلا من الأنماط القصصية التي اختلف الباحثون في تصنيفها. وأهمها الأسطورة والسيرة والملحمة والحكاية، هذه الأخيرة التي لا يخلوا مجتمع من المجتمعات إلا وحكت على ألسنته حكايات، لتكوّن بذلك سجلاً حياً لمراحل تطوره ونمو فكرهم. ولأجل ذلك تعاضم الاهتمام بها في العالم العربي، بل في العالم، إذ الأمم باختلاف أجناسها وألسنتها عرفت الحكاية وتداولتها جيلا بعد جيل يرثها الخلف عن السلف لتمثل بذلك أكثر الأجناس القصصية ترحالا وتقللا بين الشعوب.

وتلتقي مضامين الأجناس القصصية الشعبية بجميع أشكالها وألوانها، بمحاور متشابهة تداولتها على مرّ الزمان واختلاف المكان، تركز على ما آل إليه الإنسان من مشاق في حياته من أجل تحقيق رغباته والبحث عن فضاء عادل ومتوازن، ومن أهمّ المضامين التي يدور حولها القصّ الشعبي عموماً، الصراع الأزلي، الرغبة في البقاء والخلود، النزعة القبلية والعنصرية وموضوع المرأة إذ يحتل المحور المركزي داخل الحكاية.

ولعلّ ما يميز الحكاية الشعبية عن باقي الأجناس القصصية الأخرى أننا نلتمس فيها الحسّ الاجتماعي الواقعي، وتكاد موضوعاتها تقتصر على العلاقات الاجتماعية والأسرية، فهي واقعية مرتبطة بالتجربة اليومية، إذ تخلو من التأمّلات الفلسفية وتعتمد على أدقّ تفاصيل الحياة اليومية وهمومها. إلا أنّ هذا لا يعني أنّها تخلو من عناصر التشويق والخيال الذي يضيف عليها لمسة جمالية. وعلى ضوء هذا التداخل بين الحقيقة والخيال غابت الفواصل والحدود بين الحكايات الشعبية ليصعب تصنيفها رغم الجهود القائمة من أجل ذلك، ما يؤكّد شمولية الابداع الشعبي.

وبالنسبة للمجتمع الجزائري فمثله مثل باقي المجتمعات الإنسانية، ورث عن أسلافه مادة غنيّة من الحكايات الشعبية نجدها بمختلف أقطار البلاد، تعكس لنا طريقة تفكير وأسلوب حياة وعادات وتقاليد ومعتقدات الناس، فلا تخلوا منطقة من المناطق أو عائلة من العائلات إلا وصدى الحكايات الشعبية حاضر بين أفرادها ومرتسم بمخيلتهم.

ولعلّ سلسلة الحكايات الشعبية التي تمّ الحصول عليها في منطقة الغرب الجزائري تعكس مجموعة من السلوكيات الاجتماعية الجديرة بالدراسة، بحيث أي سلوك يُفهم على أنه امتداد للواقع وللذات الشعبية، ويرسم نظرته للأحداث الجارية في المجتمع. فمهما اختلفت وتتوعدت هذه الحكايات إلاّ أنها تشكّل الذاكرة الشعبية الجماعية التي تحمل سلوكيات الأفراد وتعبّر بشكل واضح عن تفكيرهم الشعبي، فهو يجسّد بؤرة الوعي الجماعي العميق لواقع اجتماعي يبدو متناقضاً.

فمن الطبيعي جداً أن تكون الحكاية في الغرب الجزائري قد وُضعت أساساً لرصد الواقع الاجتماعي وعرض أنماط سلوكياته ومواقفه إزاء الأحداث. ولذلك تمكّنّا من حصر مجموعة من السلوكيات الاجتماعية التي تزخر بالكثير من المتناقضات، مجسّدة بوضوح في البناء الاجتماعي للحكاية: كالزواج ونظام القرابة والأسرة، الشيء الذي ساعدنا على معرفة الحياة الأسرية والاجتماعية والتبادل في العلاقات والتغيّر في الأوضاع التي كان سببها غالباً تغير في الأوضاع الاقتصادية والبحث عن سبل العيش والاستقرار.

وممّا لا شك فيه أن الحكاية الشعبية عموماً أكّدت أهمية تلك العلاقات الأسرية والاجتماعية باعتبارها ظاهرة طبيعية وضرورية للإنسان فعملت على تمثين روابطها ووحدة أفرادها. هذا إلى جانب تأكيدها على التنظيم السياسي وأهميته والذي يكمن في سلطة القانون الحاكم (السلطان) والسلطة الاجتماعية المتمثلة في (الأعراف والتقاليد)، وبهذا الشكل سارت الحكاية الشعبية نحو تفاعل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وارتباط بعضها ببعض.

كما لم تقتصر الحكاية الشعبية على السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وإنما ذهبت إلى تأسيس مواقف رافضة للظلم الاجتماعي والسياسي، كانهدام المساواة وتفشي الطبقة والتفرقة الاجتماعية، وهذا ما عانته الطبقات الشعبية من ظلم حكامها وسيطرة أنظمتها، وعلى هذا الأساس اعتبرت الحكاية الشعبية داخل أوساطها الوعاء الذي تحقق بداخله حلمها من مساواة وعدل واستقرار وكل ما يأمله أفراد المجتمع من تحقيق أنظمة مبنية على أساس التفاهم والأخلاق والقيم.

ولذلك، ليس غريبا علينا أن نصطدم بهذا الزخم الهائل من القيم الأخلاقية المتناقضة التي استطاع الإبداع الشعبي تصويرها لأجل مواجهتها ومحاولة تصحيحها، ولعل مجموع هذه القيم المتناقضة لا يخفي نقدا واضحا لواقع موجود داخل المجتمع، الغرض منه التربية والتعليم لتحقيق أهداف إنسانية وأخلاقية قد تصل إلى درجة العالمية. ولو تمعنا في العديد من الحكايات بأنواعها، الخرافية، الواقعية وحكايات الحيوان وغيرها، لما وجدناها تبتعد عن بث قيمة أو رصد موعظة أو نقد موقف توجّه به سلوكيات الأفراد أو تشجعهم على التمسك بقيم معينة. وعليه أستخلصنا أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها من خلال دراستنا للحكاية الشعبية نجملها فيما يلي:

- تسعى الحكاية الشعبية الى دعوة المجتمع الى التمسك بوحدته والمحافظة على بناءه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من أجل بناء مجتمع مثالي خال من المفارقات الاجتماعية والصراعات الطبقية.
- تشكل الحكاية في محتواها نظرة الشعب الروحية والتقليدية في تحقيق العدل والمساواة من أجل تعميم السلام حتى ولو كان ذلك في شكل خيال وأحلام وطموحات.
- تهدف الحكاية إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من جهة ومن جهة ثانية ضبط الصراع النفسي وكبح الرغبات الغريزية.
- استطاعت الحكاية أن تثير سلوكيات اجتماعية وقضايا انسانية متعدّدة تحرص من خلالها على غرس القيم الأخلاقية والمبادئ التربوية.
- تمثل الحكاية وسيلة لإصلاح عيوب المجتمع بتقديمها دروسا تربوية للناشئة ودعوتها لاتباعها، بتحقيق أنظمة مبنية على أساس التقاهم والأخلاق والقيم.
- تعالج الحكاية الشعبية قضايا اجتماعية متشابهة في جميع ربوع العالم ممّا يؤكد شموليتها واعتبارها نصا إنسانيا.
- قدرة الحكاية الشعبية على حمل الواقع الاجتماعي بمختلف أنظمتها وتحولاته وأشكاله المتناقضة، وتصويره بفنيات وجماليات تجعل منه شكلا قائما بذاته.
- الحكاية الشعبية أسلوب اجتماعي هدفه أخلاقي، اصلاحي وتوجيهي.

# الملحق



## مُدَوْنَةُ الْحِكَايَاتِ الشَّعْبِيَّةِ

### 1\_ "بَابَا قِرْمَاز"

كَانَ يَا مَا كَانَ، فِي بَكْرِي وَلَحْبِقِ وَالسَّيْسَانَ فِي حَجَرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاحْتَدَّ الْعَامَ رَاجِلٌ مَعَ مَرَاتِهِ مُسَاكِينٌ وَحَامِدِينَ اللَّهُ بَلَى أَعْطَاهُمْ. وَأَلَا مِيْمَةَ كُلِّ يَوْمٍ زَاهِيَةً مَعَ وُلَيْدِهَا، تَغَسَّلَهُ، وَتَقَمَّطَلَهُ وَتَزَيَّرَهُ مَلِيحٌ مَلِيحٌ مَنَ أَكْتَأَفَهُ حَتَّى لَرَجْلِيهِ، وَمَنْ بَعْدَ تَرْقُدَهُ فَوْقَ كَفِّهَا يُقُولُوا تَدِيرُ لَهُ أَلْكَاسُ أَلْكَاسِ، وَمَبْجُوقَةٌ بُولَيْدِهَا: "عِنْدِي بُوْقُرُونَ الطَّائِشِ، عِنْدَهُ بَلْبِيلَةَ فِي قُرُونِ أَلَا يُهَبُّ رِيحَ الْعَرَبِيِّ! "عِنْدِي الرِّينُ بَاشِ نَفَائِشِ"، تَبْقَى بَلْبِيلَةَ تَشْطُحَ".

هِيَ هَكَذَا وَاحْتَدَّ النَّهَارَ تَلْعَبُ مَعَ وُلَيْدِهَا وَتُعْنِي، حَتَّى جَا مُوَلُ الدَّارِ وَقَالَ لَهَا: "يَا جَارَتِي سَامِحِينِي هَذِي الْبَيْتِ رَانِي مَحْتَاجَهَا عَلَى خَاظِرِ مَا شِي نَزُوجِ وَوَلَدِي، أَمَالِي مَنَ عَدُوَّةِ حَوَسُوا عَلَى أَرْوَاحِكُمْ بَتَّ فِي دَارِ أُخْرَى "....هَا سَكَنْتَ... وَكِي جَاءَ رَاجِلُهَا خَبْرَاتَهُ قَالَ الْمَسْكِينِ: "أَيَّا مَقْدَرَةَ عَلَيْنَا... بِالنِّيَّةِ. سَقَسَاوُ فَاغِ النَّاسِ، يَجَاوِبُوهُمْ النَّاسِ: "لَا لَأَ، مَا كَانَ شَيْ " حَتَّى لَوَاحِدَةَ الدَّارِ مُطْرَفَةَ، جَايَةَ يَعْني قَرِيبَ بَرَا مَنَ الْبِلَادِ.

طَبَطَبُوا فِي الْبَابِ كَذَلِكَ وَمَثَلُهُ: "كَانَ شَيْ بُوَيْتَةَ لِلْكَرَاءِ يَا مُوَالِيْنَ الدَّارِ؟" وَهُمَا سَمَعُوا كَلِي جَايَ مَنَ الْبَعِيدِ وَحَدَّ الصَّوْتِ يَظْهَرُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ مَرِيضٌ، مَرِيضٌ وَشَايِبُ مَا بَاقِي مَنَ يَوْمَهُ يَوْمَ: " مَرْحَبًا مَرْحَبًا، ارْوَاحُوا ادْخُلُوا أَنَا بَبَاكُمُ شِيْبَانِي وَعَاظَلُ عُمَرِي مَا نُوضُ وَلَا نَخْرُجُ! وَ شَوْفُوا الدَّارَ مَا كَبْرَهَا وَاشْ حَالُ فِيهَا بِيُوتُ! اخْتَارُوا أَلِي أَعْجَبْتِكُمْ، أَسْكُنُوا فِيهَا، وَغَيْرُ بَلَا مَا تَدْفَعُوا حَقَّ الْكَرَاءِ، يَا فَرَحْتِي يَصَّبْحُوا عِنْدِي الْجِيرَانِ، خَيْرُ لِي مَنَ الْوَحْدَانِيَّةِ! وَغَيْرُ لَا تَهْتَمُّوشَ عَلَيَّ، الدَّارِ دَارِكُمْ اَعْمَلُوا فِيهَا كِي طَلَعُ لَكُمْ!...

هَا بِالنِّيَّةِ، يَا فَرَحْتِي أَلِي فَرَحُوا. وَقَالُوا رَبِّي جَابَ لَنَا هَذَا الْمَخْلُوقُ فِيهِ الْخَيْرُ. وَدَخَلُوا، صَابُوا حَوْشَ وَاسِعَ وَفِيهِ وَقِيلَ عَشْرُ بِيُوتُ. اخْتَارُوا وَحَدَةَ وَسَكُنُوا فِيهَا وَ صَارُوا يَحْمَدُوا فِي رَبِّي وَيَشْكُرُوهُ.

وَتَرْضَعُ الْمَرْأَةُ الْعَرِيَانَ وَتَقَمَّطَهُ كِي الْعَادَةِ، وَتَوْقَفَهُ فَوْقَ كَفِّهَا وَتَدِيرُ لَهُ أَلْكَاسُ أَلْكَاسِ بِالْفَرَحَةِ وَتَرْقُدُ فِيهِ وَتُعْنِي غَنَايَةَ أُخْرَى: اسْكَنْتَ وَبَرَكَ " دَقَّ دَقَّ أَدْفَدَقْ! رَأْسُ الْعَدُوِّ يَدْفَدَقُ!. تَلْعَبُوا فِيهِ

الكورة، تُقْبِسُوهُ فِي الْمَطْمُورَةِ! أَبَا أَشْرَى لَنَا دَوَارَةٌ، مَا نُدَوِّقُش الْجَارَةَ! الْجَارَةَ غَدَارَةَ، دَقَّ دَقَّ دَقَّ  
أَدَقُّدَقَّ.

أَيَا وَتَرْقَدُهُ فِي الْمَهْدِ وَتَغْطِيهِ، وَتَرَارِي عَلَيْهِ وَيَمَشُوا يَتَعَشُوا عِشَاءَ الْمَسَاكِينِ، طَعِيمَةَ وَشُوبَةَ لَحْمٍ  
.... وَلَا بَأْسَ عَلَيْهِمْ، يُفْرَشُوا فُرَاشَهُمْ وَيَمَشُوا يَرْقُدُوا بِالنِّبْيَةِ.

لَعْدُوَةٌ مَنْ ذَاكَ مُشَى الرَّاجِلُ صَبَاحَ بَكْرِي يَحَوِّسُ كَاشَ مَا يَصَوِّرُ صَوْلِدِي عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ: " يَا  
فَتَاحَ يَا رَرَاقُ! وَقَالَتْ لَهُ مَرَاتَهُ: " اللهُ يَسْهَلُ يَا أَحِي ذَيْبُ يَسْمَشَمُ خَيْرُ مَنْ، قُصُورُ الرَّاقِدُ " ..وَهِيَ  
مُشَاتٌ لَقَشَهَا - يَعْنِي قَشَ النَّاسِ - وَغَسِيلَهَا فِي الْوَادِ كِي الْعَادَةِ .

وَخَلَاتٌ وَلَيْدَهَا فِي الْمَهْدِ رَاقِدٌ بَعْدَ مَا غَسَلَتْهُ وَقَمَطَاتَهُ.

طُولُ النَّهَارِ هُمْ غَائِبِينَ فِي رُوجٍ ..بِالنِّبْيَةِ هُمَا تَلَاقُوا فِي اللَّيْلِ. وَالْمَرْأَةُ رَفَدَتْ وَلَيْدَهَا مِنْ الْمَهْدِ  
بَاشَ تَرْضَعُهُ، وَهِيَ صَابِنَةٌ، يَا لَطِيفُ مَشَمَخُ مَنْ الْأَسَاسُ حَتَّى لِلرَّأْسِ، وَيَعْنِي مَاشِي مَشَمَخُ  
بِالْمَاءِ، تَقُولُ عَلَيْهِ لِدَامٍ وَلَا رِيْقُ وَلَا وَاشٌ هُوَ. الْحَاصِلُ كَالِي غَطُّوهُ فِي قِصْعَةِ مَلْيَانَةِ شُورِبَةِ وَلَا  
وَاشٌ! .... الْمَرْأَةُ اسْتَعْرَبَتْ وَقَالَتْ لُرَجَلِهَا: "سُوفَ يَا مَخْلُوقَ اللهِ!"

شَافُوهُ قَلْبُوهُ، مَا عَرَفُوا وَاشٌ هُوَ السَّبَبُ.....

بِالنِّبْيَةِ غَسَلَتْهُ يَمَاهُ وَجَدَتْ لَهُ الْقَمَاطَةَ وَرَضَعَاتَهُ وَتَعَشُوا الْعِشَاءَ أَلِي كَتَبَهُ لَهُمْ رَبِّي ذَاكَ الْيَوْمِ  
وَمُشَاوًا يَرْقُدُوا، لَعْدُوَةٌ مَنْ ذَاكَ، كِصْبِخُ الصَّبَاحِ، وَمَنْ صَلَّى النَّبِيَّ يَرْيَحُ، الْمَرْأَةُ جَدَدَتْ الْقَمَاطَةَ  
لَوْلَيْدِهَا مَرَّةً أُخْرَى وَخَلَاتَهُ تَقِي نَاشَفَ اللهُ يُبَارِكُ، وَرَفَدَاتَهُ فِي مَهْدُوا وَمُشَاوُ كُلِّهَا مِنْ جِهَتِهِ. وَفِي  
الْمَغْرَبِ كِي تَرَاجِعُوا، صَابَتِ الْمَرْأَةُ كَذَلِكَ وَلَيْدَهَا مَشَمَخُ، تَقُولُ عَلَيْهِ غَطُّوهُ فِي الْمَاءِ، وَلَا فِي  
الْبِصَاقِ يَا لَطِيفُ، وَلَا فِي الْمَرْقَةِ ....تَحْيِرَتْ مِسْكِينَةَ ... وَمَا قَالَتْ حَتَّى شِي لُرُوجِهَا.

غَسَلَتْ الْوَلِيدَ وَقَمَطَاتَهُ وَعَطَاتَهُ الْبِرُّوَلَةَ يَرْضَعُ وَرَفَدَاتَهُ فِي الْمَهْدِ، وَتَعَشُوا وَرَقُدُوا. لَآكَنَّ الْمِيْمَةَ  
بَآيْتَهُ تَحْمَمُ مَا غَمَضَتْشُ الْعَيْنَ حَتَّى الصَّبَاحِ: نَاضُوا؛ غَسَلَتْ وَلَيْدَهَا، بَدَلَتْ لَهُ قَمَطَاتَهُ وَحَطَاتَهُ  
فِي الْمَهْدِ؛ لَمَّا رَقَدَ مَلِيخُ، خَرَجَتْ مَحْسُوبٌ تَغِيْبُ النَّهَارِ كَامِلٌ؛ وَرَاجِلُهَا كَذَلِكَ مُشَى لَصَوَالِحَهُ....  
لَآكِنَّ هِيَ مَا بَعْدَتْشُ؛ دَارَتْ بِالْحُومَةِ وَرَجَعَتْ غَيْرَ بِالسِّيَاسَةِ تَحْسَسُ.

وَهِيَ وَصَلَتْ عِنْدَ الْبَابِ الدَّارِ وَهِيَ تَسْمَعُ وَحَدَّ الصَّوْتِ كَالرَّعْدِ! وَرَاجِلُ تَقُولُ عَلَيْهِ غُولٌ وَلَا وَاشٌ  
وَيَرْقِي مَنْ شَقَافَ رَأْسَهُ: " اسْرَطُ اسْرَطُ وَلُدَّ النَّاسُ، لَحْمَ طَرِي؛ يَا مَا أَحْلَاهُ . عُقْ! عُقْ وَلُدَّ النَّاسُ.  
لَحْمَ طَرِي يَا مَحْلَاهُ ! "....

هَا بَدَاتِ الْمَرْأَةُ مَسْكِينَةَ تَرْجَفُ وَسَنِيهَا يَتَقَرَّبُوا فِي فَمِهَا، بِالْخُوفِ عَلَى وَلَيْدِهَا .... وَتَقُولُ وَهِيَ  
تَرْتَعِدُ: " اللهُ اللهُ يَا رَبِّي، هَذَا غُولٌ غَلَطْنَا، حَسْبِنَاهُ رَاجِلُ شَايِبٍ وَمَرِيضُ يَا رَبِّي سِيْدِي كَيْفَ نَعْمَلُوا  
الآن "....مَرَّةً تَبْعُدُ بِالْخُوفِ مِنَ الْغُولِ.... مَرَّةً تَرْجِعُ مَسْكِينَةَ قَلْبِهَا مَا خَلَاهَاشِي، عَلَى وَلَيْدِهَا

....هَكَذَاكَ .... حَتَّى الْمَغْرَبِ: "عَقَّ عَقَّ وَلَدُ النَّاسِ لَحْمَ طَرِيٍّ، يَا مَا أَحْلَاهُ" ... يَلْعَبُ الْغَرِيَانُ إِيَّا  
وُدْخَلَ لُبَيْتَهُ، مَا شَافَ مَا رَأَى...

بِالنِّيَةِ الرَّاجِلُ رَجَعَ ثَانِي: صَابَ مَرَاتَهُ عِنْدَ الْبَابِ، تَرْتَعَدُ بِالْخُوفِ، قَرِيبٌ تَمُوتُ ... وَتَسْتَنِّي  
فِيهِ: كَشَافَتَهُ رَجَعَتْ لَهَا شَوِيَّ الرُّوحِ .... "وَأَشْ بِكَ؟" .... يَامَخْلُوقُ قُ قُ قُ اللهُ .... هَذَا غَوْلٌ  
رَانُ سَاكِنِينَ عِنْدَهُ ... هَا كَعْمَلُ وَكِعْمَلُ بِالصَّبِيِّ وَكَيْسَرَطَهُ، وَكِي يِقَهُ، وَهَذَا عَلَاشُ كُلِّ لَيْلَةٍ  
نُصِيبُوهُ كَالِي مَعْطُوسٍ فِي اللَّيْدَامِ وَلَا الْبُصَاقِ؛ يَأْطِيفُ، نُهَارُ مَنْ نُهَارَاتٍ يَأْكَلُهُ وَيُزِيدُ يَأْكُلْنَا مَنْ  
بَعْدَهُ ... "الرَّاجِلُ مَا صَدَقْتُشْ مَرَّتَهُ.

قَالَ لَهَا: "ادْخُلِي وَسُكْتِي ... اَنْتِ مَرَاةٌ مَشْوَشَةٌ؛ رِيِّي جَابَ لَنَا رَاجِلٌ مَسْكِينٌ شَايِبٌ وَمَرِيضٌ؛  
مَخْلِيْنَا سَاكِنِينَ بَاطِلًا، مَا نُخْلُصُوا ذِرَاهِمَ الْكَرَاءِ وَتَشِينِي النِّيَةَ فِيهِ، يَأْطِيفُ! هَذَا الْكَلَامُ مَا نَسَمَعَهُ  
شِي مَنَّاكَ اَبْدًا! عَامَلٌ فِيْنَا الْخَيْرِ رَدِيَّتَهُ غَوْلٌ! "...قَالَتْ لَهُ "يَارَاجِلُ؛ اَنَا سَمَعْتُ بُوذْنِي؛ وَشُوفُ  
الْغَرِيَانِ كِي مَشَمَخَ بِالْبُصَاقِ وَ الْغَرَاءِ .... اللَّيْلَةَ نَهَرُبُوا بُوْلِيدَنَا وَنَسَلَكُوا اَعْمَارَنَا..." الرَّاجِلُ مَا حَبَّ  
شِي يَسْمَعُ كَلَامَهَا وَيُنْبَعُ رَايَهَا ....

بِالنِّيَةِ، مَا زَادَتْشُ مَعَاهُ كَلِمَةٌ، عَسَلْتُ وَوَلِيدَهَا وَبَدَلْتُ لَهُ وَقَمَطَاتَهُ، كُلُّ شِي نَاشَفَ زَيْنُ،  
وَرُضْعَاتَهُ ... وَحَطَاتَهُ فِي مَهْدِهِ، رَقَدَ فِي الْحِينِ وَتَعَشَاوُ كِي الْعَادَةَ وَمُشَاوَا يَرْفُدُوا. الْمَرَاةُ سَاكِنَةٌ  
وَصَابِرَةٌ، مَا غَمُضَتْشُ عَيْنِيهَا ... تَسْتَنِّي فِي زَوْجَهَا يَرَقُدُ مَلِيخًا.

هِيَ سَمَعَاتَهُ يَشْحَرُ وَهِيَ نَاضَتْ غَيْرَ بِالْتِي أَحْسَنُ؛ رَفَدَتْ الصَّبِيَّ مِنَ الْمَهْدِ؛ حَطَاتَهُ عَلَى جِهَةِ  
وَرَاخَتْ جَابَتْ رَزَامَةَ الْمَهْرَاسِ، يَعْنِي يَدَ الْمَهْرَاسِ إِلِي يَدْفُؤُوا بِهَا الْقَهْوَةَ، مَا انْقَلَبَتْ وَقَمَطَتْهَا كَلِي  
غَرِيَانُ، وَحَطَّتْهَا فِي الْمَهْدِ فِي مَوْضِعٍ وَوَلِيدَهَا. وَرَفَدَتْ الْغَرِيَانُ فِي ذِرَاعِهَا، وَالرَزَامَةَ انْتَاغَ قَشِي  
شَادَتْهَا فِي الْيَدِ الْآخَرَى وَخَرَجَتْ غَيْرَ بِالسِّيَاسَةِ؛ وَقَالَتْ: "يَا بَنَ بَيْرَحْ!  
".... وَتَجْرِي... وَتَرِيحُ شَوِي... وَتَزِيدُ تَجْرِي... وَرَايِحَةَ.

بِالنِّيَةِ رَاجَلَهَا كِي نَاضَ الصَّبَاحُ، حَسْبَهَا مَشَاتٌ لِلْعَسِيرِ فِي الْوَادِ كَالْعَوَايِدِ؛ وَفِي الْمَهْدِ  
مَحْسُوبٌ هَذَاكَ الصَّبِيَّ رَاقِدًا؛ كُلُّ شِي يَعْنِي كِمُضَارِي، كَالْعَادَةَ ... بِالنِّيَةِ، مَشَى لِصَوَالِحِهِ.  
وَالْمَغْرَبِ كِرَجَعُ .... وَيَسْمَعُ لَكَ ذَلِكَ الصَّوْتُ انْتَاغَ الْغَوْلِ! وَلُغَوْلُ خَلْذِيهِ الْكَلْبُ بِالْغَيْظِ: "اسْرُطْ  
اسْرُطْ وَوَلَدُ النَّاسِ؛ جَانِي ثَقِيلُ! عَقَّ عَقَّ وَوَلَدُ النَّاسِ، جَانِي ثَقِيلُ، أَفْ! وَيْنُ بَنْتُ اللَّحْمِ؟ وَيْنُ  
الطَّرَاوَاتِ؟ وَيْنُ الْحَلَاوَاتِ؟ .....

اسْرُطْ اسْرُطْ وَوَلَدُ النَّاسِ .... جَانِي ثَقِيلُ كَالْحَدِيدِ .... وَالْأَوَاشُ! .... عَقَّ، عَقَّ وَوَلَدُ النَّاسِ ..... جَانِي  
ثَقِيلُ ... أَفْ.... وَهَكَذَا ..... حَتَّى سَمِعَ الْحَيَّ وَرَاهُ .... وَوَلَقَتْ لَهُ ..

وَالرَّاجِلُ طَاحَ مُتَغَاشِي بَعْدَ مَا تَيَقَّنَ بِيَهُ الْغُولُ؛ وَبِالْيَ زَوْجَتَهُ مَا تَكَلَّمَتْ غَيْرَ فِي الْحَقِّ ...ضَرَبَتْهُ  
الْغُولُ بَرْكَلَةً؛ تَوَضَّهَ وَسَالَهُ، كَالرَّعْدِ وَالْأَقْوَى: -"هَذَا وَاش؟"  
-هَذَا هَذَا هَذَا مَهْمَهْمَهْمَهْدِي كِكِكِكِكَانَ فِيهِ وَلَدِي.

-وُ مَرَاتِكَ وَبِن؟

-فَلْفَلْفَلْفَلْفَش : تَعْنَعْنَعَسَلْسَلْسَلُ الْوَادِ.

-إِذَا هَذَا وَلَدُكَ حَلَهُ مَنِ الْقَمَاطُ.

وَيَحُلُّ الْمَسْكِينُ الْقَمَاطَةَ، وَيُصِيبُ يَدَ الْمَهْرَاسِ؛ وَيَتَغَاشَى مَرَّةً أُخْرَى. وَيَرْكَلُهُ الْغُولُ  
وَيَتَوَضَّهَ؛ وَيُعْطِيهِ كَيْفَ يَطِيحَهُ فَوْقَ الْفَرَّاشِ، وَيَقْرِنَلَهُ:

-مَنْبِنِ نَاكَلْكَ! هَاتُوا بَنَ هَاتُوا؟

-كُنِّي مَنِ الرَّجْلِينَ اللَّيِّ مَا تَبْعُوشَ مَرَّتَهُ.

يَاكُلُ لَهُ الْغُولُ رَجْلِيَهُ. وَيَزِيدُ " مَنْبِنِ نَاكَلْكَ! هَاتُوا بَنَ هَاتُوا؟"

-كُلْ لِي الْيَدَيْنِ اللَّيِّ حَبُوا يَضْرِبُوا مَرَاتَهُ.

يَاكُلُ لَهُ الْغُولُ يَدِيَهُ مَعَ دَرْعِيَهُ. وَيَزِيدُ: "مَنْبِنِ نَاكَلْكَ ا هَاتُوا بَنَ هَاتُوا؟"

-كُلْ لِي الْوَدْنَيْنِ الْيِّ مَا صَنَنْتُوشَ كَلَامَ مَرَاتَهُ ....

يَاكُلُ لَهُ الْغُولُ وَدْنِيَهُ وَيَزِيدُ يَسْأَلُ وَيَضْحَكُ: "مَنْبِنِ نَاكَلْكَ ا هَاتُوا بَنَ هَاتُوا؟"

-كُنِّي مَنِ الرَّاسِ الْيِّ مَا فَهْمَشَ رَايَ مَرَاتَهُ...حَتَّى كَلَاهُ كَامَلٌ .

وَهِيَ مَشَاتٌ تَتَكَرَّبُ وَأَنَا جِيْتُ فِي الْمَرْكَبِ.

## 2\_ " كِي شَمِيْتُ كِي كَلِيْتُ "

وَاحِدُ الطُّفْلِ مَسْكِينٌ يَدُورُ فِي السُّوقِ حَتَّى فَاتَتْ عَلَى مَوْلَى الشُّوَى. اغْوَاهُ اللَّحْمُ اللهُ اللهُ أَحْمَرُ  
وَاصْفَرَّ كِي الذَّهَبُ وَحَامِي، وَرِيحَتَهُ تَدُوحُ. وَقَفَّ شُوِيَةً وَبَدَا يَسْتَنْشِقُ فِي الرِّيْحَةِ ...وَمَنْ عَلَيْهَا  
اجْبَدُ طَرِيْفٌ خُبْرٌ بَاقِي فِي جِيْبِهِ كَالِي يَجُوزِ بِيَهُ ...حَتَّى عَيْنِيَهُ حَلَبُوا بِالْدُمُوعِ .... وَجَاءَ رَايِحُ.  
مَوْلُ الشُّوَى بَغَى يَبْسُطُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: يَا وَلَدُ ارْوَاخِ أَدْفَعِ حَقَّ الشُّوَى .....يَا؟ .... قَالَ لَهُ: الطُّفْلُ،  
أَيَاكَ مَا كَلِيْتُشْ! مَا ذَابِيَهُ لَوْ كَانَ كَانُوا عِنْدِي صَوْبِلْدَاتٌ. لَوْ كَانَ شَرِيْتُ عَلَيْكَ طَرِيْفٌ .... قَالَ  
مَوْلَى الشُّوَى ... احنَا عِنْدُنَا، فِي تَعْنِيْفِ كِي شَمِيْتُ، كِي كَلِيْتُ.....! قَالَ لَهُ الطُّفْلُ، هَدْيِي وَحَدَّة!  
كِي شَمِيْتُ كِي كَلِيْتُ، اصْحَابُ تَعْنِيْفِ وَحَدَّهُمْ! مَزِيَّةٌ فَايْتُ جَا وَقَالَ لِلرَّاجِلِ: حَلِي هَذَا الطُّفْلُ  
مَسْكِينٌ، عَلَاشَ تَبْكِي فِيهِ؟ .....ضَرَبَ لَهُ صَاحِبُنَا عَمْرَةَ، يَعْنِي اسْكُتْ النَّحْ، تَتَبَسَّطُوا عَلَيْهِ شُوِيَةً.  
قَالَ لَهُ يَاكَ رَاكَ عَلَى بَالٍ عِنْدُنَا، الْيِّ شَمَّ كَالِي كَلِيْتُ... عَلَيْهَا بَاهُ سَمْعَتِي، نَقُولُ لَهُ كِي شَمِيْتُ

كِي كَلَيْتْ جَحَا بَدَا يَهْرُ فِي رَاسَه. وَقَالَ لَهُ: هَذِي مَشِي هَدْرَة؛ كِي تَغْنِيفُ كِي الْبَلْدَانِ الْآخَرِي: مَا كَلَّاشْ مَا خَلَّصَشْ!....

لَا كَنْ مَوْلَى الشَّوَى بَعَى يَتَّعَاسِرْ، إِيَا قَالْ لَهُ جَحَا: "تَخَلَّصْكَ فِي مَوْضَعَه. جَبْدَ رَبِيعَ مَنْ جَبِيَه، وَضَرْبَه عَلَى الْأَرْضِ، وَرَفَدَه وَرَدَه فِي جَبِيَه.

قَالَ لَهُ الْآخَرُ: "لَا كَنْ مَا عَطِيَّتَه لِيَشْ!

قَالَ لَهُ جَحَا: "إِيَه! الْبَلَادُ إِلِي فِيهَا كِي شَمِيَتْ كِي كَلَيْتْ، فِيهَا تَانِي كِي سَمَعْتُ كِي خَلَّصْتُ! وَالْحَدِيثُ فِيهِ قِيَاسٌ."

### 3 \_ "رَاجِيَة وَ دِيَابِ بِيَالَمِ"

كَانَ مَا كَانَ فِي بَكْرِي الزَّمَانِ؛ وَالْحَبِيقُ وَالسَّيْسَانُ، فِي حَجَرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ..... وَحَدَّ الْمَرْأَة مَشْهُورَة بِالزَّيْنِ وَالسَّرِّ وَالْعَقْلِ وَالْأَدَابِ، يَضْرِبُوا بِيهَا الْاِمْتَالُ فِي الصَّحْرَاءِ الْجَزَائِرِيَّةِ؛ عُنُصُرُ الْجَمَالِ، مَنْ بَنِي هَلَالٍ، رَوْجَة دِيَابِ بِيَالَمِ، رَاجِلُ كَيْسٍ وَرَقْبَة صَنْدِيدٍ، قَائِدُ فَبِيلٍ. وَاحِدُ الْعَامِ اَبِيَسْ وَالصَّابِيَة مَا كَفَاتَشْ الْخَلْقُ حَتَّى خَافَتْ النَّاسُ تَمُوتَ بِالْجُوعِ. وَسَمَعُوا فِي تُونِسَ الْعَكْسُ رَبِّي اعطَى خَيْرَاتَه، مَشَاوُ الْفَوَاقِلِ يَعْنِي يُكِيلُوا الْحُبَّ، وَعَدُوا الشَّرِيفَ بِنَ هَاشِمَ طَامَعِينَ فِيهِ مَا يَبْخَلُهُمْش. لَآ كَنْ هُوَ سَامِعُ بَزَاجِيَة الْعَرَبِ " خُشَمَ الْعَقَابِ "؛ كَامَلَة الزَّيْنِ .... قَالَهُمْ "تَعْطِيكُمْ الْقَمَحُ قَدْ اللَّي بَغِيْتُوا وَالْآ اَكْثَرُ ... بِالصَّحِّ مَا تَشْرُوهُشِي مَنِي بِالْمَالِ ... كِيلُوا مَا بَغِيْتُوا لَآ كَنْ نَبْغِي ... رَاجِيَة" وَالْحَدِيثُ قِيَاسٌ!

رَجَعُوا مَكْمَدِينَ يَشَاوَرُوا دِيَابِ رَوْجَهَا، وَعَارَفِينَه مَا شَيْ سَاهَلْ، وَيَمُوتُ عَلَى رَاجِيَة يُحِبُّهَا كَيْمَا مُمُوا الْعَيْنُ .... حَشَمَا الرَّجَالِ، وَاشْتَوَرُوا .... الرَّجَالُ وَرَسَلُوا نَسَاهُمْ دِيَابِ وَيَخْبَرُوهُ بِالِي كَانَ ... اسْتَعَرَبَ دِيَابِ فِي الْوَقْدِ اِنْتَاعِ النِّسَاءِ غَيْرِ مُحْتَرَمَاتٍ .... كَبُرَ بِيَهُمْ دَبْحُ الْمَوَاشِي بِلَا حِسَابٍ وَقَدَّمَ لَهُمُ الْفَوَاشِيَشِ وَالْمَوَاكِلُ عَلَى الْاَلْوَانِ .... وَالضَّيْفَاتِ سَاكِنِينَ وَحَاطِينَ رِيَسَانَهُمْ، مَا كَلَاوُ مَا شَرَبُوا؛ مَا عَارَفِينَ كَيْفَاشْ يَقُولُوا لَدِيَابِ .... وَهُوَ رَاجِلُ فُطِينِ ... دَخَلَه الشَّكُّ ... وَتَبَقَّنَ بِالِي النَّازِلَة عَظِيمَة .... قَالَ لَهُمْ غَيْرُ مَا تَهْتَمُوشَ إِلِي كَانَ قَوْلُوه، نُدِيرْكُمْ عَلَى الرَّسِّ وَالْعَيْنِ ... وَتَشْهَقُ وَحَدَة بِالْبِكَاءِ وَ تَقُولُ " اِحْنَا وَ اَوْلَادُنَا رَاجِحِينَ يُضِيَعُوا بِالشَّرِّ وَ الشَّرِيفُ بَنُو هَاشِمِ الظَّلَامِ،... رَاجِيَة ... هَاهُو الْكَلَامُ!

حَطَّ رَاسَه دِيَابِ وَهُوَ غَايِسٌ يُحَمِّمُ وَالنِّسَاءُ يَسْتَنَآوُ فِيهِ وَخَائِفِينَ وَاشْ يَقُولُ. "حَتَّى رَافَدَ رَاسَه الرَّاجِلُ الزَّيْنِ وَحَيَّرَهُمْ بِاَوْجَابِ: " هُوَ طَالِبُ الْمُوحَالِ، لَآ كَنْ الشَّعْبُ ضَايِعُ رَجَالِ وَنِّسَاءِ وَاطْفَالِ ... كَيْمَا قَدَّرَ رَبِّي نَعطُوهُ مَا طَلَبُ ... "لِلضَّرُورَة أَحْكَامُ...!"

وَمَشَاتُ رَاجِيَةٍ حَازِنَةٌ وَحَازَنٌ عَلَيْهَا ذِيَابٌ ...

سَانَتَيْنِ وَهِيَ عِنْدَ الشَّرِيفِ بَنُو هَاشِمٍ فِي ثَوْنَسٍ مَعْرُوزَةٍ يَحْبُهَا كِي عَيْنِيهِ مَا سَايَلُشْ كَامَلٌ عَلَى  
الْحَرَائِمِ الْآخِرِينَ؛ لَا كَنَ هِيَ عَيْنِيهَا مَا لَقَاتُشْ عَيْنَهُ: عَقَلَهَا طَايِرٌ غَيْرٌ مَعَ ذِيَابٍ وَمَتَوَحَّشَةَ الْوَطَنِ  
الْعَزِيزِ وَالنَّسِ الزَيْنِيِّ وَالصَّحْرَاءِ وَبِلَادِ الْقَيْفَارِ أَلِي عَنَى عَلَيْهَا الشَّاعِرُ ...  
يَوْمَ مَنِ الْآيَامِ مَا صَبِرْتُشْ وَهَرَبْتُ مَعَ الْقَافِلَةِ وَلَحَقْتُ بِنَاسِهَا، لَأَكُنْ ذِيَابٌ مَنِ سُوءِ الْحَظِّ  
كَانَ غَايِبٌ وَلَحَقَهَا الشَّرِيفُ بِالْجِيُوشِ وَعَلَبَ عَلَى النَّسِ ذِيَابٌ ذِيَابٌ فِي غَيْبَةٍ قَائِدُهُمْ وَأَسْعَى رَاجِيَةٍ  
وَرُدَّهَا مَعَاهُ ... هِيَ عَارِفَةٌ ذِيَابٌ كَيْسَمَعُ مَنِينٌ يَرْجِعُ مَنِ الصَّيِّدِ مَا كَانَ أَلَا يُطِيرُ عَقْلَهُ وَبِجِي  
يُسَلِّكُهَا وَتُقَيِّسُ رُوحَهَا مَنِ فُوقِ الْعَطُوشِ بَاشَ تَبْطِيهِمْ وَيَلْحَقُ عَلَيْهِمْ ذِيَابٌ ... وَيَتَخَبَّلُوا شَعُورَهَا مَعَ  
السَّدْرَةِ، وَيَنْزِلُ شَرِيفٌ مَنِ عَوْدَهُ وَيَسَلُ السِّيفِ وَيَقُولُ لِلْخَدَامِ: "تَسَلُّكُوا سَوَالِفَ رَاجِيَةٍ شَعْرَةَ  
بُشَعْرَةَ، وَالْحَرَامَ يَالِي يَقَطَعُ شَعْرَةَ مَنِ رَأْسِ رَاجِيَةٍ، نَقَطَعُ رَأْسَهُ هُوَ الْبَعِيدُ! ... لَأَكُنْ الْمَسَافَةَ طَوِيلَةَ  
وَذِيَابٌ مَا لَحَفْتُشْ ... وَدَخَلْتُ رَاجِيَةً لَثَوْنَسٍ مَكْمَدَةَ وَالْقَلْبُ حَزِينٌ ... حَتَّى قَابَلْتُهَا الْحِيَلَةَ.

وَلَيْلَةَ مَنِ اللَّيَالِي رَسَلْتُ لِلشَّرِيفِ رَعْمًا بَاغِيَةً تَقْصِرُ مَعَاهُ وَيَلْعَبُوا الشَّطْرَنْجَ ... وَهُوَ قَلْبُهُ  
طَايِرٌ بِالْفَرَحَةِ لَمَّا رَاجِيَةٍ رَضَاتٌ عَلَيْهِ ... قَالَتْ تَلْعَبُوا بِالشَّطْرَنْجِ. قَالَ لَهَا عَلَى الرَّاسِ وَالْعَيْنِ.  
قَالَتْ لَهُ: " أَلِّي يَغْلَبُ يَطْلُبُ مَنِ الْآخِرِ وَاشْ يَحَبُّ. قَالَ قَابِلٌ. مَا عَرَفَهَاشْ حَدٌّ مَا يُطِيقُ عَلَيْهَا  
فِي لَعْبِ الشَّطْرَنْجِ وَتَخْلِيهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى يَرِيحُ؛ وَتَقُولُ اطْلُبْ وَاشْ بَغِيْتُ ... هَا مَنِ هُبَالَهُ قَالَ نَبْغِي  
نُشُوفُ بَدْنِكَ عَرِيَانٌ مَرَّةً فِي دُنْيَتِي هَذِي عَامِينَ وَأَنَا مَنَّهُ مَحْرُومٌ، وَتَنْزَعُ الثِّيَابَ رَاجِيَةٍ وَتَهْزُ  
شَعُورَهَا عَطَاوَهَا مَنِ الرَّاسِ حَتَّى لِلرَّجَلِينَ، وَخَابَ الشَّرِيفُ مَسْكِينٌ ... وَزَادُوا اللَّعْبَةَ الثَّانِيَةَ غَلْبَاتَهُ  
... قَالَ اطْلُبِي يَا رَاجِيَةَ أَلِي بَغِيَّتِي مَقْبُولٌ ... " قَالَتْ لَهُ نَبْغِي نُرُورُ نَاسِي وَالْقَبِيلُ نُشُوفُ ذِيَابٌ  
وَ... نَرْجِعُ مَعَاكَ ... قَالَ يَا رَاجِيَةَ " نُوفِي لَكَ؛ سُومَكَ الْعَالِي ... لَأَكُنْ هَاتِي الْعَاهَدَ تَرْجِعِي  
بَصْحِيحٍ ... قَالَتْ لَهُ مَا كَانَ أَلَا تَرْجِعُ ... وَنَرْقُدُ كَالْعَادَةِ بَيْنَ وُلْدَاتِي حَمْدَةَ وَاحْمَدَ ...

أَيَا تَهْتَى فِي خَاطِرُهُ وَأَمَرَ عَلَى الْقَافِلَةِ وَجَدُوهَا فِي الْحِينِ مَنِ كُلِّ مَا يَلْزَمُ وَسَارُوا شَوَارِ نَجْعِ  
ذِيَابٍ. مَشَاوِشِي سَاعَةَ حَتَّى قَالَتْ رَاجِيَةَ نَسِيْتُ الْوَنَائِسِ وَالْمَسَائِسِ .... أَمَرَ الشَّرِيفُ بِالرُّجُوعِ  
وَتَطَلَّبَ رَاجِيَةَ لِلْعُرْفَةِ لِلْعُرْفَةِ عَلَى الْمَسَائِسِ الْوَنَائِسِ دَارَتْهُمْ سَبَّةٌ ... وَهِيَ غَيْرُ بَاشِ تُوْفِي الْعَاهَدَ:  
" اَمْتَدْتُ بَيْنَ وُلْدَاتِيهَا حَمْدَةَ وَاحْمَدَ رَاقِدِينَ كَالْمَلَائِكَةِ .... وَهِيَ تَبْكِي وَتَشْهَقُ وَتَبُوسُ فِيهِمْ وَتَقُولُ: "  
هَذَا عَاهَدُكُمْ وَوُلْدَاتِي رَانِي أَوْفِيَّتَهُ، لَا كَنَ عَمْرِي وَلَا نُشُوفُكُمْ مَنِ الْيَوْمِ عَلَى خَاطِرِ ذِيَابٍ مَا كَانَ  
مَاعَزٌ عِنْدِي مَنَّهُ فِي الدُّنْيَا " ... وَلَحَقْتُ بِالْقَافِلَةِ ... وَوُصَلُوا الْقَبِيلَ رَاجِيَةَ، وَحَلَفْتُ لَهُ بِالْيَمِينِ مَا  
تَرْجِعُ مَعَاهُ وَحُكَاثُ لَهُ كَيْفَاهُ وَقَاتُ عَاهَدَهَا مَعَ حَمْدَةَ وَاحْمَدَ ... وَشَرِيفٌ بَنُو هَاشِمٍ رَجَعَ لَرْجَعَ  
لِثَوْنَسٍ مَكْمَدَ، حَتَّى مَاتَ بِالْوَحْشِ وَالْعَمَةِ وَالتَّرْلِيحَةِ ...

وَهَذَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالِي عَلَيْهِ شَيْ ذَنْبٌ يَكْتُرُ الْأَسْتِغْفَارَ.

#### 4\_ " الْمَشْحَاخُ الْكَبِيرُ "

فِي كِتَابِ الْبُخْلَاءِ لِلْجَاخِظِ، مَا كَانَ مَا حَلَى مِنْهَا. جَمَاعَةٌ انْتَاغَ الرِّجَالَ كَانُوا يَنْتَلِفُوا فِي اللَّيْلِ بَعْدَ الْعِشَاءِ بَاشَ يَفْصُرُوا. وَاحِدٌ يَفْرَأُ أَلْفَ لَيْلَةٍ، وَاحِدٌ يَغْنِي ... مَرَّةً يَنْحَاجَاوًا... الْحَاصِلُ بَاسْطِينَ لَا كَنْ مُوَلَى الدَّارِ شَوِيَّةَ مَشْحَاخٍ طَلَبَ كُلُّ مَنْهُمُ كُلُّ وَاحِدٌ يَدْفَعُ دِرْهَمَ حَقِّ الزَّيْتِ انْتَاغَ الْقَنْدِيلِ ... هَذَا الشَّيْءُ فِي بَكْرِي زَمَانِ الْجَاخِظِ مَاتَ عَامَ 23 لِلْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ... بِالْنِيَّةِ، كُلُّ وَاحِدٌ وَيَدْفَعُ ذَلِكَ الدِّرْهَمَ حَقِّ الزَّيْتِ .... سِوَى وَاحِدٍ مِنَ الْجَمَاعَةِ اشْتَكَى لَهُمْ : قَلَّةُ الشَّيْءِ، مَسْكِينٌ مَا عِنْدَهُمْ ...

صَحَّةٌ لَعْدَوَةٌ مِنْ ذَلِكَ هُمَا مَقْصَرِينَ وَرَاهِيِينَ وَيُؤْوِضُ وَاحِدٌ الشَّخْ انْتَاغَهُ مَا يَلَهُ حُدُو يُقُولُ لَصَاحِبِنَا: "وَاللَّهِ نَعْمُضْلُكَ عَيْنِيكَ بِهَذِهِ الْهَنْدِيَّةِ؛ اسْمَعْ إِذَا بَغَيْتَ، لَا كَنْ مَا خَلَصْتَشِي الزَّيْتِ، مَا تَشُوفْسُ، مَا عِنْدَكَ حَقٌّ فِي ضَوْ الْقَنْدِيلِ! وَالْحَدِيثُ قِيَاسٌ.

#### 5\_ " لِّلْكَبَّارِ وَ الصَّنْعَازِ "

(أَمَّا الزُّهْرَةُ وَ... الْجَاخِظُ ثَانِي) كَاتَبَ عَظِيمٌ وَيَحِبُّ الْمَرَاحَ (وَ كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَمْرَحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا). الْحَاصِلُ حُكَايَةٌ بِالْفُصْحَى فِي كِتَابِ الْبُخْلَاءِ كَذَلِكَ وَاحِدٌ سَمَعْنَا قَسَمَهَا الْأُولَى بِالْعَامِيَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ مِنَ الْجَدَاتِ وَالْأَمَهَاتِ.

رَاجِلٌ مَسْكِينٌ هُوَ وَرَوَّجَتَهُ يَدِيرُوا ارْوَاحَهُمْ كَالِي مَدَابِرِينَ؛ وَهُوَ مَحْسُوبٌ يَضْرِبُ فِيهَا - بِالنَّخِ - وَهِيَ تَرْقِي - بِالنَّخِ - : نُرُوحٌ عِنْدَ أَمَّا بَرْكَانِي مَنكَ .... الخ. عَلَى خَاطَرٍ مُسَاكِينٍ جِيَاعٌ، بَلَاءٌ عِشَاءٌ، وَجِيرَانُهُمْ مَوْجُودِينَ وَاحِدٌ كَسْكَسِي سُلْطَنِي بِالْحَاجِجِ مَنْ قَبْلَ النَّفَاسِ؛ مَوْلَاتُ الدَّارِ زِيدَتْ وَلِيدٌ ... أَيَا، وَيَخْرُجُ السَّيِّدُ بُو الْمَزِيدُ وَيَحْلِفُ لِجَارَةِ يُجِي هُوَ وَالْمَخْلُوقَةُ اضْيَافٌ وَيَصْلُحُوا بَيْنَاتُهُمْ بِالْنِيَّةِ، الْأَخْرِينَ هَكَذَاكَ كَانُوا بَاغِيِينَ. وَكِي انْحَطَّ الطَّعَامُ بِالْحَاجَةِ فِيهَا مَحْنَةٌ، مُوَالِينَ الدَّارِ يَقُولُوا لِلضَّيْفَةِ تَقَسَّمْ.... أَيَا وَتَبَدَّأ: الْعُنُوقُ اللَّي جَابُوا مِنَ السُّوقِ، وَالْقَائِنَةُ لِلنَّافِسَةِ، وَالْجَنِيحَاتُ لِلْبَنِيَّاتِ زُوجٌ وَالرَّجِيَلَاتُ لِلْوَلِيدَاتِ زُوجٌ، وَالْقَحْمُورُ لِلْعَجُورِ (حَاشَى مَنْ يَسْمَعُ) وَالْفَحْذُ لِلرَّاجِلِ الْمُسْتَعَاضِ وَالصَّنْدَرُ لِلصَّنْدَرِ الْهَمُومِ (يَغْنِي هِي)...

أَمَّا الْجَاخِظُ جَانِبًا حِكَايَتِينَ فِي حُكَايَةِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ يُشَبِّهُ لِحُكَايَةِ أَمَّا الزُّهْرَةُ، سِوَى الضَّيْفِ بَدْوِي عِنْدَ الْحَضَرِ وَيَقُولُوه " أَقْسَمَ بَيْنَنَا " .... يَعْمَلُ بَرُوحًا يُحَمِّمُ وَيَبَدَّأ: " الرَّاسُ الرَّاسُ، وَالْقَمْرُ

لَلْعَجُوزِ الْجَنَحَانَ لِلْبُنْتَيْنِ وَالرَّجْلَانَ لِلْوَالِدَيْنِ، وَالرُّوزَ يَعْنِي الصَّدْرَ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الْأَمْرُ الدِّيكُ  
بِأَجْمَلِهِ) ... وَالرُّوزُ الرَّائِزُ....

وَالْمَعْرُوفُ أَنْ " ضَيْفَ رَبِّي تَلَّ ثَ أَيَّامٌ". فِي اللَّيْلَةِ يَقُولُ مَوْلَى الدَّارِ لِلزَّوْجَةِ: ضَيْفُنَا وَكَأَلْ...  
نُشَوُّوْا كَامِلَ الْجَاغِ اللَّيِّ فِي السَّجَنَةِ نُطَيِّبُوهُ... وَنُصَيِّبُوا حَمْسَ جَاغَاتٍ ... وَعِنْدَ الْعِشَاءِ طَلَّبُوا  
مَنْ الْبَدْوِيِّ يَقْسَمُ -عِي لَأَ، لَأَ، لَأَ... أَرَاخَةَ... الخ...

قَالُوا لَوْ: "مَا كَانَ إِلَّا نَقْسَمٌ أَنْ شَاءَ اللَّهُ... " صَحَّةٌ... قَالَ لَهُمْ: "بِالْقَرْدِ وَلَا بِالزُّوجِ؟"  
كَيْمَا جَاتْ، قَالَ مَوْلَى الدَّارِ: " بِالْقَرْدِ " .... وَيَعْمَلُ بَرُوحُوا يَحْمَمُ .... وَيَقُولُ: أَلَا وَلَاذُ زُوجٍ مَعَ  
جَلْجَلَةٍ ثَلَاثَةَ. الْبُنْيَاتِ زُوجٍ مَعَ جَاغَةٍ، ثَلَاثَةَ، وَرَبِّ الْبَيْتِ وَالزَّوْجَةِ الْمُحْتَرَمَةِ مَعَ جَاغَةٍ، ثَلَاثَةَ...  
وَالْعَبْدُ الضَّعِيفُ مَعَ زُوجٍ جَاغَاتٍ، ثَلَاثَةَ وَيَطْرُقُوا كَامِلَ بِالضَّحْكَ، لِأَنَّ مَوْلَى الدَّارِ يَبْغِي ثَانِي  
الْمَرَاحِ، الْبُنْيَاتِ زُوجٍ وَبِمَاهُمْ مَعَ جَاغَةٍ، يُجُو رِنَعَةً، وَالْوَالِدَاتِ زُوجٍ مَعَ رَبِّ الْبَيْتِ وَجَاغَةٍ يُجُو  
رِنَعَةً، وَتُلْتِ جَاغَاتٍ مَعَ الضَّعِيفِ، رِنَعَةً كَذَلِكَ أَيَا شَبَعُوا ضَحْكَ وَقَالَ لَهُ مَوْلَى الدَّارِ الشَّاهِيَّةِ  
طَيِّبَةً! وَهِيَ مَشَاتٌ تَتَكَرَّبُ وَأَنَا جِيْتُ فِي الْمَرْكَبِ.

## 6\_ " زَيْنَبُ وَمَعَالِيَةُ السَّبْعِ "

كَانَ يَأْمَكَانُ، فِي بَكْرِي الزَّمَانِ؛ وَالْحَبِيقُ وَالسَّيْسَانُ فِي حَجْرِ النَّبِيِّ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.  
الْحَاصِلُ وَأَشْ صَارَ بُوْحَدُ الْمَخْلُوقِ كَانَ قَاعُ الْعَابَةِ، مَا شِي يُزُورُ بِنْتَهُ نَهَارَ الْعِيدِ بِنْتَهُ اسْمُهَا زَيْنَبُ  
هُوَ يَتَمَشَّى، حَتَّى شَابَ الْعِبَايَةَ ائْتَاعَهُ شَوِي مَقْطَعَةَ التَّحْتِ. قَالَ لَا بُدَّ نَرْفَعَهَا.... شَوْفُ ائْتِ!  
عِبَايَةَ جَدِيدَةً، هَذِي سَدْرَةٌ وَلَا وَأَشْ. اللَّهُمَّ تَقَعْدُ عَلَى هَذِي الْحَجْرَةَ وَنَحِيطُ الْعِبَايَةَ، جَبْدُ الْاِبْرَةِ  
وَالْحِيطُ مَنْ شَاشِيَّتَهُ وَبَدَا يَرْفَعُ.... إِلَّا حَتَّى.... يَنْقَلِبُ عَلَى كَفِّهِ وَيَطِيحَهُ يَا لَطِيفُ فِي مَطْمُورَةٍ مَا  
شَافَهَا شَ وَفَتْ اللَّيِّ فَعَدَّ عَلَى الْحَجْرَةَ، وَهِيَ عَلَى حَاشِيَّتِهِ الْحَفْرَةَ مَا اِغْمَقَهَا هُوَ هَكَذَاكَ فِي الظُّلْمَاءِ  
وَمَقَرْدُ مَنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَهُوَ شَافَ فُبَالْتَهُ... كَالِي عَرَقُ طَوِيلُ ائْتَاعِ شَجْرَةَ مَدْلِي، أَيَا قَالَ أَنَا تَشَبَّطُ  
فِيهِ، وَتَتَعَلَّقُ مَعَ الْحِيطِ وَنَخْرَجُ.... أَيَا! يَا بُويَا حِي! وَتَرْتَقْدُ بِيهِ وَحَدُّ الْبَاعِيَّةِ وَتَرْمِيهِ لَبْرًا. الرَّاجِلُ  
مَسْكِينُ مَخْلُوعُ، مَا عَارَفَ وَأَشْ صَرَى لَهُ وَيَطِيحُ وَيَبُوضُ... وَيَقُولُ: " كِي طَرَى لِي؟ وَأَشْ هَذَاكَ  
غَادِي هَارَبُ؟ أَيَا رَبِّي! سَبْعُ يَأْسَتَارُ! سَبْعُ بَنِّ سَبْعُ!....

يَعْنِي، كِي طَاحَ حَيْنًا فِي الْمَطْمُورَةِ، كَانَ ذَلِكَ السَّبْعُ يَشْمَشُ وَيَصْنَطَادُ.... هَا.... جَاءَ رِيحٌ عَلَى  
شَافَةَ الْمَطْمُورَةَ... بِالنِّيَّةِ... هَا كَعَالَتَهُ اِدْلَاتُ مَعَ حِيطُ الْمَطْمُورَةَ. وَالظُّلْمَاءُ تَعْمِي.... الرَّاجِلُ  
شَافَ نِيكَ الْحَاجَةَ الطَّوِيلَةَ مَدْلِيَّةً، حُسْبَهَا عَرَقُ ائْتَاعِ شَجْرَةَ! رَبِطُ فِيهَا وَبَعَى يَطْلُعُ مَعَ الْحِيطِ  
الْمَطْمُورَةَ؟ السَّبْعُ جَاتَهُ الدَّعْوَةُ غُرْبِيَّةً، وَ نِيكَ الْحَاجَةَ تَجَبَّدُ فِيهِ، جَاتَهُ ثَقِيلَةَ بَرَأْفِ. خَافَ عَلَى رَأْسِهِ

....أيا، أيا يَرْتَعِدُ وَيَنْتَقِلُ وَيُقَيِّسُ الْمَخْلُوقَ بَرًا.... هَا الرَّاجِلُ طَاحُ وَنَاضُ وَبِدَا يَصْطَفِقُ بِالْخَلْعَةِ  
....وَقَالَ يَا بَنَ يَبْرَحُ، هَرَبَ عَلَى رَاسِهِ ثَانِي هُوَ ... السَّبْعُ مِنْ جِهَتِهِ هَارِبُ، وَالرَّاجِلُ مِنْ الْجِهَةِ  
الْأُخْرَى هَارِبُ، مُزِيَةَ اللَّيْلِ جَاتَهُ النِّيْشَارُ شَوَارَ دَارِ بِنْتِهِ زَيْنَبَ، هَا وَصَلَ مَيْتَ بِالْخُوفِ وَيَطْبَطِبُ  
وَيَرْجَفُ. وَهِيَ حَلَّتْ بِنْتَهُ الْبَابَ، وَدَهَشَتْ كِي شَافَتْهُ فِي ذَلِكَ الْحَالَةِ يَرْتَجِفُ وَيُودِدُ، مَا عَرَفَ  
يُقُولُ كُلُّ شَيْءٍ بِالْمَقْلُوبِ " أَ كَعَالَةَ بِنْتِي! مَا احْتَاها! وَ مَا اغْظَهَا وَ مَا اطْوَلَهَا! وَالظَّلْمَاءُ وَالْكَأْبُ  
أَعْمَى مَا عَرَفْتَهَا وَاشْ! تَعَدْنِي عَرَقُ! أَ كَعَالَةَ بِنْتِي! وَاي، وَاي! فَرَسِي الْخَبْرُ نَعَطِيكَ الْحَصِيرَةَ، وَمَا  
اطْوَلَهُ بَزِينَبَ أَ كَعَالَةَ بِنْتِي! وَأَنَا قَاعِدٌ عَلَى عِبَائِي وَنَرَقُ فِي الْحَجْرَةِ ... هَا... مَطْمَرْتُ فِي  
الطِيحَةِ وَزَيْنَبُ انْتَاغَ مَدْلِيَةَ هَاكَ..... وَ.....، حَسْبَتْهَا عَرَقُ... الخ. أَ كَعَالَةَ بِنْتِي!.

## 7\_ " الْقَطِيطُ وَ الْفُوَيْرُ "

مَا حَرَفْنُكُمْ وَمَا حَرَفْنُكُمْ غَيْرَ عَلَى وَاحِدِ الْقَطِيطِ مَعَ وَاحِدِ الْفُوَيْرِ .

يَوْمَ مِنَ الْإِيَّامِ وَاحِدِ الْفُوَيْرِ قَالَ لِأَمَةِ: " أَنَا رَانِي كَبْرْتُ، خَلِينِي نَخْرُجُ نَلْعَبُ وَخَدِي بَرَكَانِي مَا  
مَسْجُونٌ دَائِمًا فِي الْعَارِ " يَعْنِي لَمَّا كَانَ صَغِيرًا، كَانَتْ أُمُّهُ خَائِفَةً عَلَيْهِ وَحَارَجَتْهُ. خَائِفَةً عَلَيْهِ مِنْ  
الْمُصَايِبِ، وَلَا سِيَّامًا مِنَ الْقَطِيطِ غَيْرِ يُشَوِّفُهُ يُطِيرُ عَلَيْهِ يَأْكُلُهُ لَا كِنَ مَا شَافَتْ وَوَلِيدَهَا كَبُرَ شَوْيَ  
وَبَعَى يَخْرُجُ يَصْنَطَادُ عَلَى رَاسِهِ، قَالَتْ لَهُ: " بِالنِّيَّةِ، لَا كِنَ مَا تَبْطَاشُ، وَحَرَزُ رُوحَكَ مِنَ الْقَطِيطِ، مَا  
عَنْدَنَا عَدُوٌّ كَيْفَهُ ... " الْفُوَيْرُ خَرَجَ فَرَحَانٌ وَتَائِيَهُ؛ صَارَ لَكَ رَاجِلٌ وَيَخْرُجُ وَحَدَهُ. يُنْقَرُ هُنَا وَهُنَاكَ.  
مَرَّةً يَجْرِي مَرَّةً يَحْبَسُ، وَيَرْقُدُ رَاسَهُ وَيُشَوِّفُ يَمِينُ وَيَسَارُ، وَيَزِيدُ يَدَيْ طُولَ وَيَرْجَعُ يَدَيْ وَرَاحِي  
لِلْحَدِّ. هَا بِالنِّيَّةِ هُوَ هَكَذَاكَ بِالْفَرَحَةِ حَتَّى لَقِيَ وَاحِدَ الْقَطِيطِ صَغِيرًا صَغِيرًا، حَتَّى هُوَ ذَلِكَ نَهَارَهُ  
الْأَوَّلُ اللَّيْلِ يَخْرُجُ فِيهِ. هُوَ شَافَ الْفُوَيْرَ وَهُوَ قَالَ:

" يَا رَبِّي! مَا أَرِيئَهُ! " وَجَرَى لِيهِ قَالَ لَهُ الْفُوَيْرُ: " أَيَا نَلْعَبُوا " قَالَ لَهُ الْقَطِيطُ: مَا دَابِي! وَ  
صَارُوا مَثَلًا عَبِينًا. هَذَا يَجْرِي وَرَاءَ الْآخَرِ.

مَرَّةً يَتَعَاْفَرُوا؛ مَرَّةً هَذَا يَعْضُ الْآخَرَ مِنْ وَدْنَهُ وَلَا مِنْ كَعَالَتِهِ، وَعَاجِبُهُمُ الْحَالُ حَتَّى نَسَاؤًا كُلُّ شَيْءٍ  
... حَتَّى لِلْمَعْرَبِ لَمَّا قَرَّبَ يُطِيحُ اللَّيْلُ الْفُوَيْرَ قَالَ لِلْقَطِيطِ: " الْآنَ بَرَكَاتُ نَخَافُ أَمَا تَرَقِي

عَلَيَّ، بَقِيَ عَلَى خَيْرٍ: " يَا خُسَارَةَ! بَقِيَ عَلَى خَيْرٍ! لَأَكُنَّ غَدْوَةَ الصَّبَاحِ ثَانِي نَتَلَقَاؤُ كَيْمَا لِيَوْمَ".

وَرَاحُ كُلِّ وَاحِدٍ لَدَارِهِمْ. الْفَارَةَ لَمَّا شَافَتْ وَوَلِيدَهَا. طَارَتْ بِالْفَرَحَةِ: " وَيْنُ كُنْتُ خُوِي؟ وَ أَنَا خَائِفَةٌ  
عَلَيْكَ، طَوَالَ النِّهَارِ مَا ظَهَرْتَشْ؟ " قَالَ لَهَا الْفُوَيْرُ: " لَوْ كَانَ نَحْكِي لَكَ! لَقَيْتُ وَاحِدَ الرِّفِيقِ، طَوَلَ  
النِّهَارَ وَاحِنًا نَلْعَبُوا لَوْ كَانَ تُشَوِّفِي يَا أَمَا، كِظْرِيْفُ وَكِرِينُ وَاشْحَالُ يَدْخُلُ فِي الْقَلْبِ! إِمَالِي كِنَخْرُجُ  
مَنَا وَرَاحِي، مَا نُكُوشِي وَخَدِي عِنْدِي مَعَ مَنْ نَلْعَبُ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى اللَّيْلِ.....".

قَالَتْ لَهُ أُمَةٌ: "مَلِيحٌ، أَوْصِفْ لِي صَاحِبَكَ هَذَا ؛ كَيْعَامَلْ؟" قَالَ لَهَا " وَبَاكَ شَوِي كَبِيرٌ عَلَيَّ، لَا كُنْ مَا شِي بَزَافٌ... وَ زُويسَه كَبِيرٌ، وَ شَعْرَه اِرْطَبُ كِي الحَرِيرِ وَاصْفَرٌ، وَكَعَالْتَه طَوِيلَه وَغَلِيظَه، وَمَا يَرْقِيشْ كَيْفْنَا، يَعْملُ: مَيَاوُ مَيَاوُ، وَالآ: مَعُوَا مَعُوَا .... الفَارَة غَيْرِ رَبِّي تَغَاشَاتْ ...مَ زَقَاتْ مَن شَقَافْ رَاسَهَا: " يَا حَافِظُ، يَا حَافِظُ!...".

وَيَا يَا كَلُونَا .....! وَصَارَتْ تَرْتَعُدُ ...." يَا حَبِيبِي هَذَاكَ قَطُ. رَبِّي سَلَكْتُ مَنَه الْيَوْمَ، ظَنَيْتَه مَا زَالَ صَغِيرٌ مَا يَعْرِفُشْ، أَحْرُزُ رُوحَكَ، عَمْرَكَ مَا تَقْرَبَه ...." الْفُوَيْرِ دَارُ لُبَابَاهُ، شَافَه يَضْحَكَ، يَضْحَكَ، وَقَالَ لَهُ: إِيَه يَاوَلْدِي، مَا عَنَدْنَا عَدُو كَيْفَ الْقَطُ، اسْمَعْ كَلَامَ يِمَاكَ، بَقَى هُنَا مَحْزُونٌ خَيْرَ لَكَ "....

بِالنَّبِيَّةِ: تَرُوحُوا لِلْقَطِيطِ لَمَّا ارْجَعْ لِدَارِهِمْ، حَتَّى هُوَ صَابَ أُمَةٌ خَائِفَةٌ عَلَيْهِ، وَسَالَهُ عِلَاشُ بَطَا ذِيكَ الْبَطِيَّةِ كَامَلَةٌ، وَيَقُولُ لَهَا قَطِيطْنَا: " يَا امِيمْتِي، لَوْ كَانَتْ تُشُوفِي لَقَيْتِ وَاحِدَ الزَّفِيْقِ، مَا ارْزَيْتَه مَا اصْغَرَه، مَا اظْرَفَه! اشْحَالْ لَعْبْنَا وَاشْحَالْ نَسَابَفْنَا وَاشْحَالْ تَعَارَفْنَا، يُعْضَنِي يُطِيخَنِي وَنُطِيحَه، الْحَاصِلُ طَوَالَ النِّهَارِ مَتَلَاعِبِينَ! مَزِيَه! رَانِي صَبْتُ زَفِيْقٌ، لَمَّا نَخْرَجْ مَا نَبْقَاشْ وَحْدِي ....

قَالَتْ لَهُ يَمَاهُ: " كَعَامَلْ هَذَا الزَّفِيْقِ الزَيْنِ؟" قَالَ لَهَا: "وَيَا غَيْرِ صَغِيرِ، اصْغَرْ مَنِي! وَكَعَالْتَه زَقِيْقَه زَقِيْقَه وَشَوِي مَخْرَصَه، وَ زُويسَه مَا شِي مَكُورِ كِي رَاسِي، لَأَكُنْ عَلَيْهِ وَحْدُ الْخَرْطُومِ زَقِيْقٌ وَوَذِيَاثُ صَعَارٌ وَمَنْقُوزِينَ، وَمَا يَرْقِيشْ كَيْمًا أَحْنَا مَيَاوُ مَيَاوُ لَأَكُنْ غَيْرِ بِالظَّرَافَه: " بَسْ بَسْ ... " يَا وَاحِدُ الْحَمَارِ، قَالَتْ لَهُ يَمَاهُ، وَ مَا كَلِيْتَهْشُ! هَذَاكَ فَارٌ وَخَلَاصٌ، الْفُطُوطُ دِيمَا يَأْكُلُوا الْفَيْرَانَ! خَلِيْتَهْ مَشَى وَرَاكَ فَرَحَانَ بَرُوحَكَ! .... الْقَطِيطُ ". يَا مَسْكِينُ! عِلَاشُ نَأْكَلَه؟ وَمَعْ مَن نَلْعَبُ؟ وَهَاهُوَ سَمِعَ بَابَاهُ يَضْحَكَ وَ يَقُولُ لَهُ: اسْمَعْ رَايَ يِمَاكَ أَوْلِيْدِي؛ أَلِي مَا يَسْمَعُشْ رَايَ كَبِيرَه الْهَمَّ نَدْبِيرَه؛ الْفُطُوطُ يَأْكُلُوا الْفَيْرَانَ مَن أَوَّلِ الزَّمَانِ؛ غَدُوَةٌ تُشُوقُكَ إِذَا عِنْدَ رُوحِكَ وَلَا لَأ. غَيْرِ يَقْرَبُ مَنَكَ طِيرٌ عَلَيْهِ وَظَهَرَ رُوحَكَ بَلِي قَطُ انْتَاعُ الصَّحِّ..."

بِالنَّبِيَّةِ لَمَّا اصْبَحَ الصَّبَاحُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ يَزِيحُ خُرْجَ الْقَطِيطِ يَبْحَثُ عَنِ الْفُوَيْرِ. لَا كُنْ مَا صَابَه لَأ فِي حَوْشِ، وَ لَأ فِي طَرِيْقٍ؛ شَافَ هُنَا شَافَ هُنَاكَ، مَا كُنْ فُوَيْرٌ ..... هُوَ دَنَقُ مَلِيحٌ وَحَقَقُ وَرَاءَ وَحْدُ الْغُوَيْرِ صَغِيرِ، وَهُوَ عَقْلٌ غَيْرِ غُوبِيَاثَه يَلْمَعُوا .... قَالَ لَهُ: " صَبَاحُ الْخَيْرِ! هِيَا نَلْعَبُوا كِي الْبَارِحِ! .... لَأ كُنْ الْفُوَيْرِ قَالَ لَهُ: "بَدَا أَلِي قَالُوهَا لَكَ بَابَاكَ وَيِمَاكَ، حَتَّى أَنَا قَالُوهَا لِي بَابَا وَيِمَا" .... هِيَا مَشَاتُ حَرِيْقٌ حَرِيْقٌ؛ وَ أَنَا جِيْتُ مَعَ الطَّرِيْقِ.

## 8\_ " راجل بلا مخ "

جَحَا...وَالَا بِن سَكَرَان، وَالَا نَصْرَ الدِينِ حُوجَة، وَ الْا مَن عَرَفْنَا كَيْسَمُوهُ الْاَخْرِين، لَقَى وَحَدُ النَّهَارِ صَحَابَه مَاشِيِن الطَّرَاد: الرَّمَحُ الدَّرَقَة، الْفُوسُ وَالنَّشَابُ فِي الْجَبِيْرَة...آيَة قَالَ لُهُم، الْخَيْرُ؟ - قَالُوا لَهُ : مَا شَيْنُ حَرْبٍ وَقِتَالٌ - قَالَ لُهُم: وَ اللهُ حَتَى عَمْرِي وَ لَا شَفْتُ كَيْفَلْشُ يُكُونُ الْحَرْبُ وَالْقِتَالُ، حَقِي وَبَاطِلِي نُحِي مَعَاكُمْ. قَالُوا لَهُ: بِسْمِ اللهِ مَرْحَبَا...النَّشَابُ الْاَوَّلُ جَاءَ فِي جَبِيْنَه ....! جَابُوا لَهُ الطَّيْبُ .... شَافَ فِيْه مَلِيْحٌ وَقَالَ لُهُم: " اُو! دَخَلَ لَهُ بَرَافٌ فِي الْعِظْمِ... اِذَا لَحِقَ الْمُخُ.... لَا شَكَا يَمُوْت....

جَحَا بَاسَ الطَّيْبِ وَقَالَ لَهُ، غَيْرَ اَجْبَدَه مَا لَحِقَ مُخُ.... وَيَضْحَكُ الطَّيْبِ وَيَقُوْلُ لَهُ : اِنَّتَ غَيْرَ اسْكُتْ، وَبِنِ اعْرِفْتَه مَا لَحَقْشُ لِلْمُخُ؟ - اللهُ اللهُ قَالَ لَهُ جَحَا، لُو كَانَ عِنْدِي الْمُخُ نَحِي مَعَاهُمْ وَنَدَخَلَ رُوحي فِي الْكُلُوفِ اَلِي بَعَادَ عَلِي؟.

## 9\_ " مزاح جحا الجزائري "

حُو "تَيْلٌ أَوْ بِنَشْفِيلٌ" الْبِلْجِيكِي

مَنْ فُوَهَ الْاَلِي اشْتَهَرَ جَحَا (وَلَا "تَيْلٌ" ...) فِيْهَا يُخْصُ الْحِيَلَاتُ وَالْمَزَاحُ وَالْمُضْحِكَاتُ، عَزَّ وَاحِدُ الْاِنْسَانِ، اَحْسَبُ عَلَى رُوْحَه حِيْلِي وَشَاطِرٌ، حَدَّ مَا يَقْدُ عَلَيْهِ وَقَالَ لُهُم: هَذَا جَحَا اِنْتَاغُكُمْ (وَلَا "تَيْلٌ"...) نَمْشِي لَهُ حَتَى لِلْبِلَادَه وَنَحْوَسُ عَلَيْهِ وَنَعْلَبَه وَيُنْحَرِي وَتَشُوْفُوَهَا.

بِالْنِيَة نَعْتُوا لَهُ الطَّرِيْقُ وَرَاحُ. هُوَ قَرَبٌ لِلْقَرِيْبَةِ الْاَلِي سَاكَنٌ فِيْهَا حَيْنَا وَيَشُوْفُ رَاجِلٌ وَاقَفَ، ظَهَرَهَ لِلْحَيْطُ....سَالَه: " الرَّبِي اشْحَالُ بَاقِي لِي بَاشُ نَوْصَلُ لِلْمَدِيْنَةِ؟" الْاَحَرَ قَالَ لَهُ : " اَمْشِي اَمْشِي، زَيْدُ اَمْشِي هَاكُ ...." الْمَسَافِرُ اسْتَعْرَبَ وَقَالَ فِي نَفْسَه: "هَذَا بَهْلُوْلٌ رَانِي عَارَفُ بِالِي نَمْشِي .... بَعِيْنَه يَقُوْلِي شَحَالُ مَن كَيْلُو مِتْرُ، وَلَا شَحَالُ وَقْتٌ... " اَيَاوَهْرُ كِتَافَه وَزَادَ فِيْه. وَيَلْعَى صَاحِبِنَا عِنْدُ الْحَيْطُ: "نَصُ سَاعَه وَانْتِ وَصَلْتِ! - الْمَسَافِرُ: " يَا اَخِي سَاجِي! وَلِيَه مَا تَقُوْلُهَاشُ وَبِنِ عِنْدُ سَلْتِكُ؟"

- هَا قَالَ لَهُ: بَغِيْتِ نَشُوْفُ الْخَفَه اِنْتَاغُكَ قَبْلُ، وَاحِدُ ثَقِيْلٌ يَلْرَمَه سَاعَه، وَاحِدُ خَفِيْفٌ عَلَيْكَ يَلْرَمَه سَاعَه، وَانْتِ عَلَى هَذِي السِّيْرَةِ قُوْلُ نَصُ سَاعَه؛ كُلُّهَا عَلَى حَسَابِ سُرْعَتَه "... لَا كِنِ يَرَحَمُ وَالدِيكُ وَاشُ رَايْحُ تَشُوْفُ فِي ذِي الْبِلَادُ، مَا فِيْهَا حَتَى شَيْ يَعْجَبُ وَالا يَنْدُكُرُ؟

- الْمَسَافِرُ: نُحْبِرْكَ اَهْدُرُو لِي عَلَى وَحْدِ الشَّاطِرُ مَا كَانَ مَن يَقْدُ عَلَيْهِ، جَحَا يُسَمُوهُ (وَلَا تَيْلُ) وَحِيْتِ مَعُوْلُ نُدِيْرَهَا بِيَه اَنَا، عَلَى خَاطِرُ عَلَى خَاطِرُ كَسْرُوَا لِي رَاسِي بَغْرَايْبُ وَشَطَارَتَه!

- آية، قَالَ لَهُ الْآخَرُ أَلِي وَاقِفَ مَعَ الْحَيْطِ؛ لَوْ كَانَ مَا شِئِي مُحْتَمَةً عَلَيَا نَبَقِي شَلْدَ هَذَا الْحَيْطِ غَادِي يَرِيبُ، تَرَجَى فِي الْبُنَائِي يَجِي يَصْنَعُهُ وَيَمْتَنُّهُ، لَوْ كَانَ رُوْحَتْ نُشُوفَ لَكَ عَلَى صَاحِبِ دَعْوَتِكَ، وَنَجِيبِهِ لَكَ، عَلَى خَاطِرٍ مَا تَعَرَّفَ لَا بِلَادٍ وَلَا خَصِيمِكَ.

- الْمَسَافِرُ : أَلَا هَذِي؟ سَاهَلَةٌ، إِذَا تُدِيرُ فِي هَذَا الْجَمِيلِ .... نَبَقِي فِي مَوْضِعِكَ نُشَدَ لَكَ الْحَيْطُ حَتَّى تَرَجَعَ مَعَ خَيِّنَا ... "أَيَا وَيَجِي يُوقِفُ فِي مَوْضِعِ الْآخَرِ عَلَى ظَهْرِهِ لِلْحَيْطِ، وَالْآخَرُ يُرُوْحُ .... وَمَا يُوَالِيهِشُ! وَيُبَقِّي يَرِيبُ .... حَتَّى فَاتَ إِنْسَانٌ عَجَلَانُ دَاخِلُ الْبِلَادِ .... وَيُلْعَى لَهُ الْمَسْكِينُ: يُرْحُو وَالْيَكُ قُرْبُ نُسَالِكَ، عَلَى خَاطِرٍ مَا تَقْدَرُشُ عَالِي الْحَيْطِ الْخُوفَ عَلَيْهِ يُطِيحُ، وَحَدَّ السَيِّدِ مَسَى يُشُوفُ لِي جَحَا ( وَلَا تَيْلُ ) جِيثُ نَشَّاحُنْ مَعَاهُ وَنُعْلِيهِ فِي الْحِيَلَاتِ وَالْمَزَاحِ، لَأَكُنُ الرَّاجِلُ رَاحٌ وَمَا وَلَاشُ....."

أَيَا وَيَفْهَمُ الرَّاجِلُ النَّازِلَةَ وَيَطْرُقُ بِالضَّحْكَ وَيَقُولُ لَهُ: "حَقِي وَبَاطِلِي هَذَاكَ هُوَ جَحَا ( وَلَا تَيْلُ ) بَرُوحَهُ... هَذَا خُدَايْمَهُ غَيْرُ رَجَعُ لِبِلَادِكَ، رَاكَ مَغْلُوبٌ قَبْلُ مَا تَدْخُلُ لِلْمَدِينِ، رُوْحُ لُصُوءَالِكَ مَا نُشَقِّبِشُ رُوْحَكَ"...

وَهَذَا مَا دَامَنَ الْأَخْبَارُ وَاللِّي عِيَهُ شَيْءٌ دَنْبٌ يَكْتُرُ الْإِسْتُعْقَارُ.

## 10- "لُونَجَّةُ مَوْلَاتِ سَبْعِ اسْوَالِفِ"

مَا خَرَفْتُمْ وَمَا خَرَفْتُمْ.....غَيْرُ عَلَى وَحَدِّ الْبُنْتِ مَا كَانَ أَرِيْنُ مِنْهَا، سُبْحَانُ أَلِي خَلَقَهَا وَأَنْشَاهَا بِالرِّزْنِ، وَالْبَهَاءِ، وَالْحَاجِبِ وَالْعَيْنِ، وَالْحُرُوفِ وَالسَّالِفِ الطُّوبِيلِ، وَكَحَلُو غَارَرُ، بَحِيْثُ أَمَهَا بَعْدُ مَا تَمَشَّطَهُ لَهَا تَنْظُرُ مِنْهُ سَبْعُ اظْفَائِرِ، وَعَلَيْهَا بَاهُ سَمَاوَاهَا نَاسُ الْحُوْمَةِ لُونَجَّةُ مَوْلَاتِ سَبْعِ سْوَالِفِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ عَاجِبَاتُهُ وَيَقُولُ حُمُوسٌ عَلَيْهَا، اللهُ يَخْلِيهَا لَمِيْمَتِهَا وَلَاكُنْ مَعَ مَقَادِيرِ اللهُ، الْأَمِيْمَةِ هِيَ أَلَلِي طَاحَتْ مَرِيضَةٌ وَأَنْزَادٌ عَلَيْهَا الضَّرَّ وَلَقَاتُ اللهُ.

الرُّوْحُ وَاشْ يَدِيرُ؟ هَا حَزْنٌ وَتَأْسَفٌ شُهُورٌ... وَمَا كَانَ إِلَّا بُنَى حَيْمَتَهُ مَرَّةً أُخْرَى كَيْمَا يَقُولُوا يَعْنِي تَرْوُجُ... وَطَامَعٌ فِي الْمَخْلُوقَةِ أَلِي خُدَاهَا تَنْهَلِي لَهُ فِي الْبِنِيَّةِ وَتَعَامَلُهَا كَيْمَهَا، اللهُ اللهُ..أَهْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ بَرَّافٌ. وَأَمْرَاةُ الْبُو كَثِيرٌ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا الْخَيْرُ وَالْمَحَنَّةُ عَلَى وَوَلَادُ الْمَرْحُومَةِ...بِالصَّخِ، عَلَى مَرَادُ اللهُ دِيكَ الْمَخْلُوقَةَ مَا حَنْ شَيْءٌ قَلْبُهَا عَلَى الْيَتِيْمَةِ، وَصَارَتْ غَايِرَةً مِنْهَا عَلَى زِينِهَا وَالنَّاسُ كَامِلٌ يُحِبُّوْهَا، وَبَدَاتُ تَكْرَهَهَا كَيْمَا دَمَ الضَّرْسُ .... وَتَشُوفُ غَيْرَ كَيْفَاهُ تَنْحَلِي عَلَيْهَا وَتَطْرُدُهَا مَنْ دَارَ بِأَبَاهَا ....هَا حَمَمْتُ وَنَقَبَصْتُ؛ حَتَّى وَرَأَلَهَا الشَّيْطَانُ الْمَلْعُونُ الطَّرِيْقُ. دَارَتْ وَحَدَّ الْكُوْرَةِ ائْتَاغُ الصُّوفِ غَزَلْتُ مِنْهَا حَيْطٌ فِي ثَلَاثَةِ أَوْ رَبْعَةِ مَعَازِلُ، وَكُوْرَتْ ذَلِكَ الْحَيْطُ دَارَتْ مِنْهُ كُوْرَةٌ فِيهَا مَحَنَةٌ.

و قَالَتْ لِلْبُنْتِ الصَّغِيرَةِ مَسْكِينَةَ وِنِيَّةَ مَا تَعْرِفُ كُوعَةَ مِنْ بُوَعِهِ؛ وَ قَالَتْ لَهَا: يَا لَوْنَجَةَ بِنْتِي أَنَا  
 نَسُدُّو بَرْنُوسَ لُبُوكَ، كِنَكْمَلُوهُ وَيَلْبَسَهُ يَفْرَحُ بِيكَ. نَقُولُهُ لَوْنَجَةَ عَاوَنْتِي هَا رَأْسَ الْخَيْطِ نُحْرَمَهُ مَعَ  
 هَذَا الْمَلْرَمَ مَرْشُوقَ فِي الْأَرْضِ، وَنْتِي شَدِي هَذِهِ الْكُورَةَ وَرُوجِي تَمَشِي وَسَمْسِرِي الْخَيْطِ وَدُورِي  
 الْكُورَةَ، وَ تَمَشِي وَرَاحَةَ وَتَخْلِي فِي الْخَيْطِ .... وَتَمَشِي بِالْنِيَّةِ عِنْدَ وِينِ تَكْمَلُ الْكُورَةَ هَذِي، هَذَاكَ  
 هُوَ بَرْنُوسَ بَابَاكَ يَكُونُ وَجَدٌ ....

بَالْنِيَّةِ مَشَاتِ الطَّفَلَةَ تَمَشِي، وَ تَدُورُ فِي الْكُورَةَ، وَتَسْمَسِرُ فِي الْخَيْطِ، وَ رَاحَةَ عَلَى نِيَّتِهَا  
 ... وَالْكُورَةَ مَا كَانَ مَا أَحْتَى مِنْهَا، هَا ... قَطَعْتَ الْمَسْكِينَةَ الْغَابَةَ، وَخَرَجْتَ مِنْهَا، وَزَادَتْ تَمَشِي  
 وَتَقُولُ فِي نَفْسِهَا، بُوِيَا يَفْرَحُ بِيَا كِيَكْمَلُ بَرْنُوسَهُ، حَتَّى جَاتِ الْمَغْرَبَ .... وَ بَدَا يظْلَامُ الْحَالُ ....  
 وَتَصِيبُ الْبُنْتِ رُوحَهَا وِينِ كَانَتْ ... هَا بَدَاتُ تَبْكِي ... وَحَسِبَتْ؛ وَذِيكَ الْكُورَةَ اللهُ يَعَافِي مَا زَالَ  
 مَا كَمَلَتْ ... وَلَوْنَجَةَ مَسْكِينَةَ خَائِفَةً مَا تَشُوفُ هَاكَ، وَتَشُوفُ هَاكَ، .... يَا رَبِّي وِينِ  
 رَانِي؟".... حَتَّى سَمِعَتْ امْرَأَةَ تَعْنِي وَتَطْحَنُ فِي الْقَمْحِ التَّرْجِي الْحَسَّ أَنْتَاعَهَا يُطْرَشُ؛ وَالْمَرَاةُ تَعْنِي.

هَا بِالْنِيَّةِ اسْتَأْنَسَتْ! اسْتَأْنَسَتْ، وَبَطَلَتْ الْبُكَى وَ تَبَعَتْ ذَلِكَ الْغَنَاءَ. حَتَّى تُوَسَّفَ وَحَدَّ الْمَرَاةُ  
 مُبِينَةَ كِي الْجَبَلِ، أَلَا، نَقُولُ بِالْمَثِيلِ قَدْ الْفِيلِ! مَشْرَعَةَ كَرَعِيهَا عَلَى الرَّحَى، وَمَنْينِ بَرَازِيلِهَا كُلُّ  
 وَحْدَةَ كِي الْمَخْدَةَ وَالْأَقُولُ مُطْرَحٌ وَمَا تَخَافُشَ بَاشَ مَا يَغْبِنُوهَاشَ فِي الطَّحِينِ، الْحَاصِلُ غُولَةَ  
 وَالسَّلَامَ.

لَوْنَجَةَ رَبِّي لَهْمَهَا، ذُوكَ الْبَرَازِيلِ فِي ظَهْرِ الْغُولَةَ، وَالْغُولَةَ مَشْغُولَةَ تَطْحَنُ وَتَعْنِي مَا فَاقَتْشَ  
 بِالطَّفَلَةَ كِي نَقَاسَتْ عَلَى وَحَدَّ الْبَرَازِيلِ وَ بَدَاتُ تَرَضَعُ، وَ تَرَضَعُ، وَتَرَضَعُ! هَا الْغُولَةَ فَهَمَّتْ  
 النَّازِلَةَ، تَلْفَنَتْ، وَ تَقُولُ لِلْبُنْتِ: "إِبْرَنُ! دَرْتِيهَا بِيَا قَبْلَ مَا نُدِيرُهَا بِيَاكَ، دُورَكَ رَضَعْتِي حَلِيبَ عَيْسَى  
 وَمُوسَى وَصَرْتُ أَحْنَهُمْ، مَا نَقَدَشُ نَاكَكَ بِالصَّحِّ شُوفِي، رَاهُمُ يَلْعَبُوا بَرَا دُرُوكَ يَجُؤَا وَيَشْمُوا رِيحَتَكَ  
 وَيَبْعُغُوا يَأْكُلُوكَ، أَرْجِعِي أَحْزَنِي هُنَا تَحْتِ الْقَصْعَةَ حَتَّى نَحْلِفَهُمْ يَعْطُونِي الْعَاهِدَ مَا يَأْدُوكُشَ.

بَالْنِيَّةِ، دَسَتْهَا تَحْتِ الْقَصْعَةَ وَرَجَعَتْ لِلطَّحِينِ؛ لَا كَنَ الطَّفَلِ الصَّغِيرِ مُوَلَا عَامِينِ، بَاقِي فِي الدَّارِ  
 شَافَهَا. هُمَا جَاوُ عَيْسَى وَمُوسَى وَهُمَا بَدَاوُ يَشْمَشْمُوا وَيَقُولُوا: "رِيحَةَ الْقَصْرِي وَالْمَصْرِي وَالْعَرَبِي  
 فِي الدَّارِ، يَا عَدَارُ!" قَالَتْ لَهُمْ أُمَّهُمْ: "مَا كَانَ عَرَبِي يِ الدَّارِ، الرِيحَةَ رَاهِي فِي نِيُوقَكُمْ مَا تَعْرِفُ  
 مَنْينِ". وَالْعَوْلُ الصَّغِيرِ يَنْطِقُ وَيَقُولُ: "تَحْتِ الْقَصْعَةَ! تَحْتِ الْقَصْعَةَ! وَتَقُولُ لَهُ الْغُولَةَ: "اسْكُتْ  
 أَنْتِ! اللهُ يَعْطِيكَ ضَرْسَ: "إِيهَ يَا أَمَا، بَاغِيَةَ تَعَشِي!" وَيَسْتَفُوا عَلَيْهَا"... صَحَّةَ قَالَتْ لَهُمْ، مَنْينِ رَانَا  
 فِيهَا؛ نَجِيكُمْ فِي الْحَقِّ رَاهِي بِنْبَةَ هُنَا، وَسَبَقْتِي بَلَا مَا نَشُوفَهَا رَضَعْتَ بَرُولْتِي مَنْ وَرَايَ فِي  
 ظَهْرِي؛ صَارَتْ أَحْنَكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ، أَحْلَفُوا لِي وَأَعْطُونِي الْعَاهِدَ صَحَّةَ وُلِيدَاتِي مَا تَمْسُوهَا مَا  
 تَأْدُوهَا..." أَيَا نَعْلُو بَلِيْسَ، وَأَعْطَاوُ لَأْمَهُمُ الْعَاهِدَ بَلِي مَا يَنْعَادَاوُشَ عَلَيْهَا وَتَوَلِي أَحْنَهُمْ هَا تَهْنَاتُ

الغولة وَرَفَدَتْ ذِيكَ الْقَصْعَةَ مَا احْتَاهَا قَصْعَةَ الْغُوَالِ، وَلُوْنَجَةَ خَرَجَتْ مَنْ تَحْتَهَا وَنَاضَتْ وَقَرَّبُوا لَهَا عَيْسَى وَمُوسَى وَبَاسُوهَا، كَالِي عَظُوهَا شَوِيَّ بِالْحَرَارَةِ اللَّيِّ مَآكَلُوْهَاشَ. وَمَنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ بَقَاتُ مَعَاهُمْ. مَا خَاصَهَا خَيْرٌ تَأْكُلُ غَيْرَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الْآزْرَاقِ وَ كَمَا نَقُولُوا أَحْنَا، تَشْرَبُ مِنَ الْخَاصَةِ وَتَرَقُدُ فِي الْقَرْمَةِ كِي الطَّيْرِ الْمَهْنِي يَنْقَرُ هُنَا وَيَطِيرُ لِهَيْه، فَارْحَ وَيَعْنِي؛ تَلْعَبُ مَعَ عَيْسَى وَمُوسَى، وَ مَرَاتٌ تَخْرُجُ مَعَ الصَّغِيرِ فِي ذُرَاعِهَا تَلْعَبُ مَعَهُ كَبُرْتُ كَالِي بَنْتُ وَزِيرٌ وَلَا سُلْطَانَ، وَسَمَنْتُ وَزِيَانَتْ حَتَّى صَارَتْ مُوَلَاتٌ اِحْمَسُطَاعَشُ وَ لَا سَطَاعَشُ عَامٌ....

هِيَ هَكَذَاكَ حَتَّى خَرَجَتْ وَحَدَهَا تَحْوَسُ فِي الْخَلَاءِ بَرَا وَالْغُولَةَ أُمُّهَا غَائِبَةٌ وَحَتَّى وَاحِدًا مَا بَاقِي فِي الدَّارِ... هَا بَعْدًا، وَتَشُوفُ وَحَدَّ الْفَارِسِ جَائِي مُقَرَّبٌ لَهَا ... وَشَافَ فِيهَا مَلِيحٌ ... وَقَالَ لَهَا : السَّلَامُ وَعَلَيْكُمْ! أَنْتِ لُوْنَجَةُ؟ جَاوِبَاتُهُ بِالْآدَابِ: "وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، لَا كَنْ شَكُونُ اعْطَاكَ خَبْرِي؟

قَالَ لَهَا: "دَرَكُ نَحْكِيكَ كُلُّ شَيْءٍ بَاتَاءً وَالبَاءُ " ..وَايَا وَانزَلُ مِنَ الْعَوْدِ وَبَقِيَ شَادُ الرَّحْنِ وَيَخْبَرُ فِيهَا، سَمَعْتُ الْعَجَبَ!

قَالَ لَهَا: "يَابَنْتُ النَّاسِ، كُنْتُ أَنَا وَرَفِيقِي نُصَيِّدُوا، حَتَّى مَكَنْتُ حَجَلَةً، طَاحَتْ عَلَى التَّلْجِ...وَدَمَهَا سَاحَ شَوِيَّ عَلَى الرَّهْدَانِ هَاكَأكَ أَبْيَضَ اللَّهُ اللَّهُ ... هَا قُلْتُ أَنَا لَصْحَابِي: يَا أَلِي أَخَذُ طِفْلَةً خُدُودَهَا بُوْضِينَ كِي هَذَا التَّلْجِ وَحَمْرِينَ كِي هَذَا الدَّمِ، أَلَا قَوْلُ رَبِّي نَعَمْ عَلَيْهِ، يَعْنِي الْجَنَّةَ فَوْقَ الْأَرْضِ. وَهُوَ قَالَ كَائِنَةً، وَيُسَمُّوهَا لُوْنَجَةَ مَلَاةً سَبْعَ سَوَآلِفَ خَبْرَهَا خَبْرَهَا انْتَشَرَ وَمَعْرُوفَةٌ وَمَشْهُورَةٌ؛ لَا كَنْ مَرَبِيَّتُهَا الْغُولَةَ ...." قُلْتُ لَهَا أَنَا وَطَرِيقُهَا وَبِيْنُ؟" قَالَ لِي هَاكَ! وَنَعْتَلِي بَدَهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَنَا نَدْنِي عَلَى عُوْدِي نَحْوَسُ عَلَيْكَ، هَذِي يُومِيْنُ وَ لِيْلَيْتِيْنِ لَا مَآكَلَةَ لَا شَرَابَ وَغَيْرَ شَفْتِكَ قَلْبِي خَبَرْنِي... الْحَمْدُ اللَّهُ عَلَى نَهَارِ الْيَوْمِ، أَلِي رَبِّي وَقَالِي الْمُرَادُ وَلَقَانِي بِيكَ...."

هَا لُوْنَجَةُ شَافَتْ فِيهِ ...وَوَظَهَرَ لَهَا مَا كَانَ مَا أَرِيْنُ مِنْهُ، وَزَادَ دَخَلَ فِي قَلْبِهَا الْكَلَامَ الْخُلُوَ اللَّيِّ سَمَعَاتُهُ .... هَا الرَّاجِلُ عَجَبَهَا ... لَا كَنْ تُكَآكَتُ فِي الْحِينِ وَقَالَتْ لَهُ .... رَدَّ بِالْكَ؛ دَرُوكُ نَجِي أَمَا الْغُولَةَ وَتَأْكُلُكَ؛ رُوحٌ بَعِيدٌ بَعُوْدَكَ أَرِنُطَةَ فِي الْغَابَةِ، وَرَجَعَ فِي الْحِينِ .... بَاشَ نَخْرَنُكَ مَشَى يَجْرِي رِبْطٌ عُوْدَهُ بَعِيدٌ فِي الْغَابَةِ وَرَجَعَ طَآيِرٌ بِالْفَرَحَةِ.. لُوْنَجَةَ رَفَدَتْ الْقَصْعَةَ مَقْفِيَةً وَخَزَنَاتَهُ تَحْتَهَا وَقَعَدَتْ فَوْقَهَا بَعْدًا عَلَى خَاطِرٍ شَافَتْ الْغُولَةَ خَارِجَةً مِنَ الْغَابَةِ وَتَجْرِي شَوَارَهَا.....: "أَم! رِيحَةُ الْقَصْرِ وَالْمَصْرِي وَالْعَرَبِي فِي الدَّارِ، يَا الْغَدَارُ؟ قَالَتْ لَهَا لُوْنَجَةُ: " وَاحِدُ السَّائِلِ مَسْكِينٍ فَآيْتُ مَنَا، أَعْطَيْتُ لَهُ شَوِيَّ خُبْرٌ، فَعَدَّ بَعْدًا هُنَا عَلَى الْقَصْعَةِ وَكَلَا فِي عَرْضِهِ وَ رَاحَ. ظَنَيْتُ هَذِيكَ رِيحَتَهُ رَاكِي شَمِيَّتِيهَا.

-أم...! قَالَتْ لَهَا الْعُولَةُ. اَنْتِ بِنْتِي وَمَا تَكْذِبُكِشْ، لَا كَنْ وَاللَّهِ، شُو كَيْفَاشْ هَذِي الرِّيحَةَ .. أَيَا وَمَشَاتِ الْعُولَةُ تَرْقُدُ سُوِيَعَةَ وَمَنْ بَعْدُ تَبْدَا تَشْخَرُ، وَيَبْدُوا كَامَلُ الْهُوَايشِ إِلَي كَلَاتَهُمْ عَلَي طَرِيفِهَا فِي الْغَابَةِ، يَنْزَاقَاوَا، كُلُّ وَاحِدٌ بِصَوْتِهِ، وَكُلُّ طَيْرٍ يَلْعَى بَلْعَاهُ.

وَتَنُوضُ لَوْنَجَةَ، تَرْقُدُ الْقَصْعَةَ، وَتَقُولُ لَحِينًا. " أَيَا بِنَا نَجْرُوا حَتَّى لِلْعُودِ وَنَهْرُبُوا. لَأَكَنَّ رُوجِي أَنْتِي سَبْقِيْنِي وَدَرُوكُ نَلْحَقُكَ .. هُوَ مَشَى يَجْرِي وَهِيَ رَبَطَتْ الْحَنَى لِلْمُوَاعِينِ كَامَلِينَ بَاشَ مَا يَخْبَرُوشُ وَجَرَاتُ غَيْرُ فِي الْعَقْلِ، نُسَاتُ الْمَهْرَازُ وَالْكَلْبُ مَا رَبَطَتْ لَهْمَشُ ... وَلَحَقَتْ بِالْفَارَسِ، سَأَلَهَا بِيَدِهِ، جَاتُ وِرَاهُ وَ شَدَّتْ فِيهِ مَلِيحٌ وَزِيرَتْ بَاشَ مَا تُطِيحُشْ ..لُغُولَةَ رَافِدَةَ، مَا دَارِيَةَ بَحْتِي شَيْ، وَالْمُوَاعِينِ كَامَلِينَ مَرْبُوطَةَ الْحَنَى عَلَي فَمَهُمْ بِأَفِيْنِ سَاكْتِيْنِ.

الْكَلْبُ وَالْمَهْرَازُ، سَاعَةَ سَاعَةَ وَيَقُولُوا، دِي دِي لَوْنَجَةَ رَاحَتْ، هُوَ هُوَ لَوْنَجَةَ رَاحَتْ..الْعُولَةُ مَصْرُوعَةَ، غَيْرُ حِينُ وَلَا تَسْمَعُو، لَأَكَنَّ كَثُرُوا عَلَيْهَا: دِي دِي لَوْنَجَةَ رَاحَتْ، هُوَ هُوَ لَوْنَجَةَ رَاحَتْ .....

أَحْرَ الْحَالِ نَاضَتْ وَبَدَاتُ تَدُورُ فِي الدَارِ كِي الْمَكْلُوبَةَ، لَوْنَجَةَ لَوْنَجَةَ! وَيَنْ رَاكِي؟ .. مَا كَانَ لَوْنَجَةَ ... أَيَا تَرْحَلُ الْعُولَةُ وَرَاهُمْ، عَلَي خَاطَرِ شَمَتْ رِيحَتَهُمْ مَنَ الْأَبْعَادُ، وَ تَجْرِي بِلَا عَقْلٍ....لَوْنَجَةَ بِنْتِي! غَدَرْتِيْنِي! وَتَجْرِي وَتَجْرِي، سَوَى الْهُوَايشِ بَرَأَفِ فِي كَرَشِهَا مَنَقَلِيْنَهَا .....

حَتَّى عَلَي كُلِّ حَالٍ لَحَقَتْ بِيَهُمْ ...بَعْدًا وَهُمَا قَطَعُوا الْوَادَ أَيَا، وَالْعُولَةُ تَضْرِبُ الْيَدَ فِي اخْتِهَا وَتَقُولُ: "بِمَ! دَارُوهَا بِيَا قَبْلَ مَا نُدِيرُهَا بِيَهُمْ" لَا كَنَّ قَلْبِهَا مَا خَلَهَاشْ، وَبَغَاتُ تُوَصِيَهُمْ عَلَي خَاطَرِ وَإِنْ كَانَ، لَوْنَجَةَ مَحْسُوبٌ بِنْتِهَا خَافَتْ عَلَيْهَا وَعَلَي رَفِيْقِهَا .....

وَتَبْدَى تَلْعَى وَتَرْقِي لَهُمْ: " لَوْنَجَةَ بِنْتِي ! غَدَرْتِيْنِي، لَا كَنَّ قَلْبِي مَا يُفُوتُكُشْ ... نُوَصِيْكُمْ وَاشْ مَا لَقِيْتُوا وَلَا شَفْتُوا فِي الطَّرِيقِ، مَا تَدْخُلُوشُ رُوحَكُمْ فِي الشَّيْ إِلَي مَا يَهْمَكُمُشْ .....

وَإِيَاكُمْ الْفُضُولِي إِلَي يَدْخُلُ رُوحَهُ الشَّيْ إِلَي بَعِيدٌ عَلَيْهِ مَا كَانَ إِلَّا يَنْدَمُ ...! وَ يَأْكُمُ...! " لَأَكَنَّ، هُمَا كَامَلٌ مَا سَالُوشُ عَلَيْهَا .....

وَقَالُوا فِي هُوَايْتِهَا: " قُولِي إِلَي بَغِيْتِي، أَحْنَا دَرُوكُ سَلَكْنَا مَنَّا ..ديري مصايتك في روحك ... وَزِدُوا يَدْنُوا الْعُودُ .... الْفَارَسُ فِي غَيْرِ الْعَقْلِ، وَ بِنْتًا يُوصَلُ لُدَارَ بَابِهِ ... حَتَّى يُشُوفُوا رُوجَ عَقْبَانِ مَنَقَاتِلِينَ ...وَالدَمُ يَلْقَى الدَمَ .....

لَأَكَنَّ وَاحِدٌ فِيهِمْ كَبِيرٌ عَلَي الْآخَرِ ...وَمَغْلَبٌ عَلَيْهِ ... وَرَاجِحٌ بَعْدَمَا يَكْمَلُ عَلَيْهِ يَقْتَلُهُ ... وَالرَّاجِلُ آدَاهُ النِّيفُ، وَشَفَهُ الْعَقَابُ الصَّغِيرُ حَاقِرَهُ الْكَبِيرُ، قَالَ: " عَيْبُ هَذَا الشَّيْ، الْحَفْرَةُ مَا هَيْشُ حَقْ... " وَنَزَلَ يَنْصِرُ فِي الْعَقَابِ الصَّغِيرِ وَيَطْرُدُ الْعَقَابَ الْكَبِيرَ، خَلَى الصَّغِيرُ، وَلَهَى بِالرَّاجِلِ رَفْدَهُ كِي الْفُطَيْطُ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَطَارَ بِيَهُ.

خَلَعَةَ وَمَا احْتَاها... وَلَوْنَجَةَ مَسْكِينَةَ مَخْلُوعَةَ أَكْثَرَ مَنَّهُ، حَتَّى قَالَ لَهَا، وَالْعَقَابُ طَايَرُ بِيَهُ: " لَوْنَجَةَ أَحْتِي، خَلِي الْعُودَ يَدِيْكَ، عَلَي خَاطَرِ يَعْرِفُ الدَارَ، خَلِي الزُّصْنَ عَلَي الْغَارِبِ ...وَيَعْلِي بِيَهُ الْعَقَابُ،

وَيُغِيبُ عَلَيَّ عَيْنَيْهَا .... هَا رَاحَتْ مَسْكِينَةً وَحَدَّهَا وَهِيَ تَبْكِي ... حَتَّى وَصَلَ بِيهَا الْعَوْدُ لِلدَّارِ، وَ تُشَوِّفُ رَاجِلَ شَايِبٍ عِنْدَ الْبَابِ، وَيَخَاطِبُهَا يَا مَخْلُوقَةَ اللَّهِ؛ هَذَا عَوْدٌ وَلَدِي! كَيْ قَصِيئَتِكَ رَاكِبَةً عَلَيْهِ وَحَدِّكَ؟ وَلَدِي وَبِن؟ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ! ... وَتُخَبِّرُهُ بِأَلِي كَانَ ... مَنْ الْأَوَّلُ حَتَّى لِلنَّالِي :

وَبَدَا السَّيِّدُ مَسْكِينٌ يَقُولُ: " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! هَذَا مَا قَدَّرَ رَبِّي! ... أَيَا بَنِيَّتِي، لَمَّا كَانَ وَلَدِي بَاغِي يَنْزُوجُ بِبَيْكَ، رَاكِي نُسَمَائِي بَنِي ... مَرْحَبًا بِبَيْكَ... بِالْأَكْ رَبِّي يُشَوِّفُ فِينَا وَيُسَلِّكُ وَلَدَنَا مَنْ هَذِي الْمُوصِيَّةَ اللَّيِّ نَسَلَطْتُ عَلَيْنَا..."

بَقَاتَ لَوْنَجَةَ عِنْدَهُمْ، أُمُّهُ تَبْكِي، وَوَهُهُ يَبْكِي؛ حَتَّى نَهَارَ مَنْ النَّهَارَاتِ مَشَى سَالَ الْمُدْبِرَ، وَخَبِرَهُ بِالنَّازِلَةِ كَيْمَا صَرَاتِ الْمُدْبِرَ حَمَمَ شَوِي وَقَالَ لَهُ ... " رَانِي عَرَفْتُ الْقِصَّةَ ... هَذُوكُ الْعُقْبَانُ؛ حَكَائِيَهُمْ طَوِيلَةَ وَسِرِّيهِ لَا كَنْ السَّرَّ لَا بُدَّ عَلَيَّ نَكْتَمُهُ بِالصَّحِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَسَلِّكَ وَلِيْدَكَ مَنْ مَخَالِبِ الْعَوْلِ وَالشُّعْبَانُ... أَذْبَحُ فَرْدًا! وَأَشُوْبِهِ، وَأَرْفُدُوهُ أَدَوَهُ حَطُوهُ عَلَيَّ رَاسِ الْجَبَلِ .... وَتُشَوِّفُ مَا تُشَوِّفُ... مَا نُرِيْدُشْ كَلِمَةً، رُوْحٌ، رَاهُ الْفَرَاخُ قَرِيْبٌ."

مَشَى الرَّاجِلُ عَمَلٌ كَيْمَا قَالَ الْمُدْبِرَ... هُمَا حَطُوا الْفَرْدَ مَشُوِي، حَتَّى نَزَلُوا الْعُقْبَانُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ كَالْجِرَادِ، وَ بَدَا يَنْبِقُوا وَيَأْكُلُوا... حَتَّى حُوْمٌ فِي السَّمَاءِ عَقَابٌ كَبِيْرٌ عَلَيَّ الْأَخْرِيْنَ، يُخَوِّفُ وَحَطَّ بَيْنَاتِهِمْ ...: " وَأَشْ هَذَا؟" ... قَالُوا لَهُ الْأَخْرِيْنَ، يَاسِيْدُ السُّلْطَانِ، شَفْنَا رَاجِلَ شَايِبٍ جَابَ هَذَا الْفَرْدَ مَشُوِي رَافِدِيْنَهُ الْخَدَامَ ... حَطُوهُ وَيَعْدُوا مَا حَصِيْنَاهُمْ وَبِنَ مَشَاوًا... "بَعْدَ وَالسُّلْطَانِ الْعُقْبَانُ يَأْكُلُ حَتِيْهُو شَوِي وَيَقُولُ لَهُمْ: " لَا شَكَا، هَذُوا نَاسُ الطُّفْلِ أَلِي نَخَلُ رُوْحَهُ فِي الشَّيِّ اللَّيِّ بَعَاذَ عَلَيْهِ... " بَعْدًا ... وَيُدْبِرُ الشَّايِبِ الرَّجَلَةَ.. وَيَقْرَبُ... وَيَنْدَمُ لِلْعُقَابِ... وَيَطْلُبُ مِنْهُ الشَّفَقَةَ وَالرَّحْمَةَ... وَيَعْلَبُهُ الْبَكِي ...

لَاكَنَّ الْعُقَابُ قَالَهُ غَيْرُ كُونٍ مَهْتِي، وَلَدَكَ مَا بُغِيئِش نَادِيَهُ، بُغِيئِش نَخْوَفَهُ بَرَكٌ وَنُضَعْرَهُ عَمْرَهُ مَا يَدْخُلُ فِي الْكَلُوفِ أَلِي بَعَاذَ عَلَيْهِ ... هَا هُوَ وَلَدَكَ أَدِيَهُ وَرُوْحُوا فِي الْأَمَانِ .... " وَيَرْفُدُ جَنَاحَهُ وَيَحَطُّ الطُّفْلُ غَيْرَ بِالسِّيَاسَةِ عَلَيَّ الْأَرْضِ وَيَطِيرُ هُوَ وَالْعُقْبَانُ الْأَخْرِيْنَ. الرَّاجِلُ طَارَ بِالْفَرَحَةِ! لَا كَنْ هُوَ شَافٍ فِي وَلَدِهِ وَ هُوَ صَابَهُ زَقِيْقٌ، مَا بَقِيَ فِيهِ غَيْرُ الْجَلْدِ عَلَيَّ الْعِظْمِ... أَيَا رَفْدُوهُ الْخَدَامَ، وَمَشَاوُ بِيْهِ لِلدَّارِ.... وَيَدَاوُ غَيْرَ بِالْأَتِي يَدَاوُوا فِيهِ، وَيَشْرَبُوا لَبَهُ وَرَاقِي الدَّجَاجِ وَاللَّحْمِ الطَّرِي... بِالسِّيَاسِ بِالسِّيَاسِ ... حَتَّى رَجَعَتْ لَهُ الْعَمْرُ ... وَ بَرَا وَرَجَعَتْ لَهُ صَحَّةُ الْأَبْدَانِ كَيْ الْعَوَائِدِ. وَتُرْوَجُ مَعَا لَوْنَجَةَ الزَّيْنَةَ مَوْلَاتِ سَبْعِ سَوَالْفِ... وَعَاشُوا فِي الْهَنَاءِ وَالرَّاحَةِ حَتَّى جَاهَمَ هَازِمُ اللَّذَاتِ مَفْرَقُ الْجَمَاعَاتِ؛ وَ هَذَا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالِي عَلَيْهِ شَيْءٌ ذَنْبٌ يَكْتُرُ الْإِسْتِعْقَارَ.

## 11\_ " اغلاش وذنين البغل طوال؟ "

كَانَ مَاكَانَ، فِي بُكْرِي الزَّمَانِ؛ وَ الْحَبَقُ وَالسَّيْسَانُ؛ فِي مَجْر النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ الْحَاصِلُ الْحِكَايَةِ الْفَصِيرَةِ وَالْكَنُّ قَدِيمَةً، قَدِيمَةً مَا كَانَ أَقْدَمَ مِنْهَا؛ حَكَاهَا لِي الْوَلِيدُ اللَّهُ يُرَحِمُهُ كَانَ طَالِبًا، وَ حَافِظُ السَّنِينَ حِيرَبُ طَهَارَةَ؛ بِالصَّحِّ مَوْلَى ضَحَكَةَ وَيَقُولُ بِأَلِي اللَّهِ تَعَالَى مَا يُنْكَرُشُ عَلَيْنَا إِذَا دُكْرَنَاهُ فِي الْحِكَايَةِ لِلدَّرَارِيِّ الصَّغَارِ، نُوَايَةَ نَضَحَكُوهُمْ ؛ وَالنَّبِيُّ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْزُحُ وَلَا يَقْتُلُ إِلَّا حَقًّا" بِالنَّبِيَّةِ؛ وَرَبِّي صُبْحَنَاهُ، بَعْدَ مَا خَلَقَ الْأَرَاضِي وَالسَّمَاوَاتِ، وَالْبُحُورَ، وَالْجَنَّةَ وَالْأَرْضَ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ.... الخ خَلَقَ كَذَلِكَ الْحَيَوَانَاتِ؛ خَلَقَ مِنْهُمْ الْمَيَاتِ وَمَنْ بَعْدَ، بَدَأَ يُسَمِّنُ فِيهِمْ بَعْدَ مَا أَمَرَهُمْ يَوْقِفُوا وَاحِدٌ مُورَى وَاحِدًا: أَنْتَ؟ الْغُولُ فُوتُ! أَنْتَ الْعُودُ، فُوتُ! أَنْتَ الْكَبْشُ، فُوتُ! أَنْتَ الْمَعْرَةَ! فُوتِي الْحَمَامَةَ فُوتِي، الْدِيكَ فُوتُ! الْبَغْلُ فُوتُ!....هَا بِالنَّبِيَّةِ صَاحِبِنَا مَا عَجِبَاتُهُسَّ السَّمِيَّةِ.

قَالَ أَنَا هَا كَذَا، هَذَا الْأَسْمُ الْمَشُومُ، مَعِيرَةَ النَّاسِ؛ إِلَي رَاسَهُ خُشِينُ وَالْأَ مَعَانِدُ وَمَا كَانَتْ الْمَفَاهِمَةَ مَعَاهُ يُصِيرُوا يُقُولُوا لَهُ أَنْتَ الْبَغْلُ! أَنَا مَا نُرْضَاشُ بِهِذَا الْأَسْمُ ....نَمْشِي نَدِيرُ لَهُ الدَّالَةَ مَرَّةً أُخْرَى، وَ لَمَّا الْحَيَوَانَاتِ مِنْهُمْ الْمَيَاتِ، كِي تَجِي نُوتِي يُكُونُ رَبِّي نَسَائِيوُ يَعْطِينِي أَسْمَ أُخْرَ طَيِّبَ ... وَرَاحَ وَ قَفَّ مِنْ تَالِي..الْقَطْنُ فُوتُ! الْجَمَلُ فُوتُ، فُوتُ! الْبُقْرَةَ فُوتِي! النَّعْجَةَ فُوتِي .... حَتَّى جَاتِ نُوبَةَ حَيْنَا؛ غَشِيمٌ وَمَا عَارَفَشُ رَبِّي مَا تَخْفِي عَلَيْهِ خَافِيَةً ... وَ يَقُولُ لَهُ: " أَنْتَ سَمِيَتِكَ الْبَغْلُ لَللُّ! وَجِبَدُ لَهُ ذُوكُ الْوُذْنِينِ؛ مِنْ ذَلِكَ الْعَهْدُ وَهُمَا طَوَالَ كَالْيَوْمِ ! وَهَذَا مِنْ الْأَخْبَارِ وَاللِّي عَلَيْهِ شَيْ دَنْبٌ يَكْتَرُ الْإِسْتِعْفَارُ.

## 12\_ " خنيفسة لالة النساء "

كَانَ مَاكَانَ، فِي بُكْرِي الزَّمَانِ؛ وَالْحَبَقُ وَالسَّيْسَانُ؛ فِي حَجْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ كَانَ وَحْدَ الْعَامِ، وَحْدَةَ الْخَنِيفَسَةَ، مَا كَلَنَ مَا أَزِينُ مِنْهَا؛ مَكُورَةَ وَعَلِيهَا سَتَّةَ رَجِيَلَاتِ رُقَاقٍ، يَزْغُدُوا، يَعْشَفُوا، وَكَحَلَاءَ، كَحَلَاءَ كَالْأَبْيُوسِ، وَتَبْقَسُ، وَتَبْقَسُ، تَلَالِي، كَالْعَاجِ، مِنْ الْبَعْدِ نَبَانُ؛ إِلَي يُسُوعُوهَا يَقُولُ مِنْهَا نُخَلَقُ وَعَلِيهَا نُمُوتُ.

هَا بِالنَّبِيَّةِ، خَرَجَتْ وَحْدَ الْيَوْمِ تَحُوسُ تَنْتَرَهُ، وَكَانَ نَهَارُ السُّوقِ. مَرِيئَةً، مَحْرَفَصَةَ، مَحْمَرَةَ، وَبِيَاضَ الْعَرَايِسِ يَحْمَقُ؛ وَمَاشِيَةً بِسِّيَاسِ عَلَيْهَا، مَا كَانَ مَا يَقْلَقُهَا، وَحْدَةَ وَحْدَةَ؛ الْأَ هُنَا، الْأَ هُنَا، حَتَّى وَصَلَتْ عِنْدَ الْبَابِ السُّوقِ؛ قَالَ لَهَا رَاسَهَا؛ " هُنَا أَقْعِدِي وَتَفْرَجِي، أَلِ يَ مَا شَرَى يُنْتَرَهُ" قَعَدَتْ عِنْدَ

بَابِ السُّوقِ، وَالْخَلْقُ مِنْهُ وَعَلَيْهِ، مَا شَيْ جَائِي، خَارِجٌ دَاخِلٌ وَالِي فَاتٌ يَدْنَقُ لِلزَّيْنِ الْكَامِلِ، وَيُقُولُ  
اللهُ اللهُ!

هَا بِالنِّيَّةِ، فَاتٌ وَحْدَ الْمُهْرِ اذْهَمَ شَعْرَهُ كَالْحَرِيرِ، يَهْزُ فِي رَأْسِهِ، وَغَارَهُ الزَّمَانُ، فَرَحَانُ  
بُصْغُرُهُ؛ كَيْ شَافَ الْخَنِيفْسَةَ حَبَسَ " خَنِيفْسَةَ لَأَلَّةِ النِّسَاءِ، اِشْرَاكِي دِيرِي هُنَا؟ "

قَالَتْ لَهُ: " نُنْفَرِحُ وَ نُنْدَرِحُ، وَنَحَبُ نُنْرُضُوجُ " قَالَ لَهَا: " اللهُ اللهُ! حَتَّى أَنَا هَذَا مَا كَانَ يُقُولِي  
رَاسِي؛ وَمَا اِزِينُكَ، يَا خَنِيفْسَةَ! اَللِّي يُسَوَّاكَ رَحْمَةُ رَبِّي! خُذِينِي أَنَا! "

قَالَتْ لَهُ: " وَاللهُ حَتَّى أَنَا عَجِبْتِي يَا مَهِيرُ، أَلِي صَابِكُ يَفْدِيكَ بِالْمَالِ؛ لِأَكُنْ فِي الطَّبِيعَةِ، النَّاسُ  
أَلِي عَائِشِينَ مَعِي، نَحُ هُمْ فَرَحَانِينَ وَدِيمَا يَغْنِيوَا؛ أَرَى نُشُوفُ نَسْمَعُ صَوْتِكَ ". الْمَهِيرُ قُرَيْبٌ يُطِيرُ  
بِالْفَرَحَةِ، بَدَا يَحْنُ وَيَحْلِي فِي صَوْتِهِ. وَيَهْمُرُ مِنْ شَفَاقِ رَأْسِهِ هِي! هَا هَا هَا! هِي! هَا هَا هَا! ...!

الْخَنِيفْسَةَ مَاتَتْ بِالْخُوفِ، وَصَارَتْ تُقُولُ لَهُ: " اسْكُتْ، اسْكُتْ، يَرْحَمُ وَالِدِيكَ بَارَكَاتٌ، بَارَكَاتٌ،  
رَبِّي يَخْلِيكَ؛ خَلَعْتِي وَخَلَعْتَ اِعْيَانِي، وَخَلَعْتَ الْخُدْمَ أَلِي تَرْفُدُ لِيَانِي؛ اِسْمَحْ لِي، اِسْمَحْ لِي،  
خُسَارَةَ مَنَّا، زَيْنَ الْغَزَالِ، تَسْوَى الْمَالِ، وَلَوْ كَانَ مَا صَوْتِكَ عَلِي يُجِيبُ الْخُوفَ وَ يَقَطَعُ  
الْجُوفَ... " مَشَى الْمُهْرُ غَضْبَانًا، حَاطَ رَأْسَهُ، وَصَارَ كَعَالَتَهُ جَاءَ حَمِيرٌ. خَنِيفْسَةَ قَالَتْ فِي  
خَاطِرِهَا؛ " مَشَى اِحْمَدُ جَاءَ حَمِيمًا "، مَشَاتِ امْكُ جِيَتْ أَنِيَا ". قَالَ لَهَا الْحَمِيرُ: " خَنِيفْسَةَ لَأَلَّةِ  
النِّسَاءِ، اِشْرَاكِي تَعْمَلِي هُنَا؟ " قَالَتْ لَهُ: " نُنْفَرِحُ وَنُنْدَرِحُ، وَنَحَبُ اِنْرُوجُ ".

قَالَ لَهَا: " اللهُ اللهُ! حَتَّى أَنَا هَذَا مَا كَانَ يُقُولُ لِي رَاسِي! خُذِينِي أَنَا! مَا اِزِينُكَ يَا خَنِيفْسَةَ، أَلِي  
سَوَّاكَ رَحْمَةُ رَبِّي! "

قَالَتْ لَهُ: " وَاللهُ حَتَّى أَنَا عَجِبْتِي يَا حَمِيرُ، أَلِي صَابِكُ يَفْدِيكَ بِالْمَالِ؛ لِأَكُنْ فِي طَبِيعَةِ النَّاسِ أَلِي  
عَائِشِينَ مَعِي نَحْبُهُمْ فَرَحَانِينَ، وَدِيمَا يَغْنِيوَا؛ أَرَى نُشُوفُ نَسْمَعُ صَوْتِكَ ".

الْحَمِيرُ قُرَيْبٌ يُطِيرُ بِالْفَرَحَةِ؛ بَدَا يَحْنُ وَيَحْلِي فِي صَوْتِهِ، وَيُصْهَلُ مِنْ شَفَاقِ رَأْسِهِ: هِي هَانُ!  
هِي هَانُ! هِي هَانُ! الْخَنِيفْسَةَ قُرَيْبٌ تَمُوتُ بِالْخُوفِ. وَصَارَتْ تُقُولُهُ: " اسْكُتْ، اسْكُتْ، يَرْحَمُ  
وَالِدِيكَ، بَرَكَاتُ رَبِّي يَخْلِيكَ؛ خَلَعْتِي وَخَلَعْتَ اِعْيَانِي، وَخَلَعْتَ الْخَادِمَ أَلِي تَرْفُدُ لِيَانِي، اِسْمَحْ  
لِي، اِسْمَحْ لِي، خُسَارَةَ مَنَّا زَيْنَ الْغَزَالِ تَنْفَدَى بِالْمَالِ؛ لَوْ كَانَ مَا صَوْتِكَ عَلِي، اِقْتُلْنِي  
بِالْخُوفِ وَقَطَعْتَ لِي الْجُوفَ... " مَشَى الْحَمِيرُ غَيْضَانًا، حَاطَ رَأْسَهُ، وَصَارَ كَعَالَتَهُ ".

هَا بِالنِّيَّةِ، جَائِي فَايْتُ كَلِيبُ، الْخَنِيفْسَةَ قَالَتْ فِي خَاطِرِهَا: " مَشَى الْحَمَارُ جَاءَ الْغَزَالُ ".

قَالَ لَهَا كَلِيبُ: " السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ". قَالَتْ لَهُ: " وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ". قَالَ لَهَا: " اللهُ عَلَيْكَ، خَنِيفْسَةَ لَأَلَّةِ  
النِّسَاءِ، اِشْرَاكِي تَعْمَلِي هُنَا؟ "

قَالَتْ لَهُ: "تَنْفَرَجْ وَتَنْدَرَجْ، وَنَحَبْ نَرْوَجْ!" قَالَ لَهَا: "الله الله، يَا رَبِّي! حَتَّى أَنَا هَذَا مَا رَاهُ يَقُولُ لِي رَاسِي، فِي هَذَا النَّهَارِ الْمَبْرُوكِ، كَالْيَوْمِ الْعِيدِ؛ يَا خَنِيفَسَةَ، يَا الزَيْنَ الْكَامِلَ، إِلَيَّ يَسْوَكَ وَيُلْحَقُكَ رَحْمَةُ رَبِّي! خُذْنِي لَنَا...."

قَالَتْ لَهُ: "وَالله يَا كَلِيبُ، يَا ظَرِيفُ، حَتَّى أَنَا عَجَبْتَنِي، مَا دَابِيَّ عَلَيْكَ؛ لَا كُنْ فِي طَبِيعَةِ النَّاسِ لِأَلِي دَائِرِينَ بِي وَعَائِشِينَ مَعِي، نَحَبُهُمْ دِيمًا فَرَحَانِينَ، دِيمًا يَغْنِيوَا؛ أَرَى تَشُوفُ نَسْمَعُ صَوْتُكَ..." الْكَلِيبُ طَارَ بِالْفَرَحَةِ، وَبَدَأَ يَحْنُ وَيَحْلِي فِي صَوْتِهِ، كَالْعَسَلِ وَالْأَكْثَرُ: هُوَ هُوَ! هُوَ هُوَ! هُوَ هُوَ!... الْخَنِيفَسَةُ قُرِيبُ تَمُوتُ بِالْخُوفِ. وَصَارَتْ تَقُولُ لَهُ: اسْكُتْ، اسْكُتْ، رَبِّي يَخْلِيكَ! بَرَكَاتُ بَرَكَاتٍ يَرْحَمُ وَالِدِيكَ! خَلَعْتَنِي وَخَلَعْتَ عَيَانِي، وَخَلَعْتَ الْخَدَامَ إِلَيَّ تَرْفُدُ لِيَانِي! خَسَارَةَ مِنْكَ، رَاجُلُ انْتَاغَ وَقْتِكَ، بِالْمَالِ مَا تُوْجَدُشْ؛ اسْمَحْ لِي اسْمَحْ لِي يَا ابْنَ النَّاسِ، مُحَالَ، مُحَالَ! مَشَى الْكَلِيبُ غَضْبَانٌ مَهْمُومٌ مَقْهُورٌ، حَاطَ رَاسَهُ وَصَارَ كَعَالَتَهُ.

جَاءَ فَايْتُ وَاحِدُ الْقَطْ؛ اشْقَرُ شَعْرَهُ أَحْمَرُ كِي الذَّهَبِ، تَقُولُ سَبْعَ زِ إِلَّا اسْتَعْفَرَ اللهُ وَلِيَدَهُ شَبْلٌ عَاجِبٌ رُوحَهُ، يَزْمِي الْخُطُوةَ بِالسِّيَاسَةِ عَلَيْهِ، وَ يُشُوفُ يَمِينٌ وَيَسَارَ، حَتَّى شَافَ الْخَنِيفَسَةَ كَامِلَةَ الزَيْنِ، قَاعِدَةً عِنْدَ بَابِ السُّوقِ. "خَنِيفَسَةَ لِأَلَّةِ النِّسَاءِ أَشْ رَاكِي تَعْمَلِي هُنَا؟" قَالَتْ لَهُ: "نَنْفَرَجْ وَنَنْدَرَجْ، وَنَحَبْ نَرْوَجْ!"

قَالَ لَهَا فَطَيْطُنَا: اللهُ اللهُ، مَا نَزِيدُوشْ فِي الْكَلَامِ؛ حَتَّى أَنَا هَذَا مَا رَاهُ يَقُولِي رَاسِي مِنَ الصَّبَاحِ، ذَا يَوْمِ عِيدِ، اللهُ اللهُ، خُذْنِي أَنَا قَالَتْ لَهُ: "وَالله يَا ابْنَ النَّاسِ وَحَفِيطُ النَّاسِ؛ مَا فِيكَ عَيْبٌ، يَا ذَا الزَيْنِ يَمْشِي مَعَهُ الْعَقْلُ، مَا دَابِيَّ عَلَيْكَ. لَا كُنْ فِي الطَّبِيعَةِ، النَّاسُ الدَائِرِينَ بِيَا، الْعَائِشِينَ مَعِي، نَحَبُهُمْ دِيمًا فَرَحَانِينَ، دِيمًا يَغْنِيوَا؛ تَرَى تَشُوفُ نَسْمَعُ صَوْتُكَ...." الْفَطَيْطُ غَيْرُ رَبِّي يَرْهَقُ عَقْلَهُ بِالْفَرَحَةِ وَبَدَأَ بِالسِّيَاسَةِ يَحْنُ وَيَحْلِي فِي صَوْتِهِ مَيَاوُ! مَيَاوُ! مَيَاوُ!....

الْخَنِيفَسَةُ لَوْ كَانَ قَدَرَتْ، لَوْ كَانَ دَخَلَتْ تَحْتَ الْأَرْضِ بِالْخُوفِ؛ وَتَقُولُ لَهُ: "اسْكُتْ، اسْكُتْ يَرْحَمُ وَالِدِيكَ! يَكْفِي هَذَا اللهُ يَطُولُ عَمْرُكَ؛ بَرَكَاتُ بَرَكَاتٍ؛ خَلَعْتَنِي وَخَلَعْتَ عَيَانِي، وَخَلَعْتَ الْخَدَامَ إِلَيَّ تَرْفُدُ لِيَانِي؛ اسْمَحْ لِي اسْمَحْ لِي، اللهُ يَخْلِيكَ مَا تُوْخَدِنِيشْ! مُحَالَ، مُحَالَ... مَشَاءَ الْفَطَيْطُ مَكْمُدٌ مَفْسَدٌ خَانَقَتَهُ الْعَبْرَةَ؛ حَاطَ رَاسَهُ وَصَارَ كَعَالَتَهُ.

هَا بِالنِّيَّةِ، جَاءَ خَنِيفِيسُ صَغِيرٌ، مَكُورٌ، تَقُولُ عَلَيْهِ كُوبِرَةَ عَاجٌ، تَبْقَسُ، كُحِيحَلَّةٌ، كُحِيحَلَّةٌ، مَا كَانَ أَرْزِينٌ وَمَنْهَا، وَكَالِي يَمْشِي يَتَكُورُ عَلَى رَجِيَلَاتِهِ السَّنَّةِ. شَافَ خَنِيفَسَةَ! وَهَا خِينَا أَحْبَسَ: "خَنِيفَسَةَ لِأَلَّةِ النِّسَاءِ، ا شَرَاكِي تَعْمَلِي هُنَا؟" قَالَتْ لَهُ "تَنْفَرَجْ وَتَنْدَرَجْ، وَنَحَبْ نَرْوَجْ" قَالَ لَهَا هُوَ: " اللهُ اللهُ، يَا رَبِّي! حَتَّى أَنَا يَا كَامِلَةَ الزَيْنِ، هَكَذَاكَ مَا كَانَ يَقُولِي رَاسِي مِنَ الصَّبَاحِ الْيَوْمِ! يَا إِلَيَّ سِوَاكَ وَلِحَقُكَ، وَجَدَ كَنْزٌ! خُذْنِي أَنَا!" آيَةٌ قَالَتْ لَهُ، يَا ابْنَ النَّاسِ، حَتَّى أَنَا عَجَبْتَنِي وَمَا دَابِيَّ عَلَيْكَ.

لَاكُنْ فِي الطَّبِيعَةِ، النَّاسَ إِلَيَّ دَائِرِينَ بِي وَعَائِشِينَ مَعِي، نَحْبُهُمْ دِيمًا زَاهِي بَيْنَ، دِيمًا يَغْنِيوًا، تَرَى  
نُشُوفَ نَسْمَعِ صَوْتِكَ؟"

نُقُولُ لَهُ فِي ذَاكَ الْكَلَامِ وَتَتَبَسَّمُ، عَاجِبَهَا حَالُ الْخُنَيْفَسِ حَطَّ رَأْسَهُ. وَبَقِيَ سَاكِتٌ...

قَالَتْ لَهُ: "وَإِشْ بِكَ؟" قَالَ لَهَا: "يَا بِنْتُ النَّاسِ، طَلَبْتِي مِنِّي الْمَحَالُ؛ هَذَا مَا جَابَ رَبِّي؛ مَا عِنْدِي  
صَوْتُ مَا نَعْنِي؛ هَذَا مَا قَدَرَ رَبِّي عَلَيَا؛ عَجَبْتِنِي، طَارَعَفَلِي مَعَكَ؛ هَا بِالْنِيَةِ طَلَبْتِ طَلَبْتِ  
الْغَنَاءَ، وَإِنَّا مَا نَعْرِفُ لَهُ سَاسَ وَلَا رَأْسَ، اللَّهُ اللَّهُ، يَا رَبِّي."

الْخُنَيْفِسُ خَنَفَهُ الْبُكَاءَ، لَا كُنْ شَدَّ رُوحَهُ وَمَسَحَ دُمُوعَهُ مِنَ التَّحْتِ لِلتَّحْتِ.... وَبَقِيَ حَاطَ رَأْسَهُ  
قَالَتْ لَهُ: وَمَنْبِينِ مَا تَعْنِيشَ وَإِشْ تَعْمَلُ طُولَ نَهَارِكَ؟" قَالَ لَهَا: "أُسْتَرِي مَا سَتَرَ اللَّهُ! مَا عِنْدِي مَا  
نُقُولُ ".... قَالَتْ لَهُ: "لَا لَأَلَا، وَاللَّهِ حَتَّى نَقُولُ". قَالَ لَهَا وَهُوَ مَيِّتٌ بِالْحَشْمَةِ: "حَاشَا مَنْ يَسْمَعُ  
.... حَاشَا أُخْتِي...." قَالَتْ لَهُ: "إِيوَا قَوْلُ! .. قَالَ لَهَا...." أَسْمَحِي لِي إِذَا قُلْتُ كَلِمَةً عَيْبٌ، لَأَكُنْ  
الصَّحَّ نُقُولُهُ... يَعْنِي.... طُولَ نَهَارِي وَإِنَّا نَكُوزُ فِي الْخُرَاءِ، حَاشَا الْمَصْنُوتِينَ! وَحَطَّ رَأْسَهُ  
وَسَكَتَ. قَالَتْ لَهُ: "عَاوَدُ، عَاوَدُ، إِشْ تَعْمَلُ؟" قَالَ لَهَا: "نُظَلُّ نَعَاوَدُ؟ وَ بَاكَ قَلْنَهَا مَرَّةً يَكْفِي".  
قَالَتْ لَهُ: وَاللَّهِ نَعَاوَدُ إِشْ قُلْتُ؟ إِشْ تَعْمَلُ؟" "إِيوَا، قَالَ لَهَا، عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَيَاكَ قُلْتُ لَكَ، حَاشَا  
مَنْ يَسْمَعُ، طُولَ نَهَارِي وَإِنَّا... عَمَلٌ... فِي... الْكُوْبِرَاتِ الْخُرَاءِ". وَحَطَّ رَأْسَهُ؟

وَتُطِيرُ عَلَيْهِ خُنَيْفَسَةً وَيَتَعَانِقُوا وَيَبْدُوا يَرْفُصُوا بِالْفَرَحَةِ، وَخُنَيْفَسَةٌ تُقُولُ لَهُ فِي وَدْنِيهِ وَهِيَ تَبُوسُ  
فِيهِ: "أَنَا ثَانِي ذَاكَ مَا نَخَدَمُ!". يَا سَعْدِي يَا فَرْحِي! سَعْدُ إِمَّا أَنَا، رَبِّي جَابَ لِي إِلَيَّ عَلَى قَلْبِي! لَوْ  
كَانَ نُقُولُكَ شَحَالَ خَطْبُونِي الْيَوْمَ! الْمَهْرُ يَعْقَسُ عَلَى الْحَجْرَةِ يَطْرُقُهَا وَالْحَمِيرُ مَا أَرِيئَهُ! وَالْكَالِبُ  
غَيْرَ اسْكُتْ؛ أَمَا الْقَطِيطُ، قَالَ لَهُمْ كَامِلِينَ أَرَقِدُوا وَنَعْطِيكُمْ! وَشَحَالَ أُخْرِينَ نَسِيئَهُمْ! وَحَتَّى وَاحِدًا مَا  
نُحَلَّ قَلْبِي، وَنُحِبُّ لَهُمْ رَكْرَةَ، يَعْنِي نَحْبُ نَسْمَعِ صَوْتَهُمْ، بِإِشْ مَا نَعْيِطُهُمْشَ... أَمَحْ! أَمَحْ! يَا  
فَرْحَتِي يَا سَعْدِي، جَابَ لِي رَبِّي إِلَيَّ يَجِي عَلَيَّ وَيَوَاتِبُنِي، أَمَحْ! أَمَحْ! وَكَانَتْ أَمَا نُقُولُ الْقُدُومُ  
صَابَتْ يَدَهَا... وَزَادُوا فِي الرِّقِيسِ وَالْمَعَانِقَةِ، وَامشَاوُ عِنْدَ الْقَاضِي وَارْوَجُوا.  
وَهِيَ مَشَاتٍ تَتَكَرَّبُ وَإِنَّا جِيتُ فِي مَرْكَبٍ.

### 13\_ "كُلُّ شَيْءٍ يَبْرَأ... وَكَلَامٌ سُوٌّ مَا يَبْرَأ"

أَشَحَالَ كَانَتْ أَمَا الزَّهْرَةُ تَبْغِي هَذِي الْحِكَايَةَ وَتَقُولُ وَإِيَاكُمْ وَالْكَلَامَ إِلَيَّ يَجْرَحُ الْقَلْبُ؛ عَلَى خَاطِرٍ  
صَاحِبَهُ مَا يَنْسَاهُ.

الْحَاصِلُ وَخَدَّ الْمُرَاةَ نَخَاصَمَتْ مَعَ رُوجِهَا وَعِنْدَ الْعَرَبِ كَثِيرٌ مَا تَمْشِي الرُّوْجَةَ يَعْنِي ضَيْفَةَ عِنْدَ  
وَالدِّيَهَا... وَمَا تَرْجَعُشَ لَدَارَ يَا لِي خَاصَمَهَا وَلَا بِالْأَكْثِي سُوْطَهَا، يَبِي تَدَابِرُوا؛ وَنُقُولُ الْمُرَاةَ فِي

رَاسَهَا نَعْظَبُ لَهُ وَتَبَقَى فِي دَارٍ بُويَا حَتَّى مَحْسُوبٌ يَنْدَمُ الرَّاجِلُ، وَيَتَوَحَّشَ زُوجَتَهُ؛ وَيُرْسَلُ لَهَا الْجَاهُ! الْجَاهُ هُوَ اِنْسَانٌ مُحْتَرَمٌ، رَاجِلٌ كَبِيرٌ، كُوْلَى عَقْلٌ، وَلَا مَرَاةً كَذَلِكَ مُحْتَرَمَةً تَجِيبُ هَدِيَّةَ مَنْ عِنْدَ الرَّاجِلِ وَتَسَائِسُ الْمَرَاةَ الْعَضْبَانَةَ وَتَسَائِسُ الْمَرَاةَ الْعَضْبَانَةَ وَتُرْذَهَا لِدَارِ زُوجِهَا... لَأَكُنَّ الْمَخْلُوقَةَ فِي حَكَائِنَا مَا عِنْدَهَا لَا أَبَاهَا وَلَا يَمَاهَا، بُعَاتُ كَيْمَا يَقُولُوا نَعْظَبُ وَمَا عِنْدَهَا وَبَيْنَ مَسْكِينَةٍ، مَسْكِينَةٍ. تُجِي الْخُدَيْمَةَ تَعْطِيهَا رَايٍ وَتَقُولُ لَهَا نَمَشُوا نَعْظَبُوا عِنْدَ السَّبْعِ، فِي الْعَابَةِ... وَالسَّبْعُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَعْرُوفٌ بِالكَرَمِ... مَعْرُوفٌ بِالْقُوَّةِ؛ وَالرَّجُلَةَ وَالْحَيَّ بِحَيْثُ يَقُولُوا فَلَانٌ يَحْتَمُّ كِي السَّبْعِ.

بِالنِّيَّةِ مَشَاتِ الْمَرَاةَ مَعَ خُدَيْمَتِهَا لِلْعَابَةِ وَعَدُوا السَّبْعَ وَطَلَبُوا ضَيْفَ رَبِّي عِنْدَهَا فِي الْحِينِ قَالَ لَهُمْ مَرْحَبَةٌ؛ تَقَضُّلُوا ادْخُلُوا عَلَى الرَّاسِ وَالْعَيْنِ. نَزَلُوا عِنْدَهُ. لَاقَ بِيَهُمْ وَكَبَّرَ بِيَهُمْ مَا قَصَرَشُ. كُلُّ يَوْمٍ يَمْشِي يُصَيِّدُ وَيَجِيبُ لَهُمْ مَا يَلْزَمُ وَعُمَرَهُ مَا يَقْرَبُهُمْ؛ يَعْنِي الْحُرْمَ! ... بَاقِي مُحْتَرَمِ الْمَرَاةِ وَخُدَيْمَتِهَا، وَحَتَّى الْمَعَارَةَ انْتَاعَهُ مَا يَدْخُلُهَاشَ مَا يَدْخُلُهَاشَ بَاشَ مَا يَكْرَهْشَ عَلَيْهِمُ الْحُرْمَ ... بَقَاوُ عِنْدَهُ بَلَكَ سَبْعَ أَيَّامٍ إِلَّا أَكْثَرَ هَا يَدْخُلُهَاشَ، بَاشَ مَا يَكْرَهْشَ عَلَيْهِمُ الْحُرْمَ... بَقَاوُ عِنْدَهُ بِالْأَكْ سَبْعَ أَيَّامٍ وَلَا أَكْثَرَ الرَّاجِلُ ضَرَبَ الرَّايِ بِالرَّايِ، وَيُقُولُوا نَاسِنَا يَاخِي طَابَ لَهُ مَسْوَسٌ؛ وَضَافَتْ لَهُ رُوحَهُ وَتَوَحَّشَ زُوجَتَهُ؛ وَيُقُولُ يَا أُنْدَيْمِي اِعْلَاشَ مُشِيَّتْ نَعِظُ مَلَاتْ خَيْمَتِي ...

بَعْدًا وَيَمْشِي عِنْدَ الطَّالِبِ فِي الشَّرِيعَةِ بَاشَ يَرُوحُ فِي الْجَاهِ. قَالَ لَهُ الطَّالِبُ: مَا قُلْتِ عَيْبَ لَأَكُنَّ بِالْعَكْسِ؛ رَبِّي يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: "الصَّلْحُ خَيْرٌ.. كَانَشِي مَا جَبَّتْ هَدِيَّةٌ؟ قَالَ لَهَا الرَّاجِلُ: "نَعَامٌ، فَصَلَّتْ لِبَاسِ حَرِيرٍ لِرُوجَتِي هَا هِيَ الشَّقَّةُ، وَمَنْدِيلٌ لِلْخُدَيْمَةِ ثَانِي هِيَ مَا نُسِيْتَهَاشَ. يَمْشِي الطَّالِبُ فِي الْجَاهِ عِنْدَ السَّبْعِ. يُصَيِّبُهُ مَقْحَرٌ عِنْدَ بَابِ الْمَعَارَةَ... السَّلَامُ وَعَلَيْكُمْ! يَنْوُضُ السَّبْعَ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ... وَمَرْحَبَةٌ؛ وَاشْ ذَلِكَ يَا حَمَالُ الْقُرْآنِ...؟ يُخْبِرُهُ بِالِي جَاءَ فِي الْجَاهِ وَتَنْعَلُ السَّيْدَةَ الشَّيْطَانَ وَتَرْجَعُ لُخَيْمَتِهَا ... يَقُولُ لَهُ السَّبْعُ: تَمَشِيَّتْ فِي الْخَيْرِ، رَانِي مُوَأْفَقٌ. لَا كَنْ نَسَالُ قَبْلُ كُلِّ شَيْءٍ. مَا يَقُولُوشَ رَانِي مُضَائِقُ بِيهَا ...

الْحَاصِلُ الْأَمْرُ بِيَدِهَا وَيَالِهَا إِذَا تَقَبَّلَ الْجَاهُ. الْمَرَاةُ هَكَذَاكَ كَانَتْ تَسْنَى. شَكَرَتْ السَّبْعَ وَبَقَاتَهُ عَلَى خَيْرٍ، وَالْخُدَيْمَةَ... يُسْمُوهَا هَبْرَةَ، بَاسَتْ رَاسَهُ وَأَعْطَاهُمُ الطَّالِبُ الشَّقَّةَ تَاغَ الْخَرِيرِ وَالْمَنْدِيلَ وَرَجَعُوا طَائِرِينَ الْفَرَحَةَ. وَالرَّاجِلُ ثَانِي فَرَحَانُ ذِيكَ اللَّيْلَةَ كِي الْعَرَسُ: الذَّبِيحَةَ وَالشَّيْءَ وَالطَّعَامَ بِاللَّحْمِ تَقُولُوا نَهَارَ الْعِيدِ. كَلَاتِ الْحَوَانَةَ وَرَسَلُوا مَنَارِدَ لِلْجَوَارِينِ كَامِلِينَ.

وَمَنْ بَعْدَ بَقَاوُ شُوبِيَّةً مَقْصِرِينَ عَلَى الْآتَايِ قَبْلُ مَا يَمْشُوا يَرَقُدُوا. وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ جَاءَ الْحَدِيثُ عَلَى الضَّسْفَةِ عِنْدَ السَّبْعِ وَتَبَقَى الْمَرَاةُ تَشْكُرُ وَتَعْظُمُ: اشْحَالُ لَاقَ بِيْنَا؛ اشْحَالُ خَيْرَاتٍ يُجِيبُ لَنَا كُلُّ يَوْمٍ ... وَ اشْحَالُ مُحْتَرَمْنَا، عَمْرَهُ وَيَلَا يَقْرَبُ مِنَّا، وَكِي يُجِيبُ الصَّيِّدُ يُجِي حَاطُ رَاسَهُ مَا

يَرَفْدُش عَيْنِيهِ فِينَا؛ يَحْطُ رَاسَهُ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَابِ وَيُبْعَدُ ... وَفِي اللَّيْلِ مَا يَدْخُلُش دَارَهُ؛ يَبْقَى رَاقِدًا بَرًا مَقَرَّعِنْدُ بَابِ الْمَعَارَةِ يُعَسِّنَا وَمُوفِّرِنَا. اللهُ يَجَازِيهِ ... وَالْمَرَاةُ مَا عَارَفُش بَالِي السَّبْعِ غَيْرِ اللَّيْلِ جَاءَ بِالسِّيَاسَةِ مَا سَمِعَهُ حَدُّ؛ وَبَقِيَ وَرَا الْخَيْمَةَ وَيَصْنَتُ يَا ذَرَى وَاشْ رَايْحِينُ الضِّيَافُ يُفُولُوا فِيهِ...

أَمَالِي انْبَحَقُ وَحَمَارُ وَجْهَهُ بِالْفَرَحَةِ كِي سَمِعَ الْمَرَاةُ تَشْكُرُ فِيهِ وَتَقُولُ يَكْتَرُ خَيْرُهُ وَرَبِّي يُزِيدُ مَنْ أَمَثَلُهُ لَا فَطْنَانُ، حَتَّى تَتَكَلَّمَ الْخُدَيْمَةَ هَبْرَةَ وَتَقُولُ: إِيه، سِيدُ السَّبْعِ مَشْهُورٌ بِالْحَقِّ وَكُلُّ مَا يَقُولُوا فِيهِ صَحِيحٌ، الْكَرْمُ وَالْجُودُ وَالْحَيَاءُ .... يَا خُسَارَةَ لَوْ كَانَ مَشِي فِيهِ وَحَدُّ الرَّاحَةِ ... يَا لَطِيفُ ... لَا كَنْ مَا فِيهِ لَوْمٌ، خَلَقَهُ رَبِّي، وَحَدُّ الرِّيحَةِ خَائِزَةٌ تَعْمُ؛ وَيُزِيدُ سَاعَةَ سَاعَةً، حَاشَى مَنْ يَسْمَعُ ... يَنْشُ وَحَدُّ النَّشَةِ يَنْغَاشِي الْوَاحِدُ كِي يُشَمُّ رِيحَتَهَا. أَيَا ... سَمِعَ السَّبْعُ مَا يَكْفِيهِ وَالْفَرَحَةَ وَلَاتُ قَرْحَةَ .... رَجَعُ مَكْمَدُ لِمَعَارَتِهِ وَيَسْهَدُ وَالْقَلْبُ مَجْرُوحٌ ... الْغَدْوَةَ مَنْ ذَلِكَ؛ عَارَفُ الْخُدَيْمَةَ تَجِي تَحْطَبُ فِي الْعَابَةِ؛ عَرَضُ لَهَا. "اصْبَاحُ الْخَيْرِ سِيدِي"؛ يَرْدُ عَلَيْهَا هُوَ صَبَاحُ الْخَيْرِ وَالرَّيْحُ ... وَاشْ ذَلِكَ فِي يَدِكَ يَا هَبْرَةَ؟

قَالَتْ لَهُ رَاكَ تَشُوفُ سِيدُ السَّبْعِ هَذَا الْفَاسُ رَانِي مَاشِيَةَ نُحْطَبُ .... بَعْدًا يَخْلَعُهَا مَا صَدَقْتُش وَذُنَيْهَا: "قَالَ لَهَا شُوفِي يَا هَبْرَةَ، أَضْرِبِينِي ضَرْبَةَ هُنَا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ ...." يَا سِيدِي كَيْفَاشْ يَخْلِينِي خَاطِرِي بَعْدُ مَا عَمَلْتُ فِينَا إِلَيَّ مَا يَنْتَسَاشُ؟ قَالَ لَهَا ... صَحَّةُ صَحَّةُ، رَانِي عَارَفُ ... لَا كَنْ رَاسِي قَالَ لِي هَاكَ ... أَضْرِبِينِي بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ وَلَا تَحْمِيشُ ....

بَقَاتُ تَدْمَمُ لَهُ، يَا سِيدِي لَا لَا، عَيْبُ عَلِيَا فِي عَوْضِ لَا نُبُوسُ رَاسِكَ وَرَجْلِيكَ نَمَشِي نَضْرَبُكَ بِالْفَاسُ .... قَالَ لَهَا غَيْرُ خَلِي تَمْسَارُ الْكَلَامُ ... تَضْرِبِينِي وَالْآنُ..هَا خَافَتْ؛ بُدَاتُ تَرْتَعُدُ ... وَرَفَدْتُ الْفَاسُ وَضْرِبَاتَهُ غَيْرُ بِالسِّيَاسَةِ بَاشُ مَا تَأْذِيهَشُ ... جَرَحَاتُهُ شُوبَةَ بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ قَالَ لَهَا صَحَّةُ ... تَلْقَايَ الْخَيْرِ وَاللَّهُ يُعَاوَنُكَ .... وَمَشَى لَصُوَالِحَهُ وَخَلَاهَا تَحْطَبُ ... وَبَقِيَ مَرَّةً عَلَى مَرَّةً يَلْقَاهَا وَيَسْأَلُهَا : يَا ذَرَى بَرَاتُ الضَّرْبَةِ؟

تَبْدَا هِي تَسْنُوقُ وَتَقُولُ لَهُ يَا سِيدِي يَا سِيدِي لَا لَا، مَا بَرَاتُش وَرَانِي ذَايُوبَةَ بِالْحَشْمَةِ؛ انْتِ حَتَمْتُ عَلَيَّ هَذِي الْعَمَلَةَ الْمَشُومَةَ؛ لَوْ كَانَ صَبَبْتُ الْأَرْضُ بَلْعَتْنِي وَمَا نُشُوفُش الْجَرْحُ فِي عَيْنِيكَ.. أَيَا يَرُوحُ وَيَلْقَاهَا... مَرَّةً أُخْرَى ... وَالْجَرْحُ مَا زَالَ مَا بَرَى ... حَتَّى نَهَارُ مِنْ النُّهَارَاتِ لَقَاهَا ثَانِي وَسَقَسَاهَا: "يَا ذَرَى الْجَرْحُ بَرَى وَلَا مَرَّالُ؟ ... أَيَا بَعْدُ .... شَافْتُ فِيهِ بِالْفَرَحَةِ وَقَالَتْ لَهُ نَعْمُ سِيدِي بَرَى وَمَا بَقِيَ لَهُ أَتَارُ الْحَكْدُ لِلَّهِ، تَنْفَلَعُ شُوبَةَ الْحَشْمَةِ عَلَيْهِ ... إِيه؛ قَالَ لَهَا؛ شَفْتِي الْجَرْحُ بِالْفَاسُ وَبَرَى .... كُلُّ شَيْءٍ يَبْرَى يَا هَبْرَةَ، وَكَلَامُ سِوَا مَا يَبْرُ " وَطَارَ عَلَيْهَا كَلَامًا ....

14\_ " المِعْزَةُ الصَّنْبِيَّةُ "

مَا خَرَفْتُمْ وَمَا خَرَفْتُمْ غَيْرَ.... عَلَى وَاحِدِ الْفَلَاحِ، كَانَتْ عِنْدَهُ أَرْبَعِينَ مَعْرَةً! كُلُّ يَوْمٍ يَرْسَلُهُمْ مَعَ وَاحِدٍ مِّنْ أَوْلَادٍ وَكَانَ عِنْدَهُ، اللَّهُ يُبَارِكُ، (12) وَلَدٌ مَشَى بِهِمْ النَّهَارَ الْأَوَّلَ الْوَلَدَ الْكَبِيرَ. الْقَرِيَّةَ انْتَاعَ الْمَاءِ وَالشُّكَيْرَةَ مِلَانَةَ حُبْزِ الزَّرْعِ مَلْعَفَتَيْنِ وَرَاهُنَّ وَالْمَطْرَقُ فِي يَدِهِ: هَشْ هَشْ؛ هَشْ! مَعِيرَاتِي خِيَاتِي قَدَامِي، حَتَّى لِلْعَابَةِ. كَيَوْصَلُوا، سَاحُوا الْمَعْرَاتِ، يَأْكُلُوا الْحَشِيشَ وَيَشْرَبُوا الْمَاءَ، مَرَّةً مِّنَ الْعَيْنِ صَافِيَةً وَبَارِدَةً كِي التَّلْجُ، مَرَّةً مِّنَ السَّاقِيَةِ؛ وَيَنْشَبُطُوا مَعَ الشُّجُورِ هَذَاكَ مَا يَبْغُوا خِيَاتِكَ، وَيَشْبَعُوا وَرَقٌ.... هَا كَذَاكَ، حَتَّى لِلْمَعْرَبِ، رَجَعُوا لِلدَّارِ وَالْعَارِبِ وَرَاهُمْ عَاسُهُمْ كَمَا يَلْزَمُ هُمَا وَصَلُوا وَهَا مَوْلَى الدَّارِ يُسَالُهُمْ :- مَعِيرَاتِي خِيَاتِي، شَبَعُوا وَلَا رَاحَ؟

وَالْمَعْرَاتِ خَنْزِيرَاتِ، الْكَذَابَاتِ، كُلُّهُمُ فِي مَرَّةٍ وَاحِدًا: "مَعَ، مَعَ! .... وَالْوَأَا.... مَا كُلِينَا مَا شَرِينَا، وَلِدَاكَ طُولَ النَّهَارِ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الرَّعِيَانِ الْأَوْحَرِينَ وَمُخْلِينَا الذِّيبِ يَحَاوِرُ فِينَا....! . آه، يَا الْعِيفَةَ! صَارَ هَكَذَا؟ نَعْطِيكَ الصَّرْعُوفَةَ رَعْمًا تَنْهَلًا فِيهَا، سَاعَةَ تَخْلِيهَا هَامِلَةً وَالذِّيبِ هَذَاكَ عَذَاكَ غَلَّاشٌ يَحْوَسُ!... أَيَا... أَذْهَبَ عَلَيَّ مَا نُشُوفُكَشْ! ... مَاكَ وَلَدِي، مَا نِي بَابَاكَ.... مَنِ الْيَوْمِ مَا تَنْعُدْشُ فِي الْحَوَانَةِ؛ رُوحُ! مَا تَأْكُلُ هُنَا، مَا تَرْقُدُ هُنَا.

هَا بِالنَّبِيَّةِ، لَعْدُودَةٌ مِّنْ ذَلِكَ، غَيْرُ نَادَى الْهَلَالِ فِي الصُّومَعَةِ بِالْأَذَانِ، نَاضٌ مَوْلَى الدَّارِ، نُوضٌ وَلِيدَهُ الزَّارُوحُ وَ قَالَ لَهُ : شُوفْ أُخُوِي، الْمَرْوَارَ يَاكَ تَكَلَّنَا عَلَيْهِ، سَاعَةَ خَرَجَ جَائِحُو مَا يَصْلَحُ شَيْءٌ، لَا كَنْ أَنْتِ انْتَهَلَا لَا تُدِيرُ شَيْءٌ كَيْفَهُ، نَتَكَلَّ عَلَيْكَ صَحَّةً وَلَدِي.... " نَعَامُ أَبُوِي". وَيَرْقُدُ الْفُرْبَةَ مِلَانَةَ مَا، وَحُبْزُ الشُّعِيرِ فِي ظَهْرِهِ، وَالْعُمُودُ فِي يَدِهِ وَيَمْشِي وَرَاءَ الْمَعِيرِ، هَشْ، هَشْ، هَشْ! مَعِيرَاتِي قَدَامِي خِيَاتِي حَتَّى لِلْعَابَةِ. وَصَلَّهُمْ، يَرْعَاهُمْ كَمَا يَلْزَمُ، يَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا وَيَنْعَلُطُوا مَعَ الشُّجُورِ كَيْمَا حَبُوا وَيَرْجَعُوا الْعِشِيَّةَ لِلدَّارِ. وَيُسَالُهُمْ مَوْلَى الدَّارِ " مَعِيرَاتِي خِيَاتِي شَبَعْتُوا وَلَا رَاحَ؟.... هَا يَحَاوِرُهُ الْمَعْرَاتِ الْحَبِيثَاتِ، الْكَذَابَاتِ مَعَ، مَعَ، مَعَ! مَا كُلِينَا، مَا شَرِينَا، وَلِيدَاكَ طُولَ نَهَارِهِ يَلْعَبُ مَعَ الرَّعِيَانِ الْأَخْرِينَ وَاحْنَا الذِّيبِ يَحَاوِرُ فِينَا" هَا طَرَدَهُ كَيْمَا طَرَدَ خُوهُ. وَالثَّلَاثُ هَكَذَاكَ، وَالرَّابِعُ هَكَذَاكَ..... حَتَّى صَارُوا كَامِلِينَ مُطْرِدِينَ فِي طُنَاشٍ! وَزَادَ طَرْدَ حَتَّى أَمَّهُمْ مِّنْ بَعْدِهِمْ خَاطَرَ الْمَعْرَاتِ الْكَذَابَاتِ قَالُوا مَا لِنَهَاشَ بَيْنَا بِالْكَلِّ، وَطُولَ النَّهَارِ وَهِيَ تَغْسَلُ فِي قَشْهَا فِي الْوَادِ وَاحْنَا الذِّيبِ يَحَاوِرُ فِينَا..... هَا صَبَحَتِ الْمَرَاةُ مَسْكِينَ مَطْلَقَةً، ثَلَاثُ!.....

بِالنَّبِيَّةِ، قَالَ خِينَا: نَمَشِي أَنَا نَسْرَحُ مَعِيرِي وَالسَّلَامُ هَا صَارَتْ هَكَذَاكَ. رَاحَ خُو بَرُوحَهُ، وَدَا الْمَاءِ وَالْحُبْزُ الشُّعِيرِ وَالْعُمُودُ وَرَعَى الْمَعِيرِ كَمَا يَلْزَمُ كَلَاوَا وَشَرَبُوا، وَتَعَلُّطُوا مَعَ الشُّجُورِ كِي الْعَادَةُ وَرَدَّهُمْ بِخَيْرٍ وَعَلَى خَيْرِ، فَرَحَانَ بَرُوحَهُ وَيُقُولُ فِي نَفْسِهِ، مَا يَقُومُ بِالرَّرْقِ غَيْرِ مُوَلَاةً.... لَآكَنْ لَمَا

وَصَلَّ لِلدَّارِ، كَالِي دَخَلَهُ بَعْضُ الشَّكِّ.... هَادَخْلُ لِلدَّارِ، وَغَيْرُ رُوْحَهُ، بَدَلُ الْعِبَائِيَّةِ وَالْعَمَامَةِ لُونُ  
 اٰخَرُ وَخَرَجَ لَهُمْ مَن بَابٍ اٰخَرُ " مُعِيْرَاتِي خِيَاتِي شَبَعْتُوْا وَلَا رَاحَ؟ " هَا..... مَعْرُفُوْهُشْ وَكَذَبُوْا عَلَيْهِ  
 كِي الْعَوَائِدُ، مَا كَلِيْنَا مَا، مَا شَرِيْنَا، ذَاكَ الرَّاجِلُ لَا هِي يَغْسَلُ فِي كُسَاتِهِ عَلَي حَاشِيَةِ الْوَادُ .....  
 وَاٰخِنَا..... الذِيْبُ يَحَاوِرُ فَيِنَا..... " وَهُوَ تَخَلَعُ!.... " اَ الْمَعْرَاتُ الْحَلُوْفَاتُ! وَاَنَا ..... عَلَي خَاطِرِكُمْ،  
 اَلْكَلْبَاتُ طَرَدَتْ اَوْلَادِي فِي اَطْنَاعَشْ، وَطَلَقْتُ زَوْجِي وَبَقِيْتُ غَيْرُ اَنَا وَحْدِي، وَسَرَحْتُكُمْ كَمَا يَلْزَمُ  
 وَكَلِيْتُوْا وَسَبَبُوْا حَتَّى تُكَافِيْتُوْا وَرَجَعْتُوْا عَلَي الْعَزِّ وَالْكَرَامَةِ، وَبِوَصْلَتِكُمْ الزَّمَانُ وَتَكْذَبُوْا عَلَيَا  
 كِيْمَاهَاكَ؟!

وَيَصْبِحَ عَيْنُهُمْ، وَكَالِي يَبْكِي وَيَسْتَكِي لِرَبِّي اِبْنَاتُ الْحَرَامِ!.... وَنُجِيبُ فِي يَدِهِ الشَّافُورُ، وَيَبْدَا  
 يَفْتَلُ فِيهِمْ وَحَدَّةٌ بَعْدَ الْاٰخَرَى ..... هَاهَا، هَاهَا! اَ الْحَلُوْفَاتُ ..... هَاهَا! وَحَدَّةٌ، زُوجٌ، ثَلَاثَةٌ  
 ...رَبْعَةٌ... وَاِنَاي!... عَلَي خَاطِرِكُمْ هَاهَا!... وَاِحْدُ وَعَشْرِيْنُ ... هَا ثَلَاثِيْنُ هَا..... وَرَزَائِدُ يَمَقْتَلُ  
 فِيهِمْ... وَذِيكَ الْمَعْرَةَ الصِّيْنِيَّةَ اَلِي مَعَاهُمْ تُشَوِّفُ وَخَائِفَةٌ عَلَي وِلَادَهَا الثَّلَاثَةَ فِي كَرَشَهَا... عَلَي  
 خَاطِرُ الْمَعِيْرُ مَعْرُوفٌ مِّنْ سَابِقِ الْحَالِ.... مَا شِي كِي النِّسَاءِ.... وَذِيكَ الْمَعْرَةَ بِالْحَمْلِ، ذِيكَ  
 الْمَعْرَةَ الْمَاصِلَةَ، مَرِيْبَةٌ وَصِيْنَةٌ، وَبُنْتُ نَاسٌ، لَآكِنُ الْخُلْطَةَ تَعْدِي مَا هِيْشُ حَرَامٌ، مَا هِيْشُ كَدَابَةٌ لَمَا  
 اِنْصَابَتْ مَعَ التَّالْفِيْنِ... صَارَتْ مَعْدُوْدَةٌ مَعَاهُمْ .... بِالْمَجْرَجَزِ، اَنَا مَا دَرْتُ اَعْلَاهُ نُمُو نَهْرَبُ  
 بُوْلِيْدَاتِي فِي كَرَشِي، وَنُصِيْبُ الطَّارُ مَحْلُوْلٌ، وَتَنْقَرُ وَتُجِي بَرًا وَ تَقُوْلُ " يَا بَتُ بِيْرَحُ! حَتَّى لِلْغَابَةِ.  
 وَهَنَا تَبْدِي حُكَايَةَ الْمَعْرَةَ الصِّيْنِيَّةَ وَحَدَهَا وَ تَحْوَسُ عَلَي مُوَضَعِ اَنْقِي، وَمَخْفِي، وَتَدْخُلُ فِيهِ...  
 وَجِيْهَا الْوَجَعُ، وَتَبْقَى تَتَلَوِي وَتُصِيْحُ، كَالِي تَبْكِي : مَع، مَع، مَع...!

حَتَّى يُطِيْحَ الْجَدِي الْجَدِي الْاَوَّلُ، وَتُرْقِي الْاَمِيْمَةَ بِالْفَرْحَةِ! مَع! مَع! مَع! سَعْدُ اَمَا ..... وَبِيْدَا  
 يَا تَلْنِي رَجَعُ جَدِيْدٌ، مَع، مَع، مَع الصَّبَاحُ اِنْتَا ع الضَّر، وَتَزِيْدُ اَبْنِيَّةَ وَتُصِيْحُ الْمَعْرَةَ الصِّيْنِيَّةَ  
 بِالْفَرْحَةِ: "مَع! مَع! مَع! مَع! فَرِحْتِي وَسَعْدُ اَمَا.

اَبْنِيَّة! وَهِيَ هَكَذَاكَ، حَتَّى زَيْدَتْ بِنِيَّةَ اٰخَرَى، وَتَبْقَى تُصِيْحُ وَتُدُوْرُ بِيَهُمْ وَتَلْحَسُ فِيَهُمْ... وَمَنْ  
 بَعْدُ تُجِي فِي الْحِيْنِ فِي بَالِهَا السَّمِيَّةَ، وَتُسَمُّهُمْ عَزَّةً وَمَعْرُوزَةً وَقُطِيْطُ الرَّمَادُ، خَاطِرُ قَالَتْ فِي  
 نَفْسِهَا الْوَلِيْدُ يَا صَغْرَةَ! نَعْلَمُهُ كِيْكُوْنُ الْخُوْفُ، مِّنْ الذِيْبِ وَالْاَ السَّبْعُ بِالْمَثِيْلِ، يَخْرُنُ فِي الرَّمَادُ،  
 مَنِيْنٌ وَهُوَ هَكَذَاكَ صَغِيْرٌ قَدْ الظَّفِيْرُ....

بِالنِّيَّةِ، الْعَدُوَّةُ مِّنْ ذَاكَ، كُصِبِحَ الصَّبَاحُ مَدُو مِّنْ صَلَّى عَلَي النَّبِيِّ يَرِيْحُ، تَعُوْلُ الْاَمِيْمَةَ تَمْشِي  
 لِلْغَابَةِ وَتُوْصِي وِلِيْدَاتِهَا مَا يَحْلُوْا حَتَّى لُوَاْحِدٌ، سِيُوْ اِذَا سَمِعُوْهَا تُعْنِي وَعَرَفُوْا صَوْتِهَا.....

وَتُرُوْحُ، تَصْرُحُ الْحَشِيْشُ الطَّرِي، تَشْرَبُ الْمَاءَ الصَّافِي مِّنْ الْعِيْنِ، تَرِيْحُ وَتَعَاوُدُ تَصْرُحُ حَتَّى  
 يَنْعَمُرُوْا بِرَزَائِلِهَا اللهُ يَبَارِكُ، وَتَلْمُ الْحَشِيْشُ مِّنْ الرَّثِيْقِ الطَّرِي وَتُدِيْرُ فِيْهِ شُوِي نُوَازُ تَزِيْنُهُ وَتُدِيْرُهُ

قَبْضَةً وَتَحَطُّ بَيْنَ قُرُونِهَا؛ وَتَشْرِبُ الْمَاءَ عَلَى التَّالِي، وَتَخْلِي جَعْمَةً مَلِيحَةً فِي قُرُونِهَا يَشْرُبُهَا  
الْوَالِدَاتُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَتَنْقَرُ! وَتَجْرِي حَتَّى لِلدَّارِ وَغَيْرِ بَيَانٍ لَهَا الْبَابُ تَبْدَى تَغْنِي؛ "عَرَّةٌ وَ  
مَعْرُوزَةٌ وَقَطِيطُ الرَّمَادِ، جَبْتُ الْحَلِيبَ فِي بَرُولِي، جَبْتُ الْمَاءَ فِي قَرْفُورِي، جَبْتُ الْحَشِيشَ بَيْنَ  
قُرُونِي؛ عَرَّةٌ وَمَعْرُوزَةٌ وَقَطِيطُ الرَّمَادِ، حَلُّو الْبَابُ نَرْضَعَكُمْ!...."وَيَحْلُو الْجَدْيَانُ فِي الْحِينِ وَتَدْخُلُ  
الْأَمِيمَةَ وَيَرْتَمَاوُ تَحْتَهَا وَيَرْضَعُوا، وَتَمُدُّ لَهُ الْفَيْضَةَ انْتَاعَ الْحَشِيشِ يَأْكُلُو، وَتَشْرَبُهُمُ الْمَاءَ انْتَاعَ  
الْعَيْنِ مَنْ قَرَزِيهَا، وَيَمَشُوا يَرْقُدُوا. وَ كُلُّ لَيْلَةٍ وَكُلُّ صَبَاحٍ وَكُلُّ عَشِيَّةٍ هَا كَذَاكَ....حَتَّى رَدَّ لَهَا  
السَّبْعُ الْوَهْلَةَ. وَقَالَ فِي نَفْسِهِ « إِيهْ عَرَّةٌ، مَعْرُوزَةٌ، قَطِيطُ الرَّمَادِ! يَعْني ثَلَاثَةٌ صَغِيرِينَ وَنَوَايَةَ  
....وَيَا مَا أَطْرَاهُمْ! يَالِي كَلَاهُمْ! يَأْكُلُ وَيَرْحَمُ !....وَاللَّهِ نَشُوفُهَا...»

وَيَتَرَيَصُ بِيهَا مَشَاً لِلْعَابَةِ الصَّبَاحِ....وَيَجِي عِنْدَ الْبَابِ وَيَغْنِي كَيْفِهَا، لَا كَنْ بِصَوْتِهِ الْخَشِينِ  
كَمَعْرُوفٍ: " عَرَّةٌ وَمَعْرُوزَةٌ وَقَطِيطُ الرَّمَادِ، جَبْتُ الْحَلِيبَ فِي بَرُولِي، جَبْتُ الْحَشِيشَ بَيْنَ قُرُونِي،  
جَبْتُ الْمَاءَ فِي قَرْفُورِي... " غَيْرُ كَالِي الْبِرْزَايِلِ وَالْأَقْرُونِ لَأَكْنَ قَطِيطُ الرَّمَادِ فَاقُ بِيهِ وَقَالَ  
لَخَوَاتَاتِهِ هَذِي مَشِي أَمْنَا، أَمْنَا صَوْتُهَا رَقِيقٌ وَحْنِينٌ، وَهَذِي صَوْتُهَا غَلِيظٌ كِي الْعَوْلَةَ، مَا  
نُحْلُوشُ،....سِوَى الْبَنَاتِ مَا سَمْعُوشُ رَايَهُ، وَقَالُوا لَهُ: "اسْكُتْ، اسْكُتْ؛ أَنْتِ دِيمَا تَبْغِي تَعْرِفُ خَيْرُ  
مَنْ الْأَخْرِينِ؛ هِي أَمْنَا هَذِي قَالَتْ الْحَلِيبِ، وَالْحَشِيشِ وَالْمَاءِ....كَمَا الْعَادَةُ"...وَمَشَاوُ يَحْلُوا....  
. قَطِيطُ الرَّمَادِ هَرَبُ وَتَخْزَنُ فِي الرَّمَادِ هَرَبُ وَتَخْزَنُ فِي الرَّمَادِ.

. السَّبْعُ دَخَلَ، سَرَطُ عَرَّةٌ، سَرَطُ مَعْرُوزَةٌ وَبَقِيَ يَحْوَسُ عَلَى الثَّلَاثِ ... وَبَيْنَ هُوَ الثَّلَاثِ؟ وَبَيْنَ هُوَ  
الثَّلَاثِ إِيَّا، نَهَرَبُ خَيْرُ مَا تَجِي أَمَّهُمْ وَنَصَبِحُ فِي النَّرَاعِ، هَذَاوُ زُوجُ كَلِيَّتُهُمْ خَيْرُ مَنْ وَالُوا.  
وَيَنْتَقِلُ، وَيُرُوحُ يَجْرِي وَفَرَحَانُ

. الْعَشِيَّةُ جَاءَتْ الْمَعْرَةَ الصِّينِيَّةَ، الْمِيمَةَ انْتَاعَ بَصَحُ وَبَا صَحِيحٌ وَتَغْنِي وَفَرَحَانَةَ، وَمَا دَارِيَّةَ  
بَخْدِيعةَ... "عَرَّةٌ وَمَعْرُوزَةٌ وَقَطِيطُ الرَّمَادِ، جَبْتُ الْحَلِيبَ فِي بَرُولِي، جَبْتُ الْحَشِيشَ بَيْنَ قُرُونِي،  
جَبْتُ الْمَاءَ فِي قَرْفُورِي... حَلُّو الْبَابُ نَرْضَعَكُمْ ... " لَا حَدَّ يَنَادِي ...مَاجَاوُهَا  
حَدَّ....عَرَّةٌ،مَعَ.....! وَمَا فِيهَا مَا يَبْصُرُ وَتَنْدَبِرُ تَهْرَسُ الْبَابُ وَتَدْخُلُ: "عَرَّةٌ!  
مَعْرُوزَةٌ!....قَطُ... "حَتَّى يَخْرُجُ قَطِيطُ الرَّمَادِ غَيْرُ بِالسِّيَاسَةِ..وَيُخْبِرُهَا بِأَلِي كَانُ « يَا أَمَا...يَاكَ جَاءَتْ  
وَحَدَّ الْحَجَّةُ ...عَنَّاثُ كَيْفَكَ، وَأَنَا قُلْتُ لَخَوَاتَاتِي. هَذِي مَشِي أَمْنَا، عَلَى خَاطِرُ صَوْتُهَا غَلِيظٌ غَلِيظُ  
.... وَعَرَّةٌ وَمَعْرُوزَةٌ مَا بَعَاوَشُ يَسَاعُفُونِي حَلُّو الْبَابِ... »

هَا بِالنِّيَّةِ، ذِيكَ الْحَاجَةَ كَبِيرَةً كَبِيرَةً عَلَقْتُ عَلَيْنَا فَمَ لَعَارُ وَكَلَاتُ عَرَّةٌ وَمَعْرُوزَةٌ وَمَشَاتُ ... "بُوهُ!  
بُوهُ!بُوهُ!مَعَ! نُصِيحُ الْمَعِيرَةَ الصِّينِيَّةَ مَسْكِينَةَ وَتَوْعُ.... وَنُقُولُ لَهُ: " أَفْعُدْ هُنَا وَبَلِّغْ الْبَابُ، نَشُوفُو  
اشْكُونُ وَصَلَّهُ الزَّمَانَ وَبِنَعْدَى عَلَيْنَا وَيَأْكُلُ بِنِيَاتِي....أَفْعُدْ هُنَا ".

وَتُرْوَحُ وَتَهْدِرُ وَحَدَّهَا مَسْكِيَّةً، مَفْتُوحٌ " اشْكُونُ هَذَا يَا رَبِّي سِيدِي؟ صَوْتَهُ غَلِيظٌ، وَكَبِيرٌ، وَكَبِيرٌ، حَتَّى غَلَقَ فَمَ الْغَارِ؟ ... آه...! ظَنَيْتُ بِيَهُ الذَّيْبُ الْغَدَارُ، هَذِي خُدَايِمَهُ... وَتَمَشِي لَهُ، وَتَدُقُّ " طَبَّ طَبَّ، طَبَّ طَبَّ "....هَا بَعَى خَيْنًا يَشْطَارًا... " اشْكُونُ طَبَّ طَبَّ فِي غَارِي وَأَنَا حَفَرْتُ بِأَظْفَارِي، وَالْعَجَاجُ طَامِي عَيْنِي؟ " وَ تَجَاوَبَهُ الْمَعْرَةَ وَتَتَهَدَّدُ: " ذِيكَ أَنَا الْمَعْرَةَ الصِّينِيَّةَ، أَلِي قُرُونِي دَهْبِيَّةَ وَالِي صَرَحْتُ مَعَ الْمِيرَاتِ؛ أَيْ كَلَا عَرَّةَ وَمَعْرُورَةَ، يَخْرُجُ هُنَا يَبَارِزْنِي! "....هَا... ثُمَّ بَدَأَ السِّيَ عَلِي بِنَ يُوَسَفُ يَرْتَعَدُ... "

" يَا رَبِّي سِيدِي كِي نُدِيرُ مَعَاهَا هَذِي الْمَعْرَةَ الْوَاعِرَةَ... " اِعْمَتِي الْمَعْرَةَ، وَاللَّهُ مَا أَنَا، كَيْفَاشْ نَمَشِي نَتَعَدَى عَلَيَّ وَوَلَادَ جَارَتِي! لَأَكُنَّ... فَأَيْتُ عَلَيَّ بَابَ الدَّارِ... مَا عَرَفْتُ شَكُونَ وَالنَّشِيَّةَ ثَقِيلَةَ مَا يُكُونُ غَيْرُ هُوَ، بَصَحَ مَا عَرَفْتُ شَكُونَ... " وَ نَقُولُ الْمَعْرَةَ فِي نَفْسِهَا الْمَشِيَّةَ ثَقِيلَةَ؛...؟ حَقِي وَبِاطْلِي هَذَا الظَّبْعُ الْجَائِحُ... " وَتَمَشِي لَهُ " طَبَّ طَبَّ! طَبَّ طَبَّ! هَا بَعَى حَتَّى هُوَ يَتَشَطَّرُ: " اشْكُونُ طَبَّ طَبَّ فِي غَارِي أَنَا حَفَرْتَهُ بِأَظْفَارِي الْعَجَاجُ طَامِي عَيْنِي؟ " وَتَقُولُ لَهُ الْمَعْرَةَ الرَّجُلِيَّةَ. " ذِيكَ أَنَا الْمَعْرَةَ الصِّينِيَّةَ أَلِي قُرُونِي دَهْبِيَّةَ أَلِي صَرَحْتُ مَعَ الْمِيرَاتِ أَلَّ يَكَلَا عَرَّةَ وَ مَعْرُورَةَ يَخْرُجُ هُنَا يَبَارِزْنِي! ثَمَّكَ بَدَأَ يَصْطَفِقُ بِالْخُوفِ وَقَالَ لَهَا: " مَا أَنَا... لَأَكُنَّ فَأَيْتُ عَلَيَّ بَابَ الدَّارِ، الْمَشِيَّةَ ثَقِيلَةَ وَيَنْكَرُكِبُ، بِالْأَكْ هُوَ... مَا عَرَفْتُ الشُّكُونَ أَنَا عَلَيَّ رَاسِي... " مُشَانَا لَلْتَعْلَبُ، هَكَذَاكَ الْعِنَاقُ الْآرِضُ هَكَذَاكَ... أَيَا قَالَتْ هَذَا غَيْرُ السَّبْعِ رَاهُمُ خَائِفِينَ مِنْهُ... خَلِيهِ تَشُوفُ وَتُرْوَحُ لَهُ: " طَبَّ طَبَّ! طَبَّ طَبَّ! " هَا بَعَى يِرَاقِبُ " اشْكُونُ طَبَّطَبَّ فِي غَارِي، وَأَنَا حَفَرْتَهُ بِأَظْفَارِي وَالْعَجَاجُ عَامِي عَيْنِي؟ تَرْدَعْلِيهِ الْمَعْرَةَ بَلَا خَوْفٍ "ذِيكَ أَنَا الْمَعْرَةَ الصِّينِيَّةَ؟ " وَالِي قُرُونِي دَهْبِيَّةَ، وَالِي صَرَحْتُ مَعَ الْمِيرَاتِ... أَلِي كَلَا عَرَّةَ وَمَعْرُورَةَ يَخْرُجُ هُنَا يَبَارِزْنِي...هَا بَدَأَ يِرْجَفُ...لَأَكُنَّ مَنْ تَالِي دَارَ الرَّجُلَةِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ يَاكَ أَنَا السَّبْعُ! نَمَشِي نَخَافُ مَنْ مَعْرَةَ؟ إِذَا بَعَاتُ رَقِيبَةَ...خَلِيهَا تَشُوفُ وَيُرْقِي لَهَا مَنْ وَرَاءَ الْبَابِ: " أَنَا كَلِيثُهُمْ "؟...هَا كَذَا؟ ... اخْرُجْ أَذَاكَ رَاجِلُ... "

هَا قَالَ هُوَ فِي نَفْسِهِ: " غُرْقَةَ هَذِي دَوْرَكَ... كِي نُدِيرُ مَعَاهَا أَنَا؟ هَذِي رَاهِي مَعْوَلَةَ... " وَتَطْبَطَّبُ عَلَيْهِ: اخْرُجْ! أَيُّ؛ اخْرُجْ، اخْرُجْ، فِي غَرَضِي... وَزَيْدِي... عَنْدِي ضِيَاْفُ! " وَ هُوَ مَا عَنَدَهُ ضِيَاْفُ غَيْرُ كَذْبِهَا بَاشْ يَشُوفُ وَيُدَبِّرُ كَيْفَاشْ السَّلَاكَ... " إِيهِ! قَالَ يَاكَ الْمَعِيرُ عَنْدَهُمْ قُرُونٌ... حَتَّى أَنَا تَلْبَسُ رُوجَ قُرُونٍ فَوْقَ رَاسِي... وَبَدَأَ يَكْرِطُ فِي الطَّيْنِ مَنْ الْحَيْطُ الْغَارِ وَيَخْلَطُهَا بِشُوبِي مَاءٍ وَيَمْلَسُ قُرَيْبَاتٍ،... وَالْمَعْرَةَ مَا فِيهَا مَا يِرْحَاءُ، " طَبَّطَبَّ، طَبَّطَبَّ! اخْرُجْ فِي غَرَضِكَ.. "

. أَي فِي غَرْضِكَ، رَانِي تُوكَلْ فِي أَصْيَافِي مَرَّةً رَانِي تُوكَلْ فِيهِمْ، مَرَّةً رَانِي تُمَدَّدْ فِيهِمْ، مَرَّةً مَنْ  
الْبَابِ الْآخَرَ ... مَرَّةً رَانِي نَصَلِّحْ فِي الدَّارِ ... وَزَايِدُ قُرَيْبَاتِ الطِّينِ ... حَتَّى خَرَجَ، غَيْرَ بِالسِّيَاسَةِ؛  
يَتَوَخَّرُ وَيَتَقَدَّمُ... وَيُعَنَّتُ: "وَاشْ بُعِيتْ؟ غَبَّازُ وَالْأَبْرَازُ، وَالْأَضْرَبُ النَّصَالِي؟" قَالَتْ لَهُ هِيَ: "  
الْعَبَّازُ لِلْبُهَائِمِ، هُوَ الْبُعِيدُ، وَالْبَرَّازُ لِلْهَمَائِي كَيْفَ، هُوَ الْبُعِيدُ، وَالضَّرْبُ النَّصَالِي لِبَنَاتِ الصَّلْطُ  
كَيْفِي!" .... وَتَطْيِيرُ لِّلسَّمَاءِ وَتَعُومُ عَلَيْهِ بِرَاسِهَا مَنَحْنِي، وَيَجُؤُا فُونَهَا فِي كَرَشِهِ، تَشْرُكُهَا حَتَّى  
لُصْدَرُهُ... وَتُجِيبُهُ مَرْمِي عَلَى ظَهْرِهِ وَكَرْعِيهِ فِي السَّمَاءِ... وَتُجِيدُ بِنِيَاتِهَا عَزَّةً وَمَعْرُوزَةً، وَتُرْقِي  
بِالْفَرْحَةِ: "يَا سَعْدُ أَمَا ... مَا زَالُوا بِنَاتِي حَيِّينَ، وَتَمَشِي تَغْسَلُهُمْ فِي الْوَادِ أَيْ وَتُعْطِيهِمْ تَعْطِيهِمْ  
الْمُسَيْسَطَاتِ، مَنَهَا خَلْعَةٌ وَمَنَهَا فَرْحَةٌ وَيَاشُ مَا يُعَاوِدُوشْ مَرَّةً أُخْرَى يُرْدُوا بِأَلْهُمُ؛ وَتَمَشِي بِهِمْ  
لِلدَّارِ.... وَهَذَا مَاذَا مِنَ الْإِخْبَارِ وَالِي عَلَيْهِ شَيْ ذُنُوبٌ يَكْتَنُرُ الْإِسْتِغْفَارَ.. أَمَا سَبَعُ الْبَحْرِ عَلَيْهِنَ  
خَلِيهِ يَمَشِي يَأْكُلُ الْحَدِيدَ، وَاحْنَا نَأْكُلُوا الثَّرِيدَا.

### 15. "الخير امرأ.. والشر امرأ "

"وَحَدُّ النَّهَازِ كَانَ وَحَدُّ السُّلْطَانِ هُوَ وَمَرَّتَهُ قَاعِدِينَ فِي الْعَلِيَّةِ شَافُوا الْحَطَابَ وَمَرَّتَهُ وَوَلِيدَاتُهُمْ  
يَتَضَابِحُوا قَدَامَهُمْ، قَالَتْ الْأَمِيرَةُ لِلْسُّلْطَانِ: رَاكَ تَشُوفُ حَالَةَ الْحَطَابِ، مَرَّتَهُ هِيَ الزَّمَانُ بَرُوحَهُ  
الْخَيْرِ امْرَأَةً وَالشَّرِّ امْرَأَةً: قَالَ لَهَا السُّلْطَانُ: شَارَاكِي تَقُولِي عَلَاةً أَنْتِ الْخَيْرِ مِينَ رَاكِي عِنْدِي،  
قَالَتْ لَهُ: وَاهُ أَنَا الْخَيْرِ، قَالَ لَهَا: هُمَا لَا أُخْرَجِي وَنَشُوفُ الْخَيْرِ يَلَا يَبْقَى مُورَاكَ وَلَا يَتَّبِعُكَ.  
خَرَجَتْ وَقَاتَتْ عَلَى الْحَطَابِ وَقَالَتْ لَهُ: ضِيَافُ رَبِّي مَا عَرَفَهَاشْ قَالَ لَهَا: يَا بِنْتُ سَيِّدِي وَأَنَا  
هَذِي خَيْمَةٌ نُضَيِّفُكَ فِيهَا، قَالَتْ لَهُ شَفْنِي حَالَكُمْ وَجِيتْ نُعِيشْ مَعَاكُمْ، قَالَ لَهَا: بَصَحَ رَاكِي تَعْرِفِي  
حَالَةَ الْحَطَابِ، قَالَتْ لَهُ: رَانِي عَارِفَةٌ، جَابَ هُوَ شُوبِيَّةً تَاعَ زُرْعَ بِالْحَطْبِ اللَّيِّ بَاعَهُ، جَاؤُا أَوْلَادَهُ  
يَجْرُؤُوا بَعَاؤُا يَأْكُلُوهُ أَحْضَرَ كَيْمَا سَبَقَ مَعَ أُمَّهُمْ، جَابَتْ مَشْحَاطُ وَحَاوَرْتُهُمْ قَالَتْ لَمَرَّتِ الْحَطَابِ:  
أَقْلِيهِ، وَمِينَ قَلَاتَهُ جَاؤُا أَوْلَادَهَا يَأْكُلُوهُ حَاوَرْتُهُمْ، وَقَالَتْ لَهَا: أَطْحَنِيهِ طَحْنَاتَهُ وَغَرَبَلَاتَهُ، قَالَتْ لَهَا "  
التَّشْيِيشَةَ وَخَرِيهَا فِي لِيَانِ وَالسَّمِيدَ أَعَجَبِيهِ، عَجَبَاتَهُ وَطَيِّبَاتَهُ مِينَ وَجَدَتْ الْكَسْرَةَ أَعْطَاتُهُمْ قَاعُ  
طَرْفِ طَرْفِ كَلَاؤُا وَقَالَتْ لَهَا: أَحْلَبِي شُوبِيَّةً خَلِيبَ مَنْ هَذِيكَ الْمَعْرَةَ وَفُورِي التَّشْيِيشَةَ سَقَاتْ لُهُمْ  
بِالْحَلِيبِ تَعَشَاؤُا بِهَا وَشَبِعُوا، وَخَلَاتْ شُوبِيَّةً زُرْعَ عَلَى جِهَةٍ، كُلُّ يَوْمٍ هَكَذَاكَ تَدِيرُ لُهُمْ وَتُوَخَّرُ شُوبِيَّةً  
تَاعَ الزَّرْعِ حَتَّى عَمَرَتْ رَقَاؤُا قَالَتْ لِلْحَطَابِ أَدِيهِ بِيَعَهُ وَاشْرِي أَحْمَارَ تَرَفَّدَ عَلَيْهِ الْحَطْبُ بَرَّافُ،  
شَرَى حَمَارَ، وَلَى يُصَوِّرُ الدَّرَاهِمَ بَرَّافُ وَبَدَا يَدْخُلُ لِلدَّارِ شُوبِيَّةً قَهْوَةً وَسُكَّرَ، وَاصْبَحَ يَشْرِي الْقَمْحَ  
وَأُمَّهُمْ تَحْبِرْلُهُمْ كَسْرَةَ تَاعَ قَمْحَ وَ تَشْرَبُوا الْقَهْوَةَ، قَالَ لَهَا: يَا لآلَةَ: احْنَا عَمَرْنَا مَا شَرِينَا الْقَهْوَةَ وَلَا  
كَلِينَا الْكَسْرَةَ تَاعَ الْقَمْحِ.

فِي هَذِيكَ الْجِهَةِ كَانُوا الْمُغَارِبَةَ يَحْفَرُوا الْأَرْضَ، وَيَحْوَسُوا عَلَى الْمَالِ وَالذَّهَبِ قَالُوا لِلْحَطَّابِ  
بِيعْ لَنَا الْحَمَارَ بِالذَّرَاهِمِ اللَّيِّ تَبْغِيهِمْ، بَاعَ لَهُمُ الْحَمَارَ وَفَرِحَ بِالْمَالِ لِي اعْطَاوْهُلَهُ وَرَجَعَ لِدَارِهِ،  
الْمُغَارِبَةَ أَدَاؤُا الْحَمَارَ وَقَعَدُوا يَحْفَرُوا وَيُدِيرُوا الْبَحْرَ لِلْعَقَارِ، خَرَجُوا الذَّهَبَ وَالْمَالِ دَارُوهُ فَوْقَ  
الْحَمَارِ وَرَجَعُوا يَزِيدُوا يَحْفَرُوا، حَتَّى تَعَسَاوَا، الْحَمَارَ قَعَدَ يَقَارِعُ، وَمَنْ بَعْدَ رَجَعَ لِدَارِ الْحَطَّابِ اللَّيِّ  
كَانَ مَوْلَاهَا، مِينَ أَدَخَلَ أَنْخَلَعُوا شَدَّتْ الْأَمِيرَةَ دَبْحَاتَهُ وَطَرَفَاتَهُ وَدَفَنَاتَهُ، خَزَنْتِ الذَّهَبَ وَالْمَالِ فِي  
مَطْمُورَةٍ، مِينَ فَطَنُوا الْمُغَارِبَةَ مَا صَابُوشِ الْحَمَارِ رَجَعُوا لِلْحَطَّابِ سَفْسَاوَهُ عَلَى الْحَمَارِ قَالَ لَهُمْ:  
مَا شَفْتَهَشْ، شَدَّتْ اعْطَاتِ لِلْحَطَّابِ يَشْرِي الْعَوَادُ وَالْمَكَاحِلُ وَاللَّبْسَةَ لِيهِ وَلَوْلَادَهُ وَلَمَرَّتَهُ وَبِنَاتِ  
فِيهَا".

وَحَدَّ النَّهَارَ طَيَّبَتْ عَشَاءَ فِيهِ كُلَّ الْخَيْرِ وَكُلَّ خَمِيرٍ وَقَالَتْ لِلْحَطَّابِ عَيْطُ لَجَارِكَ مَوْلِ الْقُصْرِ،  
رَانِي نَشُوفَ حَالَهُ قَاعَ تَبْدَلْ، وَرَاهُ وَيْنُ مَا بَاتَ وَيْنُ مَا ضَلَى قَالَ لَهَا: صَحَّ وَدَارَتْ خَانَمَهَا فِي  
عُرْفِيَةِ الْحَرِيرَةِ مِينَ جَاءَ يَأْكُلُ صَابَهَا قَالَ لَهُ: حَلْفَتِكَ بَرِي قَوْلِ لِي شَكُونِ اللَّيِّ طَيَّبِ الْعَشَاءَ قَالَ  
لَهُ: هَذِي أَمْرَةَ رَبِّي رَسَلْ هَالِي خَرَجْتِي مِّنَ الزَّمَانِ وَرَجَعْتِي عَائِشَ فِي هَذَا الْخَيْرِ اللَّيِّ رَاكَ  
نَشُوفَ، قَالَ لَهُ: صَحَّ وَرِي هَالِي، عَيْطُ لَهَا مِينَ شَأْفَهَا قَعَدَ بِيَكِي وَطَلَبَ مِنْهَا السَّمَاخَ وَقَالَ لَهَا:  
مَلِي خُرْجَتِي خُرْجِ الرَّرْزُقِ مَعَاكَ، رَجَعْتَ مَعَ رَاغْلَهَا وَاعْطَاهَا الْحَطَّابُ نَصْفَ رَرْقَةٍ وَهِيَ رَاخَتْ  
تَتَّكْرَبُ وَأَنَا جِيْتُ تَتَّكْرَبُ.

## 16. "العبدُ لُحْلُ"

"وَحَدَّ النَّهَارَ كَانَ وَحَدَّ الْأَمِيرِ مَتْرُوجَ بِأَمِيرَةِ شَابَةِ بَرَأَفَ، وَكَانَ عِنْدَهُ وَحَدَّ الْعَبْدُ كُحْلُ يَخْدَمُ  
عِنْدَهُ، وَكَانَ يَعْرِفُ السِّحْرَ، عَلَّمَ سِيدَهُ كَيْفَاشَ يَدِيرُ يَسْحَرُ، وَكَانَ هَذَا الْعَبْدُ يَبْغِي أَمْرَةَ  
الْأَمِيرِ، عَاجِبَاتَهُ، وَيَحْوَسُ يَقْتُلُ الْأَمِيرَ بِأَشْ يَطِيقُ يَتْرُوجَ بِهَا.

وَحَدَّ النَّهَارَ الْأَمِيرُ كَانَ خَارِجَ لِلصَّيْدِ وَإِذَا مَعَاهُ الْعَبْدُ، صَيْدَ الْأَمِيرُ حَمَامَةً قَالَ لَهُ الْعَبْدُ: كُونِي  
تُورِيلِي يَاسِيدِي لَا رَاكَ تَعْرِفُ تَسْحَرُ كَيْمَا عَلَمْتِكَ، قَالَ الْأَمِيرُ: شَا تَبْغِي نُورِيلِكَ، قَالَ لَهُ الْعَبْدُ:  
حَوْلَ رُوحِكَ لِهَذَا الْحَمَامَةِ، فِي الْوَقْتِ اللَّيِّ تَحَوْلُ فِيهِ الْأَمِيرُ لِلْحَمَامَةِ، حَوْلَ الْعَبْدِ رُوحَهُ  
لِأَمِيرٍ، وَبَعَى يُطِيرُ عَلَى الْحَمَامَةِ يَجِيْفُهَا، طَارَتْ فَوْقَ شَجَرَةٍ مِّنَ شَجَارِ الْقُصْرِ رَجَعَ الْعَبْدُ اللَّيِّ دَارَ  
رُوحَهُ هُوَ الْأَمِيرُ، وَرَاخَ عِنْدَ الْأَمِيرَةِ اللَّيِّ كَانَ يَحْلُمُ بِهَا، وَبَعَى يَرَقُدُ مَعَهَا فِي النَّهَارِ، شَكَّتْ  
الْأَمِيرَةَ فِيهِ وَنَاضَتْ وَخَلَاتَهُ، وَرَاخَتْ لِلْجَنِينَةِ، وَقَعَدَتْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ اللَّيِّ حَطَّتْ فَوْقَهَا  
الْحَمَامَةُ، وَلَاتَتْ تَحْمَمُ الْأَمِيرُ رَاهُ مَتَبْدَلْ، مَشِي هَدُوا طَبَائِعَهُ، حَتَّى طَاخَتْ عَلَيْهَا قَطْرَةٌ مَاءً، كِي  
طَلَعَتْ رَاسَهَا صَابَتْ الْحَمَامَةُ تَبْكِي، سَفْسَانَتْهَا، خَبَرَتْهَا الْحَمَامَةُ بَقَصَّتْهَا، أَنْخَلَعَتْ وَعَرَفَتْ بَلِي هَذَا

العَبْدُ بَعَى يَلْعَبُ بِهَا، وَتَفَاهَمَتْ مَعَ الْحَمَامَةِ " الْأَمِيرُ " بَاشَ تَحَطُّ فَوْقَ التَّاقَةِ تَاعَ دَارَهَا وَعَيْطَتْ  
لِلْعَبْدِ وَقَالَتْ لَهُ: يَا رَاجِحِي، رَانِي بَاغِيكَ تَعْلَمَنِي شَوِيَّةَ سِحْرٍ مِّنَ اللَّيِّ عِلْمَهُ لَكَ الْعَبْدُ ائْتَاعَكَ قَالَ  
لَهَا صَحُّ وَهُوَ فَرَحَانُ، قَالَتْ لِلْخَدَامِ جِبُولِي دِيكَ مِينِ جَابُوهُ لَهَا، قَالَتْ وَرِينِي كِبِفَاشُ تَحَوْلُ رُوحَكَ  
لِهَذَا الدِيكَ، فِي رَمَشَةِ عَيْنٍ حَوْلَ رُوحَهُ لِلدِيكَ، تَحَوْلَتْ الْحَمَامَةُ لِأَمِيرٍ، وَشَدُوا الدِيكَ وَدَبَّحُوهُ،  
وَعَاشَ هُوَ وَمَرَّتَهُ هَانِيينُ مِّنَ غَدَرِ الْعَبْدِ لُكْحَلُ".

### 17. " الذيب و الثعلب "

" وَحَدَّ النَّهَارُ اشْتَرَكُ الذِيبُ مَعَ الثَّعْلَبِ فِي فَلَاحَةِ الْقَمْحِ، مِينِ تَجِي الثَّعْلَبُ تَصِيبُ الذِيبِ رَاقِدُ،  
تَقُولُ لَهُ: يَاالذِيبُ نُوضُ تَزْرَعُ، يَقُولُ لَهَا: أَرْزَعِي وَأَنَا نَحْصَدُ، تَرْوَحُ تَزْرَعُ، مِينِ جَاءَ وَفَتَّ الْحِصَادُ  
تَقُولُ لَهُ: يَاالذِيبُ نُوضُ تَحْصَدُ، يَقُولُ لَهَا: أَحْصَدِي وَأَنَا نَدْرَسُ، تَرْوَحُ تَحْصَدُ، مِينِ كَمَلَتْ، قَالَتْ  
لَهُ: يَاالذِيبُ نُوضُ تَدْرَسُ، قَالَ لَهَا: أَدْرِسِي، وَوَقَّتْ الكَيْلُ نَوْضِينِي نَكِيلُ مِينِ دَرَسَاتِهِ نَاضُ بَاشُ  
يُكَيْلُ، وَلى يُدِيرُ الصَافِي لِيهِ وَالْكَرْفَةَ لِلثَّعْلَبِ، قَالَتْ لَهُ: يَاالذِيبُ عَلَاهُ حَقْرْتِي؟ قَالَ لَهَا: هَذَا لِي  
عَنْدِي آدِي وَلَا حَلِي.

رَاحَتْ عِنْدُ وَحَدَّ الْمَدْبَرُ قَالَتْ لَهُ: شُوفْ يَا سِيدِي الذِيبُ كِي حَقْرْتِي أَشْتَرَكْتُ مَعَاهُ فِي فَلَاحَةِ  
الْقَمْحِ، أَنَا زَرَعْتُ وَأَنَا حَصَدْتُ وَأَنَا دَرَسْتُ، وَهُوَ عِي رَاقِدٌ وَمِينِ وَلى وَفَتَّ الكَيْلُ نَاضُ، الصَافِي  
يَدِيهِ وَالْكَرْفَةَ يَعْطِيهَا لِي.

قَالَ لَهَا: رُوحِي تَفَاهَمِي مَعَ سُلُوقِي خَلْصِيهِ وَدِيرِيهِ فِي قَنْتِ وَعْطِيهِ وَمِينِ مَا يَبْغِيشُ يَعْطِيكَ  
حَقَّكَ، أَطْلَقِي عَلَيْهِ السُّلُوقِي، رَاهُ يَخَافُ وَيَخْلِي لِيكَ الْقَمْحُ وَيَهْرَبُ، قَالَتْ لَهُ: صَحُّ.  
رَاحَتْ الثَّعْلَبُ تَفَاهَمَتْ مَعَ السُّلُوقِي، عَطَاتَهُ وَدَارَتَهُ فِي الْقَنْتِ، مِينِ كَمَلُ الذِيبِ الكَيْلُ، قَالَتْ لَهُ  
أَعْطِينِي حَقِّي، قَالَ لَهَا: هَذَا حَقَّكَ، قَالَتْ لَهُ قُولُ، يَقْطَعْنِي هَذَاكَ الْقَفَّ اللَّيِّ يَلْفَفُ أَلَا هَذَاكَ  
حَقَّكَ، قَالَ لَهَا: يَقْطَعْنِي هَذَاكَ الْقَفَّ اللَّيِّ يَلْفَفُ أَلَا هَذَاكَ حَقَّكَ، وَمَاعَرَفْشُ بَلِي اللَّيِّ مَعْطِي هُوَ  
السُّلُوقِي، خَرَجَتْ لَهُ السُّلُوقِي مِينِ شَافَهُ قَاسَ اللَّيِّ فِي يَدِهِ وَهْرَبُ، وَلى يَقُولُ لَهَا: يَاالثَّعْلَبُ كُنْشِي رَاهُ  
لِيكَ، بِالصَافِي بِالْكَرْفَةَ بَلِي تَحْتِ الطَّارِفَةَ كُلُّ شَيْءٍ رَاهُ لِيكَ، آدَاتُ هِيَ الْقَمْحُ قَاعُ حَقِّ اللَّيِّ تَعْبَتْ  
فِيهِ لِرُوحِهَا ".

### 18. " جحاً والسلطان "

" وَحَدَّ النَّهَارُ جَحَا وَعَدَّ السُّلْطَانُ تَاعَ الْبِلَادِ بَاشُ يَدُوقُهُ وَرَّةَ مُحْمَرَةٍ مِّنَ طَيَابِ مَرَّتِهِ وَبَعَى يُوفِي  
بِهَدْرَتِهِ رَاحُو لِمَرَّتِهِ وَقَالَ لِيهَا: اخْتَارِي لَنَا وَرَّةَ كَبِيرَةٍ مِّنَ اللَّيِّ عِنْدَنَا، طَيَّبِيهَا وَحَمْرِيهَا نَدِيهَا

للسُّلْطَانِ بِالْأَكْ كَاشَ مَايَحْنُ عَلَيْنَا بِشَوِيَّةِ مَالٍ. مِينِ طَابَتْ الْوَزَّةُ وَحَمَارَتْ أَدَاهَا لِلْسُّلْطَانِ، فِي الطَّرِيقِ جَاعٌ كَلَامٌ فَحَدَّ، مِينِ وَصَلَ لِلْقَصْرِ أَعْطَاهَا لِلْسُّلْطَانِ كِي شَافَهَا، قَالَ لَجَحًا: وَيْنِ رَاهُ كِرَاعُ الْوَزِّ؟ اللَّيِّ عَنَدْنَا يَمْشِي عَلَى كِرَاعٍ وَاحِدٍ وَلَا مَأْمَنْتِيْشِ طُلُ مِنْ التَّاقَّةِ تَاعِ الْقَصْرِ وَشُوفِ الْوَزَّ عَلَى الشَّطِّ.

مِينِ طُلُ السُّلْطَانِ شَافَ قَاعَ الْوَزِّ وَاقَفَ عَلَى كِرَاعٍ وَاحِدٍ كَيْمَا عَادَتْهُ فِي وَقْتِ رَاحَتِهِ، أَرْسَلَ الْخَادِمَ ائْتَاعَهُ وَ قَالَ لَهُ: حَاوِرْ هَذَاكَ الْوَزَّ بِالْمَطْرَقِ مِينِ حَاوِرْتَهُمْ جَرَاوُ بَرْوَجِ كَرَعِينِ، قَالَ السُّلْطَانُ لَجَحًا: وَدِرُوكُ شَا نَقُولُ؟ قَالَ جَحًا: أَنَا وَكَانَ حَاوِرْتِيْ بِهَذَا الْمَطْرَقِ نَمَشِي عَلَى رِبْعَةٍ " مَشِي تَحَارَى الْوَزَّ!

### 19. " الْفَلَاخُ وَالْخَمَاسُ "

"وَحَدَّ النَّهَارَ كَانَ الْفَلَاخُ عَائِشَ مَعَ مَرَّتِهِ، وَحَدَاهُ سَاكُنُ الْخَمَاسِ ائْتَاعَهُ مَعَ مَرَّتِهِ ... وَكَانَ الْفَلَاخُ يَقُولُ لَمَرَّتِهِ كُلَّ يَوْمٍ كَبْرِي لَنَا الرَّبْعِي وَ كَانَتْ مَرَّتُ الْخَمَاسِ تَسْمَعُهُمْ وَنُقُولُ لِرَاجِلَهَا: حُوجِي كُلَّ يَوْمٍ يَدْبَحُوا حُرُوفًا وَيَأْكُلُوهُ لُوْحَدَهُمْ، قَاعَ مَايَعْلَطُوشُ كَاشَ نَهَارُ وَيَرْسَلُ لَنَا شَوِيَّةَ لَحْمٍ، هَذَا جِيَاعُ بَرَّافِ رَاحَ رَاجِلَهَا شَرَى لَهَا زَطْلَ لَحْمٍ وَقَالَ لَهَا: يَبْرِي لَنَا الطَّعَامَ بِالْمَرْقَةِ تَاعِ اللَّحْمِ الْيَوْمِ، طَبَّيْتُ اللَّحْمَ وَفَوْرَتْ الطَّعَامُ وَسَقَاتَهُ، مِينِ بَعَاوُ يَأْكُلُوا طَبَّيْتُ مَرَّتَ الْفَلَاخِ، وَقَالَتْ لَهُمْ: سَمِيَتْ رِيحَةَ اللَّحْمِ كُونِ تَعْطُونِي شَوِيَّةَ، قَالَتْهَا مَرَّتُ الْخَمَاسِ: صَارَ هَاكَ أَنْتُومَا كُلَّ يَوْمٍ تَدْبَحُوا رَبْعِي وَتَأْكُلُوهُ وَحَدَّكُمْ، قَاعَ مَاثَفَكْرْتُونَاشَ، وَاحِنَا صَابِنَا رَبِّي وَشَرِينَا الْيَوْمَ زَطْلَ لَحْمٍ، جِيْتِي تَجْرِي عَنَدْنَا قَالَتْ لَهَا مَرَّتُ الْفَلَاخِ: يَا مَرَاةَ الرَّبْعِي هُوَ الْبَصْلُ، كُلَّ يَوْمٍ يَقُولُ لِي طَبَّيْتُ فِي الْمَاءِ نُسْفُوا بِيهِ الطَّعَامَ، قَالَ لَهَا الْخَمَاسُ:

قَاعَ الْخَيْرِ اللَّيِّ عِنْدَهُ وَالْحَرْفَانِ اللَّيِّ فِي الزَّرِيَّةِ، وَيَنْعَسَى بِالْبَصْلِ، شُوفِي يَا مَرَاةَ كُونِ نُرِيحَكَ مِنْ الْبَصْلِ وَنُتُولِي تَأْكُلِي اللَّحْمَ تَرْسَلِي لِي كُلَّ يَوْمٍ حَقِي؟ قَالَتْ لَهُ وَاهُ مَا دَابِيكَ غَيْرِ نُرِيحُ مِنْ الْبَصْلِ أَنَا قَتَلْنِي بِيهِ قَالَ لَهَا: هَاكِي هَذَا الْحَشِيشَةَ مِينِ يَرْقُدُ حَكِيهَا عَلَى نَيْفَةٍ وَخَلِي الْبَاقِي عَلَيَّ، قَالَتْ لَهُ: صَحْ، حَكَّتْ لَهُ الْحَشِيشَةَ عَلَى نَيْفَةٍ مِينِ رُقْدَ، جَاءَ الْخَمَاسُ مَعَ صَاحِبِهِ رَفْدُوهُ وَحَطُوهُ فِي قَبْرِ حَفْرُوهُ فِي الْمَقْبَرَةِ، لَبَسَ صَاحِبَهُ بَرُوسَ بِيضَ وَشَاشِيَّةَ بِيضَةَ كُلِّي مَلَكِ السِّوَالِ وَبَدَّلَ رُوحَهُ بِأَشْ مَا يَعْرِفُهُشِ الْفَلَاخُ وَمَنْ بَعْدَ حَاكَ لَهُ حَشِيشَةَ وَحَدَّةَ أُخْرَى فُطِنَ وَلَى صَاحِبَ الْخَمَاسِ يَدُورُ فِي الْقُبُورِ وَيَسْمَعُ فِي الْمَوْتَى وَيَقُولُ: هَذَا يَأْكُلُ اللَّحْمَ رَبِّي يَرْحَمُهُ، هَذَا يَأْكُلُ اللَّحْمَ رَبِّي يَرْحَمُهُ، حَتَّى وَصَلَ عِنْدَ قَبْرِهِ سَمِعَهُ صَابَهُ فِيهِ رِيحَةَ الْبَصْلِ، قَالَ لَهُ: هَذَا يَأْكُلُ الْبَصْلَ الْيَوْمَ يَحْصَلُ، وَشَدَّهُ هُوَ الْخَمَاسُ بِالضَّرْبِ حَتَّى نَعَّاسَى.

حُكُوا لَهُ الْحَشِيثَةَ وَدَاوَهُ لِبَلَاصَتِهِ الصَّبَاحَ مِنْ أَفْطَنَ، لَقِيَ مَرَّتَهُ رَافِدَةَ حَدَاهُ قَالَ لَهَا: أَسْمَ اللهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ، أَنَا مَشِي مَتٌ وَدَفُنُونِي؟ قَالَتْ لَهُ: يَا رَجُلُ شَارَاكَ نَقُولُ: أَنْتَ كُنْتَ رَاقِدٌ حُدَايَ مَنْ الْبَارِحِ، قَالَ لَهَا: أَلَا يَا مَرْأَةَ أَنَا مَتٌ وَتَسَاوَلْتُ وَخُلَصْتُ عَلَى الْبِصْلِ اللَّيِّ كُنْتُ نَاكِلَهُ، أَرْفِدِيهِ خَرَجِيهِ عَلَيَّ مَا نُزِيدُشْ نَشْمَ رِيحَتَهُ فِي الدَّارِ، مَنْ الْيَوْمَ نَاكَلُوا غَيْرَ اللَّحْمِ، فَرَحْتُ مَرَّتَهُ وَوَلَّاتُ كُلَّ يَوْمٍ تَرَسَلُ لِلْحَمَّاسِ حَقَّهُ تَاعَ اللَّحْمِ".

## 20. " الْجَوْهَرُ فِي خَيْوِطِهَا "

"وَحَدَّ النَّهَارَ كَانَ هَذَا " الزَيْنُ " وَوَلَدَ السُّلْطَانَ، يُجِي يَشْرَبُ لِلْعَيْنِ، وَيَغْسَلُ خَيْلَهُ وَ يَحُوضُ الْمَاءَ لِأَصْحَابِ الْقَرْيَةِ، مَا يُطِيقُوشُ يُعَمَّرُوا مُورَاهُ، قَالَتْ لَهُمْ سَتُوتُ: أَنَا نَهَجَرَهُ مِنَ الْبِلَادِ، وَنَخَلَصَكُم مَنَّهُ. رَاحَتْ لِلْعَيْنِ، دَاتُ قَرَبَتَهَا وَقَبُوشَةَ تَاعَ الْبَلُوطِ، وَقَعَدَتْ تَعَمَّرَ بِيهَا الْمَاءَ، جَاءَ الزَيْنُ بَاهُ يَشْرَبُ عَوْدَهُ بَطَاتُ السَّتُوتِ، قَالَ لَهَا يَا سَتُوتُ حَفِي: مِينَ مَا بَعَاشْ، دَهَمَ فِيهَا وَخَرَهَا، وَقَعَدَ يَشْرَبُ فِي عَوْدِهِ، قَالَتْ لَهُ: شُوفْ نَقُولُ يَكْسَبُ الْجَوْهَرَ فِي خَيْوِطِهَا، قَالَهَا: هَذِي بِلَادٌ وَلَا زَرَقٌ وَلَا شَاهِي؟ قَالَتْ لَهُ: امْرَةَ وَمَا يَلْحَقَاشُ قُرَائِنُكَ.

رَاحَ لِبَابَاهُ السُّلْطَانَ قَالَهُ: رَانِي رَايِحَ نُجِيبُ الْجَوْهَرَ فِي خَيْوِطِهَا، قَالَ لَهُ بَابَاهُ: يَاوَلِدِي شَعَالُ كَيْفَكَ رَاحُوا وَرَجَعُوا فِي نَصِ الطَّرِيقِ، قَالَ لَهُ: دِيرَلِي خَادِمٌ وَعَبْدٌ فُوقَ الْبَغْلَةَ يَرُوحُوا مَعَايَ، دَاوَلَهُ بَابَاهُ عَطَاهُ صِنَادِقُ تَاعَ الْوَيْزِ فُوقَ الْبَغْلَةَ وَرَكِبَ هُوَ فُوقَ الْعُودِ وَرَاحُوا فِي الطَّرِيقِ صَابٌ وَحَدَّ الْمَرَّةَ تَبْكِي، وَتَقُولُ: يَا لِي يَسَلِّكَ لِي وَلِيدي يَزِيحُ هُنَا وَلِهِيهِ، قَالَ لَهَا: مَالَهُ وَوَلَدُكَ، قَالَتْ لَهُ: السُّلْطَانَ رَاهُ مَحْصَلٌ فِيهِ خِيَانَةٌ تَاعَ مَالٍ، وَهُوَ مَاخُونُشْ، وَوَلَدُهَا سَمُوهُ حَدَّ الزَيْنِ.

رَاحَ " الزَيْنُ " لِلْسُّلْطَانَ وَقَالَهُ شَانَعَطِيكَ وَتَخَرَجَ " حَدَّ الزَيْنِ "؟ قَالَ لَهُ: مَا يَخْرُجُشْ غَيْرَ يَلَا وَرَزْنَتَهُ بِالذَّهَبِ، رَاهُ الزَيْنُ جَابَ شُويَةَ مِنَ الذَّهَبِ أَنْتَاعَهُ، وَوَزَنَ بِيهِ حَدَّ الزَيْنِ، وَأَعْطَى الذَّهَبَ لِلْسُّلْطَانَ وَخَرَجَهُ. فَرَحَتْ الْعُجُوزُ وَقَالَتْ لَهُ: وَاللهِ مَارَاكَ رَايِحَ حَتَّى تَتَّعَسَى وَتَبَاتُ عِنْدَنَا، وَمَنْ بَعْدُ يَسْهَلُ رَبِّي، وَفِي اللَّيْلِ سَفَسَاتُ الْعُجُوزِ الزَيْنِ وَبَيْنَ رَايِحَ؟ حَكَى لَهُمْ بَلِي رَاهُ رَايِحَ يَتَرَوِّجُ بِالْجَوْهَرَ فِي خَيْوِطِهَا. قَالَتْ الْعُجُوزُ:

عَلَاهُ مَا يِرَافِقُشْ وَوَلَدِي، وَتَرَجَعَ الْخَادِمُ وَالْعَبْدُ لِبَابَاكَ السُّلْطَانَ وَالْبَغْلَةَ يَزْكَبُ عَلَيْهَا حَدَّ الزَيْنِ، وَوَلَدِي خَفِيفٌ وَيَقْدَرُ يِعَاوَنُكَ بِالْأَكْ بِهَذَا يَزْدَلُّكَ غَيْرَ شُويَ مِنَ جَمِيلِكَ. انْفَاهُمُوا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، فِي اللَّيْلِ مِينَ رَقُدُوا رَاحَ حَدَّ الزَيْنِ اسْتَرَسَبَ عَلَى قَصْرِ السُّلْطَانَ، وَرَجَعَ بِالذَّهَبِ اللَّيِّ وَرَزْنَهُ بِيهِ الزَيْنُ لِمَوْلَاهُ، مِينَ نَاصُوا الصَّبَاحَ، السُّلْطَانَ فَاقَ، قَالَ لَهُمْ جَبِيؤُا الْخَائِنِ اللَّيِّ كُنَّا حَاكِمِيئَهُ، الذَّهَبُ

انْسَرَقَ رَاخُ الزَّيْنِ وَالْعُجُوزُ وَالْخَدَامُ شَهِدُوا بِاللِّيِّ الْبَارِحِ كَانَ يَتَعَشَى مَعَنَا وَرَقَدَ مَعَنَا، بِالْأَكِّ سَارِقٌ وَحَدُّ آخَرَ.

وَرَاخُ الزَّيْنِ وَحَدُّ الزَّيْنِ يَدْخُلُوا بِلَادَ وَيَخْرُجُوا بِلَادَ، حَتَّى وَصَلُوا لَوْحَدَ الْبِلَادِ قَاعٌ وَجُوهُهُمْ حُمْرِينَ، قَالُوا لَهُمْ مَا لَكُمْ حُمْرِينَ، قَالُوا لَهُمْ كَيْفَاهُ نَسَمَعُوا خَبَرَ الْجُوهَرِ فِي خَيْوِطَهَا وَنَبَقَاؤَ فِي حَالِنَا، يُزِيدُوا يَدْخُلُوا بِلَادَ وَحَدَّ آخَرَ يَصِيبُوا مَالِيهَا قَاعَ زُرْقِينَ، يُقُولُوا لَهُمْ مَا لَكُمْ: مَا لَكُمْ زُرْقِينَ، يُقُولُوا لَهُمْ: كَيْفَاهُ نَسَمَعُوا خَبَرَ الْجُوهَرِ فِي خَيْوِطَهَا وَنَبَقَاؤَ فِي حَالِنَا غَيْرَ هَكَذَاكَ، الْبِلَادَ اللَّيِّ يَدْخُلُوهَا يَلْقَاؤُ مَالِيهَا فِي لُونٍ، حَتَّى دَخَلُوا لَوْحَدَ الْبِلَادِ صَابُوهَا مَعْمَرَةَ بَقْرَ، قَالُوا: أُنْتَاغَ مَنْ هَذَا الْبَقْرَ، قَالُوا لَهُمْ تَاغَ الْجُوهَرِ فِي خَيْوِطَهَا، قَالُوا لَهُمْ: وَهِيَ وَبَيْنَ رَاهِي، قَالُوا لَهُ مَا زَالَ الْقَدَامُ، يَدْخُلُوا بِلَادَ وَحَدَّ آخَرَ يَصِيبُوهَا مَعْمَرَةَ غَنَمَ، يُقُولُوا لَهُمْ: أُنْتَاغَ مَنْ هَذَا الْغَنَمَ يُقُولُوا لَهُمْ:

"أُنْتَاغَ الْجُوهَرِ فِي خَيْوِطَهَا، يُقُولُوا لَهُمْ: وَهِيَ وَبَيْنَ يُقُولُوا لَهُمْ مَا زَالَ الْقَدَامُ، غَيْرَ هَكَذَا حَتَّى وَصَلُوا لِبِلَادِهَا. بَابَاهَا دَايِرَهَا فِي قَصْرٍ يُعَسُّهَا 40 عَبْدٌ، بَنَى الزَّيْنُ وَحَدُّ الزَّيْنُ حَيْمَةَ مَقَابِلَةَ الْقَصْرِ، وَرَاخُوا لِلْخَدَامِ، وَقَالُوا لَهُمْ: ضِيَاغَ رَبِّي يَلَا نَعَشُونَا، قَالُوا لَهُمْ: أَحْنَا غَيْرَ خَدَامَ أَهْنَا أَنْتُومَا يَلَا نَعَشُونَا، قَالَ لَهُمُ الزَّيْنُ وَحَدُّ الزَّيْنُ: صَحَّ الْعَشَا الْيَوْمَ عَلَيْنَا، بِالْأَكْوَا مَا نَجُوشُ، دَارُوا لَهُمُ الْخَلِيبُ فِيهِ الْمُسْكِرَةَ وَالتَّمْرَ وَعَشَاوَهُمْ.

رَقَدُوا نَبَاً يَطْلَعُ الزَّيْنُ، قَالَ لَهُ حَدُّ الزَّيْنُ: أَنَا خَفِيفٌ عَلَيْكَ وَ مَا تَفِيقُشَ بِي الْجُوهَرِ فِي خَيْوِطَهَا، طَلَعَ حَدُّ الزَّيْنِ، حَبَلٌ لَهَا قَاعٌ بَيْتِهَا وَ خَرَجَ، فَطَنُوا الْعَبِيدَ وَرَجَعُوا لِبِلَايَصُهُمْ، الصَّبَاخُ صَابَتِ الْبَيْتِ قَاعٌ مَخْبَلَةٌ، حَبَرَتْ بَابَاهَا السُّلْطَانُ، قَطَعَ لَهْدُوكَ الْعَبِيدَ رِيسَانَهُمْ، وَجَابَلَهَا 40 وَحَدَّ آخِرِينَ، قَالَتْ بَاغِي تَرُوحَ 40 عَبْدٌ آخَرَ عَلَى رَقَبَتِي أَنَا، مَا تَرَقَدُشَ وَنَعَسَ رُوحَ، ضَيَّفُوا الْعَبِيدَ عِنْدَهُمْ وَدَارُوا لَهُمْ كَيْمَا دَارُوا لِلْعَبِيدِ الْأُولَى، طَلَعَ حَدُّ الزَّيْنِ، مِينَ بَغَى يُحْبَلُ لَهَا حَكَمَاتَهُ مِنَ الْيَدِ. قَالَتْ لَهُ أَنْتَ وَوَلَدُ الدُّنْيَا وَلَا وَوَلَدُ الْآخِرَةِ، قَالَ لَهَا: أَنَا وَوَلَدُ الدُّنْيَا وَعَلَى جَالِكَ وَوَلَدُ الْآخِرَةِ، قُلْتُ لَهُ:

" شَاخَصَكَ، قَالَ لَهَا: جِبْتِ نَخَطْبُكَ لَسِيدِي، قَالَتْ لَهُ أَنْتَ سُبْحَانَ لِي صَوْرِكَ وَسِيدِكَ كِي دَايِرَ؟ قَالَ لَهَا: فَمَرٌ، قَالَتْ لَهُ: جِبِيهِ لِي نَشُوفَهُ وَنَهْدَرُ مَعَاهُ، طَلَعَ لَهَا الزَّيْنُ عَجَبَهَا، قَالَتْ لَهُ: بَصَحَ بِي يَشْرَطُ عَلَيْكُمْ شَرَطِينَ، الْأَوَّلُ يَخْلَطُ حَفْنَةَ قَمَحٍ وَحَفْنَةَ رُوزٍ، وَحَفْنَةَ فُولٍ، وَحَفْنَةَ حُمُصٍ، وَحَفْنَةَ عَدَسٍ، وَ يَقُولُ لَهُمْ فِي رَمْشَةِ الْعَيْنِ يَلِيقُ تَصَفُوهَا لِي، وَ تَصَبَّحَ كُلُّ حَبَّةٍ فِي حَفْنَةٍ وَحَدَّهَا، قَالَتْ لَهُمْ: وَهْنَا نَطِيقُ نَعَاوَنُكُمْ، هَكَذَا هَذَا الْخَاتَمِ السَّحْرِيَّةِ دِيرَهَا فِي صَبْعِكَ مِينَ يَقُولُ لَكَ هَذَا الشَّرْطُ دَوْرَهَا، تَقْضِيكَ حَاجَتَكَ، وَالشَّرْطُ الرَّوَجُ، مَا تَقْدَرُشَ عَلَيْهِ أَنْتُمْمَا وَشَطَارَتُكُمْ، يَطْلُبُ مِنْكُمْ سَكِينٌ بَنَتْ الرِّعْدَ، وَهَذَا تَصِيبُوهُ فِي وَحَدِّ الْكَهْفِ، الْبَابُ تَاغَ الْكَهْفِ يَنْتَحِلُ مِينَ يَكْرَعُ الْإِمَامُ وَيَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ 3 حَطْرَاتٍ، وَ يَنْبَلُغُ مِينَ يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَ وَلَا تَبْلُغُ مَا يَحْرَشُ لِي

دَخَلَهُ عَلَى عَامٍ، وَلَا نَجَحْتُوا فِي الشَّرْطَيْنِ، بَيَّ يَخْرَجْنِي فَوْقَ نَاقَةِ قَجَعَةَ، وَيُرِشُ عَلَيَّ اللَّبْنُ،  
وَالذَّبَابُ تَدَاوَرَ بِي، رَاحُوا لِبَابِهَا شَرَطَ عَلَيْهِمْ شَرْطَيْنِ، الْأَوَّلُ نَجَحُوا فِيهِ لَا خَاطَرُشُ الْجَوْهَرَ فِي  
خَيْوِطِهَا اعْطَانَهُمُ الْخَاتَمَ السَّحْرِيَّةَ، وَفِي الشَّرْطِ الزَّوْجِ رَاحَ الزَّيْنُ وَحَدَّ الزَّيْنُ لِلْكَهْفِ، الزَّيْنُ يَقُولُ أَنَا  
نُجَيْبُهُ وَحَدَّ الزَّيْنُ يَقُولُ: أَنَا خَفِيفٌ عَلَيْكَ أَنَا أَلِّي نُجَيْبُهُ، مِيزَ زَكَّعَ الْإِمَامُ انْتَحَلَ بَابَ الْكَهْفِ دَخَلَ  
حَدَّ الزَّيْنُ بَلَّخَفَ جَابَهُ وَخَرَجَ مُورَاهُ تَبَلَّغَ الْبَابَ فَرَحُوا، وَرَجَعُوا لِلسُّلْطَانِ، وَرَأَوْهُ سَكِينٌ بَنَتْ رَعْدُ،  
قَالَ لَهُمْ: خَلَوْهُ عِنْدَكُمْ وَغَدَوَى نَخْرَجَ لَكُمْ بِنْتِي مَعَ بَرَافِ أَمِيرَاتٍ، وَأَنْتَ اخْتَارَ وَلِي طَحَتْ فِيهَا  
هَذِيكَ مَرْتَكُ، قَالَ لَهُ: الزَّيْنُ صَحَّ.

الغَدَوَى بَدَاتِ الْأَمِيرَاتِ تَخْرَجُ، كِي يُشُوفُ وَحَدَّةَ مَرْوَقَةَ يَبْغِي يَرُوحُ لَهَا يَحْبِسُهُ حَدَّ الزَّيْنِ، يَقُولُ  
لَهُ يَاكَ خَبَرْتُنَا كَيْفَاشَ تَخْرَجُ عَلَاهُ رَاكَ مَقْلَقٌ، غَيْرَ هَكَذَاكَ حَتَّى خَرَجْتَ الْجَوْهَرَ فِي خَيْوِطِهَا، فَوْقَ  
نَاقَةِ قَجَعَةَ وَمَدَاوَرَ بِهَا الذَّبَابُ، الزَّيْنُ رَجَعَ الرُّولُ وَخَافَ، حَدَّ الزَّيْنُ جَرَهُ مَعَاهُ، وَقَالَ لَهُ: هَذِي هِيَ  
إِنشَا اللهُ دَاوَهَا قَالَ لَهُمْ: السُّلْطَانُ: بَصَحْتَكُ يَا الزَّيْنُ.

وَلَادَ عَمَّهَا غَارُوا، قَالُوا كَيْفَاهُ: حَنَا قَرَابَ لَهَا مَا دِينَاهَاشَ، وَوَاحِدٌ بَعِيدٌ جَا دَاهَا، لَحْفُوهَا، يَخْرُجُ حَدَّ  
الزَّيْنِ سَكِينٌ بَنَتْ رَعْدُ وَيُطْلَفُهُ عَلَيْهِمْ، وَبَدَا يَطْرُقُ وَيَخْرُجُ مَنَّهُ الرِّصَاصُ وَالْبَارُودُ، خَافُوا رَجَعُوا،  
مِيزَ وَلَاؤُ فِي نَصْفِ الطَّرِيقِ الزَّيْنُ قَالَ لِحَدَّ الزَّيْنِ: بَاغِي نَشُوفَ الْجَوْهَرَ فِي خَيْوِطِهَا، قَالَ لَهَا حَدَّ  
الزَّيْنِ: بِالْأَكْ تَعْرِي لَهَا وَجْهَهَا، خَطَافُ الْعَرَايسِ يَخْطَفُهَا لَكَ، رَانِي وَصِيَّتْكَ، وَدَرُوكُ أَنَا نُرُوحُ  
نَشُوفُ أَمَا وَمَنْ بَعْدَ نَلْحَقْكَ، وَأَنْتَ حَرَزْ أَلِّي قُلْتُ لَكَ، قَالَ لَهُ صَحَّ. وَفِي الطَّرِيقِ تَقْلَقَ عَرَى  
لَهَا وَجْهَهَا، خَطَفَهَا لَهْ خَطَافُ الْعَرَايسِ وَسَخَطَهُ هُوَ حَجْرَةٌ.

رَجَعَ حَدَّ الزَّيْنِ يَحُوسُ عَلَى الزَّيْنِ وَعُرُوسَتَهُ، مَا صَابَهَاشَ، عَرَفَ بَلِي خَالَفَ وَصَايْتَهُ وَخَطَفَهَا  
خَطَافُ الْعَرَايسِ وَهُوَ سَخَطَهُ، فَعَدَّ يَحُوسُ صَابَ وَحَدَّ الرَّاعِي، قَالَ لَهُ: مَا تَعْرِفُشُ وَبَيْنَ يَسْكُنُ  
خَطَافُ الْعَرَايسِ؟ قَالَ لَهُ: فِي هَذَاكَ الْكَهْفِ وَأَنَا الرَّاعِي انْتَاعَهُ، عَلَاهُ؟ قَالَ لَهُ: قَاعٌ مَا شَفْنُشُ  
مَدَخَلَ عُرُوسَةَ دَرُوكُ قَالَ لَهُ: وَاهُ غَيْرُ دَرُوكُ دَخَلَهُ، وَدُوكُ تُجِي تَحْلَبُ الْمَعِيزُ، قَالَ لَهُ نَعْطِيكَ هَذَا  
الذَّهَبُ أَلِّي عِنْدِي وَتُخْلِينِي نُدِيرُ رُوحِي رَاعِي فِي بِلَاصَتِكَ، قَالَ لَهُ صَحَّ أَعْطَاهُ لِبَسْتَهُ  
لِبَسَهَا، وَقَالَ لَهُ: شُوفْ، مِيزَ يَنْطَحُ هَذَا الْكَبِشُ بِقُرُونَهُ الْحَيْطُ تَاعُ الْكَهْفِ يَنْتَحِلُ أُدْخِلُ مَعَاهُ لَا  
بُعَاتُ تَرَاخَمُ الْعُتْمُ، دَارَ حَدَّ الزَّيْنِ كَيْمَا قَالَهُ الرَّاعِي وَأُدْخِلُ جَاتِ الْجَوْهَرَ فِي خَيْوِطِهَا تَحْلَبُ بَدَا  
يَعْطِيهَا الْاَكْبَاشَ، قَالَتْ لَهُ: بَاغِي غَيْرَ حَقَّكَ يَا الرَّاعِي رَاكَ قَاعَدُ تَلْعَبُ عَلَيَا: قَالَ لَهَا:

" أَنَا حَدَّ الزَّيْنِ، انْخَلَعْتُ، سَفْسَاها عَلَى الزَّيْنِ، قَالَتْ لَهُ: سَخَطَهُ حُجْرَةٌ، قَالَ لَهَا: يَلِيْقُ نَقُولِي  
لِحَطَافِ الْعَرَايسِ مَا نَعْطِيكَشُ رُوحِي وَنُنَزَّوْجُ بِيكَ حَتَّى نَقُولِي وَبَيْنَ عُمْرِكَ، مِيزَ بَعَى خَطَافُ  
الْعَرَايسِ يَرْقُدُ مَعَاهَا قَالَتْ لَهُ: وَبَيْنَ عُمْرِكَ؟ قَالَ لَهَا فِي الرُّوبِيَّةِ، مَا رَفَدْتِشُ مَعَاهُ هَذِيكَ اللَّيْلَةَ

وَحَبَّرْتُ حَدَّ الزَّيْنِ، قَالَ لَهَا رَاهُ يَزَعَقُ عَلَيْكَ عَاوِدِي فُؤَلِي لَهُ، فِي اللَّيْلَةِ الزَّائِجَةِ، قَالَتْ لَهُ: مَا تَرَقُدُشْ مَعَاكَ وَتَبْقَى قَاعُ حَيَاتِي عَزَبَةً مَعَاكَ، حَتَّى تَقُولِي وَبَيْنَ عُمْرِكَ، بَاشْ نَعْرِفْ لَا تَبْغِينِي وَلَا أَلَا، قَالَ لَهَا شُوفِي: أَنَا عُمُرِي فِي شَعْرَةٍ، وَالشَّعْرَةَ فِي بَيْضَةٍ، وَالْبَيْضَةَ فِي حَمَامَةٍ، وَالْحَمَامَةَ تُصِيبُهَا بَعْدَ اللَّيْلِ تَقْطَعِي 7 بَحُورَ، مِيزْ حَبَّرْتُ حَدَّ الزَّيْنِ، قَالَ لَهَا: هَذِي بَصَحْ، رَاخْ اذْبَحْ قَاعُ الْعُغْمِ تَاغْ حَطَافُ الْعُرَايسِ وَأَعْطَاهَا لِلْهُوَايَشِ تَاكَلْهَا، مِيزْ كَلَاوْ وَشَبَّعُوا قَالُوا: شَكُونْ هَذَا اللَّيْلِ شَبَّعْنَا يُجِي يَطْلَبُ وَاللِّي يَبْغِيهَا نَدِيرُوهَالَهْ، قَالَ لَهُمْ: شَكُونْ اللَّيْلِ يَقْطَعْ بِي 7 بَحُورَ وَيُجِيبُنِي بَلْخَفْ، كَايْنِ اللَّيْلِ يُقُولُهُ نَدِيكَ وَنُجِيبُكَ فِي عَامٍ، كَايْنِ اللَّيْلِ يُقُولُ لَهُ عَلَى 6 اشْهَرُ، وَاحِدَ قَالَهُ عَلَى شَهْرٍ، وَاحِدَ قَالَهُ: عَلَى 7 أَيَّامٍ، وَاحِدَ قَالَهُ نَهَارَ، وَاحِدَ قَالَهُ فِي رَمْشَةِ عَيْنِ نَدِيكَ وَنُجِيبُكَ، قَالَهُ: أَنْتِ زَفِيْقِي.

رَاخْ جَابْ هَذِيكَ الْحَمَامَةَ وَدَبَّحَهَا، قَالُوا حَطَافُ الْعُرَايسِ رَاهُ مَرِيضٌ، وَمَنْ بَعْدُ فُقَسَ الْبَيْضَةَ، قَالُوا: حَطَافُ الْعُرَايسِ رَاهُ غَالِبٌ، رَاخْ لَهُ حَدَّ الزَّيْنِ، صَابَهُ فِي الْفُرَاشِ وَرَالَهُ الشَّعْرَةَ، وَقَالَ لَهُ رَجَعْ قَاعُ اللَّيْلِ سَخَطْتَهُمْ لِأَصْلُهُمْ، وَرَجَعْ قَاعُ الْعُرَايسِ لِأَمَالِيهِمْ وَنِعْطِيكَ هَذَا الشَّعْرَ، قَالَ لَهُ: صَحْ دَارَ كَيْمَا قَالَهُ حَدَّ الزَّيْنِ، قُطِعَ الشَّعْرَ وَمَاتَ حَطَافُ الْعُرَايسِ، وَ انْتَهَاتِ النَّاسُ مِنْ شَرِهِ .

وَرَجَعِ الزَّيْنُ لِأَصْلِهِ، وَ صَلُّوا لِلْقَصْرِ وَ دَارَ عِرْسِ شَبَابٍ، وَ تَزَوَّجَ بِالْجَوْهَرِ فِي خِيُوطِهَا، وَعَرَضَ سَتُوتَ تَحْضُرَ وَ تُشُوفَ بَعِينِهَا الْمُرَاةَ اللَّيْلِ مَا يَلْحَقُوهَاشْ فُرَايْنَهْ، هِي رَاِحَتْ تَتَكْرَبُ وَ اَنَا جِيبْتُ فِي مَرَكَبٍ .

## 21. " الْحَيْلُ مَعَ النَّيِّ "

" وَحَدَّ النَّهَارَ الْحَيْلَةَ أَشْتَرَكْتُ مَعَ النَّيِّ فِي الْقَمْحِ قَالَتْ الْحَيْلَةُ لِلنَّيِّ: أَنَا نَدِي اللَّيْلِ تَحْتُ الْأَرْضِ وَأَنْتِ أَدِي اللَّيْلِ فُوقَ الْأَرْضِ قَالَتْ لَهَا النَّيِّ: صَحْ مِيزْ وَجَدْتِ الْفَلَاحَةَ النَّيِّ أَدَاتُ الْحَبِّ وَالْحَيْلَةَ دَاتُ الْجَدْرَةِ.

قَالَتْ: الْحَيْلَةُ أَوَاهُ هَذِي الْمَرَّةَ مَا فُلِحْتُشْ حَيْلَتِي أَنَا حَسَبْتُ الصَّخْ مَنْ تَحْتُ سَاعَا جَا مِّنَ الْفُوقِ. وَحَدَّ النَّهَارَ أَشْتَرَكْتُ فِي اللَّفْتِ قَالَتْ الْحَيْلَةُ لِلنَّيِّ: أَنَا نَدِي اللَّيْلِ مِّنَ الْفُوقِ وَأَنْتِ أَدِي اللَّيْلِ مِّنَ تَحْتُ قَالَتْ لَهَا: صَحْ مِيزْ وَقْتُ الْقَلِيْعِ النَّيِّ أَدَاتُ اللَّفْتِ وَالْحَيْلَةَ أَدَاتُ الْحَشِيْشِ.

رَعَفَتْ الْحَيْلَةَ وَقَالَتْ دَائِمًا هِي الرَّابِحَةُ يَلِيْقُ نْتَهَيِّ مِنْهَا مَا نَزِيدُشْ نُشُوفُهَا فُوقَ الْأَرْضِ، قَالَتْ لَهَا: أَنْتِ أَرُقْدِي فِي الطَّرِيْقِ وَأَنَا نَرُقُدُ فِي الْحَصِيْدَةِ: قَالَتْ لَهَا: صَحْ جَا وَحَدَّ الْفُومَ فُوقَ بَعَالَهُمْ صَابُوا النَّيِّ رَاقِدَةً فِي وَسْطِ الطَّرِيْقِ مَا بَعَاوُشْ يَبُوضُوهَا وَفَانُوتَا فِي الْحَصِيْدَةِ مَا شَاْفُوشِ الْحَيْلَةَ عَسُوتَا عَلَيْهَا وَفَانُوتَا الصَّبَاخَ نَاضَتْ النَّيِّ نَحُوسَ عَلَى الْحَيْلَةَ فِي الْحَصِيْدَةِ صَابَتْهَا مَا نَتْتِ."

## 22. " الذيب و الفلاح "

"وَحَدَّ النَّهَارَ الذِّيبُ دَخَلَ لَوْحَدَ الْبَحِيرَةِ غَرَسَ فِيهَا مُوَلَاهَا الْبِصْلَ، فَعَدَّ يَنْتَرُ الْبِصْلَ وَيَعْمَرُ الشُّكَارَةَ غِي يَنْتَرُ وَيَعْمَرُ، حَتَّى خَرَجَ مُوَلُ الْبَحِيرَةِ، شَافَهُ، قَالَ لَهُ: يَا ذِيبُ شَارَاكَ تُدِيرُ عِنْدَكَ؟ قَالَ لَهُ الذِّيبُ: الرِّيحُ رَاهُ بَرَّافٍ، وَلِي يَدِينِي وَأَنَا نَشُدُّ فِي الْبِصْلِ نُطِيرُ، وَيَنْ مَا يَبْغِي يَدِينِي نَشُدُّ فِي الْبِصْلَةِ نُطِيرُ، قَالَ لَهُ الْفَلَّاحُ: وَاللِّي عَمَرْتَهُ فِي الشُّكَارَةِ؟ قَالَ لَهُ الذِّيبُ: هَا تَمَّ صَبَبْتِي نُحَمَّ ."

## 23. " بوزيان القلعي "

وَحَدَّ النَّهَارَ كَانَ هَذَا بُوزِيَانُ الْقَلْعِيِّ رَايَحُ يُجِيبُ أَخْتَهُ الْمَتْرُوجَةَ فِي الصَّحَاوَرِيَّةِ تَعُوشَرُ مَعَاهُمْ، وَفِي طَرِيقِهِ دَخَلَ لَوْحَدَ الْجَنِينَةِ تَاعُ كُولُونَالٍ، وَقَلَعَ حَبَةَ تَاعُ حُرَّةٍ، شَافَهُ الْحَرَكِي الْعَسَّاسُ، جَا يَجْرِي وَقَالَ: يَلِيْقُ تَرْجَعُهَا كَيْمَا كَانَتْ فِي الشَّجَرَةِ يَلَا بَعَاثُ تَحْيِطُهَا، زَعَفُ بُوزِيَانُ، قَالَ وَاللَّهِ يَلَا خَلَصْتُ مَنَّا وَمَنْ كُلُّ حَرَكِي بِيَاغُ لَبْلَادِهِ، رَاخُ يَمْشِي عَلَى بَعْلَتِهِ، تَلَاقَى سَبْعُ خِيَانُ بَعَاوُ يَدُولُهُ الْبَعْلَةُ أَنْتَاعَهُ، قَالَ لَهُمْ نَدَابَزُ مَعَاكُمْ بِالْوَاوَدِ، وَمَيْنُ نَمُوتُ أَدْوَا الْبَعْلَةُ أَنْتَاعِي، قَالُوا لَهُ صَحْ، وَلِي اللَّي يِقَابِلُهُ يُطِيحُهُ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى كَمَلَهُمْ لِلْسَبْعَةِ، أَنْخَلَعُوا فِي سَجَاوَتِهِ، قَالُوا لَهُ كُونُ تُولِي مَعَانَا، قَالَ لَهُمْ: صَحْ، وَهُوَ فِي نَيْتِهِ يُولُوا مَعَاهُ بَاشُ يَقْتُلُوا الْحَرَكَةَ وَالْكُولُونَالُ اللَّي رَاهُمُ دَايِينُ خَيْرُ بِلَادَهُمْ.

وَكَانَ بُوزِيَانُ يَعْرِفُ الضَّرْبَ الْمُخَالَفِ، وَبَعَى يَزِيدُ يَتَعَلَّمُ، وَلِي يُرُوحُ هُوَ وَاصْحَابَهُ لِلْجِبَالِ، يَتَعَلَّمُوا عِنْدَ الْفَاهِرِينَ، حَتَّى وَلِي يَعْرِفُ يَقْطَعُ الْخِيَطَ الْمَعْلُوقَ فِي الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ بِالرِّصَاصِ، وَمَنْ بَعْدُ وَلِي يُرُوحُ هُوَ وَاصْحَابَهُ عِنْدَ الْعَنِيِّ، وَيَدُوا مَنْ عِنْدَهُمْ الْجَزِيَّةَ وَيَقْسُمُوهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ اللَّي مَا عِنْدَهُمْشُ حَتَّى وَلَاتُ قَاعُ النَّاسِ تَبْغِيهِ.

بُوزِيَانُ كَانَ يَنْسَبُ فِي الْمَاشِيَّةِ، وَعَيْطُ لَهُ الْقَائِدُ عَلَى الْبِرَّةِ اللَّي جَاتَهُ بَرَّافٍ، وَمَابْغَاشُ يَدْفَعُهَا، ضَرْبُهُ بِصَفْعَةٍ، زَادَ خَلْفَ عَلَى كُلِّ قَائِدٍ يَلْفَاقُهُ يَخْلَصُ مَنَّهُ فِي دَارِهِ، وَوَلِي هَارِبُ فِي الْجِبَالِ فِي النَّهَارِ، وَفِي اللَّيْلِ يُطِيحُ هُوَ وَاصْحَابَهُ عَلَى الْكُولُونَالَاتِ وَالْقِيَادِ وَالْحَرَكَةَ فِي دِيَارِهِمْ، يَقْتُلُهُمْ وَيَدِي لَهُمْ الْخَيْرُ وَيَعْطِيهِ لِلْمَسَاكِينِ.

بَدَاتُ فَرْنَسَا تَتَقَلَّقُ مَنَّهُ وَتَحُوسُ عَلَيْهِ بَلِي إِرْهَابِي، وَبَدَاتُ نَاسَهَا يَخَافُوا مَنَّهُ. وَحَدَّ النَّهَارَ وَحَدَّ الرُّومِيَّةِ حَبَسَتْ لَهَا لُوطُوهَا فِي اللَّيْلِ فِي الْقَلْعَةِ، وَكَانَ بُوزِيَانُ فَايْتُ عَلَيْهَا، صَابَهَا تَبْكِي قَالَ لَهَا مَالِكِي، قَالَتْ لَهُ: رَانِي خَائِفَةٌ مَن هَذَا الْبِلَاصَةِ، اللَّي فِيهَا بُوزِيَانُ الْقَلْعِيِّ يُطِيحُ عَلَى النَّاسِ، قَالَ لَهَا: بُوزِيَانُ: وَتَعْرِفِيهِ فِي وَجْهَهُ؟ قَالَتْ لَهُ: لَا غَيْرُ نَسَمَعُ بِهِ .

رَسَلَ بُوزِيَانُ لِأَصْحَابِ الْقَرْيَةِ، وَقَالَ لَهُمْ: يَلِيقُ وَاحِدٌ مَا يَنْطَقُشُ إِسْمِي فُدَامَهَا، وَدَاوَهَا ضَيْفُوهَا وَيَبْتُوهَا، وَدَفَعُوا لَهَا لَطُوهَا تَنْصَنَعُ.

الصَّبَاحُ جَا بُوزِيَانُ وَسَقَسَاهَا: كِي بَنِي؟ قَالَتْ لَهُ: غَايَةَ، قَالَ لَهَا: مَا شَفْتِيشُ بُوزِيَانُ، قَالَتْ لَهُ: أَلَا، قَالَ لَهَا: أَنَا هُوَ انْخَلَعْتُ، وَمَنْ بَعْدُ شَكَرَاتِهِ عَلَى جَمِيلِهِ اللَّيِّ دَارَهُ فِيهَا. رَحَلَ بُوزِيَانُ لَدَوَارِ السَّحَانِينِ، تَرَوَّجَ وَقَعَدَ تَمَّ، وَكَانَ عَايشُ مَعَاهُ الْخَادِمُ أَنْتَاعَهُ، مَرَضَ، وَحَدَّ النَّهَارَ قَعَدَ فِي الدَّارِ، قَرَضُوا فِيهِ الْحَرَكَةَ، وَجَاتَ فَرْتَسَا رَفْدَاتِهِ، وَدَخَلَاتَهُ الْحَبْسُ، وَفَرَحُوا وَدَارُوا عِيدَ نَهَارِ اللَّيِّ قَبْضُوهُ. وَنَهَارَ اللَّيِّ بَغَاوُ يَحَاكُمُوهُ جَاتِ الرُّومِيَّةُ اللَّيِّ ثَلَاقَاهَا فِي الْقَلْعَةِ، وَقَالَتْ لَهُمْ: بُوزِيَانُ مَشِي إِزْهَابِي نَوْرَنَهُ لَكُمْ بِالذَّهَبِ وَاطْلُقُوهُ، قَالُوا لَهَا: لَا، خَبَرْتَهُمْ بِاللِّي دَارَهُ مَعَاهَا، وَمَا بَغَاوُشُ يَطْلُقُوهُ، وَقَتْلُوهُ بِالْقَرْطَةِ.

## 24. "خريص و بوخروصة"

وَحَدَّ السُّلْطَانُ، وَمَاهُو سُلْطَانُ غَيْرِ رَبِي، عِنْدَهُ غَيْرِ الشَّيْرَاتِ، وَمَرَّتَهُ مَرِيضَةً بِالْحَمَلِ، بَنَتْهُ الْكَبِيرَةَ بَعَاتِ الْعَبْدِ، وَبَعَاتِ تَقْتُلُ أُمَهَا وَأَبِيهَا عَلَى جَالِهِ. وَحَدَّ النَّهَارِ السُّلْطَانُ قَالَ لِلْعَبْدِ: أَيَا نَخْطُرُوا فُوقَ الْأَعْوَادِ، مِينِ بَعْدُوا قَالَ الْعَبْدُ لِلْسُّلْطَانِ، كِي رَاكَ مَغُوقِلَ، آتِ نَحْسَنَ لَكَ وَجَهْكَ، حَسَنَ لَهُ وَتَكَ عَلَيْهِ دَبْحَهُ، مِينِ جَا لِلدَّارِ قَالَتْ لَهُ لِالآة: كَيْفَاهُ جَبْتُ الْعُودَ تَاغَ سَيْدِكَ؟ قَالَ لَهَا: سَيْدِي عِنْدَهُ حَبَابَهُ وَغَاشِيَهُ، عَلَى شَهْرٍ مَا يُجِيشُ، تَنْقَرْتُ هِي، وَرَاخَ قَالَ لِبُنْتُهُمُ الْكَبِيرَةَ: رَانِي دَبَحْتُ أَبِيكَ، بَاقِي أَمَكُ الْغَدَوِي، قَالَتْ لَهُ لِالآة: رُوحَ تَرْقِي، قَالَ لَهَا: يَا نَرْقِي، قَالَتْ لَهُ: رُوحَ حَطَبِ، قَالَ لَهَا: رُوجِي أَنْتِ تَحْطَبِي بَرَّاسَكَ إِلَّا دَارَهَا بِيهِ، رَاخَتْ تَحْطَبُ وَبُنْتُهَا رَاخَتْ تَسْرَحُ بِالزَّوَايِلِ، زَعَفَ عَلَيْهَا الْعَبْدُ شَافَتْهُ مِينِ زَعَفَ عَلَيْهَا، وَلَاتِ تَبْكِي، لِحَقِّ لِالآة شَافَهَا مِينِ حَطَبَتْ، وَرَفْدَاتِهِ عَلَى ظَهْرَهَا، دَمَرَهَا عَلَى حَنْشَابِ فَلَقَ لَهَا كَرْشَهَا، وَرَفَدَ الْحَرَمَةَ، وَرَاخَ لِلدَّارِ، خَبَرَ بِنْتُهَا بِالِي كَتَلَهَا.

الْمَرَّةَ طَاخَ مِنْهَا رُوجَ دَرَارِي، جَاتِ بِنْتُهَا مَنْ عِنْدَ الزَّوَايِلِ شَافَتْ أُمَهَا كِي قَتَلَهَا، رَاخَتْ لُمَهَا غَيْرِ تَبْكِي تَبْكِي، وَمَنْ بَعْدَ زَفَدَتْ خَاوَتِي عِنْدَ وَحَدَّ الْجَوَارِينِ قَطَعُوا لَهُمُ السَّرَةَ، وَدَاتَهُمْ لَوْحَدَ الشَّجَرَةَ خَاوِيَةَ حَطَبْتَهُمْ فِيهَا وَبَلَعَتْ عَلَيْهِمْ فِيهَا وَبَلَعَتْ عَلَيْهِمْ وَكُلُّ يَوْمٍ تُجِيبُهُمْ مِينِ تَسْرَحُ تَحْلَبُ لَهُمُ الزَّوَايِلِ وَتَسْرَبُهُمْ بِاللِّيْقَةِ تَاغَ الصُّوفِ، مِينِ كَبُرُوا وَلَاتِ تَرُوحَ عِنْدَ الْجَوَارِينِ تَطْلُبُهُمُ الْمَاكَلَةَ وَتَعْطِيهِمْ يَأْكُلُوا، وَحَدَّ النَّهَارِ وَكَلْتَهُمْ وَقَتَّ الْعَصْرَ وَبَلَعَتْ عَلَيْهِمْ، جَاوُ وَحَدَّ الْفُرْسَانَ فَايْتِينِ، وَقَفَّ عَلَيْهِمْ الْعَصْرَ رَنْبُوتُوا عَوَادَهُمْ فِي هَذِيكَ الشَّجَرَةَ وَقَعَدُوا يَصْلُوا، قَالُوا هَدُوكُ رُوجَ خَاوَتُهَا اللَّيِّ سَمَاتَهُمْ خَرِيصُ وَبُوخْرُصَةَ لِلرَّجَالِ: اعْطُونَا حَبَةَ تَشِينَةَ وَلَا نَرْقُ عَلَيْكَ، وَالتَّشِينَةَ كَانَتْ فِي الْعِمَارَةِ مِينْتَحِي

الرجل وَكَمَلْ، قَالَ لَهُمْ: هَاكُمْ التَّشِيئَةَ، وَقَالَ لَهُمْ: نَدِيكُمْ مَعَايَ؟ رَاوَا مَعَاةَ فُوقَ الْعُودِ، دَاهُمْ لُدَارَهَ وَقَالَ لَمَرْتَهَ: رَبِّي حَلْنَا عَيْنِينَا، أَعْطَانَا رُوجَ وَوَلَادَ وَاجِدِينَ، الْعَدْوَى هِيَ جَابَتِ الزَّوَايِلَ تَسْرَحُهُمْ تَسْرَحَ بِهِمْ، حَوَسَتْ عَلَى خَاوْتَهَا مَا صَابَتْهُمْش، قَعَدَتْ نَحْوَسَ فِي قَاعِ الْعَابَةِ وَتَبْكِي: " يَا مَنْ شَافَ خَرِيصَ وَ بُوخْرَصَةَ"، كَبُرُوا وَوَلَاوُ مِينُ يَخْرُجُوا مَعَ الدَّرَارِي، يُفُولُوهُمْ: أَنْتُمْآ وَوَلَادَ الشَّجَرَةَ، رَاوَا لَمَهُمْ وَقَالُوا لَهَا: صَايِ أَنْتِي وَبَابَانَا كَبَرْتِينَا حَنَا بَاغِيينَ نُرُوْحُوا نَحْوَسُوا عَلَى وَالدِينَا، وَرَاوَا دَاخِلِينَ بِلَادَ وَخَارَجِينَ بِلَادَ، حَتَّى قَادَرَ رَبِّي يُوَصِّلَهُمْ لِلْبِلَادِ أَنْتَاعَ بَابَاهُمْ وَأَمَهُمْ، صَابُوا مَرَّةَ شِيْبَانِيَةَ تَبْكِي وَتَسْرَحَ، قَالَ لِأَخُوهُ شُوفَ شِيْبَانِيَةَ مَسْكِينَةَ رَاهِي تَبْكِي، سَفَسَاوْهَا مَا لِكِي؟

خَافَتْ مِنْهُمْ قَالَتْ لَهُمْ لَا وَالْوَا، قَالُوا لَهَا: مَا تَخَافِيش، قَالَتْ لَهُمْ: رَانِي تَبْكِي عَلَى خَاوْتِي خَرِيصَ وَبُوخْرَصَةَ، مَا صَابَتْهُمْش قَالُوا لَهَا وَبَيْنَ كَانُوا؟ قَالَتْ لَهُمْ: كَانُوا فِي هَذِيكَ الشَّجَرَةَ، وَكُنْتُ نُرُوْحَ نَخْدَمَ عِنْدَ النِّسَا وَنَجِيْبَ لَهُمْ الْمَاكَلَةَ، هَذَاكَ النَّهَارَ حَوَسَتْ عَلَيْهِمْ مَا لَقِيَتْهُمْش، قَالُوا لَهَا: صَحَّ أَحْكِيْلْنَا قَصْنَهُمْ، قَالَتْ: كُنَّا عَايِشِينَ أَحْنَا وَأَمْنَا وَبَابَانَا، وَأَخْتُنَا الْكَبِيرَةَ بَعَاثَ الْعَبْدَ نِنَاعْنَا، وَنَقَاهَمَتْ هِيَ وَبَاهَا، وَقَتْلَ بَابَانَا وَأَمْنَا، وَكَانَتْ بِالْحَمْلِ دَمَرَهَا عَلَى الْخَشَابِ أَنْفَقَرْتُ كَرَشَهَا، طَاخَ مَنَهَا رُوجَ خَاوْتِي، رَحْتُ دِيئَهُمْ وَدَرْتَهُمْ فِي شَجَرَةَ خَاوِيَةَ مَنَ الْوَسْطِ، وَكُنْتُ نَحْلَبُ لَهُمْ وَنُسْرَبُهُمْ بِاللِّيْقَةَ حَتَّى كَبُرُوا، مِينُ كَبُرُوا، وَلَيْتَ نَخْدَمَ عِنْدَ النِّسَا نَعْسَلُ لَهُمْ وَنَقْلُ لَهُمْ، وَيَعْطُونِي الدَّرَاهِمَ وَنُوكَلُهُمْ وَأَخْتِي مَنَ بَعْدَ تَرُوجَتْ بِالْعَبْدِ، وَكَانُوا كُلُّ يَوْمٍ مِينُ تَرَجَعُ مَنَ السَّرْحَةَ بِالزَّوَايِلَ أَيَسْدَنِي الْعَبْدَ وَأَخْتِي وَبِسَوْطُونِي وَبِيئُونِي فِي الزَّرِيْبَةَ.

وَخَدَّ النَّهَارَ حَوَسَتْ عَلَى خَاوْتِي مَا لَقِيَتْهُمْش، مَنَ تَمَّ وَأَنَا تَبْكِي عَلَيْهِمْ حَتَّى اللَّيِّ كَبُرْتُ وَشَابَ رَاسِي، رَانِي غَيْرَ مَا زَلْتُ نَحْوَسَ عَلَيْهِمْ، قَالُوا لَهَا: حَتَّى خَاوْتِكَ خَرِيصَ وَبُوخْرَصَةَ، قَالَ لَهُمْ: مَشِي بَصَحَ، حَلْفُولَهَا بَلِي هُومَا خَاوْتَهَا، وَحَكَوْ لَهَا كِيْفَاشَ رَاوَا مَعَ الرَّاجِلِ اللَّيِّ عَطَاهُمْ التَّشِيئَةَ، وَرَبَاهُمْ هُوَ وَمَرْتَهَ، عَنَقْتَهُمْ وَفَرَحْتُ بِهِمْ، وَهُمَا فَرَحُوا بِيهَا، وَسَفَسَاوْهَا وَبَيْنَ رَاهِي تَسْكُنُ. وَرَاتَ لَهُمْ وَبَيْنَ. قَالُوا لَهَا رُوجِي فُدَامْنَا وَأَحْنَا رَانَا نُسُوفُوا مَنَ بَعِيدَ، مِينَ وَصَلَتْ شَدَهَا الْعَبْدَ فَلَغَ مَنَهَا اللَّحْمَ بِالسَّوْطِ، وَزَادَتْ أَخْتَهَا سَوْطَتَهَا وَدَخَلُوهَا فِي الزَّرِيْبَةَ. فِي اللَّيْلِ طَبَطْبُوا عَلَى الْعَبْدِ قَالُوا لَهُ ضِيَاْفَ رَبِّي..،

قَالَ لَمَرْتَهَ نُدْخَلُوهُمْ هَادُوا طَاخَ بِيَهُمُ اللَّيْلِ. دَخَلُوهُمْ، فِي اللَّيْلِ دَبَّحُوا الْعَبْدَ، وَجَاوُ لَهَا، قَالَتْ لَهُ: يَا الْعَبْدَ ضِيُوفَكَ خَدْعُوكَ، قَالُوا لَهَا: أَحْنَا مَشِي ضِيَاْفَ، حَنَا خَاوْتِكَ، قَالَتْ لَهُمْ: حَنَا غَيْرَ بِنَاتَ مَا عَدْنَاشَ قَاعِ الْخُو، قَالُوا لَهَا: مُكْ بَاشَ مَا نَتَّ، قَالَتْ لَهُمْ: بِالْحَمْلِ، قَالُوا لَهَا: أَحْنَا كُنَّا فِي كَرَشَهَا، وَأَنْتِي نَقَاهَمْتِي مَعَ الْعَبْدِ وَقَتَلْتُوا أَمْنَا وَبِيئْنَا، وَهَذِي أَحْتُنَا لِي رَاكِي تَسَوْطِيهَا كُلُّ يَوْمٍ أَنْتِي وَالْعَبْدَ، هِيَ لِي بَسْبَابَهَا عَشْنَا، رَبَانْتَا وَرَعَانْتَا، رَاكِي دَايِرْتَهَا كِي الْخَدَامَةَ، وَتَكُوا عَلَيْهَا دَبَّحُوا وَقَاسُوهَا هِيَ

وَالْعَبْدُ، وَقَالُوا لِأَحْنَثُمْ: وَاللَّهِ يَا بِنْتُ أَمْنًا وَبُونًا يَا عَشْتِ مَعَانًا حَتَّى لِي تَدْفِنِينَا وَلَا نَدْفُنُوكَ، بَلَا مَا نُجِيبُوكَ بِنْتُ الْمَرَّةِ لِي تَفَرِّقَ بَيْنَاتِنَا، وَهَذَا حَدَّثَهَا وَالْحَالُ صَبَحَ.

## 25. "سَعِيدٌ وَذِيَابٌ"

وَحَدَّ النَّهَارَ كَانَ هَذَا غَانِمٌ عِنْدَهُ زَوْجٌ أَوْلَادٌ، وَبَعَى يَعْرِفُ شَكُونٌ يَفْدَرُ يَشُدُّ الْخِلَافَةَ مَنْ بَعْدَهُ، قَالَ أَنَا نُجَرِّبُ وَوَلَادِي، قَالَ لَهُمْ: رَانِي بَاغِي نَرْسَلُكُمْ بَرَا الْقَرْيَةَ، وَجَدُوا أَرْوَاحَكُمْ تَرْوَحُوا نَحْوَسُوا وَتَرْجَعُوا. كُلُّ وَاحِدٌ زَفْدٌ مُكْحَلَةٌ أَنْتَاعَهُ وَعَوْلَتُهُ وَالْعُودُ أَنْتَاعَهُ وَمِينٌ بَغَاؤُ أَيْرُوحُوا، زَبَطُ لَهُمْ أَبِيهِمُ الْحَنَّةَ عَلَى أَرْقَابِيهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ طَرِيقَ السَّلَامَةِ، وَكُلُّ وَاحِدٌ رَاخٌ فِي طَرِيقٍ. مِينٌ رَجَعُوا، سَقَسَى غَانِمٌ وَلَدَهُ سَعِيدٌ، قَالَ لَهُ: شَاشَفْتُ فِي الطَّرِيقِ؟ قَالَ لَهُ مَا شَفْتُ وَالْوَا، مِينَ جَا يَشُوفُ الْحَنَّةَ، صَابَهَا مَرْبُوطَةً كَيْمَا دَارَهَا، عَرَفَ بَلِي سَعِيدٌ مَا يَطِيفُشُ يَخْلَفُهُ.

عَيْطُ لَذِيَابٌ وَ سَقَسَاهُ، شَاشَفَ فِي طَرِيقٍ، قَالَ لَهُ: شَفْتُ حَمَارٌ مَعَ صَاحِبَهُ وَفُوقَ ظَهْرَ الْحَمَارِ، سَلَّةٌ تَاعُ جَرَاؤُ، وَتَتَّبَعُ الْحَمَارَ كَلْبَةٌ، حَظْرَةٌ تَمْشِي عَلَى رَجْلَيْهَا زَوْجٌ، وَ حَظْرَةٌ عَلَى رِيعَةٍ. قَالَ لَهُ غَانِمٌ: وَشَا قُلْتُ فِيهَا؟

قَالَ لَهُ ذِيَابٌ: الْكَلْبَةُ إِذَاوَلَهَا أَوْلَادَهَا فِي سَلَّةِ فُوقَ ظَهْرَ الْحَمَارِ، وَ هِيَ تَتَّبَعُهُمْ حَظْرَةٌ تَمْشِي عَلَى رَجْلَيْهَا بَاشَ تَشُوفُ أَوْلَادَهَا وَ يَشُوفُوهَا، وَ مِينَ تَحَسُّ بِالْعَيْيِ تَمْشِي عَلَى رِيعَةٍ. وَمَنْ بَعْدُ قَالَ لَهُ غَانِمٌ: زَيْدٌ وَاشْ شَفْتُ؟ قَالَ ذِيَابٌ: امْرَأَةٌ تَمْشِي عَلَى قَدَامِهَا، قَالَ لَهُ غَانِمٌ، وَكِي تَفْسَرَهَا، قَالَ لَهُ ذِيَابٌ: رَاهِي بِالْحَمَلِ.

قَالَ لَهُ غَانِمٌ: وَرَيْلِي الْحَنَّةَ لِي رِبَطْتَهَا عَلَى عُنُقِكَ، مَا صَابَهَا شَاشُ، تَمَّ عَرَفَ بَلِي ذِيَابٌ مُمَكِنٌ يُولِي خَلِيفَةَ مُورَاهُ، بَصَحَ غَانِمٌ بَعَى يَزِيدٌ يَعْرِفُ وَوَلَدَهُ مَلِيخٌ، وَحَدَّ الْمَرَّةَ كَانَ خَارِجٌ لِلصَّيْدِ إِذَا مَعَاهُ وَلَدَهُ سَعِيدٌ، وَمِينَ صَيَدُوا وَقَعْدُوا يَشُوفُوا فِي اللَّحْمِ، سَقَسَى وَلَدَهُ قَالَ لَهُ: شَاهِي الْمَاكَلَةُ الْمَلِيحَةَ؟ وَشَاهُو اللَّبَّاسُ الْمَلِيخُ؟ وَ شَاهُو الْإِسْمُ الْمَلِيخُ؟

قَالَ لَهُ سَعِيدٌ: الْمَاكَلَةُ الْمَلِيحَةَ: التَّرِيدُ.. وَاللَّبَّاسُ الْمَلِيخُ: الْجَرِيدُ.. وَالْإِسْمُ الْمَلِيخُ: سَعِيدٌ. عَرَفَ غَانِمٌ بَلِي وَلَدَهُ مَا هُوشَ تَاعُ مَسْؤُولِيَّةً. وَالنَّهَارَ الزَّوْجَ إِذَا مَعَاهُ ذِيَابٌ، وَسَقَسَاهُ كَيْمَا سَقَسَى حُوهُ، قَالَ لَهُ ذِيَابٌ: الْمَاكَلَةُ الْمَلِيحَةَ الْمَحْضَرُ... وَاللَّبَّاسُ الْمَلِيخُ الْمَسْتَوْرُ... وَالْإِسْمُ الْمَلِيخُ هُوَ الْبَشِيرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَرِحَ غَانِمٌ، وَحَصَى بَلِي ذِيَابٌ يَطِيقُ يَنْحَمِلُ الْمَسْؤُولِيَّةَ مُورَاهُ.

## 26. " عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ "

كَانَ وَحْدَ الرَّاجِلِ عِنْدَهُ 7 بَنَاتٍ، الصَّغِيرَةَ فِيهِنَّ سَمَّوَهَا " عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ " قَالَ أَبَاهُمْ: نُرُوحَ مَكَّةَ نُرُورَ الكَعْبَةِ، بَلَكَ رَبِّي يَزْرُقُنِي بَوْلًا، قَاعٌ وَصَاوَهُ بِصَوَالِحِ كُبَارٍ، غَيْرِ الصَّغِيرَةَ الَّتِي قَالَتْ لَهُ: جِيبَ لَهُ: جِيبَ لَهُ 7 حَبَاتٍ دِيَامُونَ، نَلْعَبُ بِهِمْ قَرْدًا.

رَاحَ لِلْحَجِّ وَكَمَلَ عَامًا، قَاعٌ جَابَ لَهُمْ صَوَالِحُهُمْ وَدَارَهُمْ فِي النَّاقَةِ، غَيْرِ 7 حَبَاتٍ دِيَامُونَ الَّتِي دَارَهُمْ فِي جِيبِ العَبَائَةِ، وَرَاحَ فِي الطَّرِيقِ عَطَشًا، صَابَ وَادٌ هَوْدٌ، وَقَعْدٌ يَشْرَبُ مِنْهُ طَاحَتْ حَبَةٌ دِيَامُونَ فِي الوَادِ، قَعْدٌ يَحْوَسُ فِي المَاءِ، قَالَ لَهُ " لِسَانُ العَصْفُورِ " : الأَمَانَةُ الَّتِي رَاكَ تَحْوَسُ عَلَيْهَا رَاهِي فِي فَمِي، بَصَحَ يَلَا تَعْطِينِي مُوَلَاتَهَا نَعْطِيهَا لَكَ، قَالَ لَهُ: نَعْطِيكَ وَحَدَّةَ مَنْ خَوَاتَاتِهَا، قَالَ لَهُ: نَحَبُ نَدِي العَزِيزَةِ الَّتِي رَاكَ دَائِي لَهَا 7 حَبَاتٍ دِيَامُونَ، قَالَ لَهَا صَحَّ، قَاسَ لَهُ حَبَةٌ تَاعَ الدِّيَامُونَ، قَالَ لَهُ: بَعْدَ 7 أَيَّامٍ، مِينَ تَسْمَعُ الرِّيحَ، قُولُ " لِسَانُ العَصْفُورِ " رَاهُ جَائِي مِينَ يَصْرَبُ الرِّعْدُ قُولُ رَاهُ فِي نَصْفِ الطَّرِيقِ، وَمِينَ تُطِيحُ قَطْرَةٌ دَمٌ وَ قَطْرَةٌ قِيحٌ قُولُ وَصَلُ.

مِينَ وَصَلُ أَبَاهُمْ لِقَاوَهُ وَقَرَحُوا بِيهِ، وَأَعْطَاهُمْ صَوَالِحَهُمْ، وَأَعْطَى لَعَيْنِ الرَّعْفَرَانِ أَمَانَتَهَا، وَقَعْدٌ يَبْكِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَرْتَتِهِ، قَالَتْ لَهُ: مَا لَكَ؟ حَكَى لَهَا القِصَّةَ، قَالَتْ لَهُ عَلَى حَبَّةٍ دِيَامُونَ، كُونِ خَلِيَّتَهَا وَجِيتِ، قَالَهَا: بَنَّتِي عَزِيزَةٌ عَلَيَا، وَمَا بَغِيَّتْهَاشَ تَرَعَفَ مِنِّي، بَعْدَ 7 أَيَّامٍ سَمِعَ الرِّيحَ، عَرَفَ بَلِي رَاهُ جَائِي، وَمَنْ بَعْدَ أَطْرَطَقَ الرِّعْدُ قَالَ رَاهُ فِي النِّصْفِ، مِينَ صَبَّتْ قَطْرَةٌ دَمٌ وَقَطْرَةٌ قِيحٌ، قَالَ وَصَلُ، وَلَا يَقُولُ لَهَا: عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ وَجَدِي النَّارَ، وَخَبَرَهَا بِأَبَاهَا، قَالَتْ لَهُ: عَلَى خَاطِرِكَ مَا عَالِيشُ، وَقَالَ لَهُمْ مِينَ تَتَوَحَّشُوها أَرْوَاحُوا تَشَوْفُوها، وَدَاهَا وَرَاحَ دَخَلَهُ لِدَارَهُ، وَدَارَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا حَائِلٌ، وَ قَالَ لَهَا " عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ " طَلِّبِي وَاشِ نَحْبِي، وَكُلِّي الَّتِي بَغِيَّتِيهَا.

وَحَدُّ النُّهَارِ رَسَلَ لَهَا بِأَبَاهَا بِرِيَّةٍ مَعَ حَمَامَةٍ، بَلِي رَادٌ عِنْدَنَا وَوَلَدٌ بَعْدَ 7 بَنَاتٍ، وَرَاهُ دَائِرَ الطُّبْلِ وَالْعَايِطَةِ، وَلَاتِ الحَمَامَةُ تَدُورُ وَتَقُولُ لَهَا: سَبِّعِينِي وَنَحْبِرْكَ، وَكَلَّتْهَا وَأَعْطَانَهَا فِرَاتِ البَرِيَّةِ، وَمَنْ بَعْدَ أَعْطَانَهَا لِّلسَّانِ العَصْفُورِ مَنْ تَحْتِ الحَائِلِ قَرَاهَا، قَالَ لَهَا: غَدَوِي رَاهُ يَجِيكَ عُودٌ بِشَوَارِيهِ، وَ كَبِشُ بَصِيحِ أَرْكَبِي وَرُوجِي مَعَاهُ، وَ مِينَ تَوْصَلِي العُودُ يَقْعُدُ مَعَاكَ، وَيَرْقُدُ مَعَاكَ مَادِيرِيهَشُ مَعَ العُودِ فِي الزَّرِيَّةِ، رَاحَتْ كَيْمَا قَالَ لَهَا وَصَلَتْ لِدَارَهُمْ وَقَرَحُوا بِيهَا، وَبَعَاوُ يَدُوا العُودَ لِلزَّرِيَّةِ، قَالَتْ لَهُمْ: لَا، هَذَا مَوْصِينِي يَقْعُدُ مَعَايَ، قَالُوا لَهَا كَيْفَاهُ رَاكِي عَائِشَةَ مَلِي تَرَوَجَّتِ بِيهِ، قَالَتْ لَهُمْ: مَا تَرَوَجَّتْشُ بِيهِ، بَصَحَ رَانِي عَائِشَةَ أَمِيرَةَ عِنْدَهُ مَا حَصْنِي وَأَلُو، مِينَ عَارُوا مَنَهَا قَالُوا لَهَا: شَفْتِيهِ؟ قَالَتْ لَهُمْ: غَيْرِ مَرَّةٍ الَّتِي فُطِنْتُ، شَفْتَهُ مَعْطِي وَجْهَهُ بِ 7 فُورَانَاتٍ، وَمَنْ شَبُوبَهُ النُّورُ خَارَجَ مَنَّهُمْ، قَالَتْ لَهَا: أَحْنَتْهَا: هَاكَ 7 شَمْعَاتُ صَنْعَازٍ، فِي اللَّيْلِ مِينَ يَرْقُدُ شَعْلِي وَحَدَّةً وَ شَوْفِيهِ، قَالَ

لَهُمْ: صَحَّ، قَعَدَتْ 7 لَيْالِي، وَرَجَعَتْ فِي الطَّرِيقِ، تَسْمَعُ وَاحِدًا يَقُولُ لَهَا: عَيْنَ الرَّعْفَرَانِ، قَيْسِي وَاحِدَةً مَنِ اللَّيِّ اعْطَاوَهُمْ لَكَ، اللَّيِّ اعْطَاوَهُمْ لَكَ غُرُوكَ، تَدُورُ تَشُوفُ مُورَاهَا، مَا تُصِيبُ حَتَّى أَحَدًا، تُقَيْسُ هَذُوكَ الشَّمَعَاتُ بَقَاتُ غَيْرِ الشَّمَعَةِ التَّالِيَةِ، حَزْنَتْهَا وَمَا بَعَاثُ تَقَيْسَهَا، فِي اللَّيْلِ شَعَلَتْهَا، وَقَعَدَتْ تُوَحَّرُ الْفُورَانَاتُ، حَتَّى طَاحَتْ عَلَى وَجْهَهُ قَطْرَةٌ تَاعَ شَمَعَةٍ، قَالَ لَهَا: اللَّهُ، كَشَفْتَنِي، كُونِ مَشِي الْعَاهِدَ تَاعَ بِيكَ سَابِقُ، كُونِ كَلِيَّتِكَ، بَصَحَ نَدِيكَ عِنْدَ أَمَا وَأُخْتِي يَأْكُلُوا مَنَّكَ اللَّحْمَ، دَارَهَا عَلَى كِتَافِهِ وَ دَاهَا لَهُمْ، قَالَتْ لَهَا أُمُّهُ: مَنَا وَأَنَا نَدْبُو عَلَى يَدِي تَدْفِي شُوكَةَ، تَنْقَرِي حَجْرَةَ نَاكَلِكُ وَنَاكَلُ لِسَانِ الْعُصْفُورِ، دَخَلَ صَابَهَا تَبْكِي، قَالَ لَهَا: شَارَاهُ يَبْكِيكَ، حَبْرَاتُهُ شَا قَالَتْ لَهَا أُمُّهُ : قَالَ لَهَا، أَنْتِ مَا رُضِيْتِيْشِ، قَالَ: يَا الرِّيحُ أَصْلَحِ الْمِرَاحَ، وَيَا النُّورُ رُشِي هَذَا الْمِرَاحَ، عِيَاتِ أُمُّهُ تَدْبُو وَ مَا صِرَالَهَا وَالْوَا.

مَنْ بَعْدَ قَالَتْ لَهَا: مَنَا وَأَنَا نَدْبُو عَلَى لِسَانِي، تَنْقَرِي حَجْرَةَ، تَدْفِي شُوكَةَ نَاكَلِكُ وَنَاكَلُ لِسَانِ الْعُصْفُورِ، مِينِ عَوَلْتُ عَلَيْهَا أُمُّهُ وَ أَحْتَهُ، حَفَرَ حُفْرَةَ وَأَشَعَلَ فِيهَا النَّارَ، وَقَالَ لَهُمْ: أَنَا نَدِيرُهَا فِي شَكَارَ وَ نَقَيْسَهَا لَكُمْ، وَنَخَاطُفُوا عَلَيْهَا، اللَّيِّ سَبَقْتُ الْأُولَى تَاكُلَهَا. ذُبْحُ نَعَجَةٍ وَدَارَهَا فِي الشُّكَارَةَ، قَاسَهَا لَهُمْ فِي الْحُفْرَةَ تَاعَ النَّارِ، طَاحُوا فِيهَا وَ نَحَرَفُوا. رَاحَ جَابَهَا وَجَابَ أُمُّهَا وَأَبِيهَا، وَفَتَحَ وَتَرَوَجَ بِيهَا، وَ هَذَا حَدُّهَا وَ الْحَالُ أَصْبَحَ.

## 27. " هَارُونَ الرَّشِيدُ "

كَانَ وَحَدَّ السُّلْطَانَ، وَمَا هُوَ سُلْطَانُ غَيْرِ اللَّهِ، كَانَ يَمْشِي صَابَ جَدَقُ كَسْرَةَ وَحَرَهُ بِمَطْرَقَهُ، نَطَقُ الْجَدَقُ، وَ قَالَهُ: تَشْتَأْفِي 7 سَنِينَ، عَزَمَ السُّلْطَانُ وَقَالَ: نَهَجَرَ مِنَ الْبِلَادِ قَبْلَ مَا يَسْتَشْفَاوُ فِي الْعَدْيَانِ، دَارَ لِأَفْسَاطُ تَاعَ الذَّهَبِ عَلَى الْبَعْلَةِ، وَ هُوَ رَكَبَ عَلَى الْعُودِ وَرَاحَ، فِي الطَّرِيقِ صَابَ وَحَدَّ الْوَادِ، قَوْتُ الْبَعْلَةَ اللَّيِّ عَلَيْهَا الْأَفْسَاطُ تَاعَ الذَّهَبِ، فِي النِّصْفِ عَنَرْتُ وَعَنَرْتُ مَعَاهَا الذَّهَبَ، عِي يَجْبُدُ الذَّهَبَ بِالسَّنَابِلِ وَمَافْدَرَشِ، بَعِي يَقْطَعُ هُوَ بِالْعُودِ، عَنَرْتُ الْعُودَ أَرْجَعُ وَهُوَ قَاتٌ مَنِ طَرِيقُ وَحَدًا أُخْرَى. وَبَدَلَ رُوحَهُ حَتَّى مَا يَبَانُشُ سُلْطَانُ، يَمْشِي يَمْشِي يَمْشِي، حَتَّى شَافَ وَحَدَّ الْعُجُوزَ قَاعِدَةَ قُدَامَ بَابِهَا، وَ كَانَتْ تَسْكُنُ حُدَا سُلْطَانُ. جَاهَا، وَقَالَ لَهَا:

ضِيَاْفَ رَيْي، قَالَتْ لَهُ: مَرْحَبًا وَاعْطَاتَهُ كُلَّ شَاعَنْدَهَا، وَمَنْ بَعْدَ قَالَ لَهَا: عَلَاهُ مَا تَدِيرِينِيْشِ رَاعِي عِنْدَكَ، قَالَتْ لَهُ: حَوْجِي، أَنْتِ شَبَابُ كَيْمَا هَكَذَا وَ نَدِيرُكَ رَاعِي، قَالَ لَهَا: مَا عَالِيْشِ، قَالَتْ لَهُ: صَحَّ، وَلَا يَدِي الْعَنَمُ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى لِلْعَصْرِ، مِينِ يَرْجَعُ، يَدْخُلُهُمْ وَيُرُوحُ لَوْحَدَ الْجَنِيْبَةِ حَدَى السُّلْطَانَ اللَّيِّ حَدَى الْعُجُوزِ، يَقْلَعُ فِيهَا صَوْلَاحَهُ وَيَقْلَعُ هَذَاكَ الْوَسْخَ وَ يَغْسَلُ، وَ يِعَاوَدُ يَلْبَسُ صَوْلَاحَهُ.

وَحَدَّ النَّهَارَ شَافَتْهُ بَنَتْ السُّلْطَانَ الصَّغِيرَةَ، عَجَبَهَا، وَالسُّلْطَانَ كَانَ عِنْدَهُ سَبْعَ بَنَاتٍ، كَانُوا بَاغِيَيْنَ يَتَزَوَّجُوا، رَاحُوا لَوْحَدُ الدِّبَارِ، وَ قَالُوا لَهُ: رَانَا بَاغِيَيْنَ نَتَزَوَّجُوا، دَبَّرَ عَلَيْنَا كَيْفَاشْ نَقُولُوا لِبَابَانَا، قَالَهُمْ: قُولُوا لَهُ: حَيْبَ لَنَا قَاعَ حَبَّةِ حَبَّةِ النَّفَاحِ، مِينَ تَدُوهَا حَشُوا فِيهَا قَاعَ حُدْمِي حُدْمِي، وَرَجَعُوا هَالَهُ، دَارُوا كَيْمَا قَالَهُمُ الدِّبَارِ، بَابَاهُمْ السُّلْطَانَ مَا فَهَمَّشْ، رَاحَ عِنْدَ الدِّبَارِ قَالَ لَهُ: مَا فَهَمَّشْ، بِنَاتِي قَالُوا لِي حَيْبَ لَنَا النَّفَاحِ، مِينَ جَبْتَهُ لَهُمْ، كُلَّ وَحْدَةٍ دَخَلَتْ حُدْمِي فِي حَبْتِهَا تَاعَ النَّفَاحِ، وَرَجَعُوهُمْ لِي، قَالَ لَهُ: بِنَاتِكَ رَاهُمْ يَحْوَسُوا يَتَزَوَّجُوا، قَالَ لَهُ: وَكَيْفَاشْ نَدِيرُ، قَالَ لَهُ:

" أَجْمَعُ قَاعَ لَوْلَادِ تَاعَ الْمَدِينَةِ، وَدِيرُ بَرَاحِ يَقُولُ لَهُمْ بِنَاتِ السُّلْطَانَ بَاغِيَيْنَ يَتَزَوَّجُوا، وَيَخَاطَرُوا اللَّيِّ يَعْجَبُهُمْ، وَكُلُّ وَاحِدٍ تَقِيْسُ لَهُ تَفَاحْتَهَا فِي الْحُدْمِي دَارَ السُّلْطَانَ كَيْمَا قَالَ لَهُ الدِّبَارِ، وَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مَنَ بِنَاتِهِ قَاسَتْ حَبْتَهَا تَاعَ النَّفَاحِ لِلرَّجُلِ اللَّيِّ عَجَبَهُ، غَيْرَ بِنْتَهُ الصَّغِيرَةَ مَا قَاسَتْشْ، يَقُولُوا لَهَا اخْوَاتَاتِهَا هَايَ اخْتَارِي وَاحِدًا، نَقُولُ لَهُمْ مَا عَجَبَنِي حَتَّى وَاحِدًا، ... وَ هِيَ كَانَتْ تَقَارِعُ فِي رَاعِي الْعُجُوزِ، مِينَ جَاءَ، وَحَطَّ الْعَنَمُ فِي الزَّرِيْبَةِ، وَدَخَلَ مَعَ هَدُوكَ النَّاسِ، قَاسَتْ بِنْتِ السُّلْطَانَ الصَّغِيرَةَ تَفَاحْتَهَا لِيهِ، يَقُولُوا لَهَا اخْوَاتَاتِهَا، لَا أُخْتِنَا رَاهِي غَالِطَةَ، كَيْفَاهُ تَخْتَارُ الرَّاعِي تَاعَ الْعُجُوزِ، قَالَتْ لَهُمْ: مَا نِيْشَ غَالِطَةَ، هُوَ اللَّيِّ اخْتَارِيْنِيهِ، فَعَدُوا يَزَعْفُوا عَلَيْهَا اخْوَاتَاتِهَا، يَاحِي شَا اخْتَارَتْ اخْتِنَا، رَاعِي الْعَنَمِ، قَالَتْ لَهُمْ:

" مَا عَلِيْشْ، تَزَوَّجُوا قَاعَ بِنَاتِ السُّلْطَانَ، مِينَ فَاتَتْ سَبْعَ سَنِيْنَ كَانَ فَايْتِ رَاعِي الْعَنَمِ " هَارُونَ الرَّشِيْدُ " عَلَى الْوَادِ اللَّيِّ عَزَقَتْ فِيهِ الْبَغْلَةَ مَعَ الْأَفْسَاطِ تَاعَ الذَّهَبِ، حَتَّى صَابَ شَعْرَةَ تَاعَ الْبَغْلَةَ ثَبَانًا، مِينَ جَبَدَهَا، خَرَجَتْ الْبَغْلَةَ بِيهَا بِالْأَفْسَاطِ تَاعَ الذَّهَبِ، قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ " يَلَا سَهَلَتْ تَقْدَهَا شَعْرَةَ وَيَلَا صَعَبَتْ تَقْطَعُ السَّنَابِلَ وَدَا الْأَفْسَاطِ تَاعَ الْوَيْزِ لَمَرْتَهُ، وَ خَبَرَلَهَا بِقِصْنَتَهُ، وَ قَالَ لَهَا خَزْنِي هَذَا الرَّزْقُ وَمَا تَخْبِرِيْشْ بِحِكَايَتِي، فَرَحَتْ، وَقَالَتْ لَهُ:

" صَحَّ، وَحَدَّ النَّهَارَ، السُّلْطَانَ مَرَضَ وَجَا فِي قَلْبِهِ " حَلِيْبُ اللَّيْبَةِ فِي جَلْدِ الشَّبْلِ "، رَاحَ لِلدِّبَارِ، وَقَالَ لَهُ: شُوفْ شَا رَانِي بَاغِي دَبَّرَ لِي عَلَى اللَّيِّ يَجِيْبُهُ لِي، قَالَ لَهُ: دَرُوكَ رَاكَ بَانَسَابِكْ، هُمَا اللَّيِّ يَجِيْبُوهُ لَكَ عَيْطٌ لَأَنْسَابَهُ قَاعَ، وَ قَالَ لَهُمْ: رَانِي بَاغِي حَلِيْبُ اللَّيْبَةِ اللَّيِّ فِي جَلْدِ الشَّبْلِ، قَالُوا لَهُ: صَحَّ، رَاحُوا، قَالَ هُمْ رَاجِلُ الصَّغِيرَةَ: رَانِي رَايْحَ نَاكُلُ شَيْوَةَ فَطِيْرٍ عِنْدَ أَمَا الْعُجُوزِ وَنَلْحَقُكُمْ، قَالُوا لَهُ: أَنْتِ يَلَا حِيْتِ وَلَا قَعْدَتْ عِلَاهُ، وَدَارَ لَهُمْ فِي طَرِيْقٍ وَحَدَّ أُخْرَى، وَكَانَتْ عِنْدَهُ خَاتَمٌ سِحْرِيَّةٌ، دَوْرَهَا وَ قَالَ: بَغِيْتُ الْعُودَ الْاَبْيَضَ وَاللَّبْسَةَ بِيْضَةَ، شَافُوهُ فِي طَرِيْقِهِمْ مَا عَرَفُوهُشْ، وَلَا وَ يَقُولُوا: هَا مُوَلَايَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيْلَانِي لَقِيْنَاهُ يَا بَرَكَتِنَا، قَالَ لَهُمْ: شَا خَصْمُكُمْ، قَالُوا لَهُ: حَلِيْبُ اللَّيْبَةِ فِي جَلْدِ الشَّبْلِ، قَالَ لَهُمْ: اعْطُونِي تَفَاحَاتِ نَسَاكُمُ، اعْطَاوَهُ التَّفَاحَاتِ، دَارَهُمْ فِي فُرَابَةِ وَرَاحِ، صَابَ وَحَدَّ الشَّبْلَ دَبَحَهُ، وَ سَلَخَ لَهُ جِلْدَهُ، وَصَنَعَهُ كِي الْقَرِيَّةِ، وَصَابَ وَحَدَّ الْبَيْتِ فِي جَلْدِ الشَّبْلِ،

خَلَبَ مِنْهَا الخَلِيبَ فِي هَذَاكَ الجَلْدِ وَاَعْطَاهُ لَهُمْ، وَرَاحُوا اعْطَاوَهُ لَلْسلْطَانِ، قَالَ الرَّاعِي: حَمَّ حَمَّ، صَحَابَ السُّلْطَانِ، قَاعَ عَيْبًا وَ قَاعَ جَيْبًا، قَالُوا لَلْسلْطَانِ: يَكْذِبُ قَاعُ مَا شَفْنَا هَاشَ مَعَانًا، يَقُولُ لَهُمْ السُّلْطَانُ: مَا عَلَيْهِنَّ سَاعِفُوهُ. وَحَدَّ النَّهَارَ السُّلْطَانُ قَالَ لَهُمْ: رَانِي بَاغِي المَاءِ تَاعَ الجِبَالِ المَتَقَارِزَةَ، قَالُوا لَهُ: صَحَّ، رَاحُوا، الرَّاعِي قَالَ لَهُمْ: نَدَهْمُ العُجُوزَ نَاكُلُ شَوِيَةَ فُطِيرَ وَنُجِي، قَالُوا لَهُ: أَنْتَ وَ يِلَا جَيْتَ وَلَا فَعَدْتِ عِلَاهُ.

دَارَ وَدَوَّرَ خَاتَمَهُ، وَ قَالَ: بُغِيَتْ اللَّبْسَةَ كَحَلَّةَ وَ العُودَ كَحَلَّ، صَابُوهُ فِي الطَّرِيقِ قَالُوا لَهُ: كِي غَايَةَ صَبْنَا مُوَلَايَ عَبْدَ القَادِرِ الجِيلَانِي، قَالَ لَهُمْ، شَابَغِيْتُو؟ قَالُوا لَهُ المَاءِ تَاعَ الجِبَالِ المَتَقَارِزَةَ قَالَ لَهُمْ: اعْطُونِي زِيَايَبَ وَدُنِيكُمْ، فَصُوا لَهُ شَوِيَةَ مَنْ وَدُنِيهِمْ، وَ اعْطَاوَاهَا لَهُ، رَاحَ لَهُدُوكَ الجِبَالِ، وَعَلَّقَ المَرْجَانَ فِي كَعَالَةَ العُودِ وَهُوَ دَبِيهُ شَوِيَةَ، وَعَمَرَهُ مَاءً وَاعْطَاهُ لَهُمْ، رَجَعُوا وَاعْطَاوَهُ لَلْسلْطَانِ، قَالَ الرَّاعِي: حَمَّ حَمَّ صَحَابَ السُّلْطَانِ قَاعَ عَيْبًا وَ قَاعَ جَيْبًا، قَالُوا لَهُ: وَاللهِ مَا كَانَ مَعَانًا يَا السُّلْطَانُ، قَالَ لَهُمْ: مَا عَلِيْشَ قُولُوا لَهُ وَاهُ.

وَحَدَّ النَّهَارَ السُّلْطَانُ قَالَ لَهُمْ: رَانِي بَاغِي تَفَاحَ النَّفُوحِ اللَّيِّ يَزُدُّ الرُّوحَ، قَالُوا لَهُ صَحَّ، رَاحُوا، وَ هُوَ كِي عَوَايِدَهُ قَالَهُمْ: بَاغِي نَدَهْمَ أَمَا العُجُوزَ، نَاكُلُ شَوِيَةَ فُطِيرَةَ، قَالُوا لَهُ: مَا لِحَقْنَتَاشَ وَمَا نَسْتَحْفُوكَشَ، دَارَ وَدَوَّرَ خَاتَمَهُ، وَقَالَ بُغِيَتْ اللَّبْسَةَ الحَمْرَةَ وَالعُودَ الأَحْمَرَ، صَابُوهُ فِي الطَّرِيقِ، قَالُوا أَحْنَا دَعَوَةَ الخَيْرِ عَلَيْنَا، كُلَّ مَرَّةٍ تَلْقَاوُ مُوَلَايَ عَبْدَ القَادِرِ يَقْضِينَا حَوَايَجِنَا، قَالَ لَهُمْ: " شَاخْصَكُمْ، قَالُوا لَهُ: تَفَاحَ النَّفُوحِ اللَّيِّ يَزُدُّ الرُّوحَ، قَالَهُمْ: اعْطُونِي رِيْسَانَ سَبْعِيكُمْ، اعْطَاوَهُمْ لَهُ، رَاحَ اقْطَعَ سَبْعَ بَحُورَ، وَقَلَعَ شَجْرَةَ تَاعَ النَّفَاحِ بِيهَا بِعُرُوقِهَا، وَجَابَهَا لَهُمْ، دَاوَهَا لَلْسلْطَانِ افْرَحَ بِيهِمْ، الرَّاعِي قَالَهُمْ حَمَّ حَمَّ صَحَابَ السُّلْطَانِ قَاعَ عَيْبًا وَ قَاعَ جَيْبًا، يَقُولُوا لَهُ: رَاعِي وَكَذَابَ مَنْ الفُوقِ، السُّلْطَانُ يَقُولُهُمْ: شَاخَالْتَهُ مَسْكِينِ خَلُوهُ اَيْلَا اهدَرَ مَا تَقْرَعُوهُشَ عَلَيْهِ.

وَحَدَّ النَّهَارَ وَحَدَّ السُّلْطَانُ، جَابَ جَيْشَهُ جَيْشَهُ وَبَعَى يَغْرُو هَذِيكَ المَدِينَةَ تَاعَ السُّلْطَانِ، خَرَجُوا الحُرَاسَ، وَ خَرَجُوا انْسَابَهُ يُوَاجَهُو الجَيْشَ، وَالسُّلْطَانُ اَطْلَعُ فُوقَ القَلْعَةَ انْتَاعَهُ وَقَعَدَ يَشُوفُ، الرَّاعِي لَبَسَ كُلَّ شَيْءٍ بَيْضَ، وَرَكَبَ فُوقَ عُودَ بَيْضَ وَدَارَ كَمَا مَامَةَ عَلَى وَجْهَهُ، وَقَعَدَ يَطَارِدُ فِي الجَيْشِ، انْسَابَ السُّلْطَانِ خَافُوا، وَرَجَعُوا دَخَلُوا لَلْقَصْرِ وَهُوَ قَعَدَ يَطَارِدُ يُوَحِدُ القُوَّةَ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِمْ، وَرَجَعُوا البَاقِيْنَ لَلْبِلَادِهِمْ، السُّلْطَانُ انْخَلَعَ، وَ قَالَهُمْ:

" اعْرِفُولِي شَكُونُ هَذَا اللَّيِّ لَابَسَ الابْيَضَ، قَالُوا لَهُ: الخِدَامَ، مَا عَرَفْنَا هَاشَ، قَالَ لُوَحِدَ العَبْدُ: رُوحَ اضْرِبَهُ بَسَهْمَ مَا بَيْنَ الجَلْدِ وَاللَّحْمِ، وَمَا نُضْرَهَشَ، وَقَالَ لَهُمْ: صَحَّ، السُّلْطَانُ مِينُ رَجَعَ الجَيْشَ لَبِلَادَهُ، جَمَعَ بِنَاتَهُ السَّبْعَةَ وَقَالَ لَهُمْ: اليَوْمَ اللَّيِّ يُنُوضُ رَاجِلُهَا فِي اللَّيْلِ يَكْمَدُ، مِينُ يَرْقِدُوا قَاعَ النَّاسِ تَزْعَرْدُ، خَاطَرَشَ هُوَ اللَّيِّ غَادِي يُوَلِّي سُلْطَانُ فِي بِلَاصْتِي، رَاحُوا كُلُّ وَحْدَةَ تَفَارَعُ فِي

رَاجِلَهَا يُنْوِضُ فِي اللَّيْلِ يَكْمَدُ زَعْرَدَتْ مَرَّتَهُ، مَاكَاشَ اللَّيِّ نَاضٌ، غَيْرَ الرَّاعِي اللَّيِّ رَفَدَ مَرَّتَهُ، وَ نَاضٌ فِي اللَّيْلِ يَكْمَدُ زَعْرَدَتْ مَرَّتَهُ، جَاؤَ أَخَوَاتُهَا قَالُوا لَهَا: عَلَى حَالَةٍ رَاجِلِكَ وَرَعْرَدْتِي عَلَيْهِ وَ بَهْدَلْتِيهِ، جَاهَا السُّلْطَانُ، قَالَتْ لَهُ: رَاجِلِي هُوَ اللَّيِّ نَاضٌ يَكْمَدُ فِي اللَّيْلِ، جَمَعَ قَاعَ نَسَابِهِ، وَقَعَدَ يُسْفِسِي فِيهِمْ.

شَكُونُ اللَّيِّ جَابِلِي حَلِيبِ اللَّبِيَةِ، قَالُوا لَهُ أَحْنَا سِيدِي، قَالَ لَهُمْ: أَنَا اللَّيِّ جِبْتَهُ، وَبَيْنَ رَاهُمْ تَفَاحَاتُ نَسَاكُمُ، نُخَلَعُوا، خَرَجَهُمْ مَنِ الْقَرَابُ، سَفَسَاهُمْ السُّلْطَانُ: شَكُونُ اللَّيِّ جَابُ الْمَاءِ تَاعَ الْجِبَالِ الْمَنْقَارِينَ، قَالُوا لَهُ، أَحْنَا سِيدِي، قَالَ لَهُمُ الرَّاعِي: أَنَا اللَّيِّ جِبْتَهُ، وَبَيْنَ رَاهُمْ زَبَايِبُ وَذَنِيهِمْ، خَرَجَهُمُ الرَّاعِي مَنِ الْقَرَابِ، انْخَلَعُوا أَنْسَاهُمْ، قَالَ لَهُمُ السُّلْطَانُ: شَكُونُ اللَّيِّ جَابُ التَّفَاحِ النَّفُوحِ اللَّيِّ يَزُدُ الرُّوحَ، قَالُوا لَهُ: أَحْنَا سِيدِي، قَالَ لَهُمْ: أَنَا اللَّيِّ جِبْتَهُ، وَبَيْنَ رَاهُمْ رِيسَانُ صَبْعِيكُمُ، شَافَ لَهُمُ السُّلْطَانُ فِي صَبْعِيهِمْ، أَنْخَلَعَ، خَرَجَهُمُ الرَّاعِي مَنِ الْقَرَابِ، قَالَ لَهُمُ شَكُونُ اللَّيِّ طَارَدَ الْجَيْشَ، قَالُوا لَهُ: أَحْنَا، قَالَ لَهُمْ لَا، شَكُونُ اللَّيِّ صَابَ رُوحَهُ مَجْرُوحٌ فِي الْكِرَاعِ بَيْنَ اللَّحْمِ وَالْجِلْدِ، قَالَ لَهُ: الرَّاعِي: أَنَا، وَوَرَالَهُمْ كُرَاعَهُ، فَرِحَ بِيَهُ السُّلْطَانُ، وَدَارَهُ السُّلْطَانُ فِي بِلَاصْتَهُ. وَ هَذَا حَدُّهَا وَ الْحَالُ أَصْبَحَ.

## 28. "ملوكة والثعبان"

كَانَتْ فِي بَكْرِي زَمَانُ أَمْرًا عِنْدَهَا 07 أَوْلَادٌ، رَبْتَهُومُ مَلِيحٌ وَ عَلِمْتَهُمُ الصِّيدَ وَ الْفُرُوسِيَّةَ وَالرِّمَاطِيَّةَ، وَغَيْرَهَا. لَكِنْ بَعْدَ أَيَّامٍ فَكَّرَتْ الْمُرَا فَكَّرَتْ بَاشَ تَحْمَلُ وَ تَحْيِبُ أُخْتٌ لَوْلَادِهَا السَّبْعَةَ. وَفِي يَوْمِهَا الْأَخِيرِ نَتَاعَ الْحَمَلِ وَبَيْنَ كَانُوا وَوَلَادَهَا رَايَجِينَ لِلصِّيدِ، وَصَاوُ أُمَّهُمْ بَاشَ إِذَا جَابَتْ بَنَتْ تَلَوَحْلَهُمُ بِالرَّايَةِ الْبَيْضَةِ بَاشَ يَرْجِعُوا وَ إِلَى جَابَتْ وَ لَدُ تَلَوَحَ لَهُمُ بِالْمَنْجَلِ بَاشَ يَرْوَحُوا بِلَا رَجَعِ. أُمَّهُمْ جَابَتْ بَنَتْ وَ الْخَادِمَةَ عَظَطَتْ وَ لَوَحَتْ لَهُمُ بِالْمَنْجَلِ، هَذَاكَ مَاشَافُوا وَوَلَادَهَا وَ هَجَرُوا الْبِلَادَ. بَعْدَ عَوَامٍ وَ سَنِينَ كَبُرَتْ أُخْتُهُمْ وَوَلَاتَ أَمْرًا وَكِدَايِرًا، زِينَهَا زِينٌ مَكْمُولٌ، هَذَاكَ الزِينُ خَلَّ النَّاسَ نَعِيرَ مِنْهَا وَ تَعَايَرَهَا وَيَقُولُونَ لَهَا بَلِي هِيَ سَبَابُ هَجَرَ أَخَوَاتِهَا، بَكَاتُ الْبِنْتُ وَ تَحَسَّرَتْ عَلَى خُوْتِهَا السَّبْعَةَ، وَعَزَمَتْ بَاشَ تَحَوَسَ عَلَيْهِمْ وَ تَزُدُهُمْ لِدَارَ بَابَاهُمْ.

دَخَلَتْ بِلَادًا وَ خَرَجَتْ بِلَادًا وَ هِيَ تَحَوَسَ عَلَيْهِمْ وَعَرَفَتْ بَلِي خُوْتِهَا فِيهِمْ وَشَامَ فِي ذَرَعَتِهِمْ وَبِهَذَا الْإِشَارَةَ تَمَكَّنَتْ مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ، غَيْرَ هُوَمَا مَاصِدْفُوهَاشَ وَ دَاوَهَا وَرَجَعُوا لِأُمِّهِمْ لِخَبَرْتَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ وَ قَالَتْ لَهُمُ الدَايَةَ هِيَ لِعَظَطَتْ وَ لَوَحَتْ بِالْمَنْجَلِ، سَامْحُونِي يَا وَوَلَادِي.

فَرَحُوا خُوْتِهَا بِيهَا وَ قَعَدُوا قَاعَ مَا يَفَارْفُوهَاشَ، عَلِمُوهَا الصِّيدَ وَ رُكُوبَ الْخَيْلِ وَ لَكِنْ فَرَحَتْهُمْ مَا تَمْتَشُّ بَعْدَمَا غَارُوا مِنْهَا زُوجَاتُ خُوْتِهَا وَ دَبَّرُوْهَا مَكِيدَةَ بَاشَ تَخْرُجُ مِنَ الدَّارِ إِلَّا مَرَّتِ الصَّغِيرُ

لِيَمْبَعَاتِشْ عَلَيْهَا. حَضَرُوا لَهَا عَشَا فِيهِ مَا طَابَ مِنَ الْمَاكَلَةِ وَ دَرَوْلَهَا فِيهِ بِيِضُ الثُّعْبَانِ وَ قَلْوَلَهَا  
إِلَّا كُنْتِ تَبْغِي خُوْتَهَا كُولِي هَذَا اللَّفْمَةَ بِلَا مَا تَمَضُّغِيهَا، وَهَاكَ صَارَ صَرَطَتِ الْبِيِضَةَ، وَ بَعْدُ  
شَهُورٌ حَمَلْتُ مِنْ ذِيكَ الْبِيِضَةَ، شَافُوهَا خُوْتَهَا طَلَبُوا مِنْهُمْ نَسَاهُمْ بَاشَ يَكْتَلُوهَا وَلَا يَهَجُرُوهَا مَنْ  
الدَّارِ قَبْلَ مَا تَوْلَدَ وَ نُجِيبُ لَهُمُ الْفُضِيحَةَ وَ الْعَارَ لَدَارَ.

نُخَلَعُوا خُوْتَهَا مِنْ هَذِي الْمُصِيبَةِ لَخَاطَرِشْ الْبِنْتُ مَاكَانَتْشْ قَاعٌ تَفَارِقُ خُوْتَهَا لَا فِي لَيْلٍ وَ لَا فِي  
النُّهَارِ، وَ بَعْدُ مَا قَرَرُوا يَفْتَلُوهَا دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ زُوجَةَ الصَّغِيرِ وَ عَرَضْتُ عَلَيْهِمْ بَاشَ يُجِيبُولَهَا دَجَالُ  
يُشُوفُ مَا بِيهَا، جَا الدَّجَالُ وَ شَافَ الْبِنْتُ عَرَفَ حَقِيقَةَ مُوصِيْبَتِهَا وَقَالَهُمْ بَلِي الْبِنْتُ مَرَهِيشْ حَامِلُ  
وَ طَلَبَ مِنْهُمْ بَاشَ يُجِيبُولَهُ خُرُوفَ طَايِبٍ وَ فِيهِ الْمَلْحُ بَرَّافٌ وَ طَلَبَ مِنَ الْبِنْتُ بَاشَ تَاكَلَهُ وَ مَنْ  
بَعْدُ رَبَطَهَا مَلِيحٌ مِنْ رَجْلِيهَا وَ عَاقَهَا، رَاسَهَا التَّحْتِ وَ رَجْلِيهَا الْفُوقِ وَ حَطَّ لَهَا بِاسِيْنَةَ نَتَاغِ الْمَاءِ.  
عَطَشَتْ الْبِنْتُ مَسْكِينَةَ وَ مَا قَدَّتْشْ تَصْبِرُ لَخَاطَرِشْ الدَّجَالُ مَنَعَهَا مِنْ شُرْبِ الْمَا وَ عَدَّ وَ قَتَّ جَا  
خَارِجَ الثُّعْبَانِ مَنْ فَمُ الْبِنْتُ وَرَايِحَ يَشْرَبُ نُخَلَعُوا خُوْتَهَا وَ غَاضَتْهُمْ لِشَكْوَا فِي خُنْهُمْ بَعْدُ مَا حَبْرَتْهُمْ  
زُوجَةَ الصَّغِيرِ بِالْحَقِيقَةِ.

كَتَلُوا ذَلِكَ الثُّعْبَانِ وَ زَمَاوَهُ وَ فِي اللَّيْلِ عَاوَدُوا لِقَاوَهُ بِالْقُرْبِ مَنْ أُخْنَتْهُمْ رَاقِدًا حَذَاهَا، عَاوَدُوا قَطْعُوهُ وَ  
زَمَاوَهُ لَكِنْ عَاوَدَ أَلْتَمَ وَ حَيَّ وَوَلَى عِنْدَ خُنْهُمْ. وَبِهَذَا شَيِّ رَحَلُوا مِنْ ذِيكَ الْبِلَادِ وَ بَعَدُوا الثُّعْبَانِ وَ  
عَاقَبُوا زُوجَاتِهِمْ لِتَسْبُؤَا فِي ضَرَرِ أُخْنَتْهُمْ مَعَدَا زُوجَةَ الصَّغِيرِ. وَحَجَائِي مَاشَتْ مَعَ الْوَادِ وَ أَنَا  
مُشِيْتٌ مَعَ لَجُودِ.

## 29. "بِقَرَّةٍ لِيَتَامَى"

كَانَتْ فِي وَحْدِ الْبِلَادِ وَحَدَّ الْعِيْلَةَ فِيهَا مُوَلِّ الدَّارِ وَ مَرَّتَهُ وَ كَانَ عِنْدَهُمْ زُوجٌ دُرَّارِي: بَنَتْ إِسْمَهَا  
عِيْسَةَ وَ وُلِدَ إِسْمَهُ عَلِي. وَاحِدَ النُّهَارِ مِنْهُمْ مَسْكِينَةَ مَرَضَتْ مِيْنُ شَافَتْ رُوحَهَا قَصْرَتْ، لُعَاتُ  
رَاجَلَهَا وَقَتْلَهُ: " شُوفْ، أَنَا مَا بَقَالِيشْ بَرَّافٌ وَ نَلَّقَ اللهُ. عَاهَدْنِي تَنْهَلِي فِي وِلَادِنَا. مَا تُخَلِيهِمْشْ  
يَنْغَبْنُوا. عَاهَدْنِي هَذِيكَ الْبِقَرَةَ نَتَاغَنَا مَا تَبِيْعَهَا مَا تَدْبَحَهَا. خَلِيهَا لَهُمْ تَقُوْتَهُمْ بِحَلِيْبِيهَا." عَاهَدَهَا وَقَاتُوا  
لِيَمَاتُ وَ مَاتَتْ وَ خَلَتْهُمْ وَحَدَّهُمْ.

جَا هُوَ قَالَ: " كِيْنْدِيْرُ ؟ وِلَادُ صَغَارُ، عَطِيْتُ عَاهَدَ تَنْهَلُ فِيهِمْ. كِي نْدِيْرُ يَا رَبِّي لِأَزْمُ تَنْتَرُوحُ، نُجِيبُ  
أَمْرَاةَ تَعَاوَنِي تَرْفَدُهُمْ مَعَايَا."

أَيَّ فَائِثِ لِيَامَاتٍ وَ تَرْوَجُ. زَادَتْ عِنْدَهُمْ بِنْتُ وَ سَمَاوَهَا دُجُوهَر. فَعَدُوا يَكْبُرُوا مَعَا بَعْضُ. فِي لَوْلَا  
مَرَّتْ بِيَهُمْ كَانَتْ مَلِيحَةَ مَعَاهُمْ، بَصَحَ أَنْبَعْدَ وَ لَتْ تَفْضَلُ بِنْتَهَا عَلَى هَذُوكَ لِيَتَامَى تَشْبَعُ بِنْتَهَا غَيْرُ  
بَالْمِيمَا وَ هَذُوكَ تَعْطِيَهُمُ الْفَضْلَةَ وَ لَا بَقَاتُ!

كَانَتْ تَقُولُهُمْ: " لَوْ كَانَ تُخْبِرُوا بُوَكُمْ، نَكْتَلُكُمْ فِي رُوجٍ ". ذَاكَ الصَّعَاظُ كَانُوا غِيخَافُوا مِنْهُ إِيْمُونُوا. هَا  
مَنْ بَدَا إِيْجُوعُ رَاحُو عِنْدَ دِيكَ الْبَقْرَةَ وَ رَضَعُوا حَلِيْبَهَا.

هَا وَ لَأَوْ كُلَّ حَظْرَةَ غِي يَدِيرُوا هَكَذَا، أَيَا وَ غَيْرُ إِيْكْمَلُوا رِضَاعَةَ عَيْشَةَ تَمْسَحُ مَلِيحَ فُمَهَا وَ فَمَ حُوَهَا  
وَ تَوْصِيَهُ مَا يُخْبِرُ حَدً.

فَعَدُوا هَكَذَاكَ حَتَّى وَاحِدَ النَّهَارِ مَرَّتْ بِأَبَاهُمْ تَحْيِرَتْ وَ قَالَتْ: " كَيْفَاشُ بِنْتِي نُوَكَّلَهَا غَيْرُ لَمِيمَةَ  
وَلِبْدِ سَفَرٍ وَمَعْدَهُمْ وَ هَادُوا نَعْطِيَهُمْ وَالْوَا وَ خُدُودَهُمْ حُمْرِينَ؟ ".

لَعَدُوا مَنْ ذَاكَ حَكَاتُ بِنْتَهَا وَقَالَتْهَا: " شُوفِي مَنْ لِيَوْمٍ مَا تَتَلَقِيَهُمْشُ بِحُطْوَةٍ، وَبَيْنَ إِرُوحُو رُوجِي  
كِي دِيرُو دِيرِي، لِي يَأْكُلُوهُ كَوْلِيَهُ. فَهَمَّتِي؟ عَسِيَهُمْ مَلِيحَ دِيرِي كَيْفَهُمْ ".

هَا لَسَقَتْ فِيَهُمْ دُجُوهَر. كَاعُ النَّهَارِ وَ هُوَمَا إِيْحُوسُو يَهْرُبُولَهَا وَالْوَا، هَا بَنِيَةَ جَاعُوا رَاحُو يَشْرَبُو  
شُويَةَ حَلِيْبٍ. غَيْرُ كَمَلُوا دُجُوهَرَ بَعَاتُ دِيرُ كَيْفَهُمْ بَصَحَ دِيكَ الْبَقْرَةَ تَنُوحَرُ وَ تَنْقَدَمُ وَ تَعْطِيَهَا  
بُرْكَلَةَ، جَاتَهَا فِي الْعَيْنِ.

مِيْنِ دَخَلُوا لِدَارٍ وَ مَرَّتْ بُوَهُمْ شَافَتْ بِنْتَهَا لَعَزِيْزَةَ عَمِيَةَ مِنْ عَيْنِهَا حَكَمَتْ عَيْشَةَ وَ عَلِيٍّ وَ كَتَلَتْهُمْ  
بِصَوْتٍ، قَاتَلَتْهُمْ نُوْمًا كَبَارًا عَلَيْهَا كُونِ عَسِيْئُوَهَا. مِيْنِ جَاءَ بُوَهُمْ قَاتَلَتْهُ: " وَالْوَا غَيْرُ هَادِي الْبَقْرَةَ لِي  
تَبِيْعَهَا. شَتَّ شَادَارَتْ فِي بِنْتِنَا؟ هَذِي الْبَقْرَةَ مَا تَكْعُدْشُ فِي الدَّارِ، بِبِيْعَهَا! ".

لَعَدُوا مَنْ ذَاكَ، دَا هَذِيكَ الْبَقْرَةَ لَسُوْقَ بَاشٍ إِيْبِيْعَهَا. فَعَدَ يَنْمَشُ وَ يَفُوْلُ: " بَقْرَةَ لَلْبِيْعِ ! بَقْرَةَ لَلْبِيْعِ !  
وَ نَاسٌ نُوَاجِبَةُ: " يَا لَطِيْفُ! بَقْرَةَ لِيَتَامَى مَا تَنْبَاعُ مَا تَنْشُرَا! ". فَعَدَ كَاعُ النَّهَارِ هَاكَ وَ دَخَلَ مَسْكِيْنٍ.  
قَاتَلَتْهُ مَرَّتَهُ وَالْوَا غَيْرُ هَذِي الْبَقْرَةَ لِيَتْبَاعُ. بَقَ يَمْشِي كُلُّ يَوْمٍ لَسُوْقٍ وَ كُلُّ يَوْمٍ كَيْفَ كَيْفَ يُوْلِي  
هَكَذَاكَ. جَاتِ هِي وَاحِدَ النَّهَارِ قَاتَلَتْهُ: " شُوفُ رُوحَ لَسُوْقِ نَهَارِ الْجُمُعَةِ، بِبِيَانِ اللَّهِ مَحْلُولِيْنِ، بَلَكَ  
رَبِّي إِيْجِيْبُ الْخَيْرِ ".

سَاعَفَهَا وَ رَاحَ الْجُمُعَةَ لَسُوْقٍ مَعَ بَقْرَتِهِ. جَاتِ هِي لَبَسَتْ جَلَابَةَ خَزْنَتْ رَاسَهَا تَحْتَ الْكَلْمُونَةِ  
وَلِحَقَاتِهِ.

مَنْ بَعْدُ يُقُولُ: " بَقْرَةَ اللَّيْبِغِ! بَقْرَةَ اللَّيْبِغِ! جَاتِ هِيَ مَارَةً بَدَلَتْ كَرَزِيهَا وَ قَاتَلَهُ: " بَقْرَةَ لَيْتَامِي مَا تَتْبَاعُ مَا تَنْشُرَةُ، بَقْرَةَ لَيْتَامِي تَنْذَبُحُ ! جَا هُوَ نَخْلَعُ. رَفَدَ بَقْرَتَهُ وَرَجَعَ لِدَارِهِ، مِينَ خَبَرَ مَرَّتَهُ عَلَى شَا سَمِعَ قَاتَلَهُ: " شَفْتُ هَذَا رَبِّي سُبْحَانَهُ زَيْفَتْلَكَ إِشَارَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. مَا تُوقَفَلْهَاش. ذُبَحَهَا قَبْلَ مَا يَزِيدُ إِيْعَاقِبْنَا. هَذَا الْبَقْرَةَ فِيهَا دَعْوَةٌ شَرَّةٌ. شَفْتُ وَلَادَكَ؟ تَقُولُ هُوَإِيَشُ يَرْضَعُوا فِي بَرَزِيلِهَا. ذُبَحَهَا شَفْتُ شَا دَارَتْ لُبْنَتْنَا الْعَزِيْرَةَ. كِيْرَاهِي هَكَذَا أَشْكُونُ يَدِيهَا بَاشُ يَنْزَوِجُ بِيهَا شَكُونُ يَدِي وَحَدَّةٌ عَمِيَا مَنْ عَيْنَهَا ذَبَحَ ذِي الْبَقْرَةَ!

لَعْدَوَةٌ مَنْ دَاكَ ذُبِحَ مَسْكِينُ الْبَقْرَةَ. عَيْشَةٌ وَ عَلِي بَكَوْ عَلِي دِيكَ الْبَقْرَةَ كِيمَا بَكَوْ عَلِي مُهْمُ نَهَارَ لِي مَاتَتْ أَيْوَا وَ قَالُوا: " مَا نَكْلُوشَ لَحْمَ الْبَقْرَةَ لِي رَضَعْتْنَا، أَعْطُونَا غَيْرَ لَعَضَمَ ! لَعْدَوَةٌ مَنْ دَاكَ، نَاضُوا فِي بَلَايَسَهُمْ رُوجَ عِرَاشٍ: مَنْ وَاحِدَ إِسِيلَ الْعَسَلِ وَ مَا لَاحَرَ إِسِيلَ الدُهَانَ قَوْتُوَا أَرْوَا حُهُمْ. وَدَخَلُوا لَدَارَ بَلَا مَا يَهْدُرُو. كَعْدُو اِدِيرُوا كُلَّ يَوْمٍ هَكَذَا وَبَيْنَ مَا يَكْمَلُو أَيْمَصُوا دَاكَ الْعَسَلِ وَ دُهَانَ، تَمَسَّحَ مَلِيحَ فُمَهَا وَفُمَ حُوَهَا وَ تَوَصِيَهُ مَا يَحْبِرُ حَدَّ.

عَاوَدَ مَرَّتَ بِيَهُمْ قَعَدَتْ نَقُولُ: " كِيْفَاشَ رَاهُمْ اِدِيرُوا هَادُو. مَا زَالَ غَيْرَ يَزِيَانُو وَ يَسْمَانُو وَ خُدُوهُمْ حُمِرِينَ، وَبَنَيْتِي كَاعَ دَاكَ الْحَمِّ لِيكَلَاتَهُ وَ مَارَلْتِ غَيْرَ تَصْفَارُ وَ تَتَعَدَمَ. عَاوَدَ حَكَمَتْ بَنْتَهَا وَقَالَتْهَا: " شَوْفِي رُوجِي مَعَاهُمْ وَ مَا تَتَلْفِيهِمْشَ بَخْطَوَةٌ وَبَيْنَ إِرُوْحُو رُوجِي، كِيْدِيرُو دِيرِي، لِيَاكْلُوهُ كُولِيَهُ. فَهَمْتِي؟ عَسِيَهُمْ مَلِيحَ وَدِيرِي كِيْفَهُمْ بَصَحَ دِي الْخَطْرَةَ عَسِي رُوحَكَ مَلِيحَ !"

هَا بَنِيَةٌ لَحَقَتْهُمْ وَ دَارَتْ كِيْفَهُمْ. مَصَتْ دَاكَ الدُهَانَ وَدَاكَ الْعَسَلِ بَصَحَ مِينَ دَخَلُوا لَدَارَ حَكَمَتْهَا وَجَعَ نَتَاعَ الْمُوتِ، قَعَدَتْ تَتَقِيَا الدَّمَ. جَاتِ أُمُّهَا قَعَدَتْ تَوَاعُ: " عَلِي بَنْتِي! عَلِي بَنْتِي! شَا دَرْتُو فِيهَا. بَغِيْنُو تَقْتَلُوهَا! " بَنْتَهَا قَلَّتْهَا بَلْ مَصِيْتُ الدُهَانَ وَالْعَسَلِ حَدَّ الْبَقْرَةَ أَنْتَعَ أُمَّهُمْ.

جَاتِ هِيَ قَالَتْ لَهُمْ: " رَانِي مَا شِي نَشُوفَ وَ لَكَانَ بَنْتِي تَمُوتُ وَ اللهُ نَكْتَلُكُمْ فِي رُوجِ !

جَاوُ هُمَا خَافُو، غَيْرَ خَرَجَتْ هَرَبُو مَنْ الدَارِ.

رَاحُوا غَيْرَ هُنَا غَيْرَ إِلَيْهِ مَلْبَلَادَ لَحْنَهَا. وَاحِدَ النَّهَارِ، كَانُوا هَكَذَا فِي الطَّرِيقِ دَاكَ الْوَلِيدَ عَطَشَ، قَرَبَ وَاحِدَ الْعَيْنِ أَيْوَا غَيْرَ أَشْرَبَ مَنْ أَلْمَى أَنْتَاعَهَا، نَصَخَطُ وَلَا غَزَالَ قَعَدَتْ عَيْشَةَ تَبْكِي وَتَعْتَقُ فِيهِ جَا هُوَ قَالَهَا: " مَا عَلِيَشَ أُخْتِي. مَا تَبْكِيَشُ ! مَلِي مَاتَتْ أُمْنَا رَانِي غَيْرَ هُمْ عَلِي هُمْ، بَصَحَ مَا دَامَكَ مَعَايَا مَا نَخَافُش، غَيْرَ مَا تَسْمَحِيَشَ فَيَا !

حَلْفَتْلَهُ وَ قَتَلَهُ مَا غَيْرَ الْمُوتِ لِي إِفْرَقَ بِيْنَاتْنَا. أَيَا وَ زَادَ غَيْرَ إِهْنَا غَيْرَ أَلْهِيَهُ مَنْ لَبَلَادَ لَحْنَهَا كَبُرُوا، هِيَ وَ لَتْ كِي الْعَضْرَةَ وَ مَارَلُوا غَيْرَ هَايَمِينَ مَسَاكِينِ.

وَاحِدَ النَّهَارِ كَانُوا قَاطِعِينَ وَاحِدَ الْغَابَةِ، حَتَّى سَمِعَتْ لِعَوَادِ يَجْرُوا مَوْلَفَ غَيْرِ تَسْمَعُهُمْ تَخْرَنَ هِيَ  
وَحُوهَا الْغَزَالَ. كَانَتْ تَخَافُ مِنَ الصَّيَادِينَ تَخَافَ عَلَى حُوهَا.

دَاكِ النَّهَارِ مَا نَجْمَتْشُ، بَصَحَ غَيْرِ شَافُوهُمْ الصَّيَادِينَ كَعَدَتْ تَجْرِي هِيَ وَ حُوهَا لَحْكُوهُمْ الصَّيَادِينَ  
أَوْ مِينَ قَرْبُولُهُمْ قَاسَتْ رُوحَهَا فُوقَ حُوهَا الْغَزَالَ وَقَعَدَتْ تَبْكِي وَنُقُولُ: " أَكْتُونِي وَ حَلُو  
حُوبَا، أَكْتُونِي وَ حَلُوهُ إِعِيشُ، حَلُو حُوبَا "

جَاوْ هُومَا حَبْسُو أَنْخَلْعُوا. مَعَاهُمْ كَانْ وَ لُدَّ السُّلْطَانَ، قَالَهَا: " قَرْبِينِي أَنَا وَفَهْمِينِي دِي الْقِصَّةَ أَنْتَاغَ  
حُوكِ غَزَالَ " أَيُّوَا بَدَاتْ تَحْكِيلَه. أُوْمِينَ حُكَاثَلَه قِصَّتْهَا شَحَالَ مِّنْ عَامٍ وَهِيَ فِي الْهَمِّ مَعَ مَرْتِ بُوَهَا  
وَ شَحَالَ مِّنْ عَامٍ وَهِيَ خَائِفَا عَلَى حُوهَا، وَ لُدَّ السُّلْطَانَ أَنْخَلَعَ، أَنْخَلَعَ فِي زِينَهَا وَأَنْخَلَعَ فِي الرِّزَانَةَ  
أَنْتَاغَهَا وَقَالَ هَذِي هِيَ الْمَرَاةُ لِي تَلِيْقَلِ، أَيُّوَا قَالَهَا:

- تَتْرُوجِي بِيَا وَ نَجِيْبُوا وَ لَادَ وَ نَفْرَحُوهُمْ !

- أَوْ حُوبَا ؟ قَاتَلَه

- حُوكِ رَاهُ كَاعَدَ مَعَاكِ كِي تَبْغِي.

هَا بَنِيَّةٌ دَاهُمْ مَعَاهُ لِلْقَصْرِ وَ لَعَى لِلطَّالِبِ شَرِبُوا لِي عَلِي وَاحِدَ الْمَاءِ تَمَّ تَمَّ وَ لَا عَارَبَ كِيدَايِرُ!  
أَيُّوَا وَ عِيشَةَ تَتْرُوجَتْ مَعَ وَ لُدَّ السُّلْطَانَ وَ زُوَجَّتْ حُوهَا تَانِي. عَادَ مَسَاكِينَ تَهْنُو وَ يَقُو فَرْحَانِينَ حَتَّى  
لِلْمَمَاتِ. إِيَهْ نُسَيْتِ. وَاحِدَ النَّهَارِ، عَلَى خَاطَرَ بُوَهَا، بَغَاتْ إِجِيْبُهُمْ كَاعَ إِعِيشُو حُدَاهُمْ. مِينَ مَشُو  
إِجِيْبُوهُمْ قَالُوهُمْ وَاحِدَ النَّهَارِ جَاتْ نَارَ وَ كَلَاتَهُمْ كِي هُومَا كِي الدَّارُ ! .

### 30. "حَدَّ الزَيْنِ مَوْلَاتِ الشَّعْرِ دَهْبٍ"

أَنْخَرَفَكُمْ قِصَّةَ حَدِّ زَيْنِ مَوْلَاتِ الشَّعْرِ دَهْبِي. سَمُوَهَا حَدَّ أَرِينِ لِأَخْطَرَشِ زِينَهَا فُوقَهَ مَاكَانَشُ. كَانَتْ  
طَوِيلَةً، بِيِضَةً، عَيْنِيهَا كُحْلِيَيْنِ كِي تَاعَ الْغَزَالَ، أُوكَانَ عِنْدَهَا وَاحِدَ سَالْفِ طَوِيلِ، رَطْبُ وَ صَفْرُ  
تَحْسَبُوهُ دَهْبُ. بُوَهَا كَانْ سُلْطَانُ. أُوكَانَ عِنْدَهَا حُوهَا كُبِيرَ أَعْلِيهَا بِسَبْعِ سَنِينَ. مِينَ فُقَلْ زَبْعَطَاشُ  
أَنْعَامُ، مَشَى مَعَ بُوَهْ مِّنْ لِبَلَادِ لِبَلَادِ إِحَارَبُو الْعَدِيَانَ. كَعَدَ غَايِبَ سَبْعِ سَنِينَ.

حَدَّ الزَيْنِ كَعَدَتْ فِي الْقَصْرِ مَعَ أُمِّهَا كَانَتْ كُلُّ يَوْمٍ تَرُوحُ تَعُومُ فِي وَاحِدِ الْعَيْنِ نَتَاغُهُمْ أَيُّوَا كَبُرَتْ  
زِينَهَا مَا زَالَ يَكْبُرُ مَعَاهَا.

نَهَارَ لِرَجَعِ بُوَهَا مَعَ وَ لَدَهَ لِلْقَصْرِ كَانْ عِنْدَهَا زَبْعَطَاشُ أَنْعَامُ، أَنْهَارَ لِي وَ صَلُّوَا حَشَمَتْ مَا بَعَاثُ  
حَتَّى تَقْرَبَهُمْ. مِينَ جَاتْ أُمُّهَا وَقَالَتْ لَهَا تَتُودِي تَرْحَبِي بِيَهُمْ، سَتَرَتْ رُوحَهَا أَيَّا وَغَيْرِ سَلَمَتْ عَلَيْهِمْ  
وَهَرَبَتْ. حَشَمَتْ. هِيَ وَقَاتْ أَيَّامَاتٍ وَهِيَ غَيْرِ حَشْمَانَةَ، مَا بَعَاثُ كَاعَ تَكْرَبَ حُوهَا .

وَاحِدَ النَّهَارِ مَعَ الْمَغْرِبِ مَشَى خَوْهَا يَحْسُ مِنْ جَاءِ مَوْلِي، حَبَسَ فِي هَذَاكَ الْعَيْنِ بَاشَ يَشْرِبُ  
كَانَ عَطْشَانٌ. مِينَ بَدَا يَشْرِبُ، شَافَ وَاحِدَ الْحَاجَا تَبْرُقَ فُوقَ الْمَاءِ أَوْ دَايِرَةَ كِي الذَّهَبِ.

كَرَبَ يَدَهُ لِيَمْنَةَ، لَمَهُ عَلَى شَهْدَ وَ كَعَدَ اِيْدُوْرَ فِيْهِ: شَعْرَ، شَعْرَ طَوِيْلَ، مُسْبَسَبَ وَ ذَهْبِي، عُمْرَهُ مَا  
شَافَ شَعْرَ كِيْمَا هَذَاكَ. اَنْخَلَعَ رَفْدَ يَدَهُ وَمَعَ الْقَمْرَ شَافَ سَبْعَهُ ذَهْبِي. تَحَسَّبُوْهُ ذَهَبَ ! هَا رَفْدَ  
شَاهِدِيْنَ يَا نَجُوْمَ اللَّيْلِ ! مَنِينَ هِي، نَحْلَفُ كُدَامَ رَبِّي، مَا نَدِيْ غَيْرَ مُوْلَاتَ هَذَا الشَّعْرَ وَلَا مَنْ الْخُرَ؟ رَاكُمُ  
عَاْرَبَ لَلْبَدَ ! " دَارَ هَذِيكَ الشَّعْرَةَ فِي جِيْبِهِ وَ رَاخَ لَدَارَهُمْ. فَاتُوْ اِيَامَاتَ وَجَاتَ اُمَهُ قَاْتَلَهُ: " يَا  
وَلِيْدِي رَاكَ كَبِيْرَ الْيَوْمِ، لَارَمَ تَنْزَوَجَ وَ دِيْرَ وَوَلَادَ وَ بِنَاتَ . مَا بَقِيَ حَالُ ! "

جَا هُوَ قَاْلَهَا: " يَاْمَ، رَانِي بَاغِي تَنْزَوَجَ بَصَحَ حَلْفَتَ وَ مَدِيْتِ الْعَهْدَ، مَا نَدِيْ غَيْرَ وَحْدَةَ وَلَا تَقْعُدُ  
عَاْرَبَ لَبْدَى ! " قَاْتَلَهُ: " لِيْشَ عَلَيْكَ! شَكُوْنُ هَذِي؟ اَنْتَايَا وَوَلَدَ السُّلْطَانَ الْمَرَّةَ لِي تَبْغِيْهَا رَاهِي  
لِيْكَ، قُوْلُ شَكُوْنُ هِي وَنَمَشِي تَنْكَلَمَ مَعَ اُمِّهَا !".

جَا هُوَ جَبَدَ هَذِيكَ الشَّعْرَةَ مِنْ جِيْبِهِ وَقَاْلَهَا: " عُمْرِي مَا شَفْتَهَا مَا نَعْرِفُشَ شَكُوْنُ هِي، مَا نَعْرِفُ مِنْهَا  
غَيْرَ هَادِي الشَّعْرَةَ وَ مَا نَدِيْ غَيْرَ مُوْلَاتَ هَذِي السَّالْفَةَ !".

دَاتَ هَذِيكَ الشَّعْرَةَ وَوَلَدُوْى لِيْهِ بَدَاتَ تَجْرِي وَتَحْوَسَ عَلَى مُوْلَاتِهَا. ضَرِيْتُ دَارَ بَدَارَ، كِي الْأَغْنِيَاءَ  
كِي لِمَسَاكِيْنِ، وَالُوْ حَتَّى وَحْدَةَ مَا تَنْجَمَ تَكْسَبَ شَعُوْرَ كِيْمَا هَاكَذَا: طُوَالَ وَمُسْبَسَبِيْنِ وَذَهْبِيْنِ .  
هَا مَشَاتَ عِنْدَ وَوَلَدَهَا وَ قَاْتَلَهُ: " يَاوَلِيْدِي! ذَرِيْتُ كَاغَ الْبِلَادَ مَاكَائِشَ وَحْدَةَ لِي مَا شَفْتِشَ شَعْرَهَا. وَمَا  
كَائِشَ وَحْدَةَ فِي الدُّنْيَا لِعِنْدَهَا هَذَا الشَّعُوْرَ مِنْ غَيْرَ وَحْدَةَ! "

قَاْلَهَا: " شَكُوْنُ هِي؟ قُوْلِيْلِي يَا مَا نَدِيْهَا ! قَاْتَلَهُ: " غَيْرَ خُنَاكَ لِعِنْدَهَا هَذَا الشَّعُوْرَ يَا وَوَلِيْدِي ".  
أَيُوَا سَكَّتَ شُوِي وَقَاْلَهَا: " يَاْمَا، اَحْلَفْتُ ! اِلَّا مَا نَدِيْشَ مُوْلَاتَ هَذَا الشَّعْرَ نَقْعُدُ عَاْرَبَ قَاْتَلَهُ: " حَمَمَ  
شُوِي وَ غَدُوَا اَنْشَاءَ اللهُ بَرِي نَجْبِرَ حَلْ ".

اِيْهِ، بَصَحَ حَدَّ اَزِيْنِ كَانَتْ غَيْرَ تَمَّ مُوْرَ الْبَابِ. سَمَعَتْ كُلْشِي بُوْدْنِيْهَا خَاْفَتْ مَسْكِيْنَةَ وَهَرِيْتَ دِيْكَ  
اللَّيْلَةَ. قَعْدَتْ غَيْرَ تَجْرِي بَشَ تَبْعَدَ عَلَى الدَّارِ، مِينَ اَعْيَاتَ جَمَعَتْ تَحْتِ شَجْرَةَ. مَسْكِيْنَةَ كَانَتْ  
بِرْدَانَهُ وَ خَايْفَةَ مِنْ لَعُوَالِ، أَيَا قَعْدَتْ تَبْكِي رَفَدَتْ عَيْنِيْهَا لَلْسَمَاءِ وَقَاْلَتْ: " يَا خُوِيَا! يَا وَوَلَدَ اَمَا وَوَلِيْدِي  
! شَا بَغِيْتِ عِنْدِي؟ شَا ذَرْتُ يَارَبِ تَحْتِكَ بَاشَ نَسْتَاهَلُ هَذَا الْحَالُ؟ يَا خُوِيَا ! يَاوَلَدَ اَمَا وَوَلِيْدِي !  
اَنْشَاءَ اللهُ تَرَشَ وَمَا يَدَاوِيْكَ لَا طَالِبَ لَا طَبِيْبَ ! .

كَاعَ اللَّيْلِ وَهِي تَبْكِي مَسْكِيْنَةَ وَمَعَ الصَّبَاحَ بَكْرِي حَكَمَتْ الطَّرِيْقَ وَمَشَاتَ قَرِيْبَ الْعَامِ وَهِي غَيْرَ  
هَائِمَةَ حَتَّى سَمَعَتْ وَاحِدَ النَّهَارِ اِيْقُوْلُوْ فُلَانُ، وَوَلَدَ السُّلْطَانَ رَاهَ اِيْمُوْتَ حَتَّى طَبِيْبَ وَحَتَّى طَالِبَ مَا  
جَبْرَلَهُ دُوِي. كَانُوَا اِيْقُوْلُوْ سَحْرُوْهُ وَلَا دَعَاوُ عَلَيْهِ. مَا عَرَفُوْشَ غَيْرَ سَمَعَتْ هَذِي الْهَدْرَةَ عَرَفَتْ بَلِي

هِيَ سَبَابُ هَذَا الْمَرَضِ الْغَرِيبِ لِي بَاغِي يَقْتُلُ خُوَهَا. مَا نُسَائِشْ أَنْهَارَ لِي طَلَبْتُ رَبِّي إِخْلَصَ فِيهِ. أَيُّوَا قَلْبُهَا مَا خَلَاهَا شَ عَلَى خُوَهَا، رَفَدْتُ رُوْحَهَا وَوَلْتُ تَجْرِي لَدَارَ.

مِينْ وَقَفْتُ عِنْدَ رَاسِهِ مَا عَقَلَانْتِشْ، كَانَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَعَدْتُ تَبْكِي حَتَّى حَلَّ عَيْنِيهِ. مِينْ عَقَلَهَا، قَعَدْتُ بِيَكِّي هُوَ تَانِي وَيَطْلُبُ مِنْهَا فِي السَّمَاحِ. هِيَ تَانِي قَعَدْتُ تَطْلُبُ مِنْهُ فِي السَّمَاحِ. هَاي بَكَو شَحَالُ وَ نَشْفُوا نُمُوعَهُمْ حَتَّى نَاصُ وَجَمَعُ فِي فِرَاشِهِ وَقَالَهُمْ أَعْطُونِي نَاكُلْ. جَاعُ هُوَ لَشَحَالُ مَنْ شَهْرَ مَا قَدَّشْ يَاكُلْ . بَرِي ! مِينْ شَافُوهُ وَلَا لَدُنْيَا وَشَافُوا بِنْتُهُمْ رَجَعْتُ لَدَارَ فَرَحُو وَالْدِيَهُمْ وَكَاعُ الدُّنْيَا فَرَحُو.

أَيُّوَا لَعَدُوا لِيهِ جَا السُّلْطَانُ عَيْطُ لُحْدُ زَيْنُ وَقَالَهَا : " بِنْتِي رَبِّ عَطَاكَ زَيْنُ وَالْعَقْلُ وَالْقَلْبُ. نُورِكَ مَضُوبِينَا مَا لِأَرْمَشْ تَبْعُدِي عَلَيْنَا. غَدَوَى أَنْرُوحُ عِنْدُ خُوَيَا وَنَتَفَاهُمُوعَلَى عَرَسِكَ، رَاهُ وَلْدُ عَمَّاكَ بَغِيكَ هَذَا شَحَالُ مَنْ عَامٌ". هِيَ تَانِي كَانَتْ بَاغِيَا وَلْدُ عَمَّهَا بَصَحُ مَا تَتَجَمَّشْ تَقُولُهَا عَيْبُ، عَلِيهَا مِينْ قَلَّهَا لَهَا بُوَهَا شَحَالُ فَرَحَتْ. أَيُّوَا وَقَاتُ إِيمَاتُ وَدَارُو لَهَا لَعَرَسُ مَعَ وَلْدُ عَمَّهَا، عَرَسُ سَلَاطِينُ أَنْتَاعُ رُبْعِينُ يَوْمٌ.

### 31. "الوُلْدُ وَ مَرَّتْ بِأَبَاهُ"

رَاجِلُ عِنْدَهُ زُوجٌ أُنْسَا، وَالْدُ مَعَاهُمْ طِفْلٌ طِفْلٌ، وَفِي زُوجٍ يَنْشَابُهُوَا بَرَافُ بَرَافُ، مَاتَ بِأَبَاهُمْ، وَ مَنْ بَعْدُ مَانَتْ أُمٌ وَحَدَ مِنْهُمْ، حَتَّى صَبَحَتْ الْمَرْأَةُ مَا تَعْرِفُشْ وَلَدَهَا مَنْ وَلْدُ ضَرَّتْهَا، رَاحَتْ لُسْتُوْتِهِ؛ قَالَتْ لَهَا: خَلِيَهُمْ إِسَافَرُوا وَيَطُولُوا، مِينْ جَاوُ يَقُولُولَهُمْ بَلِي رَانِي مَرِيضَةَ، اللَّي يَرِيْبُ عُوْدَهُ فِي غَرَضَهُ مَا هُوشُ وَلَدُكَ، وَ لِي يَجِي يَجْرِي بِلَا مَا يَرِيْبُ عُوْدَهُ هَذَاكَ وَلَدُكَ، دَارَتْ كِيْمَا قَالَتْ لَهَا، وَلَدَهَا جَا يَجْرِي طَلْسَاتَهُ بِالْحَنَّةِ وَ الْآخَرُ رِيْبُ عُوْدَهُ فِي غَرَضَهُ طَلْسَاتَهُ بَلْفُطْرَانُ، وَلَاتُ فِي الزَّلَاقَةَ دِيرُ أَطْعَامُ الصَّافِي لُوْلُدَهَا وَالْمَخْلُطُ لُوْلُدُ ضَرَّتْهَا، عَرَفَ الْوُلْدُ الْآخَرُ بِأَلِي مَا هُوشُ وَلَدَهَا وَفَرَزُ بَاشُ يَهْجَرُ .

وَاحِدُ النَّهَارِ كَانُوا وَافِقِينَ عَلَى بِيْرٍ، كُلُّ وَاحِدٌ جَدَّقَ تَاعُ كَسْرَةَ فِي الْبِيْرِ، تَاعُ وَلْدُ الْمَرْأَةِ طَلَعُ وَتَاعُ وَلْدُ الضَّرَةِ أَغْتَرُ، قَالَ لُخُوهُ : أَنَا رَانِي قَرِيبُ نَصَدُ، أَنَا عَرَفْتُ بَلِي هَذِي مَا شِي أُمَا، بَاغِي نَهْجَرُ وَهَذَا النُّجِيْلَةَ<sup>(1)</sup> رَجَعُ لَهَا نَتِي وَلَا أَنَا، اللَّي يُصِيْبُ جِهَةَ وَاحِدُ مَنْ بِيْسَتْ، يَعْرِفُ بَلِي خُوهُ مَاتُ، وَعَنَقُ خُوهُ وَرَاحُ، فِي الطَّرِيْقِ صَابُ وَاحِدُ الْعُجُورُ، قَالَ لَهَا: ضِيَافُ رَبِّي، قَالَتْ لَهَا: مَرَحْبَا وَهَذِيكَ الْعُجُورُ عِنْدَهَا بِنْتُ وَحْدَةَ، مِينْ جَا رَايْحُ، قَالَتْ لَهَا: رَاكُ رَايْحُ لَأَمَكُ، قَالَ لَهَا: مَا عِنْدِي لَا أُمَا لَا بُوِيَا لَا حَتَّى وَاحِدُ، وَ كَعَدُ بِيَكِّي قَالَتْ لَهَا: أَنَا أَمَكُ يَلِي بَغِيْتُ حَتَّى تَدْفَنِي وَلَا نَدْفَنُكَ، بَصَحُ

تُرْوَجُكَ بِنْتِي، قَالَ لَهَا : صَحَى، كَانَ كُلُّ يَوْمٍ يُصَيِّدُ، قَالَتْ لَهُ: قَاعُ الْجِبَالِ صَيَّدَتْ فِيهِمْ غَيْرَ هَذَا الْجَبَلِ لَا .

وَاحِدَ النَّهَارِ الصَّيْدُ هَرَبَ فِيهِذَلِكَ الْجَبَلِ، لَحَقَهُ وَ شَعَلَ النَّارَ، وَ قَعَدَ يَشْوِي فِيهِ.

جَاءَتِ الْعُوْلَةُ قَالَتْ لَهُ: أَعْطِينِي النَّارَ، قَالَ لَهَا قَرِيبِي تَدِي قَالَتْ لَهُ: هَاكَ شَعْرَةٌ مِّنْ شَعْرَاتِي رَبَطَ بِهَا سَاقُكَ، رَبَطَهُمْ صَرَطَاتَهُ بِيهِ بَعْدَهُ. رَاحَ حُوهُ لَهَاذِيكَ النُّجَيْلَةَ، صَابَ جِهَةً حُوهُ يَبْسَتْ، قَالَ: حُوبًا مَاتَ، أَنَا الْبَلَادُ اللَّيْلِي كَلَّاتِ حُوبًا تَاكُلْنِي، يَدْخُلُ بِلَادًا وَ يَخْرُجُ بِلَادًا.

الْبُنْتُ قَالَتْ لِأُمِّهَا: رَاجِلِي مَا جَاشُ، قَالَتْ لَهَا: بِالْأَكِّ رَاهُ جَائِي، حَتَّى فَاتِ حُوهُ عَلَى دَارِ الْعُجُوزِ، وَهِيَ قَالَتْ لَهُ: هَا هُوَ جَاءَ، عَرَفَ هُوَ بَلِي عَلَى حُوهُ، قَالَتْ لَهُ الْعُجُوزُ: هُوَلْتُنَا وَبَيْنَ كُنْتُ، قَالَ لَهَا: وَبَيْنَ مَا كَاتَبَ رَبِّي، قَالَتْ لَهُ: خَفْتُ إِلَيَّ تَرُوخَ لَجَبَلِ اللَّيْلِ وَصَيْتِكَ عَلَيْهِ، قَالَ لَهَا: مَا تَخَافِيشُ، الْعَدْوَى رَاحَ لَجَبَلِ، صَابَ بِلَاصَةَ النَّارِ وَالْعَضَامَ اللَّيْلِ أَشْوَى حُوهُ، قَالَ: هُنَا أَنْتُكَلِّ حُوبًا، وَقَعَدَ يَبْكِي يَبْكِي.

جَاءَتِ الْعُوْلَةُ، قَالَتْ لَهُ: أَعْطِينِي النَّارَ، قَالَ لَهَا: قَرِيبِي تَدِي، قَالَتْ لَهُ: هَاكَ شَعْرَةٌ مِّنْ شَعْرَاتِي كَتَفَ بِهَا سَاقُكَ، قَاسَمَهَا فِي النَّارِ، وَقَالَ لَلْسَاقِ: طِيرُوا لِيهَا مِّنَ الْعَقَارِيبِ، الْعُودُ مِّنَ الظُّهْرِ وَالطُّيُورُ مِّنَ الْعَيْنِيِّنَ، حَطَّهَا فُدَامَهُ وَحَلَّ لَهَا كَرَشَهَا خَرَجَ حُوهُ صَابَهُ مَعْمُومٌ قَعَدَ يَبْكِي عَلَيْهِ، جَاءَتِ رَزْمُومِيَّةُ فُدَامَهُ ضَرَبَتْ أُخْتَهَا تَغَاشَاتِ، قَالَ: لَهَا عَلَاهُ رَاكِي تَضْرِبِي فِي أُخْتِكَ خَلِينِي غَيْرَ أَنَا فِي حُوبًا، قَالَتْ لَهُ أَنَا أُخْتِي سَاهَلُ، جَابَتْ حَشِيشَةَ حَكْتَهَالَهَا عَلَى نَيْفِهَا فَطُنَّتْ، وَرَاحُوا لِلْعُجُوزِ أَنْخَلَعَتْ مِينَ شَافْتُهُمْ، خَبَرَهَا بَلِي هُمَا زُوجَ خَاوَا مِّنْ زُوجِ أُنْسَا، يَتَشَابَهُوَا بَرَافَ، قَالَتْ لَهُ الْعُجُوزُ: أَنَا تَرُوَجُكَ وَتَعِيشُ مَعَايَا أَنْتَ وَحُوكُ، وَحَطَبْتَلَهُ وَرُوجَاتَهُ وَعَاشُوا مَعَاهَا، هَذَا حَدَّهَا الْحَالُ أَصْبَحَ.

### 32. "عَانِمٌ وَ وُلْدُ الرَّاعِي"

كَانَ يَامَكَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالَفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ، كَانَ هَذَا عَانِمٌ مَا بَعَّاشَ يَتَرُوجُ كَيْمَا يَتَرُوجُوا كَاعَ النَّاسِ، وَاحِدَ النَّهَارِ أَدَا نَاقَتَهُ الْجَرَبَا لِلْعَبِينِ تَاعَ الْقَرِيَّةِ اللَّيْلِ خَدَاهُمْ، وَخَلَاهَا وَحَدَّهَا تَشْرِبُ، وَقَعَدَ هُوَ بَعِيدٌ يَشُوفُ شَا بَصْرِي، حَتَّى وَاحِدًا مَا بَعَى يَشْرِبُهَا قَبْلَ النَّاقَاتِ أَنْتَاعُهُمْ، حَتَّى تَقْدَمَ وَاحِدَ الرَّاجِلِ شَرِبَهَا وَمِنْ بَعْدِ شَرَبِ النَّاقَةِ أَنْتَاعَهُ وَرَاحَ، سَقَسَى عَلَيْهِ ذِيَابَ وَعَلَى عَائِلَتِهِ، وَمِينَ أَعْرَفَ بَلِي عِنْدَهُ بِنْتُ قَدِ الزُّوَجِ، تَقَدَّمَ يَخْطُبُهَا مِنْهُ، أَعْطَاهَا لَهُ بَابَاهَا، وَدَاهَا عَانِمٌ لِقَرِيَّتَهُ وَرَاحَ.

جَابَتْ لَهُ وَوُلْدٌ فِي وَقْتِ اللَّيْلِ وَوُلْدَتْ مَرْتٌ الرَّاعِي وَوُلْدٌ، مَرَّتِ الرَّاعِي رَاحَتْ لُسْتُوتَةَ قَالَتْ لَهَا، شُوفِي كِي دِيرِي وَ بَدَلِي وَوُلْدِي بُوُلْدُ لَالَةَ، بَاشَ يَعْيشُ وَوُلْدِي فِي الْعَرِ.

دَارَتْ لُسْتُوتَةَ اللَّيْلِ قَالَتْ لَهَا عَلَيْهِ مَرَّتِ الرَّاعِي، بِلَا مَا يَفِيْقُ عَانِمٌ وَ مَرَّتَهُ.

كَبُرَ الْوَلَدُ وَ بَدَا غَانِمٌ يُسْقِئِي فِيهِ يَقُولُهُ فِي الْأَلْعَازِ وَتَخْلَعُ غَانِمٌ مِينَ لَقَى وَلَدَهُ مَا يَعْرِفُش  
يُجَاوِبُ، حَتَّى وَلَى يُعَايِرُهُ بِأُمِّهِ.

وَاحِدَ النَّهَارِ كَانَ فَايْتُ غَانِمٌ مِنْ جِهَةِ وُلْدِ الرَّاعِي وَالْبَلِّ خَدَاهُ، وَيَأْكُلُ فِي الْخُبْزِ وَيُقْلِي فِي  
الْقَمْلِ، قَالَ لَهُ غَانِمٌ: شَارَكَ الدِيرَ؟ قَالَ لَهُ وُلْدُ الرَّاعِي :

رَانِي نَأْكُلُ فِي غَدَايَا.....وَنُقْتَلُ فِي غَدَايَا.....وَيُبْلِي رَائِعَةً خَدَايَا أَنْخَلَعُ غَانِمٌ مَنْ هَذِي  
الهُدْرَةَ، وَمَنْ بَعْدَ رَاحَ لَمَرَّتَهُ وَقَالَ لَهَا ثَلَاثَةَ تَاعِ الْأَلْعَازِ مَرَّ مَنَاشُ؟ وَحَلَى مَنَاشُ؟ وَكَحَلْ مَنَاشُ؟  
وَقَالَ لَهَا تَرُوحُ لِأَهْلِهَا يُعَاوُئُوهَا.

رَاحَتْ لِذَارِهِمْ، وَمِينَ رَجَعَتْ لَقَاتِ وُلْدِ الرَّاعِي، خَبْرَاتُهُ بَشَا قَالَ لَهَا غَانِمٌ وَشَا جَابَتْ الْخُبْزَ مَعَهَا  
قَالَتْ لَهُ: أَحَلَّ مِنَ الْعَسَلِ.....وَمُرَّ مِنَ الدَّفْلَةِ..... وَ كَحَلَّ مِنَ الْقَطْرَانِ ..قَالَ لَهَا: أَلَا، وَخَبَرَهَا  
بِالصَّحِّ:.....أَحَلَّى مِنَ الصَّبِيَانِ يَلْعَبُو فُوقَ الْفَرَّاشِ... وَمُرَّ مِنَ الْخَوْفِ فِي لِنْعَاشِ.....وَكَحَلَّ  
مِنَ الْبَارُودِ فِي لِحَبَاشِ.

وَقَالَ لَهَا مَا تُخْبِرِي شِي سِيدي رَاهُ يَقْتُلْنِي يَلَا عَرَفَ بَلِي أَنَا خَبَرْتِكْ، قَالَتْ لَهُ: صَحَّ، مِينَ رَجَعَتْ  
لِرَجَالِهَا خَبْرَاتُهُ بِالْجَوَابِ، شَكَّ بَلِي دَارَهُمْ يَعْرِفُوا يَحُطُّوهُمْ قَالَ لَهَا: مَاثَلَا قِيئِيشِ بِي وُلْدِ الرَّاعِي، قَالَتْ لَهُ  
لَا، وَمَنْ بَعْدَ خَرَجَ وَقَعْدَ يَزْفِي وَيُقُولُ: وُلْدُ الرَّاعِي خَطْفُوهُ الْخِيَانِ، خَرَجَتْ مَرَّتَهُ تَجْرِي، وَ قَالَتْ  
لَهُ: غِي دَرُوكْ كَانَ مَعَايَا، عَرَفَ ذِيَابَ بَلِي وُلْدِ الرَّاعِي هُوَ اللَّي خَبَرَهَا، وَحَلَفَ بِأَشِ يَدِيرَهُ فِي  
النَّازِ. رَاحَ لَهُ صَابِيَةٌ مَعَ الْإِبِلِ نَتَاعَهُ، عَيْطُ لَهُ: يَا لِي قُدَامَ الْإِبِلِ.....يَا لِي مَوْزِ الْإِبِلِ...يَا لِي عَلَى  
طَرْفِ الْإِبِلِ.....يَا لِي تَحْتِ الْإِبِلِ.....يَا لِي فُوقَ الْإِبِلِ مَا بَعَّاشِ إِيْرُدْ عَلَيْهِ، وَ مِينَ قَالَهُ: يَا  
مُوزِ الْإِبِلِ دَارِلَهُ، وَ قَالَ لَهُ: شَابَعِيَتِ سِيدي؟ قَالَ لَهُ: كَيْفَاهُ شَحَالٌ وَ أَنَا نَعِيَطُ لَكَ مَا رَدِيئِيشِ  
عَلَيَّ، قَالَ لَهُ لِحَاطَرُشِ: اللَّي قُدَامَ الْإِبِلِ رُقَابِيهَا.....وَاللِّي مَوْزِ الْإِبِلِ دَنَبِيهَا... وَاللِّي عَلَى طَرْفِ  
الْإِبِلِ جَنَابِيهَا.....وَاللِّي تَحْتِ الْإِبِلِ كُرُوشِيهَا.....وَاللِّي فُوقَ الْإِبِلِ ذُرَاعِيهَا.....وَمُوزِ الْبَعْلِ هُوَ  
أَنَا.

زَادَ تَقَلَّقَ ذِيَابَ وَ عَرَفَ بَلِي هُوَ اللَّي خَبِرَ مَرَّتَهُ بِالْجَوَابِ، قَالَ لَهُ بَاغِي نَقِيسِكَ فِي النَّازِ، قَالَ لَهُ  
وُلْدُ الرَّاعِي: رَاكَ رَايِحُ تَقِيسِنِي فِي الْغَابَةِ وَ الْمَغْلُوبَةِ.

قَالَ لَهُ شَكُونُ الْغَالِبَةِ؟

قَالَ لَهُ وُلْدُ الرَّاعِي: النَّازُ

قَالَ لَهُ غَانِمٌ شَكُونُ يَغْلِبِيهَا؟

قَالَ لَهُ وُلْدُ الرَّاعِي: الْمَاءُ

قَالَ غَانِمٌ: وَ الْمَاءُ شَكُونُ يَغْلِبِيهِ؟

قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: الْعَقْبَةُ

قَالَ غَانِمٌ: وَ الْعَقْبَةُ شُكُونٌ يَغْلِبُهَا؟

قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: فُرْسَانُهَا

قَالَ غَانِمٌ: وَ فُرْسَانُهَا شُكُونٌ يَغْلِبُهُمْ؟

قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: نَسَاهُمْ

قَالَ غَانِمٌ: وَ نَسَاهُمْ أَشُكُونٌ يَغْلِبُهُمْ؟

قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: وَلَاذُهُمْ

تَغْلَعْلُ مِنْهُ غَانِمٌ وَ قَاسَهُ فِي النَّارِ، وَ خَرَجَ سَأَلَمٌ مِنْهَا.

وَمَنْ بَعْدُ غَانِمٌ قَالَ أَنَا يَلِيقُ نَعْرِفُ هَذَا الْوَلَدَ مَلِيحٌ، عَيْطٌ لَمَرْتِ الرَّاعِي وَقَالَ لَهَا هَذَا مَا هُوَ شُ وَ لَدُ الرَّاعِي، خَبْرِيْنِي بَقِصَّتِهِ، مِينَ رِيْرَهَا، حَكَاتُ لَهُ حَكَائِيْهَا وَ قَرْتُ لَهُ بَلِي هَذَا الْوَلَدُ وَ لَدَهُ وَهِي مَا بَعَاشُ وَ لَدَهَا يُعِيْشُ فِي الْغَيْبِيَّةِ، رَاحَ عَفَقَهُ وَ سَامَحَهُ وَ حَمَدُ رَبِّي عَلَى سَلَامَتِهِ، وَ لِي يَمْشِي وَ يَنْبَاهِي بِيهِ فِي وَسَطِ قَرِيْبَتِهِ.

### 33. "عِشْبَةُ خَضَارٍ"

"عِشْبَةُ" طِفْلَةٌ، مَاتَتْ أُمُّهَا تَرَوِّجُ بِأَبَاهَا بِمَرَاةٍ مَا قَبْلَتْهَاشُ، رَاحَتْ لُسْتُوتَهُ قَالَتْ لَهَا: دَبْرِي عَلِيَا قَالَتْ

لَهَا: شَدِي كَبَةُ تَاعُ صُوفٍ عَزْلِيهَا، وَأَعْطِيهَا لَهَا تَمْشِي بِيهَا، وَ بِنُ مَا كَمَلْتِ دَقِي مَلْرَمُ.

رَاحَتْ قَالَتْ لَهَا: بَاغِي نَصْنَعُ لِبَابَاكَ بَرْنُوسَ أَنْتَاعِ صُوفٍ قَدْ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ، شَدِي هَذِي الْكَبَةُ نَتَاعُ

صُوفٍ أَمْشِي بِيهَا، وَ بِنُ مَا كَمَلْتِ دَقِي مَلْرَمُ، رَاحَتْ دَخَلْتُ بِلَادَ وَ خَرَجْتُ بِلَادَ، حَتَّى وَصَلْتُ لِبِلَادَ

الْأَغْوَالِ وَ الْأَهْوَالِ، وَ صَابَتُ أَعْجُوزَ خَارِجَةَ مَنْ بِلَادَ الْأَغْوَالِ وَ الْأَهْوَالِ، قَالَ لَهَا وَ بِنُ رَاكِي

رَايِحَ، خَبْرَاتِهِ، قَالَ لَهَا: رَايِحَةُ تَصِيْبِي غُولَةَ كَافْتَةَ بَرَزَالِيهَا لَرُولِ، بَرُولَةَ مُطْلَسَةَ بِالْحَنَةِ وَ بَرُولَةَ مُطْلَسَةَ

بِالْفُطْرَانِ، رُوجِي أَرْضِي بَرُولَةَ الْحَنَةِ، مِنْ طَاحَتْ عَلَيْهَا وَرَضَعْتَهَا، قَالَتْ لَهَا:

" وَ اللَّهِ كُونِ مَرَضَعْتِي بِرُولَةَ عَيْسَى وَ مُوسَى، إِنْ دِيرَ دَمَكُ فِي جَعْمَةٍ وَ لَحْمَكُ فِي لُقْمَةٍ وَ عِظَامَكُ نَقِي

بِيهِمْ سَنِي "، وَ دُرُوكُ أَنْدِيرِيكَ بِنْتِي، بَصَحْ وَ لَادِي لَا جَاوُ وَ صَابُوكُ أَنْسِي أَهْنَا يَأْكُلُوهُ، نَخْرَنُكَ تَحْتُ

الْفُصْعَةَ أَنْتَاعِ الْعُودِ، وَ قَالَتْ لِلْفُصْعَةِ مَا تَكْعَدِيْشُ، مِينَ نَخْلُوا قَالُوا: "رِيْحَةُ الْقُصْرِي وَ الْبُصْرِي رِيْحَةُ

عَرَبِي فِي الدَّارِ أَنْكَعْدُوا يَا مَا عِينُ بُوِيَا"، نَكْعَدُوا كَاعُ الْمَعِيْبِيْنَ غَيْرَ قُصْعَةَ الْقُصْعَةِ أَلِي مَا تَكْعَدْتِيْشُ، قَالُوا

لَأْمُهُمْ: الْعَاهِدُ يَلِي، طِفْلٌ حُونًا وَ لَا طِفْلَةٌ أَحْنَتًا، وَرَانَتْهَا لُهُمْ فَرَحُوا بِبِيهَا وَ دَارُوهَا أَحْنُهُمْ، وَ لَا الْحَضْرِي

أَجِي تَقُولُهُ الْغُولَةَ هَارَاهُ الطَّبِقُ أَنْتَاعِ الْفُصْعَةِ وَ شَرِي بِيهِ شَارَاكِي بَاغِيَّةِ، يَقْدِي رَبِّي إِرُوحَ الْحَضْرِي لِبِلَادَ

أُمُّهَا، وَ تَخْرُجُ أَمْرَاةً بِأَبَاهَا تَشْرِي عَلَيْهِ، تَقَاشِحُ فِي السَّلْعَةِ، أَقُولُ لَهَا: كَيْتَكَ الدِّيْرِي كِي لَالَاكَ عِشْبَةُ

خَضْرَاءُ اللَّيِّ تَشْرِي عَلِيًّا بَطْبُقَ فَضَّةٍ، قَالَتْ لَهُ: وَبَيْنَ شَفْتَيْهَا قَالَ لَهَا: شَفْتَيْهَا فِي بِلَادٍ بُعِيدَةٍ، قَالَتْ لَهُ: يَا لَ بُعَيْتَ تَرْجَعُ فُولِي نَرْسَلُ مَعَاكَ وَاحِدَ الْأَمَانَةِ، قَالَ لَهَا: صَحَّ، رُسَلْتُ لَهَا مَنُقُوشَ وَ زُوجَ مَسَائِسَ نُنَاعَ فَضَّةٍ فِيهِمُ الْمُسْكِرَةُ، مِينَ وَصَلْ خَرَجْتُ عِشْبَةَ تَشْرِي كِي عَوَايِدَهَا، أَعْطَاهَا الْأَمَانَةَ، مِينَ دَارْتَهُمْ طَاحَتْ نَعَاشَاتُ .

بَدَاتِ الْعُوْلَةَ تَبْكِي وَ نَسُوْطُ فِي رُوْحَهَا، وَ حَاوَتْهَا يَبْكُوْا عَلَيْهَا، حَسْبُوْهَا مَاتَتْ، قَالُوا أُخْتْنَا عَزِيْزَةٌ عَلَيْنَا مَا نَدْفُوْهَاشَ، كَانَتْ عِنْدَهُمْ وَاحِدَ الْبَغْلَةِ يُسَمُوْهَا نَعِيْلَةَ دَارُوا فُوْقَهَا الْعَطُوشَ تَاعَ الْجَمَلِ، وَحَطُّوا فُوْقَهَا أُخْتَهُمْ، وَ عَطَاوْهَا، وَقَالَ لِلْبَغْلَةِ أُمْسِي مَا تَحْبَسِيْشَ غَيْرَ مِينَ تَسْمَعِي حَدَّ يِقُوْلُكَ نَعِيْلَةَ دِيْرِي كِيْمَا قُنْتُكَ أَمَكُ .

شَافَتْ هَذِيْكَ الْبَغْلَةَ وَ كَانَتْ فَايْتَةَ عَلَى جَمَاعَةٍ فِي الْغَابَةِ، قَالَ وَاحِدٌ: هَادِي بَغْلَةَ نَدِيْهَا وَالْآخِرُ قَالَ: أَنَا نَدِي الْعَطُوشَ إِلِي فُوْقَهَا، وَ الثَّالِثُ قَالَ: أَنَا نَدِي إِلِي فُوْقَ الْبَغْلَةِ، حَبْسُوْهَا مَا بُعَاشَ تَحْبَسُ، مِينَ قَرُبُوْلَهَا، قَالَ وَاحِدٌ يَا هَدِي نَعِيْلَةَ، حَبَسَتْ الْبَغْلَةَ مِينَ حَلُّوا صَابُوا فِيهَا أَمْرًا مِيْتَةً، قَالَ وَاحِدٌ: مَا عِنْدِي مَا نَدِيْرُ بِالِي فِي الْبَغْلَةَ بَصَحَ نَدِيْلَهَا الْمَنُقُوشَ وَ الْمَسَائِسَ، مِينَ كَلْعَهُمْ لَهَا فَطْنَتْ، قَاتَلَهُ: حَطَّ رَزْقِي، قَالَتْ لَهُمْ: رَجِعُوا بَعْدُوا وَ تَسَابَقُوا اللَّيِّ يُوْصَلُ الْأَوَّلُ نَعْطِيْهِ الْمَسَائِسَ وَالْمَنُقُوشَ .

مِينَ رَاحُوا قَالَتْ لِلْبَغْلَةِ مِينَ نَقُوْلُكَ نَعِيْلَةَ دِيْرِي كِيْمَا قُلْتُ لَكَ أَرْجِعِي بِيَا عِنْدَ أَمَا وَ خَوَاتِي، مِينَ جَاوْ يَجْرُوا قَالَتْ لَهَا: نَعِيْلَةَ دِيْرِي كِيْمَا قُلْتُ لَكَ، وَتَنْطَلِقُ بِهَا لَخَاوَاتِهَا عِيَاوُ يَجْرُوا وَمَالِحُفُوْهَاشَ، دَخَلَتْ عَلَى خَاوَتْهَا وَأُمَهَا فَرَحُوا بِهَا وَعَنُقُوْهَا، وَقَالُوا لَهَا: كَيْفَاشَ جِيْتِي، خَبِرْتَهُمْ بِاللِّي الْخَضْرِي جَابَ لَهَا هَذَا الْأَمَانَةَ، مِينَ دَارَتْ الْمَنُقُوشَ وَالْمَسَائِسَ نَعَاشَاتُ، قَاسُوْلَهَا هَذُوْكَ الْمَسَائِسَ .

وَاحِدَ النَّهَارِ كَانَتْ عِشْبَةَ قَاعِدَةٍ بَرَا وَ مَعَاهَا وَوَدَّ الْعُوْلَةَ الصَّغِيْرَةَ، فَاتَ رَاعِي تَاعَ الْعَنَمِ، قَالَتْ لَهُ: أَعْطِيْنِي خُرُوفَ لُوْوْدِ الْعُوْلَةَ يَلْعَبُ بِيْهِ، قَالَ لَهَا: "مَلِي رَاحَتْ عِشْبَةُ خِضَارٍ مَا صَبَتْ أَمْطَارٌ، مَا جَابَتْ الْعَنَمُ غَيْرَ خُرُوفَ لُوْوْدِ الْعُوْلَةَ يَلْعَبُ بِيْهِ". فَاتَ عَلَيْهَا الرَّاعِي الْبَقْرَ قَالَتْ لَهُ: أَعْطِيْنِي يَارَاعِي مَهْرَ لُوْوْدِ الْعُوْلَةَ يَلْعَبُ بِيْهِ، قَالَ لَهَا: "مَلِي رَاحَتْ عِشْبَةُ خِضَارٍ مَا صَبَتْ أَمْطَارٌ، مَا جَابَتْ الْبَقْرَ غَيْرَ الْمَهْرِ اللَّيِّ يَلْعَبُ بِيْهِ وَوَدَّ الْعُوْلَةَ".

حَتَّى فَاتَ رَاعِي الْعَنْزِي وَمَعَاهُ وَوَدَّ عَمَّ عِشْبَةَ خِضَارٍ عَرَفَهَا رَاحَ عِنْدَهَا عَرَفَاتِهِ، قَالَ لَهَا: كَيْفَاهُ حَتَّى وَصَلْتِي لَهْنَا، حَكَاتَلَهُ قِصَّتَهَا مَعَ مَرْتِ بَابَاهَا، حَتَّى لِي وَصَلَتْ لِلْعُوْلَةَ، وَكَيْفَاشَ رَبَّنَهَا مَعَ أَوْلَادِهَا، قَالَ لَهَا: أَنَا بَاغِي نَنْزُوْجَ بِيْكَ، لِيَقْ نَرْوَجِي مَعَايَا، قَالَتْ لَهُ: الْعُوْلَةُ مَا تَخْلِيْنِيْشَ، قَالَ لَهَا:

" مِينَ تَرْتُدُّ أَهْرَبِي، قَالَتْ لَهُ: كَاغَ أَلِي فِي الدَّارِ إِخْبُرُوْهَا. قَالَ لَهَا: سُوفِي، نَرْجَعُ لَكَ نَهَارٌ وَاحِدٌ أَخْرُ نَجِيْبٌ لَكَ فِيْهِ الْحَنَّةُ، دِيْرِيهَا كَاغَ اللَّيِّ فِي الدَّارِ بَاشَ مَا يَهْدُرُوشَ، دَارَتْ عِشْبَةُ الْحَنَّةِ لِقَاعِ الْمَاعِيْنَ وَ أَنْسَاتِ الْمَهْرَازِ وَالْكَلْبُ مَا دَارْتَلَهُمْشَ، وَ دَارَتْ فِي بِلَاصَتْهَا شَكَارَةَ تَاعَ صُوفِ، وَ رَاحَتْ مَعَ وَوَدَّ عَمَهَا. وَلَا الْمَهْرَازُ يَقُوْلُ لِلْعُوْلَةَ: " دِي ... دِي ... عِشْبَةُ بِنْتُ الْعُوْلَةَ هَرِيْتِ " وَ الْكَلْبُ يَقُوْلُ: هُوَ ... هُوَ ... هُوَ ...

عِشْبَةُ بِنْتُ الْعُوْلَةِ هَزَيْتِ . تَنْلَمُسُ هِيَ الشُّكَارَةُ وَ تَقُولُ لَهُمْ: اسْكُتُوا هَا هِيَ بِنْتِي عِشْبَةُ رَاقِدَةٌ خَدَايَا، غَيْرَ هَكَذَا هُمَا يَقُولُونَهَا، وَ هِيَ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى فَطَنْتُ مَلِيحًا، مِينَ وَخَرْتِ الْغَطَا صَابَتْهَا شُكَارَةٌ .

قَالَتْ: غَضَرْتِنِي الْغَدَارَةَ وَ هَزَيْتِ، قَالَتْ لَهَا: عِشْبَةُ، عَلَاهُ رَحْتِي وَ خَلِيَّتِي؟ بَصَحَ شُوفِي رَايْحَةَ تَتَلَاقي نُسْرَ أَرْزُقٍ مُجَدَفٍ يَعْطِيكُمْ تَاكُلُوا، دِيرِي مُعْرِفٌ فِي فُمْكَ، وَلَا مَا عَطِينِيْلَهْشُ الطَّعَامَ يَصْرَتُكَ. عِشْبَةُ مَا قَالَتْشَ لَوْلَدْ عَمَهَا حَسْبَاتَهَ أَسْمَعُ، وَصَلُوا عِنْدَ النُّسْرِ كَلَاوُ مِينَ قَالَهُمْ: عَقَلُوا مَاكَلِيْتُوا، عَقَلْتَهُ اللَّيِّ فِي كَمَهَا، وَ وُلْدَ عَمَهَا مَا عَقَلَهُ وَالْوَا، قَالَ لَهُ نَصْرَطُكَ، قَالَتْ لَهُ عِشْبَةُ:

"عَلَاهُ جِبْتِي وَ غَضَرْتِنِي، قَالَ لِلنُّسْرِ: خَلِينِي نُوصلَهَا لِدَارِنَا وَ نَرْجِعْ لَكَ اصْرَطْنِي، قَالَ لَهَا رُوجِي لِدَارِنَا دَبْجِي كَلْبَةَ وَ لَبْسِي جَلْدَهَا، بَاشْ مَا يَعْرِفُوكَشْ، وَ مَنْ بَعْدَ خَبْرِي اِبِي شَاَصْرَالِي، وَ قُولِي لَهُ يَدِيرُ الطَّعَامَ، كَاعُ الْهُوَائِشْ، مَا يَخْلِيهَاشْ تَاكُلْ، غَيْرَ نُسْرَ الْأَرْزُقِ الْمُجَدَفِ خَلِيَهَ يَاكُلْ، مِينَ يَايَكْمَلْ يَقُولُهَ: عَقْ لِي مَا كَلِيْتِ، مِينَ يَقُولُهَ شَا نَعَقَّاكَ، يَقُولُ لَهُ: عَقْلِي وَ لِدِي لِي صْرَطُهَ يَرْجِعْنِي لِيَهَ.

رَاَحَتْ عِشْبَةُ دَارَتْ كَيْمَا قَالَهَا، وَ لَاتَتْ تَبَاتْ مَعَ لَسَلَاقٍ فِي الزَّرِيْبَةِ، وَ فِي الطَّرِيقِ، وَ لَا يَقُولُ لِعِشْبَةَ كِيرَاكِي، تَقُولُ لَهُ: رَاقِدَةٌ فِي الزَّرِيْبَةِ، وَ عَائِشَةُ مَعَ لَسَلَاقٍ، سَمِعَهَا عَمَهَا، خَبْرَاتَهَ بَلِي هِيَ بِنْتُ خُوَهَ، وَ وُلْدَهَ صْرَطُهَ النُّسْرَ، وَ قَالَتْ لَهُ شَا يَدِيرُ، طَعَمَ عَمَهَا وَ مَا خَلَّاشَ الْهُوَائِشْ تَاكُلْ، غَيْرَ النُّسْرِ الْأَرْزُقِ الْمُجَدَفِ مِينَ كَلَا قَالَ لَهُ: عَقْ لِي مَا كَلِيْتِ، مِينَ قَالَ لَهُ شَا نَعَلَّاكَ، قَالَ لَهُ: عَقْلِي وَ لِدِي لِي صْرَطُهَ، مِينَ رَجِعُوا، قَالَ الْوَلْدُ لُمَهَ: أَنَا نَتْرُوجُ مَعَ الْكَلْبَةِ نَتَاعِنَا، قَالُوا لَهُ: شَارَاكَ أَنْقُولُ، هَذِي كَاعُ مَا شِي هَدْرَةَ، تَتْرُوجُ بِيهَا، لُعْدُوِي قَالُوا لِلْحَادِمِ: أَدِي لُسَيْدِكَ الْفَطُورُ، مِينَ دَخَلَتْ أَنْخَلَعَتْ، قَالَتْ لَهُمْ: سَيْدِي فَمْرَ وَلَا سَمْسُ، أَنْخَلَعُوا، خُوَهَ وَاحِدٌ آخَرَ قَالَ: أَنَا نَتْرُوجُ مَعَ السُّلُوكِيَّةِ تَاعِي، قَالُوا لَهُ: يَا حَوْجِي، شَاهِي هَادِي هَدْرَةَ تَتْرُوجُ بِيهَا، فِي اللَّيْلِ وَ لَا يَقُولُ لَهَا: هِيَا سُلُوكِيَّةَ بَدْلِي جَلْدِكَ، وَ لَاتَتْ تَقُولُهَ: ... هُوَ ... هُوَ ... لُعْدُوِي رَسَلُوا الْحَادِمَ قَالُوا لَهَا:

"أَدِي الْفَطُورُ لُسَيْدِكَ، قَالَتْ لَهُمْ: سَيْدِي دَخَلْتُ فِي قَاشُوشَهَ، وَ كَلَاتَتْ لَهُ فَحَشُوشَهَ".

## فهرس الحكايات الشعبية

209	بَابَا قِرْمَازُ	.1
212	كِي شِمِيَتْ كِي كَلِيَتْ	.2
213	رَاجِيَّة و دِيَاب بَعَالِم	.3
215	المِشْحَاخ الكُبَيْر	.4
215	لِلْكَبَار وَالصَّنْغَار	.5
216	زِينْب و كُعَالَة السَّبْع	.6
217	القَطِيْط و لَفْوِيْر	.7
219	رَاجِلْ بِلْ مَخ	.8
219	مَزَاخ جَحَا الْجَزَائِرِي	.9
220	لُونَجَة مُوَلَاة سَبْع سَوَالْف	.10
225	عَلَاش و دُنَيْنِ البَعْل طَوَال	.11
225	خُنَيْفَسَة لآلَة النِّسَا	.12
238	كُنْشِي بِيْرَا.. و كَلَام السُّوْء مَا بِيْرَا	.13
231	المِعْرَة الصَّنِيَّة	.14
235	الخِيْر اَمْرَا.. و الشَّر اَمْرَا	.15
236	العَبْد لَكْحَل	.16
237	الذِيْب و التَّعْلَب	.17
237	جَحَا و السُّلْطَان	.18
238	الفَلَاخ و الخَمَاس	.19
239	الجَوْهَر فِي خِيُوْطهَا	.20
242	الحِيْل مَعَ النِّي	.21
243	الذِيْب و الفَلَاخ	.22
243	بُوْرِيَان القَلْعِي	.23
244	خُرِيْص و بُوْخْرُوْصَة	.24

246	سَعِيدٌ وَذِيَابٌ	.25
247	عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ	.26
248	هَارُونَ الرَّشِيدُ	.27
251	مُلُوكَةٌ وَالتَّعْبَانُ	.28
252	بَقْرَةٌ لَيْتَامَى	.29
255	حَدُّ الزَّيْنِ مُوَلَّاتُ الشَّعْرِ ذَهَبٌ	.30
257	الْوَلْدُ وَمَرَّتْ بِأَبَاهُ	.31
258	غَانِمٌ وَوَلَدُ الرَّاعِي	.32
260	عَشْبَةُ خَضَارٍ	.33

## قائمة المراجع

### أولاً: المراجع العربية:

1. أ.ل. رانيلا: الماضي المشترك بين العرب والغرب، أصول الآداب الشعبية الغربية، ترجمة:نبيلة إبراهيم:مراجعة: فاطمة موسى، عالم المعرفة،سلسلة ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، 1999
2. أحمد ديب شعبو: في نقد الفكر الأسطوري الرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، 2006
3. أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002
4. أحمد كمال زكي: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، 1979
5. أحمد مرسي: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2008
6. ألفريد بل: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، بيروت، 1981
7. أمحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، الطبعة الأولى
8. أميمة منير عبد الحميد حادو : تربية الطفل في التراث الشعبي المصري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 2004
9. بروب/شتروس: كلود لفي ستروس وفلاديمير بروب مساجلة بصدد:"علم تشكل الحكاية"، ترجمة: محمد معتصم، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1988
10. بياروننت ميشال ايزار : معجم الانتولوجيا والأنتروبولوجيا، ترجمة وإشراف : مصباح العمدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2006

11. جون-بول رزقير: فلسفة القيم، تعريب عادل العوّا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2001
12. حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الإجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت،
13. حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009
14. خالد أبوليل: المرأة الحدوثة، جمع ودراسة، تقديم أحمد مرسي، دار العين للنشر، القاهرة، 2008
15. رابح بلعمري: الوردة الحمراء " قصص شعبية من شرق الجزائر"، المنشورات الجامعية والعلمية، باريس، 1980
16. زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي، مطابع دار الكتاب العربي، مصر
17. سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، 1991
18. سرحان نمر: الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1974
19. سعد جلال: علم النفس الإجتماعي، الاتجاهات التطبيقية المعاصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1984
20. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة.
21. الطاهر بوغازي: القيم التربوية، مقارنة نسقية، منشورات الحبر، الجزائر، الطبعة الاولى، 2010
22. طلال حرب : أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة الأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية، لبنان، الطبعة الأولى، 1999

23. طلال حرب: بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان الطبعة الأولى، 1999
24. عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة بمصر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1975
25. عبد الحكيم شوقي: السيرة والملاح الشعبية العربية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1984
26. عبد الحكيم شوقي: دراسات في التراث الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005
27. عبد الحميد بورايو : الحكايات الخرافية للمغرب العربي دراسة تحليلية في معنى المعنى لجموعة من الحكايات، دارالطلیعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1992
28. عبد الحميد بورايو : البطل الملحمي والبطلة الضحية، في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998
29. عبد الحميد بورايو :القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986
30. عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات؟ دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات رابطة الأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، 2006
31. عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1995
32. عبد الله البردوني: الثقافة الشعبية ... تجارب وأقاويل يمنية، دار المأمون، القاهرة، 1988
33. عبد الله شريط : نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

34. عبد المالك مرتاض : الألباز الشعبية الجزائرية، دراسة في ألباز الغرب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1983
35. عبد المالك مرتاض: الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، سنة 1982
36. عمر عبد الرحمان السارسي :الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،الطبعة الأولى،1980
37. عيسى الشماس : مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)، إتحاد الكتاب العرب، دمشق،2004
38. فانتن محمد شريف: الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر،الاسكندرية، الطبعة الأولى،2007
39. فانتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر: مقدمة في علم إجتماع الأدب، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية، الطبعة الأولى،2008
40. فاروق خورشيد: أضواء علي السيرة الشعبية، منشورات اقرأ بيروت، لبنان، بدون الطبعة و السنة.
41. فاروق خورشيد، محمود ذهني : فن كتابة السيرة الشعبية، دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية، عنتره بن شداد، منشورات اقرأ، الطبعة الثانية،1980
42. فردريش فون دير لاين : الحكاية الخرافية، نشأتها، مناهج دراستها، فنيته، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، 1973
43. فلاديمير يروب: مورفولوجية الحكاية، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء،1986
44. قادة بوتارن: الأمثال الشعبية الجزائرية ترجمة حاج صالح، دار الحضارة، الجزائر
45. كاظم الحجاج: المرأة والجنس بين الأساطير والأديان، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 2002

46. ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
47. مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1975
48. محمد الجوهري : علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988
49. محمد الجوهري: دراسات علم الفولكلور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992
50. محمد بن حمودة : الأنثروبولوجيا البنيوية أو حق الاختلاف، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، 1978
51. محمد سعدي: المثل الشعبي الجزائري، مقارنة بنيوية، رسالة دكتوراة دولة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2000
52. محمد فيصل شيخاني: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية، دراسة تاريخية وتربوية تحليلية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا
53. محمود البستاني: الاسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الاسلامية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994
54. مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2006
55. مصطفى صمودي: من جلجماش إلى نيتشه، بحث في الثقافة العالمية، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 2008 .
56. المصطفى مويثن : بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 2005
57. نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1981

58. نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة الحديثة، بدون تاريخ .
59. نبيلة إبراهيم: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، بدون تاريخ
60. نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، 1974
61. نويل تايمز : علم الاجتماع و دراسة المشكلات الاجتماعية، ترجمة غريب محمد سيد أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987
62. هيثم هلال : ملحمة جلجامش، دار النهج للنشر والتوزيع، العراق، الطبعة الأولى، 2007
63. ياسين النصير: المساحات المخفية، قراءات في الحكاية الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1995
64. يوري سوكولوف: الفولكلور، قضاياها وتاريخه، ترجمة حلمي شعراوي، عبد الحميد حواس، الهيئة العامة لقصور الثقافة الطبعة الثانية، القاهرة، 2000
65. يوسف إسماعيل: الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2004

### ثانيا:المراجع الفرنسية:

1. A.vaissière : les Ouled-rechaich(cycle héroique des ouled-hillal),Revue africaine, N°36,année1892
2. Alfred bel : la Djazia ,journal asiatique ,XIX et XX, anneé1902-1903
3. Camille Lacoste–Dujardin : le conte kabyle, étude ethnologique, François Maspero, paris, 1970.
4. Commandant Malingoud : Contes, Bédouins, revue Africaine, N° 65, Année 1925
5. Edmond destaing : Lennayer chez les beni snous(texte berbère,dialecte des beni snous) , revue Africaine, N° 49. Année 1905
6. E-Laoust : contes berbères du Maroc : Edition Larose : 1.2T Paris v, 1949,
7. Nacib Yousef : contes Algériens de Djurdjura contes populaire. Ed publisud Paris 1982.
8. Nora aceval : Conte du Maghreb : Site : zauzi Bart. Com / Nora Aceval / accueil. Htm depuis 1997
9. René Basset : La légende de bent el khass, Revue Africaine, N°49 année 1905
1. Edmond doutté : magie et religion dans l'Afrique du nord  
Alger ,1909
2. Lucien Goldman :pour une sociologie – Romaned – idée Gallimard, paris , 1964 .
3. Bruno Bettelheim : psychanalyse des contes de fées , paris, robert Laffont , 1976

### ثالثا: المجلات و الدوريات العربية:

1. بوخالفة عزي :الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، إشراف ليلي روزلين قريش، معهد اللغة والأدب العربي،الجزائر،1994
2. جماعي : الهياكل العائلية والأدوار الاجتماعية، سلسلة مراجع المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، تونس.
3. خالد أبو الليل: تاريخ السيرة الهلالية في محافظة قنا : دراسة للراوي والرواية، رسالة دكتوراه، جزآن، مكتبة جامعة القاهرة،2007

4. خالد محمد: القداسة والأسطورة في التجربة الطرقية الإسلامية بمنطقة شمال شرق الصحراء، مجلة الجزائري وأسطورته، المخيال الاجتماعي وآليات التماهي، العدد الأول، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، 2003
5. رشيد جرموني : قراءة في التحولات القيمية، دراسة مقارنة بين المغرب وباقي بلدان العالم، مجلة المستقبل العربي، العدد366،مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، أوت 2009
6. عبد الرحمان بوزيدة : قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية و الثقافية، وهران، 2005
7. عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم، دراسة نفسية، عالم المعرفة، مجلة شهرية ثقافية العدد 160، الكويت، 1992
8. محمد حسن عبد الحافظ: سيرة بني هلال، الشفهية ودرس الاختلاف مجلة الفنون الشعبية، العدد79، 80، ديسمبر 2008
9. مسلم صبري: الحكاية الشعبية العراقية وجهود الباحثين فيها، مجلة التراث الشعبي، العدد7، 6، العراق، 1981.
10. مصطفى يعلى: الخطاب الأخلاقي في الحكاية الخرافية، ديوان الدراسات المحكمة، مقال 06 فبراير 2010 [www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com)
11. ميلود حكيم : الكرامة الصوفية مقارنة أنثروبولوجية لمدونة ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مجلة القصص والتاريخ، التمثيل الرمزي لحقب من التاريخ الاجتماعي الجزائري، العدد الثاني، أعمال المركز للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان، الجزائر، 2005،
12. هشام عبد العزيز: محمد رجب النجار تحقيق التراث بين الشفاهي والمكتوب، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد 71- سبتمبر 2006ص، 36. منقول عن : احمد بن محمد بن عرب شاه :فاكهة الخلفاء ومفاكهة

الظرفاء، تقديم وتحقيق وشرح : محمد رجب النجار، سلسلة الذخائر، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003

### رابعاً: المعاجم العربية:

1. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1992
2. عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، 2008
3. الفيروز الأبادي: القاموس المحيط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977
4. معجم الوسيط : الجزء الثاني، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1973
5. المنجد في اللغة والإعلام: دار المشرق، لبنان، الطبعة الثانية والعشرون، 1986

# الفهرس

1	مقدمة
11	المدخل : المعطيات التاريخية والمكونات الثقافية للمنطقة
11	أ: الخصائص الجغرافية للمنطقة:
12	ب: معطيات تاريخية عن المنطقة:
12	ج: المكونات الثقافية للمنطقة:
19	الباب الأول: أنماط الحكاية وأصناف القص الشعبي
20	الفصل الأول: الأجناس القصصية
20	1. تحاور الأجناس القصصية:
27	2. تواصل الأجناس القصصية :
29	3. حدود الأجناس القصصية:
32	4. مضمون الأجناس القصصية :
36	الفصل الثاني: مفهوم الحكاية الشعبية
36	1. تحديد المفهوم:
41	2. الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية:
46	3. الحكاية الشعبية في المنظور الغربي والدراسات العربية :
51	4. الحكاية الشعبية الجزائرية وامتدادها العربي والعالمي :
55	الفصل الثالث: إشكالية التصنيف
61	1. الحكاية الخرافية:
66	2. حكاية الحيوان:
71	3. حكايات الواقع الاجتماعي:
76	الباب الثاني: السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية
77	مقدمة: مفهوم السلوك ومكوناته ومظاهره
85	الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية
85	1. الزواج:
93	2. العلاقات الأسرية:
99	3. نظام القرابة :
108	الفصل الثاني: الدينامية الاجتماعية والاقتصادية
108	1. الحياة الاجتماعية :
114	2. التحولات الاجتماعية:

118	3. علاقة الإنتاج وخصائصها:
126	<b>الفصل الثالث: المضامين السياسية</b>
126	1. السلطة الاجتماعية :
134	2. السلطة السياسية:
139	3. التراتب الاجتماعي:
145	<b>الباب الثالث: القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبيّة</b>
146	<b>المقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها:</b>
155	<b>الفصل الأول: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الأسرة والمجتمع</b>
157	1. قيم التفاهم بين الزوجين:
160	2. قيمة الأمومة:
163	3. قيمة التماسك الأسري:
168	4. قيمة الكرم والضيافة:
170	5. قيمة الصبر والتسامح :
175	<b>الفصل الثاني: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الاقتصاد والسياسة</b>
175	1. قيمة الحث على العمل:
178	2. قيمة التشارك والتكافل:
181	3. قيم بين الحاكم والمحكوم :
187	4. قيمة تحقيق العدالة الاجتماعية:
192	<b>الفصل الثالث : نماذج من القيم السلبية</b>
192	1. قيم ساخرة:
197	2. نقد المجتمع :
200	3. قيم تروبية :
205	<b>خاتمة عامة</b>
208	<b>الملحق</b>
265	<b>قائمة المراجع</b>
274	<b>الفهرس</b>

## الملخص:

**الكلمات الافتتاحية :** الحكاية، الشعب، الفولكلور، التراث، السلوك، المجتمع، الأخلاق، القيم، الأسرة، الإنتاج، السياسة، الاقتصاد،....

عرفت الشعوب منذ العشائر القديمة حتى اليوم أنماطاً مختلفة من القصص الشعبي منها الأساطير والسير والملاحم والحكايات الشعبية هذه الأخيرة التي احتلت مكانة عظيمة بين الأفراد لارتباطها بهم وبمعتقداتهم، ومهما اختلفت وتتنوع إلا أنها تبقى الذاكرة الشعبية الجماعية التي ترصد لنا مجموعة من السلوكيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للأفراد تلك السلوكيات التي تحمل في مضامينها زخماً هائلاً من القيم الأخلاقية التي تسعى الحكاية من ورائها الى تحقيق أهداف إنسانية وأخلاقية متعددة، والملاحظ أن معظمها لا يبتعد عن بث قيمة أو رصد موعظة أو نقد موقف توجه به تلك السلوكيات الاجتماعية وتشجع على التمسك بها.

**Les mots clés :** conte, peuple, folklore, patrimoine, comportement, société, éthique, Valeur, famille, production, politique, économie,...

Longtemps dans l'histoire de l'humanité, les nations ont connu des genres différents du contes populaires, parmi lesquels des mythes, des épopées, des légendes, des contes populaires...etc., dont la dernière occupait une place importante dans la vie des individus. Mais malgré leur diversité, représentent toujours la mémoire populaire collective, car ils réfèrent à des comportements socio-politiques et économiques des individus et véhiculent un certain nombre de valeurs à travers lesquelles le conte tente d'atteindre des objectifs humains très variés. A noter également que la majorité des objectifs ne s'éloigne guère de transmettre des valeurs, ou d'exprimer une moral ou même de critique ou d'encourager les différentes orientations que prennent ces comportements sociaux.

The key words : tale, people, folklore, patrimony, behavior, society, ethics, Value, family, production, politics, economics,...

Long time in the history of humanity, nations have experienced different kinds of folk tales, including myths, epics, legends, folk tales ... etc., Last figured prominently in the lives of individuals. But despite their diversity, are always popular collective memory, as they relate to behaviors and socio-economic policies of individuals and convey a number of values through which the story is trying to achieve human goals varied. Also note that the majority of goals do away much of transmitting values, or to express a moral or even criticism or encourage different orientations assumed by these social behaviors.

## ملخص عام

# السلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية في الغرب الجزائري

إشراف الدكتور:

سعيد محمد

إعداد الطالبة:

سنوسي صليحة

## ملخص عام

تشغل الحكاية الشعبية باعتبارها فنا شعبيا مشبعا بالقيم الإنسانية والاجتماعية مساحة واسعة في الذاكرة الجماعية لدى شعوب العالم منذ القدم، بحيث ارتبطت بهم ارتباطا وثيقا وهذا لمالها من أهمية بالغة في إمكانية تحقيق الرغبات والخروج من عالم المشاكل إلى عالم تحقيق الأحلام. ومن أهم ما يميزها هي الكلمة التي تجعل منها أدبا شفويا جماعيا أعطاهها ميزة الاستمرارية والتلقائية في التعبير.

إنّ الحكاية الشعبية هذا الجزء المنسي من تراثنا يعدّ ركنا مهما من أركان التعبيرات الشفهية، يحتاج إلى عناية كبيرة وذلك بجمعها وتدوينها ودراستها وإحياء ذاكرتها وتثمين ما تمثله من رموز ثقافية وقيم إنسانية هذا الأمر الذي جعل الدارسين يهتمون بها باعتبارها نمطا من أنماط الأدب الشعبي الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من "الفولكلور" هذا الأخير المحصور بين الأقوال والمآثر والأغاني والأمثال والحكايات.

وانطلاقا من ذلك يمكن أن ننظر إليه وإلى الحكاية باعتبارهما إنتاجا فنياً إبداعياً يدرسان في إطارهما الاجتماعي ولا يحق لنا أن نخرجهما من هذا السياق وهذا ما يؤكد أحمد مرسي في قوله بأنّ "لا يمكننا الفصل بين المادة الشعبية وسياقها وأصحابها والبيئة التي تتداولها، وعلى ذلك فلا بد من أن ننتبه إلى أنّ ما يصلح في النظر إلى الأدب الخاص أو الفن الخاص من مناهج ونظريات، قد لا يصلح بالضرورة لمجال اهتمامنا"<sup>1</sup>. وعليه أكد أنّ الأدب الشعبي هو أسلوب التعبير الفني المأثور عن الفكر والعادات والتقاليد الجمعية والذي يتوسل بالكلمة" ومن هذا المنطلق يتضح لنا أنّ الأدب الشعبي بأنواعه يميزه التعبير الوجداني الذي يعبر عن نفسية المجتمع وثقافته، ويمس الحياة الاجتماعية من جميع جوانبها "فهو التعبير عن خلد القطاع الاجتماعي الغير ممّا يعتريه من مؤثرات

<sup>1</sup>: أحمد مرسي: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2008، ص 25

اجتماعية أو هزات سياسية أو طبقية وما إلى ذلك مما ينتاب الشعوب من تغيير في السلوك"<sup>1</sup>.

وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا أنّ الأدب الشعبي عامة والحكاية خاصة يمثلان حقلًا واسعًا للدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية كما أجمع عليه جل الدارسين في التراث الشعبي، إلا أنّ الدراسات في ضوء تلك المناهج ظلت قليلة ما عدا بعض الدراسات هنا وهناك.

ومن أقدم الدراسات الرائدة في الأدب الشعبي ما جمعه الأخوان "جريم" بألمانيا و"مكسيم جوركي" "بروسيا" من حكايات شعبية، إلى جانب بعض المحاولات الأخرى في مختلف أرجاء العالم أهمّها: دراسة "الفولكلور: قضايا وتاريخه" للباحث الروسي "يوري سوكولوف" الذي يعدّ من الأوائل في العالم الذين انتبهوا إلى أهمية الثقافة الشعبية ما أدّى به إلى إثارة قضايا عديدة أهمّها التنويه بترتيب الحكايات إقليمياً كما أكدّ على قيمتها الاجتماعية وأهميتها العلمية.

ونجد الأمر نفسه في دراسة "فلاديمير بروب" مورفولوجية الحكاية" الذي تناول فيها دراسة حوالي مائة حكاية خرافية روسية حدّد بها العناصر الثابتة والمتغيرة، وخلص إلى إمكانية تغيير شخوص الحكاية إلا أن وظائفها تبقى ثابتة وحددّها بثلاثين وظيفة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هاتين الدراستين تبقى من أهم الدراسات في هذا المجال في فهم شخصيات الشعوب فهما دقيقا ما أكدّه كذلك العديد من الدارسين أمثال "لفي ستروس" في دراسته لأساطير العالم وكذلك العالم الألماني "يوهان". أما الحقل العربي فقد تراكت فيه أيضا مجموعة من الدراسات وعلى رأسها ما توصلت إليه "نبيلة إبراهيم" حينما تطرقت إلى إمكانية تناول الحكاية لحضارة الشعب ووصف بيئته ومجتمعه. ولم تقتصر دراسة الحكاية على بعض دول العالم وإنما حذت حذوهم أيضاً الجزائر وخطت خطوات متقدمة في هذا البحث أمثال "عبدالحميد بورايو" و"ليلي قریش روزلين".

ومهما يكن من أمر فإنّ جلّ الدراسات العالمية والعربية جميعها تجمع على أنّ الحكاية الشعبية تبقى من أهمّ الأشكال التعبيرية الشفهية التي تصوّر لنا أحداث المجتمع وتعكس

---

<sup>1</sup>: المرجع نفسه، ص 17

مواقفه وتحقق توازنه، ولعل ذلك من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى الولوج إلى عالم الحكاية الشعبية.

### الدوافع الشخصية والموضوعية:

من أهم الدوافع الموضوعية التي أدت بنا إلى اختيار الموضوع هي محاولة الكشف عن الظواهر الاجتماعية التي مرّرتها لنا الحكاية الشعبية ونقلت عن طريقها أهم السلوكات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأفراد المجتمع. وهذا محاولة منا إلى تفكيك بناءها والقيام برحلة كاشفة للنظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وما تحمله من سلوكات متعدّدة خاصة في الفصلين الأول والثاني. ومن بين الأسباب الموضوعية أيضاً محاولة الخوض في المنهج الأنثروبولوجي الاجتماعي لدراسة الحكاية الشعبية مستبعدة بذلك الولوج في الوصف الأدبي المحض للحكاية، ليأتي دورنا في محاولة دراسة الحكاية من منظور اجتماعي والتعرض لها في الحقول المعرفية الأخرى لأنّ الحكاية الشعبية تحتاج الكثير من الدراسات الاجتماعية والإنسانية الجادّة التي تهدف الى الكشف عن ثقافة المجتمع وطريقة تفكيره.

أما الجوانب الشخصية منها: هي أننا من الذين يهتمون بمجال التراث الشعبي من أجل اثراء والمحافظة عليه بالجمع والتدوين لما يمثله من روح الأمة، مرتبط بهويتها وثقافتها. وشغفي بالتراث الشعبي بشطريه المادي وغير المادي جعلني أوصل مسيرتي في البحث. ويعود سبب تركيزي على الحكاية الشعبية إلى أنّها أكثر الفنون الشعبية شيوعاً واستعمالاً بين جميع شعوب العالم، وحضورها يحقق عمقاً حضارياً وثقافياً وإنسانياً.

### الإشكالية:

وبناءً على تلك المعطيات تظهر لنا العديد من الإشكاليات التي تحدّد مسار البحث وخطوطه العريضة أهمّها: هل حقيقة نص الحكاية الشعبية قادر على حمل الواقع الاجتماعي وهل عكست الحكاية صور المجتمع وأنظمتها المختلفة؟ وإلى أي مدى تمثل الحكايات منتجا ثقافياً جماعياً يعبر عن الجموع؟ وإلى أي حد تلعب الحكاية بشكلها الفني البسيط المحدّد دوراً مؤثراً في تأكيد معتقدات الشعب والكشف عن سلوكه وقيمه؟ وهل

حققت الحكاية دورها في إعلاء القيم الأخلاقية من خلال السلوكيات المطروحة؟ وهل هي بمثابة المراقب الاجتماعي والمثبت للقيم الأخلاقية؟

إنّ موضوع الحكاية الشعبية واسع ومتشعب يدور حول ما يشغل روح الشعب وفكره سواء في نطاق الأسرة أو المجتمع حول التمسك بوحدتهما والمحافظة على بناءهما الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من أجل بناء مجتمع مثالي خال من المفارقات الاجتماعية والصراعات الطبقيّة، هذا الدور الفعال والايجابي الذي تلعبه الحكاية. ومن هذا المنطلق فإن الحكاية لا يمكن أن تشكل في محتواها سوى نظرة الشعب الروحية في تحقيق العدل والمساواة والتمسك بالوحدة من أجل تعميم السلام حتى ولو كان ذلك في شكل أحلام وطموحات تحققها أحداث الحكاية.

ولذلك فالحكاية استطاعت أن تثير قضايا عديدة من خلال سلوكيات أفرادها عبّرت بها عن واقعهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وثبتت من خلالها قيماً أخلاقية، ونحن الآن لسنا بصدد استعراض جميع السلوكيات الاجتماعية والقيم الأخلاقية التي حملتها نصوص الحكاية وإنما يمكننا أن نشير الى قدرة هذا الجنس الشعبي الأدبي على حمل الواقع الاجتماعي بمختلف أنظمتها وتوجهاته.

### المنهج المتبع:

ولذلك تحتمّ علينا في هذا البحث اتباع المنهج الأنثروبولوجي والاجتماعي في الفصلين الأول والثاني مع الإستناد إلى المنهج النفسي الأدبي في القسم الأخير وتعدّ هذه المناهج حقلاً ومنهجاً يدرس حياة الإنسان داخل الحقل المعرفية، ويكشف عن سلوكياته الاجتماعية وقيمه الأخلاقية.

ومهما يكن من أمر تبقى المنهجية من أهم وأصعب الإشكاليات التي تعترض سبيل الباحث، كما تعدّ أساس وسرّ نجاح بحثه ومن هذا المنطلق بدا لنا ضروريًا تحديد منهجية نعتمد عليها في مقاربتنا لموضوع البحث ونظرًا لتنوع جوانبه لم نقتصر على استخدام منهج واحد وإنما استقرت دراستنا على أكثر من منهج لطبيعة البحث وهي كالاتي:

أولاً: المنهج الوصفي التحليلي: تعدّ دراسة "الحالة" أو "المادة" من بين طرق البحث العامة في الحكاية الشعبية، بحيث استخلصت مجموعة من المعلومات الهامة وما يدور حولها من قضايا وظواهر وأحداث وذلك لأجل تحديد السلوكيات القائمة بين أفراد الحكاية ثم قمت بتحليلها. ومن أهم الأساليب المستعملة في هذا المنهج: الجمع والتصنيف والتحليل، حتى يتسنى لنا الإلمام بكل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والغوص في أعماق شخصيات الحكاية والتعرف على اهتماماتهم وحاجاتهم.

ثانياً: المنهج الأنثروبولوجي والاجتماعي: يساعد هذا المنهج في الدراسات الفولكلورية على دراسة العلاقات الأسرية والاجتماعية إلى جانب نظام المعيشة والأسرة والسلطة وتحديد الظواهر والسلوكيات التي يراد دراستها.

ثالثاً: المنهج النفسي الأدبي: استعنت بهذا المنهج للكشف عن الظواهر النفسية كالشعور والدوافع والحاجات والرغبات والميولات من أجل استنباط القيم الأخلاقية والمثل التي تؤكد على الجانب التربوي والأخلاقي في الحكاية الشعبية.

وبذلك لم نعرض على أنفسنا حصاراً منهجياً مما أكسب بحثنا مرونة. فتركنا أسئلة الموضوع تتحرك ضمن فضاء معرفي واسع، بحيث نتقلنا عبر المناهج المذكورة لنحدّد القضايا والأسئلة التي يفرضها موضوع الحكاية الشعبية هذا الفن الأدبي الشعبي والفولكلوري الذي يصوّر لنا وعياً جماعياً وبعداً نفسياً وظاهرة ثقافية. فاعتمدت في القسم الأول على الدراسة الأنثروبولوجية والاجتماعية لدراسة الحالة الاجتماعية والأسرية داخل الحكاية وما تحتويه من نظم القرابة والأسرة والزواج، إلى جانب النظام الاقتصادي والسياسي. أما القسم الأخير اعتمدت فيه على الدراسة النفسية والأدبية من أجل تحديد القيم الإيجابية والسلبية التي استنبطناها من السلوكيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تطرقنا لها في القسم الثاني.

### تحديد ميدان الدراسة والمادة المبحوثة:

إنّ الحديث عن تحديد الموضوع وكذا الطرح المنهجي يقودنا إلى الحديث عن المادة أو متن الدراسة الذي اعتمدناه في بحثنا وما يطرحه من إشكاليات، فالحكاية الشعبية يميّزها

الطابع الشفهي وقلة النصوص المدونة يعرض على الباحث النزول إلى الميدان لتكوين مادته الأمر الذي حتم علينا أيضا النزول لملامسة الواقع.

لقد أثار اهتمامنا ونحن نقوم بجمع المادة التي نشتغل عليها عينة من الحكايات الشعبية التي تتوفر على عناصر تؤهل هذه الحكايات لتكون من سبل التنشئة الاجتماعية التي اعتمد عليها المجتمع الجزائري خلال قرون متواصلة من الوجود، إذ صورت في مختلف أدوارها الاجتماعية. وانشغالنا بخصوصها يقتضي مآ تحليلها ومن ثمة استخراج الدعائم الأساسية التي يركز عليها الفكر الشعبي الجزائري. وقد تمّ جمع هذه العينة على مراحل:

المرحلة الأولى: مخطوط مدونة "محمد بلحفاوي" وتحتوي على أربع عشرة حكاية شعبية لأهمّ الحكايات الشعبيّة التي لها انتشار واسع في الغرب الجزائري والتي روتها له أمّه وقد تمّ العثور عليها عند حفيده "بن ستي هوارية" القاطنة بوهران. ولد "محمد بلحفاوي" سنة 1912 بالمدينة الجديدة بوهران من عائلة متواضعة توفي بفرنسا سنة 1993، ورث عن والديه "بلقاسم" و"زهرة" مجموعة من الحكايات الشعبية والشعر والغناء، اهتمّ بالمرح سنة 1950، صدرت له أعمال أهمّها: *La poésie orale maghrébine d'expression populaire, et La poésie arabe populaire de l'Algérie* : Éditions Maspéro, 1973.

المرحلة الثانية: تحتوي هذه المجموعة على عشرين حكاية، منها حكايات جمعت سنة 2005 في رسالة ماجستير حول "القص الشعبي بمنطقة غليزان" للباحثة واضح عائشة، ولهذا قد استبعدت العديد من الحكايات متشابهة المضامين واستطعت بذلك أن أكون متنا للثلاث وثلاثين حكاية شعبية خاصة بمنطقة الغرب الجزائري لتكون موضوع هذه الدراسة. مع الإشارة لبعض الحكايات الشعبية التي استعنت بها في دراستي في القسم الأول تمّ جمعها من طرف فريق بحث وتم تدوينها في كتاب "قاموس الأساطير الجزائرية"، تحت إشراف عبد الرحمان بوزيدة، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005.

## تقسيم البحث:

قسمت مشروع البحث المعنون بـ «السلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية بالغرب الجزائري، دراسة اجتماعية أدبية» إلى ثلاثة أقسام، ثم قسمتها إلى فصول، فبدأت بذكر: المقدمة: وتحدثت فيها عن الموضوع وإشكالاته، وذكر الدوافع المؤدية إلى اختياره، والمنهج المتبع في الدراسة وخطة الموضوع، ثم انتقلت إلى المدخل بتحديد منطقة الغرب الجزائري، ومنه إلى القسم الأول المعنون بـ: «أنماط الحكاية وأصناف القص الشعبي» ثم قسمته إلى ثلاثة فصول أولها: تحاور الأجناس القصصية وتداخلها مع الحكاية حيث حاولت أن أبرز سمات القص الشعبي بجميع أشكاله: الأسطورة والسير والملاحم والحكاية ومن خلال تحليلي لهذا الجزء أبرزت أهمية القص العالمي الذي تشكل فيه الحكاية عصاره تلك الأنواع.

أمّا الفصل الثاني فتعرضت فيه إلى مفهوم الحكاية مع تحديد المصطلح ثم الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية، ثم انتقلت إلى التعريف بالحكاية الشعبية الجزائرية والاهتمام بها في المنظور الغربي والدراسات العربية وأهم الدراسات والمناهج التي درستها.

أمّا الفصل الثالث فتطرق في فيه إلى إشكالية تصنيف الحكاية، مع التركيز على مشكلة الحدود التي ترجع أساساً إلى تداخل الموضوعات.

أما القسم الثاني المعنون بـ: «السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية» قسمته إلى ثلاثة فصول فبدأته بمقدمة: تحديد المقصود بالسلوك الاجتماعي ومكوناته ومظاهره، ثم انتقلت إلى الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية: فتحدثت فيه عن سلوكات الزواج والأسرة والعلاقات الاجتماعية والأنظمة القرابية في الحكاية الشعبية.

أمّا الفصل الثاني: تناولت فيه الدينامية الاجتماعية والاقتصادية وأهمية العلاقات الاجتماعية في تقوية النمو الاقتصادي، كما تناولت التحولات الاجتماعية وعلاقة الإنتاج وخصائصها.

أمّا الفصل الثالث اعتمدت فيه على أهم المضامين والقضايا السياسية التي استنبطتها من السلطة الاجتماعية والسياسية التي ينتج عنها الصراع الطبقي ومحاولة الحكاية الشعبية القضاء على هذا الصراع.

أمّا القسم الثالث: المعنون ب: "القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية" قسمته إلى ثلاثة فصول، فبدأته بمقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها ثم انتقلت إلى الفصل الأول المعنون: بنماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الأسرة والمجتمع، وحاولت فيه أن استنبط بعض القيم الأخلاقية الإيجابية التي نجدها في الزواج والعلاقات الأسرية والقربانية: كقيمة الأمومة قيمة التقاهم والتماسك الأسري وقيمة الصبر والتسامح.

أمّا الفصل الثاني فخصصته لاستخراج نماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الاقتصاد والسياسة التي نجدها في السلوكات الاقتصادية والسياسية وهي: قيم الحث على العمل قيم التشارك والتكافل، قيم بين الحاكم والمحكوم، قيمة العدالة الاجتماعية وقيمة المساواة.

أمّا الفصل الثالث المعنون ب: نماذج من القيم السلبية فتطرق فيه إلى النماذج السلبية في الحكاية الشعبية منها القيم الساخرة والناقدة للمجتمع وأهمية القيمة التربوية في الحكاية الشعبية وأخيرا ختمته بملخص عام.

رغم أنني لم أتطرق إلى معظم حكايات الغرب الجزائري واكتفيت ببعضها لتشابهها إلا أنّ أهمها يبقى جزءاً لا يتجزأ من الكيان الثقافي الشعبي المغاربي عامة والجزائري خاصة، كما يعد وثيقة اجتماعية تؤهل الباحثين والدارسين لمعرفة طبيعة البنية الاجتماعية لكيان المجتمع، ولأجل ذلك أشاد الدارسون والمهتمون بالتراث الشعبي بضرورة الاهتمام بها تدوينا ودراسة.

لا يتسع المقام هنا بتحليل كل الأحداث وتحديد كل السلوكات وهذا لما تزخر به نصوص الحكاية من تناقضات وتغيرات اجتماعية، إلا أننا حاولنا دراسة البعض منها لعلنا نصل إلى ضبط وفهم أهم الميكانيزمات المعرفية والاجتماعية التي تتحكم في النمط الفكري الشعبي.

وقد استخلصنا في الأخير، ان التراث الشعبي ومنه القصص الشعبي من أهم الأشكال التعبيرية التي تقاسمتها جميع شعوب العالم، بحيث أنتجت كما هائلا من الأنماط القصصية التي اختلف الباحثون في تصنيفها. وأهمها الأسطورة والسيرة والملحمة والحكاية، هذه الأخيرة التي لا يخلوا مجتمع من المجتمعات إلا وحكت على ألسنته حكايات، لتكوّن بذلك سجلا حيا لمراحل تطوره ونمو فكرهم. ولأجل ذلك تعاضم الاهتمام بها في العالم العربي، بل في العالم، إذ الأمم باختلاف أجناسها وألسنتها عرفت الحكاية وتداولتها جيلا بعد جيل يرثها الخلف عن السلف لتمثل بذلك أكثر الأجناس القصصية ترحالا وتنقلا بين الشعوب.

وتلتقي مضامين الأجناس القصصية الشعبية بجميع أشكالها وألوانها، بمحاور متشابهة تداولتها على مرّ الزمان واختلاف المكان، تتركز على ما آل إليه الإنسان من مشاق في حياته من أجل تحقيق رغباته والبحث عن فضاء عادل ومتوازن، ومن أهم المضامين التي يدور حولها القصّ الشعبي عموما، الصراع الأزلي، الرغبة في البقاء والخلود، النزعة القبلية والعنصرية وموضوع المرأة إذ يحتل المحور المركزي داخل الحكاية.

ولعل ما يميز الحكاية الشعبية عن باقي الأجناس القصصية الأخرى أننا نلتمس فيها الحسّ الاجتماعي الواقعي، وتكاد موضوعاتها تقتصر على العلاقات الاجتماعية والأسرية، فهي واقعية مرتبطة بالتجربة اليومية، إذ تخلو من التأملات الفلسفية وتعتمد على أدقّ تفاصيل الحياة اليومية وهمومها. إلا أنّ هذا لا يعني أنّها تخلو من عناصر التشويق والخيال الذي يضيف عليها لمسة جمالية. وعلى ضوء هذا التداخل بين الحقيقة والخيال غابت الفواصل والحدود بين الحكايات الشعبية ليصعب تصنيفها رغم الجهود القائمة من أجل ذلك، ما يؤكّد شمولية الابداع الشعبي.

وبالنسبة للمجتمع الجزائري فمثله مثل باقي المجتمعات الإنسانية، ورث عن أسلافه مادة غنيّة من الحكايات الشعبية نجدها بمختلف أقطار البلاد، تعكس لنا طريقة تفكير وأسلوب حياة وعادات وتقاليد ومعتقدات الناس، فلا تخلوا منطقة من المناطق أو عائلة من العائلات إلا وصدى الحكايات الشعبية حاضر بين أفرادها ومرتسم بمخيلتهم.

ولعلّ سلسلة الحكايات الشعبية التي تمّ الحصول عليها في منطقة الغرب الجزائري تعكس مجموعة من السلوكات الاجتماعية الجديرة بالدراسة، بحيث أي سلوك يُفهم على أنه

امتداد للواقع وللذات الشعبية، ويرسم نظرتة للأحداث الجارية في المجتمع. فمهما اختلفت وتنوعت هذه الحكايات إلا أنها تشكّل الذاكرة الشعبية الجماعية التي تحمل سلوكات الأفراد وتعبّر بشكل واضح عن تفكيرهم الشعبي، فهو يجسّد بؤرة الوعي الجماعي العميق لواقع اجتماعي يبدو متناقضا.

فمن الطبيعي جداً أن تكون الحكاية في الغرب الجزائري قد وُضعت أساساً لرصد الواقع الاجتماعي وعرض أنماط سلوكاته ومواقفه إزاء الأحداث. ولذلك تمكّننا من حصر مجموعة من السلوكات الاجتماعية التي تزخر بالكثير من المتناقضات، مجسّدة بوضوح في البناء الاجتماعي للحكاية: كالزواج ونظام القرابة والأسرة، الشيء الذي ساعدنا على معرفة الحياة الأسرية والاجتماعية والتبادل في العلاقات والتغيّر في الأوضاع التي كان سببها غالباً تغير في الأوضاع الاقتصادية والبحث عن سبل العيش والاستقرار.

ومما لا شك فيه أن الحكاية الشعبية عموماً أكّدت أهمية تلك العلاقات الأسرية والاجتماعية باعتبارها ظاهرة طبيعية وضرورية للإنسان فعملت على تمثين روابطها ووحدة أفرادها. هذا إلى جانب تأكيدها على التنظيم السياسي وأهميته والذي يكمن في سلطة القانون الحاكم (السلطان) والسلطة الاجتماعية المتمثلة في (الأعراف والتقاليد)، وبهذا الشكل سارت الحكاية الشعبية نحو تفاعل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وارتباط بعضها ببعض.

كما لم تقتصر الحكاية الشعبية على السلوكات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وإنما ذهبت إلى تأسيس مواقف رافضة للظلم الاجتماعي والسياسي، كإنعدام المساواة وتفشي الطبقة والتفرقة الاجتماعية، وهذا ما عانته الطبقات الشعبية من ظلم حكامها وسيطرة أنظمتها، وعلى هذا الأساس اعتبرت الحكاية الشعبية داخل أوساطها الوعاء الذي تحقق بداخله حلمها من مساواة وعدل واستقرار وكل ما يأمله أفراد المجتمع من تحقيق أنظمة مبنية على أساس التفاهم والأخلاق والقيم.

ولذلك، ليس غريباً علينا أن نصطدم بهذا الزخم الهائل من القيم الأخلاقية المتناقضة التي استطاع الإبداع الشعبي تصويرها لأجل مواجهتها ومحاولة تصحيحها، ولعلّ مجموع هذه القيم المتناقضة لا يخفي نقداً واضحاً لواقع موجود داخل المجتمع، الغرض منه التربية والتعليم لتحقيق أهداف إنسانية وأخلاقية قد تصل إلى درجة العالمية.

ولو تمعنا في العديد من الحكايات بأنواعها، الخرافية، الواقعية وحكايات الحيوان وغيرها، لما وجدناها تبتعد عن بثّ قيمة أو رصد موعظة أو نقد موقف توجّه به سلوكيات الأفراد أو تشجعهم على التمسك بقيم معينة. وعليه أستخلصنا أهمّ النتائج التي تمّ التوصل إليها من خلال دراستنا للحكاية الشعبية نجملها فيما يلي:

- تسعى الحكاية الشعبية الى دعوة المجتمع الى التمسك بوحدته والمحافظة على بناءه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من أجل بناء مجتمع مثالي خال من المفارقات الاجتماعية والصراعات الطبقيّة.
  - تشكل الحكاية في محتواها نظرة الشعب الروحية والتقليدية في تحقيق العدل والمساواة من أجل تعميم السلام حتى ولو كان ذلك في شكل خيال وأحلام وطموحات.
  - تهدف الحكاية إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من جهة ومن جهة ثانية ضبط الصراع النفسي وكبح الرغبات الغريزية.
  - استطاعت الحكاية أن تثير سلوكيات اجتماعية وقضايا انسانية متعدّدة تحرص من خلالها على غرس القيم الأخلاقية والمبادئ التربوية.
  - تمثل الحكاية وسيلة لإصلاح عيوب المجتمع بتقديمها دروسا تربوية للناشئة ودعوتها لاتباعها، بتحقيق أنظمة مبنية على أساس التفاهم والأخلاق والقيم.
  - تعالج الحكاية الشعبية قضايا اجتماعية متشابهة في جميع ربوع العالم ممّا يؤكد شموليتها واعتبارها نصا إنسانيا.
  - قدرة الحكاية الشعبية على حمل الواقع الاجتماعي بمختلف أنظمتها وتحولاته وأشكاله المتناقضة، وتصويره بفتيات وجماليات تجعل منه شكلا قائما بذاته.
  - الحكاية الشعبية أسلوب اجتماعي هدفه أخلاقي، اصلاحي وتوجيهي.
- تم ضبط الخطة كالتالي:

• مقدمة:

• المدخل: المعطيات التاريخية والمكونات الثقافية للمنطقة.

الباب الأول: أنماط الحكاية وأصناف القص الشعبي

مقدمة:

## الفصل الأول: الأجناس القصصية

5. تحاور الأجناس القصصية
6. تواصل الأجناس القصصية
7. حدود الأجناس القصصية
8. مضمون الأجناس القصصية

## الفصل الثاني: مفهوم الحكاية الشعبية

5. تحديد المفهوم
6. الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية
7. الحكاية الشعبية في المنظور الغربي والدراسات العربية
8. الحكاية الشعبية الجزائرية وامتدادها العربي والعالمي

## الفصل الثالث: اشكالية التصنيف

4. الحكاية الخرافية
  5. حكاية الحيوان
  6. حكاية الواقع الاجتماعي
- الباب الثاني: السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية

مقدمة: مفهوم السلوك و مكوناته ومظاهره

## الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية

1. الزواج
2. العلاقات الأسرية
3. نظام القرابة

## الفصل الثاني: الدينامية الاجتماعية والاقتصادية

1. الحياة الاجتماعية
2. التحولات الاجتماعية
3. علاقة الإنتاج وخصائصها

## الفصل الثالث: المضامين السياسية

1. السلطة الاجتماعية
2. السلطة السياسية
3. التراتب الاجتماعي

## الباب الثالث: القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية

مقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها

## الفصل الأول: نماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الأسرة والمجتمع

1. قيمة التفاهم بين الزوجين
2. قيمة الأمومة
3. قيمة التماسك الأسري
4. قيمة الكرم والضيافة
5. قيمة الصبر والتسامح

## الفصل الثاني: نماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الاقتصاد و السياسة

1. قيمة الحث على العمل
2. قيمة التشارك والتكافل
3. قيم بين الحاكم والمحكوم
4. قيمة العدالة الاجتماعية

## الفصل الثالث : نماذج من القيم السلبية

1. القيم الساخرة
2. نقد المجتمع
3. القيم التربوية

الخاتمة : أهم النتائج

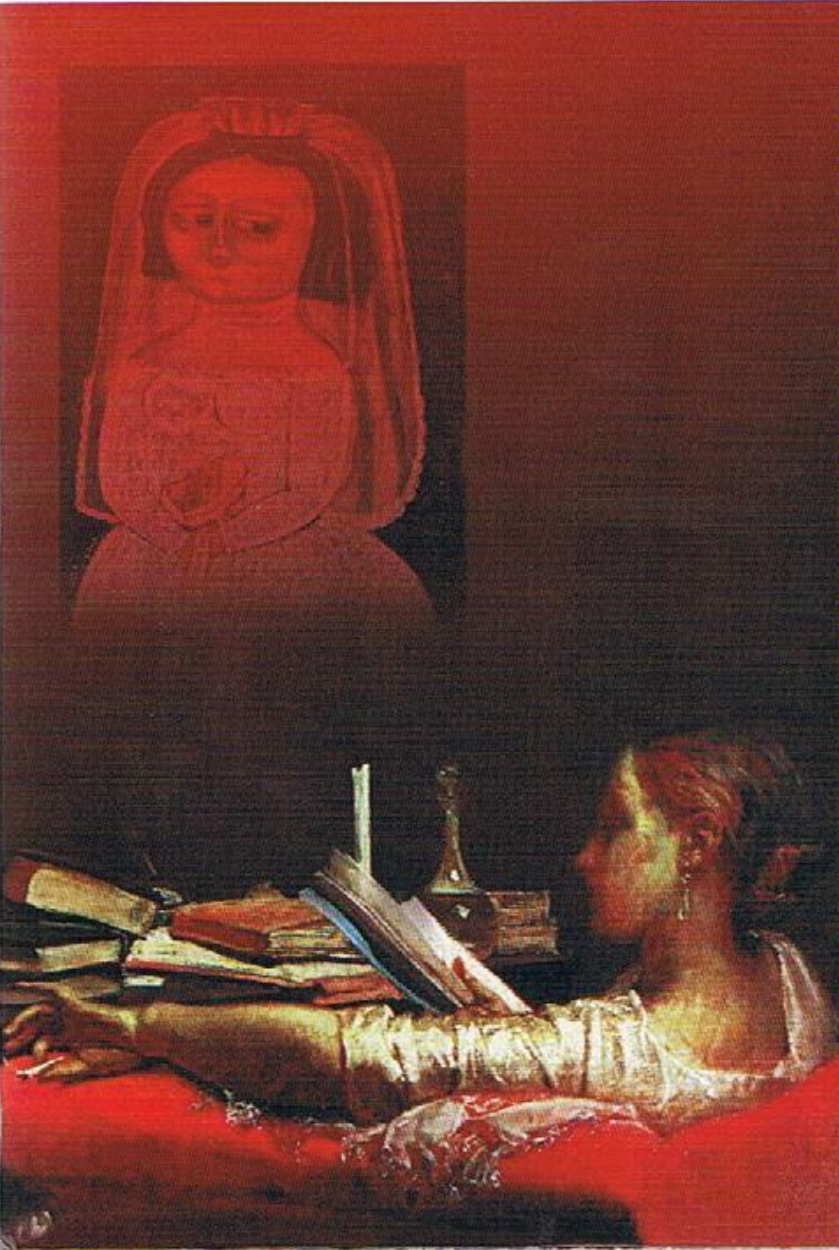
الملحق : مدونة الحكايات الشعبية

المصادر والمراجع

ذاكرة الناس

# الحدائث

فصلية ثقافية  
تعنى بقضايا  
التراث الشعبي  
والحدائث



الثورات العربية الإسلامية يعيرون مفكرين جامعيين  
دراسات في اللغة والفلسفة والموسيقى والعلوم المعاصرة

فصلية ثقافية محكمة تعنى  
بقضايا التراث الشعبي والحداثة

مجلة

# الحدائثة

السنة التاسعة عشر - الاعداد: 143 - 144 ربيع 2012

المدير المسؤول: نقولا ناصيف  
الاخراج الفني: باسل صالح

رئيس التحرير: فرحان صالح  
امانة التحرير: كامل صالح

ISBN 978-9953-509-90-7

الهيئة الاستشارية:

العلاقات العامة: أحمد بو درمين، الجزائر، 12 دكتور تروالار، 00213 213 07643

محمد ربيع ناصر مطانيوس الحلبي موسى زموئي ناصر الدين الاسد نبيلة ابراهيم شر سرحان نورية الرومي وحيد عبد المجيد واسيني الاعرج يوسف عبد الله	عبد القادر حميدة عبد القادر هني عبد الحميد بورايو عبد المالك مرتاض فيليب حتي فريدريك معتوق كفاح فاخوري ليلي السبعان ماجد يوسف محمد محمود الجوهري محمد السيد عيد	جلال خشاب حصبة الرفاعي خليل احمد خليل زاهي ناصر رتيبة الحفني سليمان الشطي سامح مهران عبد الرحمن الاحمد عبد الرحمن الشافعي علياء شكري	احمد مرسي احمد برقايوي اكرم قانصو ادوار الخراط الهام كلاب البساط الظاهر حجار امين الزاوي باسم عبد الحميد حمودي بديع الحاج جابر عصفور جمال الغيطاني
--	---	---	--

شكراً لكم محمد البتكي - وليد غلمية

من الذين افتقدتم مجلة الحدائثة:

مخلدون النقيب احمد ابو سعد جوزف فاخوري سلام الراسي عبدالله العلالي مفيد ابو مراد  
فاروق خورشيد محمد عابد الجابري عادل اسماعيل توفيق الباشا محمد رجب التجار

الادارة: الحوالات المالية باسم فرحان صالح

العنوان: بيروت - حارة حريك، شارع العضيبي - بناية عويدات،  
تلفاكس: 01/555291، الرمز: 1105/2060، ص.ب: 14/5636 بيروت - لبنان  
E-mail: alhadatha@gmail.com

المواد التي ترسل

لا تعود الى اصحابها

سواء نشرت او لم تنشر

الاشتراكات : لاربعة اعداد (شاملة البريد الجوي المضمون).  
في لبنان : 125 دولار اميركي للمؤسسات  
الدول العربية : 125 دولار اميركي للمؤسسات  
الدول الاجنبية : 150 دولار اميركي للمؤسسات

الاعلانات يتفق بشأنها مع الادارة

المراسلات باسم رئيس التحرير

ملاحظة: الآراء الواردة في المقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

## الفهرس

- الافتتاحية: الحدائة والثقافة الشعبية - المقام الأكاديمي..... فريدريك معتوق وزاهي ناضر ... 3  
محطات: عبد القادر جفلول، الجزائر في ذاكرة مؤرخ (1 و 2) - منازل وأمكنة - بيروت  
1960 - فصول شعرية في قراءة الجسد - أيام جزائرية - تحية على بطرس لبكي - حوار  
حول الحركات الشبابية العربية ..... فرحان صالح ..... 7  
ندوة: 2011... عام الثورة تحت مجهر الجامعيين الجزائريين: أحميدة عياشي، محمد هناد،  
زبير عروس، ناصر جابي، عمر لارجان ..... 69  
ملف: في الفكر السياسي  
الأحزاب الإسلامية امام الشعار المستحيل ..... علي حرب ..... 87  
بيان الازهر والمتقين عن منظومة الحريات الاساسية..... 92  
من حوار مع البابا بندكتوس(16) عن العلمانية ودكتاتورية النسبية . بيتر سيفالد ..... 96  
علمانية الإسلام ..... كرم الحلو ..... 101  
صناعة الخنوع ..... أحمد براقوي ..... 104  
سؤال النهضة في الزمن العربي الجاري ..... فؤاد خليل ..... 107  
ملف: فنون وتربية  
الفن الجداري المحلي بين العفوي والمقترض ..... علي العلي ..... 113  
الاتصال الإلكتروني بين حاجات التغيير وحتمية الإتساق الاسري .. بن دنيا فطيمة ..... 129  
دور التربية الإعلامية في ترسيخ القيم لدى الفرد ..... بعلي محمد ..... 143  
ملف: فلسفة ولغة  
نظرة الحكام والفقهاء إلى الفلسفة العقلانية في العصور الوسطى ... حامد ابراهيم ..... 157  
أحمد عطية قارناً في الأخلاق..... عفيف عثمان ..... 171  
اكتساب اللغة مقارنة توليدية تحويلية ..... عبد السلام شقروش .. 177  
الصورة الذهنية للأنا والآخر ..... محمد صغير أحمد ... 187  
النحو وميادينه التطبيقية ..... محمد السعيد بن سعد. 195  
ملف موسيقي:  
الموسيقى والمجتمع التارقي ..... سنوسي صليحة..... 205  
ملف: في التراث الشعبي  
مدح الأماكن ومدح الراحلة عند الشعراء الشعبيين ..... الشايب ورنقي..... 215  
الأمير المغامر وعروس البحر ..... زاهية طراحة ..... 226  
المواسم الزراعية والامثال الشعبية ..... محمد حمداوي ..... 243  
الاحتفالات والمناسبات الدينية عند الطريقة الشيعية بالجزائر ..... سيف الدين هببة ..... 260  
الحركة الجموعية في الجزائر ..... بوسنة محمود ..... 270  
مسرح:  
المسرة الكبرى ..... سامح مهران ..... 283  
قراءة في تقرير معهد بيو لدراسات الأديان: المسيحيون في العالم ..... 303  
قراءات في رواية حب خارج البرد لكامل صالح ..... 309

## الموسيقى والمجتمع "التارقي" أية علاقة؟

سنوسي صليحة<sup>1</sup>

تعيشها المنظومة الاجتماعية "التوارف" مقارنة بالمناطق الجزائرية الأخرى ومنها الأمازيغية، إلى جانب محاولة فهم مجموعة سلوكيات الأفراد من خلال الظواهر المختلفة المرتبطة بالموسيقى التارقية.

### مراجع ودراسات

ومن الأهداف التي نطمح إليها من خلال كتابة هذه الدراسة هي المشاركة في إثراء الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر وبالخصوص في مجال الثقافة الشعبية والمجتمعات التقليدية، وتأكيد خصوصية الميدان الأنثروبولوجي في الجنوب الجزائري وضرورة البحث الميداني الجاد داخل هذه المجتمعات، لأننا كثيرا ما نتساءل حول مجموع الدراسات التي عنيت بهذا الموضوع، وهل يجسد إنتاج المكتبة الجزائرية وما فيها من دراسات وكتب ووثائق وأرشيف تراث منطقة "التوارف"؟ فالتراث الثقافي للمنطقة في أمس الحاجة إلى مجهودات علمية ومبادرات ميدانية تعنى بالبحث والدراسة والحفاظ على زخم الموروث الشعبي للمنطقة.

لم يحض المجتمع التارقي بالدراسة الكافية من قبل الباحثين والدارسين (العرب منهم والأفارقة على حد سواء) باستثناء بعض الدراسات القليلة جدا هنا وهناك، ويعد ابن خلدون أشهر من كتب عن "التوارف"، أما في العصر الحديث فقد

يعتبر موضوع التراث الشعبي في الجنوب الجزائري موضوعا أنثروبولوجيا مهما لما له من خصوصيات علمية متعددة، إلا أن البحوث في هذا المجال تكاد تكون منعدمة، الأمر الذي دفعنا إلى منطقة "الأهغار" تمنراست، لمتابعة هذا التراث الذي عبره يمكن اكتشاف التراكمات المعرفية والميدانية، حول "موسيقى التوارف"، خاصة وأن الجزائر تعيش تحولات سوسيواقتصادية وثقافية سريعة، جعلتنا نتساءل هل يمكن أن نحافظ على هذا الإرث الجمعي وإدماجه في الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية؟ إننا ننكب في بحثنا هذا على الدراسة الميدانية لأهمية الموسيقى في المجتمع التارقي الذي يولي اهتماما كبيرا لهذا الفن التعبيري والذي يعد ظاهرة من الظواهر الشعبية المختلفة داخل هذه الوحدة الاجتماعية. ودراستنا هذه ليست مبنية على منهج موسيقي بمعنى الكلمة وإنما تهدف بمنظور ثقافي واجتماعي إلى معرفة الرمزية التي تحملها الطبوع الموسيقية داخل مجتمعا، واختلاف وظائفها وأبعادها التي تكشف لنا عن بعض السلوكيات والممارسات الاجتماعية التي بنيت عليها الثقافة التارقية وأسست مبادئها وأفكارها في وسط أخذ لنفسه مكانة مميزة وحدودا مغلقة.

إن اهتمامنا بالتراث التارقي عامة والموسيقى خاصة هي الخصوصية التي

### الحداثة



## صدر في كراسات المركز

- علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج؟، رقم 1، 2000.
- الإطارات الصناعية: مواقع، أدوار، مسارات، تعثلات، رقم 2، 2001
- تراث، رقم 3، 2002
- تراث: ملف عبد القادر الخالدي، رقم 4، 2002
- الحركة الجموعية في المغرب العربي، رقم 5، 2002
- تراث: الكلام الشفهي: من الأوراس إلى مرجاجو، رقم 6، 2003
- النص الأدبي: مقاربات متعددة، رقم 7، 2004
- تراث: تراث معنوي (الغير مادي) مواد، وثائق ودراسة نماذج، رقم 8، 2004
- الإطارات الصناعية: شروط تكوين نخبة حديثة، رقم 9، 2005
- تراث: تعثلات اجتماعية، رقم 10، 2005
- لعرج واسيني و شغف الكتابة، رقم 11، 2005
- تسيير الكفاءات: الاتصال والقيادة في المؤسسة، رقم 12، 2005
- الحركة الجموعية في الجزائر الواقع والأفاق، رقم 13، 2005
- Eléments d'analyse urbaine. Théorie et application، رقم 14، 2005
- تراث: الملحون، نصوص و وثائق، رقم 15، 2006

© مركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية و الثقافية (CRASC)، 2009

ردود: 1112-3441 الإبداع القانوني: 1246-2000

بكفالة: وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

الطبع: 150 نبع

المقر: حي باهي عمار، عمارة أ، رقم 1 - السانها، وهران، الجزائر

المعنوان: ص.ب 1955 وهران النور، الجزائر

الهاتف: +213 (0) 41-58-32-77 & +213 (0) 41-58-32-78 / 81

الفاكس: +213 (0) 41-58-32-86

البريد الإلكتروني: crasc@crasc.org الموقع المركز: <http://www.crasc.org>

فرع المركز: جامعة مننوري بسنطنبة

الهاتف: +213 (0) 31 81 86 18

الطباعة: AGP

الهاتف: +213 (07) 70 96 83 35

## فهرس

- 5 المداحات: تاريخ و أصالة  
خالد بن فافا
- 23 نحو أغنية عربية متعددة  
سعيد الريحاني
- 31 العنف في الأغنية الشعبية  
محمد سرير
- 47 أشكال الأغنية الشعبية في الغرب الجزائري  
صليحة سنوسي
- 57 المنايع الثقافية لأغاني ناس الغيوان  
بلقاسم بومديني
- 79 قراءة أنثروبولوجية سيمبائية لطبوع موسيقية من بشار  
محمد تحريشي
- 93 المصطلحات الشعبية في معجم Marcelin Beaussier  
صليحة سنوسي

## أشكال الأغنية الشعبية في الغرب الجزائري

صليحة سنوسي\*

يمثل الغرب الجزائري وحدةً جغرافية واجتماعية واحدة كانت تمارس فيها عادات وتقاليد متشابهة غير أنها تفرقت بفعل العوامل والظروف الحضارية والتاريخية، و من بين هذا الإرث الشعبي الأغاني الشعبية التي توارثتها الأجيال واتخذت منها أشكالاً وإيقاعات مختلفة.

التصقت الأغنية الشعبية بالحياة الاجتماعية الجزائرية فسارت جنباً إلى جنب مع الإنسان البدوي، حاضرة في كل مناسباته، تخفف عن أله في موضع الحزن، وتزيده سعادة في موضع الفرح.

يؤدي كل نوع من هذه الأنواع وظيفة معينة، "ومعنى هذا أن أغاني الأفراح والختان والسبوع تثير الإحساس بالسعادة والفرح، وأن الأغاني التي تنشد في مناسبات دينية تتمثل وظيفتها في إيقاظ القيم الدينية والإحساس الديني عند الشعب"<sup>1</sup>. كما تكشف لنا عن واقع معاش لمجتمع معين وأنظمتها السائدة ومشاكله المختلفة، ونشير هنا إلى شكلين أساسيين من الأغاني.

### الأغاني الفردية

تعبر المرأة عن نفسياتها الداخلية من فرح أو حزن عن طريق دندنتها، ثم تنتشر بعد ذلك في الأوساط الشعبية لتغنى في المناسبات فتصبح أغنية جماعية. والأغنية الفردية موجودة "منذ القدم في المهددات والألحان

\* باحثة داتمة بالمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية.

<sup>1</sup> إبراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، القاهرة، دار المعارف، 1119، كورنيش النيل، الطبعة 3، ص.224.